طبعة جديدة منقحة ومدققة

خامس الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين

الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما

شخصيته وعصره

د. علي محمّد محمّد الصّلابي

دار الأصالة

بسم الله الرحمن الرحيم

دار الأصالة

دار الأصالة

رقم الإصدار	196
الترقيم الدولي	978-625-6752-14-6
اسم الكتاب	خامس الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
اسم المؤلف	د. علي محمد محمد الصلابي
رئيس التحرير	رجب صونگول
الاخراج الفني	AsaletAjans ajans@asaletyayinlari.com.tr
الطبعة	الأولى - نوفمبر 2023م / ربيع الآخر 1445ه
دار النشر	دار الأصالة للنشر والتوزيع وخدمات الترجمة والطباعة **Asalet Eğitim Danışmanlık Yayın Hizmetleri İç ve Dış Ticaret** Sertifika No: 40687 Balabanağa Mh. Büyük Reşit Paşa Cd. Yümni İş Merkezi, No: 16B/16 Vezneciler Fatih, İSTANBUL-TÜRKİYE Tel: +90 212 511 85 47 www.asaletyayinlari.com.tr asalet@asaletyayinlari.com.tr
	Step Ajans Matbaa Ltd. Şti. Sertifika No: 45522 Göztepe Mh. Bosna Cd. No: 11 Bağcılar/İSTANBUL

كما أن إصداراتنا متاحة على منصّتي

Google Play Books

amazonkindle

خامس الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين

الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما

شخصيته وعصره

تأليف

د. علي محمد محمد الصلابي

دار الأصالة

مقدمة

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.

أما بعد:

هذا الكتاب امتداد لدراسة عهد النبوة والخلافة الراشدة، لقد صدرت مجموعة من الكتب في هذا الشأن، وهي: السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق، وفصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وتيسير الكريم المنان في سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وأسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، لقد سميت هذا الكتاب، خامس الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب، شخصيته وعصره.

ويتحدث هذا الكتاب عن أمير المؤمنين الحسن من مولده حتى استشهاده، فيبدأ بالحديث عن اسمه ونسبه وكنيته وصفته ولقبه، وتسمية رسول الله ﷺ له، وتأذين رسول الله ﷺ في أذنيه، وحلق شعر رأسه، وعقيقته، ومرضعته أم الفضل رضي الله عنها، وعن زواجه وزوجاته والروايات التي حولهنَّ، وبيان حقيقة الروايات التي تزعم بأن الحسن رضي الله عنه كان مزواجاً مطلاقاً، كما يتحدث الكتاب عن أولاده، وإخوانه وأخواته، وأعمامه وعماته، وأخواله وخالاته.

وعن والدته السيدة فاطمة رضي الله عنها، عن مهرها وجهازها وزفافها، ووليمة عرسها، ومعيشتها وزهدها وصبرها، ومحبة رسول الله ﷺ لها وغيرته عليها، وصدق لهجتها وسيادتها في الدنيا والآخرة، وبين الكتاب العلاقة بين الصديق والسيدة فاطمة، وميراث النبي ﷺ. وحقيقة علاقة السيدة فاطمة مع أبي بكر رضي الله عنه، وعن وفاة السيدة فاطمة رضي الله عنها.

وفصَّل الكتاب مكانة السيد الحسن عند جده الحبيب المصطفى ﷺ، فأشار إلى محبة رسول الله ﷺ ورحمته بالحسن وملاعبته، والدروس المستفادة من هدي النبي في التعامل مع الأطفال، كتقبيلهم والرأفة والرحمة بالأطفال ومداعبتهم وممازحتهم، وأهمية الهدايا والعطايا التي تقدم لهم، وحسن استقبالهم وتفقد أحوالهم والسؤال عنهم واللعب معهم.

وتكلم الكتاب عن الأحاديث التي أشارت إلى شبه الحسن بن علي رضي الله عنه بالنبي ﷺ، وكون الحسن والحسين سيِّدي شباب أهل الجنة، وقوله ﷺ: «هما ريحانتاي من الدنيا»، وعن إعلان رسول الله ﷺ على الملأ عن كون الحسن السيد ولعل الله يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين.

وذكرت الأحاديث التي رواها الحسن بن علي عن جده رسول الله ﷺ، ونقلت وصف رسول الله ﷺ، كما رواه الحسن، وذكرت ما جاء في فضائله، كآية التطهير وحديث الكساء، وناقشت آية التطهير ومناط الاختلاف بين أهل السنة والشيعة في هذه الآية، وبينت التفسير الصحيح للآية على منهج علماء خير القرون ومن سار على هديهم، وذكرت آية المباهلة ووفد نصارى نجران، وبينت علاقة ذلك بالحسن.

وأشرت إلى أثر التربية الأسرية على الحسن بن علي رضي الله عنه وأثر الواقع الاجتماعي على تربيته.

وأفردت مبحثاً مستقلاً عن حياة الحسن في عهد الخلفاء الراشدين، فتكلمت عن مكانة الحسن في عهد الصديق، وأهم الأحداث التي أثرت في ثقافته في عصر أبي بكر، وماذا استفاد من ذلك العهد الزاهر، وكذلك في عهد عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم جميعاً، وتحدثت عن استيعاب الحسن للفقه الراشدي في نظام الحكم ومفاهيم الإسلام وعلاقته الحميمة بالخلفاء الراشدين، وتعرضت لمعركة الجمل وصفين وموقف الحسن منهما.

وتحدثت عن استشهاد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ووصية أمير المؤمنين علي للحسن والحسين رضي الله عنهما، ونهي أمير المؤمنين علي عن المثلة بقاتله، وخطبة الحسن بعد استشهاد أبيه، وعن استقبال معاوية رضي الله عنه خبر مقتل علي رضي الله عنه، وعن بيعة الحسن وشرطه في البيعة، وبطلان قضية النص على خلافته، وإنما اختارته الأمة على وفق نظام الشورى المعروف، وتكلمت عن مدة خلافة أمير المؤمنين الحسن ومعتقد أهل السنة في خلافته.

وأثبتُّ بأن خلافته كانت خلافة راشدة حقة؛ لأن مدته في الحكم كانت تتمة لمدة الخلافة الراشدة التي أخبر النبي ﷺ أن مدتها ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً، فقد روى الترمذي بإسناده إلى مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك»[1]، وقد علق ابنُ كثير على هذا الحديث فقال: إنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول في سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ، فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من

(١) سنن الترمذي مع شرحها، تحفة الأحوذي (٦/ ٣٩٥ ـ ٣٩٧) حديث حسن.

دلائل النبوة ، صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليماً[١]، وبذلك يكون الحسن خامس الخلفاء الراشدين[٢]، وعند الإمام أحمد من حديث سفينة أيضاً بلفظ : «الخلافة ثلاثون سنة ثم يكون بعد ذلك الملك»[٣]، وعند أبي داود بلفظ : «خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك من يشاء ـ أو ملكه من يشاء»[٤]، ولم يكن في الثلاثين بعده ﷺ إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن، وقد قرر جمع من أهل العلم عند شرحهم لقوله ﷺ : «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة»، أن الأشهر التي تولى فيها الحسن بعد موت أبيه كانت داخلة في خلافة النبوة ومكملة لها، وهذه بعض أقوال أهل العلم :

١ ـ **قال القاضي عياض رحمه الله** : لم يكن في الثلاثين سنة إلا الخلفاء الراشدون الأربعة، والأشهر التي بويع فيها الحسن بن علي ، والمراد في حديث : الخلافة ثلاثون سنة : خلافة النبوة ، فقد جاء مفسراً في بعض الروايات : خلافة النبوة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً[٥] .

٢ ـ **وقال ابنُ أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية** : وكانت خلافة أبي بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر ، وخلافة عمر عشر سنين ونصفاً ، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة ، وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر ، وخلافة الحسن ستة أشهر[٦] .

٣ ـ **وقال ابن كثير** : والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحديث الذي أوردناه في دلائل النبوة[٧] من طريق سفينة مولى رسول الله ﷺ ، قال : «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»، وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي[٨] .

٤ ـ **وقال ابن حجر الهيثمي** : هو آخر الخلفاء الراشدين بنص جده ﷺ ، ولي الخلافة بعد مقتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة فأقام بها ستة أشهر وأياماً ، خليفة حق وإمام عدل وصدق تحقيقاً لما أخبر به جده الصادق المصدوق بقوله : «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»[٩]، فإن تلك الستة أشهر هي المكملة لتلك الثلاثين[١٠]، فهذه بعض أقوال أهل العلم في كون الحسن أحد الخلفاء الراشدين،

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ١٣٤).
(٢) مآثر الإنافة (١/ ١٠٥) ، مرويات خلافة معاوية ، خالد الغيث، ص ١٥٥ .
(٣) فضائل الصحابة (٢/ ٧٤٤) إسناده حسن .
(٤) صحيح سنن أبي داود (٣/ ٧٧٩) ، سنن أبي داود (٢/ ٥١٥) .
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ٢٠١) .
(٦) شرح الطحاوية ، ص ٥٤٥ .
(٧) البداية والنهاية (١١/ ١٣٤) .
(٨) المصدر السابق نفسه .
(٩) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (٢/ ٣٩٧) .
(١٠) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٧٤٨) .

فأهل السنة يعتقدون أن خلافة الحسن كانت خلافة حقة، وأنها جزء مكمل لخلافة النبوة التي أخبر النبي ﷺ أن مدتها ثلاثون سنة[١].

هذا وقد بينت بأن هناك خطأً نسبت للحسن لا تصلح، وذكرت أقوال أهل العلم في بعض الكتب، ككتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني، والذي يعتبر من الكتب التي شوّهت تاريخ صدر الإسلام، وهذا الكتاب، كتاب أدب وسمر وغناء ومجون وليس كتاب علم وتاريخ وفقه، وله طنين ورنين في آذان أهل الأدب والتاريخ، وقد نقلت أقوال أهل العلم في الأصفهاني، وعدم ثقتهم فيه وتضعيفه واتهامه في نقله، وأثبت بالحجج والبراهين والدراسة العلمية أن هذا الكتاب لا يصلح أساساً كمصدر للعلم أو مرجعاً للبحث في الأدب والتاريخ، ولقد كان لهذا الكتاب أثر كبير في تشويه تاريخنا ولذلك وجب التحذير منه.

ومن الكتب التي ساهمت في تشويه تاريخ الصحابة بالباطل، كتاب نهج البلاغة، فهذا الكتاب مطعون في سنده ومتنه؛ فقد جُمع بعد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بثلاثة قرون ونصف بلا سند، وقد نسبت الشيعة تأليف نهج البلاغة إلى الشريف الرضي؛ وهو غير مقبول عند المحدثين لو أسند خصوصاً فيما يوافق بدعته؛ فكيف إذا لم يسند كما فعل في النهج؟ وأما المتهم بوضع النهج فهو أخوه علي، وقد بينت أقوال العلماء في نهج البلاغة.

إن كتاب نهج البلاغة يجب الحذر منه في الحديث عن الصحابة، ومن أراد الاستفادة منه فعليه أن يعرض المسائل العقائدية والأحكام الشرعية، وما يتعلق بالصحابة الكرام على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فما وافق الكتاب والسنة الصحيحة الثابتة عند علماء المسلمين، فلا مانع من الاستئناس به، وما خالف فلا يلتفت إليه، فكتاب الأغاني ونهج البلاغة وغيرهما من الكتب الواهية لا يمكن لطالب علم يحترم الحقيقة العلمية والموضوعية والحيادية أن يعتمد عليها في البحث التاريخي الجادّ الذي يراد به وجه الله تعالى.

هذا وقد تتبعت أهم صفات الحسن وحياته في المجتمع، وأثبتُّ بأن شخصيته تعتبر شخصية قيادية فذّة، وأنه رضي الله عنه اتصف بصفات القائد الرباني، فمن أهم الصفات التي أشرتُ إليها: بُعد نظره، واستيعابه للأحداث الجارية حوله، وقدرته على قيادة الجماهير، وعزيمته القوية في تنفيذ الأهداف المرسومة، وقد اتضحت هذه الصفات عند حديثنا عن مشروعه الإصلاحي العظيم بالإضافة إلى بعض الصفات الأخرى. كالعلم بالكتاب والسنة، والعبادة الخاشعة، وزهده الكبير في السلطة وأمور الدنيا، وإنفاقه وكرمه وجوده وسخائه الذي لا يميز بين غني وفقير، أو صغير وكبير، أو قريب، أو بعيد، فقد كانت نفسه مجبولة على البذل والعطاء والكرم والسخاء في مرضاة الله تعالى، وكأن هذه الشخصية العظيمة مراد الشاعر:

---

(١) المصدر السابق نفسه.

إنـي لـتُطـربنـي الـخـلال كـريمـة — طـرب الغـريـب بـأوبـة وتـلاقِ
ويهـزُّنـي ذكـرُ المـروءة والنـدى — بيـن الشمـائـل هِـزةَ المشتـاقِ
فـإذا رُزِقـتَ خليقـةً محمـودةً — فقـد اصطفـاك مقسِّـم الأرزاقِ
فـالنـاس هـذا حظـه مـال، وذا — علـم وذاك مكـارم الأخـلاقِ

ومن صفاته التي تحدثتُ عنها: حلمه، وتواضعه، وسيادته، وشرحت مفهوم صفة السيادة من خلال سيرة الحسن، وبأن السيادة لا تكون بالقهر وسفك الدماء، أو إهدار الأموال والحرمات، بل السيادة بصيانتها وإزالة البغضاء والشحناء، فصلحه وحقنه لدماء المسلمين بلغ فيه رضي الله عنه ذروة السيادة.

وعشت مع الحسن في حياته مع المجتمع، وكيف كان يردّ على المعتقدات الفاسدة؟ ويهتم بقضاء حوائج الناس، ويغار على نسبه النبوي الشريف، ومعاملته لمن يسيء إليه، وحسن خلقه بين الناس، وبعده عن فضول الكلام، وتحدثت عن ثناء سادة المجتمع الإسلامي عليه، وجمعت جملة من أقواله وخطبه ومواعظه وشرحتها لكي نستفيد منها في حياتنا المعاصرة.

وأفردت مبحثاً عن أهم الشخصيات التي كانت حوله، واخترت قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي، فهو أول من بايع الحسن، وهو من دهاة عصره، ومن أهم القيادات في جيش الحسن، وعبيد الله بن عباس بن عبد المطلب فهو من قادة جيوشه وولاة أبيه، وقد تعرض في بعض كتب التاريخ للتشويه بالزور والبهتان، ولذلك اخترته وبينت حقيقة مواقفه، ومن الشخصيات التي كانت حول الحسن ويعتبر من مستشاريه الكبار: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فقد استشاره الحسن في الصلح مع معاوية، فشجعه ودفعه إلى ذلك، فقد رأيت أن أترجم لهذه الشخصيات المهمة، وهذا ينسجم مع منهجي في الدراسة الذي يهتم بسيرة الحسن وعصره والشخصيات المؤثرة فيه، ومن خلال دراسة هذه الشخصيات يمكننا الوصول إلى بعض معالم روح ذلك العصر.

ووقفت مع صلح الحسن واعتبرته مشروعاً إصلاحياً عظيماً، ولذلك قمت بطرحه وفق هذه الرؤية التي وضعها الحسن وقام بتنفيذها، فذكرت أهم المراحل التي مرّ بها الصلح وماذا حدث في كل مرحلة، وتأمّلت في أهم أسباب الصلح ودوافعه، كرغبة الحسن فيما عند الله، وحرصه على حقن دماء المسلمين ووحدة الأمة، وتحقيق نبوة رسول الله ﷺ وغيرها من الدوافع والأسباب، وقد قمت بتوضيح أقوال الحسن التي كانت سبباً ودافعاً له على الصلح، والتي تدلّ على فهمه العميق لمقاصد الشريعة الغراء. وتحدثت عن شروط الصلح التي تمت بين الحسن ومعاوية، والنتائج التي ترتبت عليه، وبرهنت بالأدلة التاريخية أن الحسن رضي الله عنه تنازل عن الخلافة لمعاوية من موقف قوة، وليس كما يزعم بعض المؤرخين. وتظهر عظمة الحسن بن علي من خلال تصرفاته ومواقفه في حياته والتي من أهمها: تصوره للمشروع الإصلاحي وقدرته الفذة

على التنفيذ، فكم من الناس يملكون تصورات ونظريات إصلاحية ولكنهم يعجزون عن إسقاطها في دنيا الناس.

وقد ناقشتُ بعض الأكاذيب التاريخية في هذا الكتاب؛ مثل: زعم بعض المؤرخين أن الدولة الأموية في عهد معاوية عممت على منابرها شتم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فأثبتت بالبراهين والأدلة، والشواهد الصحيحة بطلان هذه الفرية والتي التقطها بعض كتاب التاريخ دون إخضاعها للنقد والتحليل، حتى صارت عند بعض المتأخرين من المسلَّمات التي لا مجال لمناقشتها، وهي دعوة مفتقرة إلى صحة النقل وسلامة السند من الجرح، والمتن من الاعتراض، ومعلوم وزن مثل هذه الدعوى عند المحققين والباحثين الجادين، علماً بأن التاريخ الصحيح يثبت احترام وتقدير معاوية لأمير المؤمنين علي وأهل بيته الأطهار، كما بينتُ حقيقة التهم التي ألصقتها بعض كتب التاريخ بمعاوية واتهامه وابنه بدسِّ السم للحسن، وأثبت بأن ذلك لا يثبت من حيث السند والمتن معاً، ومضيت مع الحسن بعد استقراره في المدينة وبعدما أصبح إمام ألفة الأمة، وقطب دائرتها وزعيم وحدتها بدون منافس، قال الشاعر:

فـي روض فـاطمـة نمـا غصنـان لـم ينجبهمـا فـي النيِّـران سـواهـا
فـأميـر قـافلـة الجهـاد وقطـب دائـ ـرة الـوئـام والاتحـاد ابنـاهـا
حسـن الـذي صـان الجمـاعـة بعـدمـا أمسـىٰ تفـرقهـا يحـلُّ عـراهـا
تـرك الإمـامـة ثـم أصبـح فـي الـديـار إمـام ألفتهـا وحسـن عُـلاهـا

وأشرت إلى صلة الحسن بمعاوية رضي الله عنهما، بعد الصلح، والأيام الأخيرة من حياته ووصيته للحسين رضي الله عنهما، وتفكره في ملكوت الله، واحتسابه نفسه عند الله، ثم استشهاده ودفنه في البقيع بالمدينة رضي الله عنه.

إن سيرة الحسن بن علي رضي الله عنهما توضِّح لنا أهمية امتلاك القائد لرؤية مستقبلية يسير على هداها مستعيناً بالله، فالحسن ملك الرؤية الإصلاحية والقدرة على التنفيذ، مع وضوح المراحل، والأسباب والشروط والنتائج، ومعرفة العوائق وكيفية التعامل معها، وترك لنا معالم نيرة في فقه الخلاف، والمصالح والمفاسد، ومقاصد الشريعة، والمفاوضات، والتغلب على أهـواء النفوس وأمراضها ابتغاء ما عند الله، فالأسر الحاكمة، والأحزاب الناشطة، والمؤسسات القائمة، والحركات الإسلامية والجمعيات الهادفة في عالمنا الإسلامي الكبير فـي أشد الحاجة لفقه مدرسة الحسن في رأب الصدع، وتوحيد الصف، وحقن الدماء وجمع الكلمة، فالحسن خليفة راشد، والاقتداء به والاهتمام بفقهه أرشدنا إليه رسول الله ﷺ حيث قـال: «عليكم بسنتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»[١].

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٠١)، سنن الترمذي (٥/ ٤٤) حسن صحيح.

إن الباحث ليستغرب من ضعف وجود فقه الحسن في ذاكرة الأمة، كما أنه يتعجب من اختزال فقهه ومشروعه الإصلاحي العظيم في ثقافتنا، فنهضة الشعوب من عوامل نجاحها الالتفات إلى ماضيها لخدمة حاضرها واستشراف مستقبلها، فالتاريخ ـ كما هو معروف ـ ذاكرة الأمة، ومستودع تجاربها ومعارفها، وهو عقلها الظاهر والباطن وخزانة قيمها ومآثرها وأساس شخصيتها الغائرة في القدم والممتدة مع الزمن، وله ﷺ سيرة لمّا تستكشف أعماقها، ولخلفائه الراشدين تاريخ حافل عظيم، ولأمته تاريخ يزهو على تاريخ الأمم والشعوب والدول، فعلينا أن نستفيد من هذا التاريخ العريق ونستخرج منه الدروس والعبر والمواعظ والسنن، ونستوعب فقه الحضارات، ونستلهم من القصص القرآني، والهدي النبوي والبعد التاريخي، رؤية شاملة لنهضة أمتنا بما يتلاءم مع حاضرنا كي تقوم بدورها الحضاري المنشود في هداية الناس، ويتأكد للقرون الباقية من عمر الدنيا أن رسالة الإسلام الخالدة التي بعث بها نبينا محمد ﷺ لم تفنَ ولن تفنى، وأن القرآن الكريم هو كلمة الحق الباقية إلى يوم الدين، وعلينا أن ننظر بعيوننا في أمورنا قبل أن نحتاج إليها لكي نبكي بها طويلاً.

هذا وقد حرصتُ بقدر الاستطاعة على تناول شخصية أمير المؤمنين الحسن من جوانبها المتنوعة، فحياته صفحة مشرقة في تاريخ الأمة، وهو من الأئمة الذين يتأسّى الناس بهديهم وبأقوالهم وأفعالهم في هذه الحياة، فسيرته من أقوى مصادر الإيمان والعاطفة الإسلامية الصحيحة والفهم السليم لهذا الدين، فنتعلم من سيرته فقه الخلاف، والمصالح والمفاسد، ومقاصد الشريعة، والاستعلاء على حظوظ النفوس، وكيف نعيش مع القرآن الكريم، ونهتدي بهديه، ونقتدي برسول الله ﷺ، ويعمق في قلوبنا فقه القدوم على الله من خلال أقواله وأفعاله، وأثر هذه العلوم في حياة الأمة، ونهوضها وقيامها بدورها الحضاري المنشود، فلذلك اجتهدت في دراسة شخصيته وعصره حسب وسعي وطاقتي، غير مُدَّعٍ عصمة، ولا متبرئٌ من زلة، ووجه الله الكريم لا غيره قصدت، وثوابه أردت، وهو المسؤول في المعونة عليه، والانتفاع به، إنه طيب الأسماء وسميع الدعاء.

هذا وقد انتهيت من سلسلة تاريخ عصر الخلفاء الراشدين في ٢١/ صفر/ ١٤٢٥ الموافق ١١/ ٤/ ٢٠٠٤م الساعة العاشرة إلا ربع ليلاً والفضل لله من قبل ومن بعد وأسأله البركة والقبول، وأن يكرمنا برفقة النَّبيين والصِّديقين والشهداء والصالحين، قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

وبهذا الكتاب أضع سلسلة عصر الخلفاء الراشدين بين يدي قارئها، ولا أدَّعي الكمال فيها، قال النَّاظم:

وما بها من خطأ ومن خلل   أذنت في إصلاحه لمن فعل

لكـــن بشـــرط العلـــم والإنصـــاف فـــذا وذا مـــن أجمـــل الأوصـــاف
والله يهـــدي سُبـــل الســـلام سبحـــانـــه بحبلـــه اعتصـــامـــي

فلله الحمد على ما منَّ به عليَّ أولاً وآخراً، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعل هذه السلسلة التاريخية لوجهه خالصة، ولعباده نافعة، وأن يثيبني على كل حرف كتبته ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكافَّة ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من القارئ الكريم أن لا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه في صالح دعائه: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته
ورحمته ورضوانه
علي محمد محمد الصَّلاَّبي
٢١/ صفر/ ١٤٢٥هـ

الإخوة القراء الكرام

يسر المؤلف أن تصله ملاحظاتكم حول هذا الكتاب وغيره من كتبه من خلال دور النشر، ويطلب من إخوانه الدعاء في ظهر الغيب بالإخلاص والصواب، ومواصلة المسيرة في خدمة تاريخ أمتنا.

❊ ❊ ❊

الفصل الأول

الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما منذ ولادته حتى خلافته

المبحث الأول

اسمه ونسبه وكنيته وصفته وأسرته في عهد النبوة

أولًا ـ اسمه ونسبه وكنيته :

هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي القرشي[(١)]، المدني الشهيد[(٢)]، فهو سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا، وهو سيد شباب أهل الجنة، فهو ابن السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأبوه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وحفيد أم المؤمنين خديجة، وخامس الخلفاء الراشدين.

ثانياً ـ مولده وتسميته ولقبه، وفقه النبي في تسمية المواليد :

ولد رضي الله عنه وأرضاه في رمضان سنة ثلاث من الهجرة النبوية على الصحيح، وقيل: ولد في شعبان، وقيل: ولد بعد ذلك؛ قال الليث بن سعد: ولدت فاطمة بنت رسول الله ﷺ الحسن بن علي في شهر رمضان من ثلاث، وولدت الحسين في ليال خلون من شعبان سنة أربع[(٣)]، وقال البرقي أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم: ولد الحسن في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة النبوية[(٤)]، ومثله قاله ابن سعد في طبقاته[(٥)].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٤٦).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) نسب قريش (١/ ٢٣)، الدوحة النبوية، ص ٧١.

(٤) الذرية الطاهرة للدولابي، ص ٦٩.

(٥) الطبقات (١/ ٢٢٦).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لما ولد الحسن سمّيته حرباً، فجاء النبي ﷺ فقال: أروني ابني ما سميتموه؟ قلنا: حرباً، قال: لا، بل هو حسن، فلما ولد الحسين سميته حرباً، فجاء النبي ﷺ فقال: أروني ابني ما سميتموه؟ قلنا: حرباً قال: بل هو حسين. فلما ولد الثالث سميته حرباً، فقال: بل هو محسن، ثم قال: إني سميتهم بولد هارون: شبر وشبير ومشبّر (١).

وقد فرح رسول الله ﷺ بهذا المولود الجديد وسارع الناس بتهنئة الأبوين بهذا السبط المبارك، وقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم يسرعون في زف البشرى لأهل المولود الجديد، وقد ثبت عن الحسن البصري تهنئة لطيفة يقول فيها: بورك لك في الموهوب وشكرت الواهب ورزقت برّه وبلغ أشده، ونلاحظ أن رسول الله ﷺ عندما سمى الحسن والحسين رضي الله عنهما عدل بهما عن مسميات قبل الإسلام وما تدل عليه أسماؤها من القتال وسفك الدماء، فاختار لهما أكرم الأسماء وأجل المعاني (٢).

وقد وصف الحسن رضي الله عنه بالسيد ولقبه بهذا اللقب جده الرسول الكريم محمد ﷺ كما جاء في الحديث الصحيح: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»(٣). ونتعلم من هدي النبي ﷺ قيمة مهمة في حياتنا؛ وهي الحرص على اختيار أجمل وأحسن الأسماء لأبنائنا، وهذا توجيه للآباء والأمهات على اختيار الاسم الحسن في اللفظ والمعنى في قالب النظر الشرعي واللسان العربي، فيكون: حسناً، عذباً على اللسان، مقبولاً للأسماع، يحمل معنى شريفاً كريماً، ووصفاً صادقاً، خالياً مما دلت الشريعة على تحريمه أو كراهته، مثل: شوائب التشبه والمعاني الرِّخوة؛ ومعنى هذا: أن لا يختار الأب المسلم اسماً إلا وقد قلب النظر في سلامة لفظه ومعناه على علم ووعي وإدراك، وأن يستشير بصيراً في سلامته ممّا يُحْذَرُ، فهو أسلم وأحكم، ومن الجاري قولهم: حق الولد على والده أن يختار له أماً كريمة وأن يسميه اسماً حسناً، وأن يورثه أدباً حسناً، وقد بين العلماء أن للأسماء المشروعة رتباً ومنازل، وهي مستحبة وجائزة، وهي على الترتيب كالآتي:

١ ـ استحباب التسمية بهذين الاسمين: عبد الله وعبد الرحمن، وهما أحب الأسماء إلى الله تعالى، كما ثبت الحديث بذلك عن النبي ﷺ من الأسماء المتضمنة العبودية لله في معانيها، وميزة هذه الأسماء: أنها أصدق تعبير على حقيقة عبودية الإنسان لربه وفقره وذله له، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، حيث قال: «إن أحب أسمائكم إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن»(٤)، وذلك لاشتمالهما على وصف العبودية. وقد خصّهما الله في القرآن، بإضافة العبودية إليهما دون

---

(١) مسند أحمد (١/ ٩٨ ، ١١٨)، صحيح ابن حبان (١٥/ ٤١٠) إسناد الحديث صحيح.

(٢) الحسن بن علي ودوره السياسي، فيتخان كردي، ص ١٦.

(٣) البخاري (٢/ ٣٠٦).

(٤) مسلم رقم (٢١٣٢).

سائر أسمائه الحسنى، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾ [الجن: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٦٣]، وجمع بينهما في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقد سمّى النبي ﷺ ابن عمّه العباس: عبد الله رضي الله عنهما، وفي الصحابة رضي الله عنهم نحو ثلاثمئة رجل كل منهم اسمه عبد الله، وبه سُمي أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة إلى المدينة، عبد الله بن الزبير[(١)].

٣ ـ **التسمية بأسماء أنبياء الله ورسله:** لأنهم سادات بني آدم، وأخلاقهم أشرف الأخلاق، وأعمالهم أزكى الأعمال، فالتسمية بأسمائهم تذكّر بهم وبأوصافهم وأحوالهم، وقد أجمع العلماء على جواز التسمية بهم، ولنا في رسول الله أسوة حسنة حيث سمى ابنه إبراهيم، وأفضل أسماء الأنبياء: اسم نبينا ورسولنا محمد بن عبد الله ﷺ وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين أجمعين[(٢)].

٤ ـ **التسمية بأسماء الصالحين من المسلمين:** وصحابة رسول الله إلى يوم الدين، وقد كان لصحابة رسول الله نظر لطيف في ذلك، فهذا الصحابي الزبير بن العوام رضي الله عنه يسمي أولاده ـ وهم تسعة ـ بأسماء بعض شهداء بدر رضي الله عنهم، وهم: عبد الله، المنذر، عروة، حمزة، جعفر، مصعب، عبيدة، وخالد.

٥ ـ **ثم يأتي من الأسماء ما كان وصفاً صادقاً للإنسان:** بشروطه وآدابه، واسم المولود يكتسب الصفة الشرعية متى توفرت فيه، وهذه شروط منه:

أن يكون حسن المبنى والمعنى لغة وشرعاً، ويخرج بهذا كل اسم محرم أو مكروه إما في لفظه أو معناه أو فيهما كليهما وإن كان جارياً في نظام العربية، كالتسمي بما معناه التزكية، أم المذمة أو السبُّ، بل يسمى بما كان صدقاً وحقاً[(٣)]، وقد قام رسول الله ﷺ بذلك.

وقد دلت الشريعة على تحريم تسمية المولود في واحد من الوجوه الآتية:

١ ـ اتفق المسلمون على أنّه يحرم كل اسم معبّد لغير الله مثل عبد الرسول، عبد النبي، عبد عليّ، عبد الحسين، عبد الأمير ـ يعني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ عبد الصاحب، فالخلق كلهم مهما علوا فهم عباد خاضعون ذليلون فقراء لله، والله تعالى هو المستحق وحده للعبادة، فلا ينبغي التسمية بالتعبيد لغير الله من خلقه.

٢ ـ التسمية بالأسماء الأعجمية المولّدة للكافرين الخاصة بهم، والمسلم المطمئن بدينه يبتعد عنها وينفر منها ولا يحوم حولها، وقد عظمت الفتنة بها في زماننا، فيلتقط اسم الكافر من

---

(١) تسمية المولود، بكر عبد الله أبو زيد، ص ٣٣.
(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٣٥، ٣٦.
(٣) تسمية المولود، ص ٣٩.

أوربة، وأمريكة وغيرها، وهذا من أشد مواطن الإثم وأسباب الخذلان، ومنها: بطرس، جرجس، جورج، ديانا.. وغيرها. وهذا التقليد للكافرين في التسمِّي بأسمائهم، إن كان مجرّد هوى وبلادة ذهن، فهو معصية كبيرة وإثم[(١)]، وقد فصل الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه (تسمية المولود) فمن أراد الزيادة والتوسع فليراجعه[(٢)].

ثالثاً ـ تأذين رسول الله في أذن الحسن:

لما ولد الحسن أذن رسول الله ﷺ في أذنيه بالصلاة كما روي ذلك عن أبي رافع[(٣)]، والسر في ذلك وحكمته كما قال الدهلوي ـ رحمه الله ـ:

١ ـ الأذان من شعائر الإسلام.

٢ ـ إعلام الدين الإسلامي.

٣ ـ ثم لا بد من تخصيص المولود بذلك الأذان بأن يصوّت في أذنه.

٤ ـ علمت أن من خاصية الأذان أن يفر منه الشيطان، والشيطان يؤذي الولد في أول نشأته، فقد ثبت أن النبي ﷺ قال: «ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه فيستهل صارخاً من مس الشيطان[(٤)] إلا مريم وابنها»[(٥)]، وثبت قوله ﷺ: «إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين»[(٦)]. وأضاف ابن القيم ـ رحمه الله ـ أسراراً أخرى للتأذين فقال:

٥ ـ أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي هي أول ما يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله الدنيا، كما يلقن التوحيد عند خروجه منها.

٦ ـ وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثره به، وإن لم يشعر مع ما في ذلك من فائدة أخرى وهي:

٧ ـ هروب الشيطان من كلمات الأذان، وهو كان يرصده حتى يولد، فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها، فيسمع شيطانه ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به.

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٤٧.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) سنن أبي داود (٥١٠٥) إسناده ضعيف فيه عاصم بن عبيد الله، ضعفه ابن معين وقال البخاري: منكر الحديث كما في الكاشف (٢٥٣٠).

(٤) حجة الله البالغة (٢/ ٣٨٥).

(٥) البخاري (٥/ ١٩٦) رقم ٤٥٤٨.

(٦) المصدر السابق نفسه (١/ ١٧٠) رقم ٦٠٨.

٨ ـ وفيه معنى آخر وهو أن تكون دعوته إلى الله وإلى دينه الإسلام وإلى عبادته، سابقة على دعوة الشيطان كما كانت فطرة الله التي فطر عليها على تغيير الشيطان لها ونقله عنها، ولغير ذلك من الحكم[١].

وهكذا نتعلم من هدي النبي ﷺ استحباب الأذان في أذن المولود اليمنى، ثم تقام الصلاة في الأذن اليسرى، وبذلك يكون أول ما يلامس أذنيه الدعوة إلى الركن الركين في هذا الدين بعد توحيد رب العالمين[٢].

رابعاً ـ تحنيك المولود:

وعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يؤتى بالصبيان، فيبرِّك عليهم ويحنكهم[٣]، فمن باب أولى أن يكون ﷺ برَّك على الحسن وحنكه، يقول النووي ـ رحمه الله ـ معلقاً على قول عائشة رضي الله عنها: فيبرك عليهم: أي يدعو لهم ويمسح عليهم، وأصل البركة: ثبوت الخير وكثرته، وقولها: فيحنكهم؛ قال أهل اللغة: التحنيك أن يمضغ التمر أو نحوه ثم يدلك به حنك الصغير[٤].

والتحنيك يكون عقب التأذين إن أمكن ذلك، ويفضل إن أمكن أن يقوم بالتحنيك رجل صالح، وفي ذلك تأسٍّ بالصحابة الكرام حيث حرصوا على إرسال أبنائهم إلى النبي ﷺ ليحنكهم. ويُستخدم في التحنيك التمر، فإن لم يوجد فشيءٌ حلو، وسبب ذلك:

١ ـ لأن التمر مثل حليب الأم، يحمل جميع الفيتامينات التي يحتاجها جسم الغلام.

٢ ـ الغلام الصغير يولد بحاسة التذوق، فإذا استخدم معه التمر تنبهت هذه الحاسة وحرك لسانه وفمه، فكان بذلك أقدر على التقام ثدي أمه عند الرضاع.

٣ ـ المعدة تمتص السكريات بسرعة فائقة، وبذلك لا يشكل التحنيك أي معاناة معوية للغلام[٥].

يقول الدكتور فاروق مساهل ـ مجلة الأمة القطرية عدد (٥٠) في مقالة تحت عنوان: اهتمام الإسلام بتغذية الطفل، معلقاً على حديث التحنيك ما نصه ـ: والتحنيك بكل المقاييس معجزة

---

(١) منهج التربية النبوية للطفل، محمد سويد، نقلاً عن تحفة المودود لابن القيم، ص ٥٤، تحقيق فواز أحمد زمرلي.

(٢) موسوعة تربية الأجيال المسلمة، نصر العنقري، ص ٦٦.

(٣) مسلم (١/ ٢٣٧) رقم (٢٨٦).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم.

(٥) موسوعة تربية الأجيال المسلمة، ص ٦٨.

نبوية طبية مكثت البشرية أربعة عشر قرناً من الزمان لكي تعرف الهدف والحكمة من ورائها، فلقد تبين للأطباء أن كل الأطفال الصغار وخاصة حديثي الولادة والرضع معرضون للموت لو حدث أحد أمرين:

ـ إذا نقصت كمية السكر في الدم بالجوع.

ـ إذا انخفضت درجة حرارة أجسامهم عند التعرض للجو البارد المحيط بهم[١].

خامساً ـ حلق شعر رأس الحسن رضي الله عنه:

عن جعفر بن محمد، عن أبيه: أن فاطمة حلقت حسناً وحسيناً يوم سابعهما، فوزنت شعرهما فتصدقت بوزنه فضة[٢]، والأحاديث في هذا الباب صحيحة بمجموع طرقها[٣]. وقال الشيخ الدهلوي ـ رحمه الله ـ معلقاً على الحديث: السبب في التصدق بالفضة، أن الولد لما انتقل من الجنينية إلى الطفلية كان ذلك نعمة يجب شكرها وأحسن ما يقع به الشكر ما يؤذن[٤] أنه عوضه... وأما تخصيص الفضة فلأن الذهب أغلى ولا يجده إلا غني، وسائر المتاع ليس له بال بزنة شعر المولود[٥].

سادساً ـ العقيقة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ عَقَّ عن الحسن والحسين كبشاً كبشاً[٦]، وفي رواية: كبشين كبشين[٧]، وعن أبي رافع: أن حسن بن عليّ لمّا ولد أرادت أمُّه أن تَعُقَّ عنه بكبشين، فقال رسول الله ﷺ: لا تعُقي عنه، ولكن احْلِقي شعر رأسه فتصدقي بوزنه من الورق، ثم ولد الحسين، فصنعت مثل ذلك[٨]. وإنما صرفها ﷺ عن العقيقة لتحمُّله عنها ذلك لا تركاً بالأصالة. يدل عليه حديث عليّ رضي الله عنه: عقَّ رسول الله ﷺ عن الحسن (بشاة) وقال: يا فاطمة احْلقي رأسه وتصدَّقي بزنة شعره فضَّة، فوزنّاه فكان وزنُه درهماً أو بعض درهم خرَّجه الترمذي[٩].

---

(١) منهج التربية النبوية، ص ٦٤.
(٢) الطبقات، الطبقة الخامسة (١/ ٢٣١) إسناده مرسل.
(٣) موسوعة تربية الأجيال ص ٧٢.
(٤) يؤذن: يشعر.
(٥) حجة الله البالغة (٢/ ٣٨٥).
(٦) سنن أبي دواد في الأضاحي رقم ٢٨٤١، وفي إسناده ضعف.
(٧) سنن النسائي (٧/ ١٦٦) باب كم يعق عن الجارية. إسناده صحيح.
(٨) سنن أحمد (٦/ ٣٩٢)، وفي إسناده ضعف.
(٩) سنن الترمذي رقم ١٥١٩، حسن غريب إسناده ليس متصلاً.

وقد روي عن فاطمة: أنَّها عقَّت عنهما وأعطت القابلة فخذ شاة وديناراً واحداً[(١)]، ولعل فاطمة باشرت الإعطاء، وكان ممّا عق به ﷺ عن الحسن يوم سابعه بكبشين أمْلَحَين، وأعطى القابلة الفخذ، وحلق رأسه وتصدَّق بزنة الشعر، ثم طلى رأسه بيده المباركة بالخَلُوق[(٢)]، ثم قال: يا أسماء، الدم مِنْ فعل الجاهلية. فلمّا كان بعد حولٍ وُلِدَ الحسين[(٣)].

إن للعقيقة فوائد جمة، منها: أنها قربان عن المولود يقدم إلى الله مع خروج الغلام إلى الدنيا، وبذلك تقدم الشكر على ما أنعم الله عليك، وغير ذلك من الفوائد، وقد قال الشيخ الدهلوي ـ رحمه الله ـ: يستحب لمن وجد الشاتين أن ينسك بهما عن الغلام، وذلك لما عندهم أن الذكران أنفع لهم من الإناث فتناسب زيادة الشكر وزيادة التنويه، أما سبب الأمر بالعقيقة فهو أن العرب كانوا يعقون عن أولادهم، وكانت العقيقة أمراً لازماً عندهم وسنة مؤكدة، وكان فيها مصالح كثيرة راجعة إلى المصلحة المالية والمدنية والنفسية، فأبقاها الرسول ـ ﷺ ـ وعمل بها ورغب الناس فيها، إلا أن رسول الله ﷺ غيّر في تقاليدها، فعن بريدة رضي الله عنه قال: كنا في الجاهلية إذا ولد لنا غلام ذبحنا عنه شاة ولطخنا رأسه بدمها، فلما كان الإسلام كنا إذا ولد لنا غلام ذبحنا عنه شاة وحلقنا رأسه، ولطخنا رأسه بزعفران[(٤)]. فقد كانت منفعة للناس مشوبة ببعض الانحراف ـ تلطيخ رأس المولود بالدم ـ فلم يبحها مطلقاً بدعوى حاجة الناس إليها، وفي نفس الوقت لم يمنعها مطلقاً بسبب ما فيها من انحراف، وإنما حافظ على ما يحقق المنفعة للناس في هذه العادة وأكده، ونهى عن العادة الجاهلية وحرمها، وهذه حكمة نبوية جديرة بالاهتمام والتأمل.

سابعاً ـ ختان[(٥)] الحسن بن علي رضي الله عنهما:

عن جابر رضي الله عنه: أنّ النبي ﷺ عَقَّ عن الحسن والحسين، وختنهما لسبعة أيام[(٦)]. وعن محمد بن المنكدر: أن النبي ﷺ ختن الحسين لسبعة أيام[(٧)]. والختان من أمور الفطرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط»[(٨)].

---

(١) تحفة المودود لابن القيم، ص ٥٥.
(٢) الخلوق: ضرب من الطيب.
(٣) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، لأبي العباس الطبري، ص ٢٠٧.
(٤) المستدرك للحاكم (٤/ ٢٣٨) صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي.
(٥) الختان: لغة قطع القلفة، أي: الجلدة التي على رأس الذكر.
(٦) سنن البيهقي (٨/ ٣٢٤) إسناده ضعيف.
(٧) البخاري (٧/ ١٨٤) رقم ٦٢٩٧.
(٨) مسلم رقم ٢٥٧.

والختان صبغة الحنيفية، فهو للحنفاء بمنزلة الصبغ والتعميد عند عبّاد الصليب، فهم يطهرون أولادهم بزعمهم حين يصبغونهم في ماء المعمودية، ويقولون: الآن صار نصرانياً، فشرع الله سبحانه للحنفاء صبغة الحنيفية، وجعل ميسمها الختان[١]، فقال عز من قال: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨] والمقصود: أن صبغة الله هي الحنيفية التي صبغت القلوب بمعرفته ومحبته والإخلاص له وعبادته وحده لا شريك له، وصبغة الأبدان بخصال الفطرة من الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط والمضمضة والاستنشاق والسواك والاستنجاء، فظهرت فطرة الله على قلوب الحنفاء وأبدانهم[٢]. ومن اللطائف الفقهية في أمر الختان ما ذكره الخطابي: أما الختان فإنه وإن كان مذكوراً في جملة السنن فإنه عند كثير من العلماء على الوجوب، وذلك أنه شعار الدين، وبه يعرف المسلم من الكافر إذا وجد المختون بين جماعة قتلى غير مختونين، صلي عليه ودفن في مقابر المسلمين[٣].

ثامناً: مرضعة الحسن بن علي أم الفضل رضي الله عنهم:

عن أم الفضل قالت: قلت: يا رسول الله ! رأيت في المنام كأن عضواً من أعضائك في بيتي ـ أو قالت: في حجرتي ـ فقال: تلد فاطمة غلاماً إن شاء الله فتكفلينه، قالت: فجئت به يوماً إلى النبي ﷺ، فبال على ظهره، فدحيت[٤] في ظهره، فقال النبي ﷺ: مهلاً يرحمك الله! أوجعت ابني. فقلت: ادفع إليّ إزارك فأغسله، فقال: لا، صُبِّي عليه الماء فإنَّه يُصَبُّ على بوْل الغلام ويغسل بول الجارية[٥].

وأم الفضل هي امرأة العباس بن عبد المطلب، اسمها لُبَابَة بنت الحارث الهلالية، وهي لبابة الكبرى، أسلمت قبل الهجرة[٦]، وقال ابن سعد: أم الفضل أوّلُ امرأة آمنت بعد خديجة[٧]. وروتْ عن النبي ﷺ، وروى عنها ابنَاهَا عبد الله وتمام، وعُمير بن الحارث مولاها، وكُريب مولى ابنها، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الحارث بن نوفل، وآخرون. وأخرج الزبير بن بكار وغيره، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ: الأخوات الأربع مؤمنات: أم الفضل، وميمونة، وهي

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٥٣.
(٢) موسوعة تربية الأجيال ص ٧٥.
(٣) منهج التربية النبوية للطفل، ص ٦٩.
(٤) في رواية أخرى: لطمته بيدها.
(٥) المستدرك (١/ ١٦٦) وصححه ووافقه الذهبي، وهناك من ضعفه.
(٦) الطبقات لابن سعد (٨/ ٢٧٧).
(٧) المصدر السابق نفسه.

شقيقة أم الفضل، وأما أسماء وسلمى فأختاهما من أبيهما، وهما بنتا عُميس الخثعمية[١]. وأم الفضل خالة خالد بن الوليد رضي الله عنه[٢]، فأم خالد هي لبابة الصغرى بنت الحارث الهلالية[٣]. وكان يقال عن والدة أم الفضل بأنها أكرم الناس أصهار ميمونة زوج النبي ﷺ، والعبّاس تزوج أختها شقيقتها لُبابة أم الفضل، وحمزة تزوج أختها سلمى، وجعفر بن أبي طالب شقيقتها أسماء، ثم تزوجها بعده أبو بكر الصديق، ثم تزوجها بعده علي بن أبي طالب[٤] رضي الله عنهم جميعاً. وقد قال ابن عمر: كانت من المنجبات وكان النبي ﷺ يزورها[٥].

وفي الصحيح: أن الناس شكُّوا في صيام النبي ﷺ يوم عرفة، فأرسلت إليه أم الفضل بقدح لبن فشرب وهو بالموقف، فعرفوا أنه لم يكن صائماً[٦]، وتحكي لنا أم الفضل رضي الله عنها عن آخر ما سمعت من رسول الله ﷺ؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال: إن أم الفضل سمعته وهو يقرأ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١]. فقالت: يا بني لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة، إنها آخر ما سمعت رسول الله ﷺ، يقرأ بها المغرب[٧].

وعاشت أم الفضل إلى خلافة أبي بكر الصديق وخلافة الفاروق من بعده، وفي أثناء خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنهم جميعاً توفيت قبل زوجها العباس[٨] رضي الله عنهما، وقد ولدت للعباس ستة رجال لم تلد امرأة مثلهم؛ وهم: الفضل وبه كانت تُكنى ويُكْنى زوجها العباس أيضاً ـ أبو الفضل ـ، وعبد الله الفقيه، وعبيد الله الفقيه، ومعبد، وقُثم، وعبد الرحمن، وأم حبيبة سابعة.

وفي أم الفضل هذه يقول عبد الله بن يزيد الهلالي:

ما ولدت نجيبة مِنْ فحل ... بَجَبَلٍ نعلمه وسَهْل
كستةٍ من بطن أمِّ الفضل ... أكرِمْ بها من كهلة وكَهْلِ
عم النبي المصطفى ذي الفضل ... وخاتم الرسل وخير الرسل[٩]

---

(١) موسوعة عظماء حول الرسول، خالد العك (٣/ ٢١٦٢).
(٢) سيرة آل بيت النبي الأطهار، مجدي فتحي، ص ٣١.
(٣) الاستيعاب، رقم الترجمة ٦١٠.
(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٤٥٠).
(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٩٠٨).
(٦) البخاري، كتاب الحج رقم ١٦٦١.
(٧) البخاري رقم ٧٦٣.
(٨) الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٤٥١).
(٩) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٩٠٨).

تاسعاً ـ زواج الحسن، وزوجاته والروايات التي حولهن:

وقد ذكر المؤرخون أن من زوجاته: خولة الفزارية، وجعدة بنت الأشعث، وعائشة الخثعمية، وأم إسحاق بنت طلحة بنت عبيد الله التميمي، أم بشير بنت أبي مسعود الأنصاري، وهند بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، وأم عبد الله وهو بنت الشليل بن عبد الله أخو جرير البجلي، وامرأة من بني ثقيف، وامرأة من بني عمرو بن أهيم المنقري، وامرأة من بني شيبان من آل همام بن مرة، وربما تجاوز هذا العدد بقليل، وهو كما ترى لا يمت إلى الكثرة المزعومة بصلة بعرف ذلك العصر، وأما ما رواه رواة الأثر، في كونه تزوج سبعين، وفي بعض الروايات تسعين، والبعض الآخر مئتين وخمسين، والبعض الآخر ثلاثمئة... ! وروي غير هذا، إلا أنه من الشذوذ بمكان، وهذه الكثرة المزعومة موضوعة:

وأما الروايات فهي كالتالي:

١ ـ **الرواية الأولى**: فقد ذكرها ابن أبي الحديد وغيره[١]، وقد أخذوها عن علي بن عبد الله البصري الشهير بالمدائني المتوفى ٢٢٥هـ، وهو من الضعفاء الذين لا يعول على أحاديثهم، فقد امتنع مسلم من الرواية عنه في صحيحه[٢]، وضعفه ابن عدي في الكامل فقال فيه: ليس بالقوي الحديث، وهو صاحب الأخبار، قلَّ ما له من الروايات المسندة[٣].

٢ ـ **الرواية الثانية فهي مرسلة**: والمرسل من أنواع الضعيف.

٣ ـ **وأما الرواية الثالثة والرابعة**: فقد ذكرها صاحب قوت القلوب لأبي طالب المكي، وهو لا يعول على مؤلفه، وعلى كل حال فالرقم القياسي لكثرة أزواج أمير المؤمنين الحسن مستندة إليه ومأخوذة عنه، وقد اشتهر أبو طالب المكي بالزهد والوعظ، وذكر في (القوت) أشياء منكرة[٤]، وذكر في كتابه أحاديث لا أصل لها[٥]، فقد جاء في كتابه (قوت القلوب): وتزوج الحسن بن علي مئتين وخمسين، وقيل: ثلاثمئة، وكان علي يضجر من ذلك ويكره حياءً من أهلهن إذا طلقهن، وكان يقول: إن حسناً مطلاق فلا تنكحوه، فقال له رجل من همدان: والله يا أمير المؤمنين لننكحنه ما شاء، فمن أحب أمسك، ومن كره فارق، فسرّ علي بذلك وأنشأ يقول:

ولو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

(١) حياة الإمام الحسن بن علي (٢/ ٤٤٥ إلى ٤٦٠).
(٢) ميزان الاعتدال (٣/ ١٣٨).
(٣) لسان الميزان (٤/ ٢٥٢).
(٤) المصدر السابق نفسه (٥/ ٣٣٩).
(٥) البداية والنهاية (١١/ ٣٤١).

. . . وكان الحسن ربما عقد له أربعة، وربما طلق أربعة[١]. فهذه روايات لا تصح ولا تثبت، وبالتالي لا يعول عليها.

وقد جاءت قصص في أسانيدها ضعف شديد تتعلق بزواج الحسن؛ منها:

١ ـ عن الهذلي، عن ابن سيرين قال: كانت هند بنت سهيل بن عمرو[٢] عند عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد[٣] وكان أبا عُذرتها[٤]، فطلقها فتزوجها عبد الله بن عامر بن كريز[٥]، ثم طلقها، فكتب معاوية إلى أبي هريرة: أن يخطبها على يزيد بن معاوية، فلقيه الحسن بن علي فقال: أين تريد؟ قال: أخطب هند بنت سهيل بن عمرو على يزيد بن معاوية، قال: اذكرني لها، فأتاها أبو هريرة، فأخبرها الخبر فقالت: خِرْ لي، قال: أختار لك الحسن. فتزوجها، فقدم عبد الله بن عامر المدينة، فقال للحسن: إن لي عندها وديعة، فدخل إليها والحسن معه، وجلست بين يديه، فَرَقّ ابن عامر، فقال الحسن: ألا أنزل لك عنها، فلا أراك تجد محللاً[٦] خيراً لكما مني، فقال: وديعتي، فأخرجت سفطين فيهما جواهر ففتحهما، فأخذ من واحد قبضة وترك الباقي، فكانت تقول: سيدهم جميعاً الحسن، وأسخاهم ابن عامر، وأحبهم إليّ عبد الرحمن بن عتاب[٧]، وهذه القصة في إسنادها الهذلي، وهو أخباري متروك الحديث، وقال الذهبي: مجمع على ضعفه[٨].

٢ ـ عن سحيم بن حفص الأنصاري، عن عيسى بن أبي هارون المزني، قال: تزوج الحسن بن علي حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر[٩]، وكان المنذر بن الزبير هَوِيَها، فأبلغ الحسن عنها، فطلقها الحسن، فخطبها المنذر فأبت أن تزوجه وقالت: شهرني، فخطبها عاصم بن عمر بن

---

(١) قوت القلوب (١/ ٢٤٦).

(٢) هند بنت سهيل بن عمرو بن عبد شمس، أسلم أبوها عام الفتح وكانت عند حفص بن عبد زمعة، وولدت له، ثم خلف عليها عبد الرحمن بن عتاب، ثم عبد الله بن عامر، ثم خلف عليها حسن بن علي، هكذا في نسب قريش، ص ٤٢٠.

(٣) عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد كان والده والي مكة لرسول الله ﷺ وكان عبد الرحمن مع علي يوم الجمل وقتل في المعركة انظر أنساب قريش ص ١٩٣.

(٤) العُذرة: البكارة، وقال ابن الأثير: العذرة ما للبكر من الالتحام قبل الافتضاض، وجارية عذراء: بكر لم يمسها رجل، ويقال: فلان أبو عذرتها إذا كان أول من افترعها وافتضها. لسان العرب، مادة: عذر (٤/ ٥٥١).

(٥) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة، من بني عبد شمس، ابن خال عثمان بن عفان، ولد على عهد النبي ﷺ، وجزم ابن حبان أن له رؤية للنبي ﷺ، وقد ذكرت سيرته في كتابي عثمان بن عفان، ص ٣١٩.

(٦) المحلل هو: الذي يتزوج امرأة قد بانت من زوجها الأول بقصد تحليلها للزوج الأول، وقد جاء النهي عن ذلك كما في الحديث: «لعن الله المحلل والمحلل له» انظر: الإرواء، رقم ١٨٩٧.

(٧) الطبقات الكبرى، الطبقة الخامسة من الصحابة (١/ ٣٠٣).

(٨) ديوان المتروكين والضعفاء، ص ٣٥٢.

(٩) حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، روت عن عمتها عائشة وخالتها أم سلمة.

الخطاب[١] فتزوجها، فرقى إليه المنذر أيضاً شيئاً فطلقها، ثم خطبها المنذر فقيل لها: تزوجيه، فيعلم الناس أنه كان يعضهك[٢]، فتزوجته فعلم الناس أنه كذب عليها، فقال الحسن لعاصم بن عمر: انطلق بنا حتى نستأذن المنذر فندخل عليها، فدخل فكانت إلى عاصم أكثر نظراً منها إلى الحسن وكانت إليه أبسط في الحديث، فقال الحسن للمنذر: خذ بيدها، فأخذ بيدها، وقام الحسن وعاصم فخرجا وكان الحسن يهواها وإنما طلقها لما رقا إليه المنذر، فقال الحسن يوماً لابن أبي عتيق وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن، وحفصة عمته: هل لك في العقيق؟[٣] قال: نعم، فخرجا فمرا على منزل حفصة، فدخل إليها الحسن فتحدثا طويلاً ثم خرج، ثم قال الحسن مرة أخرى لابن أبي عتيق: هـل لك في العقيق؟ فقال: يا بن أم ألا تقول: هـل لك في حفصة؟[٤]، وفي إسناد هذا الحديث رجال لا توجد لهم ترجمة في كتب الجرح والتعديل، ويكفي في ضعفه نكارة متنه[٥].

٣ ـ حدثنا حاتم بن إسماعيل، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: قال علي: ما زال الحسن يتزوج ويطلق حتى خشيت أن يورثنا عداوة القبائل[٦]. وهذا الأثر مرسل ضعيف[٧].

إن الروايات التاريخية التي تشير إلى الأعداد الخيالية في زواج الحسن بن علي رضي الله عنهما لا تثبت من حيث الإسناد، وبالتالي لا تصلح للاعتماد عليها نظراً للشبه والطعون التي حامت حولها، ويؤيد افتعال تلكم الكثرة أمور منها:

١ ـ إنها لو صحت لكان للحسن بن علي رضي الله عنهما من الأولاد جمع غفير يتناسب معها، والحال الذي ذكر له اثنان وعشرون ولداً ما بين ذكر وأنثى، وهذا العدد يعتبر طبيعياً بالنسبة لذلك العصر، ويتناقض كلياً مع تلك الكثرة ولا يلتقي معها بصلة.

٢ ـ ومما يدل على وضع ذلك وعدم صحته ما روي: أن أمير المؤمنين رضي الله عنه كان يصعد المنبر ويقول: لا تزوجوا الحسن فإنه مطلاق، كما ذكر ذلك صاحب (قوت القلوب)[٨]، فنَهْي أمير المؤمنين الناس عن تزويج ولده على المنبر لا يخلو إما أن يكون قد نهى ولده عن ذلك فلم يستجب له حتى اضطر إلى الجهر به وإلى نهي الناس عن تزويجه، وإما أن يكون ذلك النهي ابتداء

(١) عاصم بن عمر بن الخطاب من تابعي أهل المدينة، توفي ٧٠هـ. تقريب التهذيب (١/ ٣٨٥).
(٢) العَضَهُ والعِضَهُ والعضيهة: البهيتة؛ وهي: الإفك والبهتان.
(٣) العقيق: وادي بناحية المدينة فيه مزارع وبساتين.
(٤) الطبقات الكبرى: الطبقة الخامسة من الصحابة (١/ ٣٠٧).
(٥) المصدر السابق نفسه (١/ ٣٠٥).
(٦) المصدر السابق نفسه (١/ ٣٠١).
(٧) المصدر السابق نفسه.
(٨) قوت القلوب (٢/ ٢٤٦).

من دون أن يعرف ولده الحسن بغض والده وكراهية أبيه لذلك، وكلا الأمرين بعيدان كل البعد؛ أما الأول: فهو بعيد لأن الحسن رضي الله عنه كان باراً بأبيه ولا يخالفه ولا يعصي أمره، وأما الثاني: فبعيد أيضاً لأن الأولى بأمير المؤمنين أن يعرّف ولده ببغضه وكراهته لذلك ولا يعلن ذلك على المنبر أمام الجماهير الحاشدة، مما يسبب اضطراباً في العلاقات الأسرية بين الوالد وولده، ومضافاً إلى ذلك أن الأمر إما أن يكون سائغاً شرعاً أو ليس بسائغ؛ فإن كان سائغاً فما معنى نهي أمير المؤمنين علي رضي الله عنه؟ وإن لم يكن سائغاً، فكيف يرتكبه الحسن؟ إنا لا شك في افتعال هذا الحديث ووضعه من خصوم الحسن بن علي رضي الله عنهما ليشوهوا بذلك سيرته العاطرة[١]، والتي توجت بمساعيه في وحدة الأمة، وهذه عادة الرواة الكذبة في تشويه سيرة المصلحين وتاريخ الأمة، ومن هنا تتضح أهمية علم الجرح والتعديل والحكم على الروايات والدور العظيم الذي قام به علماء الحديث في بيان زيف مثل هذه الأخبار، ولذلك ننصح الباحثين في تاريخ صدر الإسلام الاهتمام بنقد مثل هذه الروايات حتى يميزوا صحيحها من سقيمها، فيقدموا للأمة خدمة جليلة ولا يتورطوا مثل ما تورط فيه بعض السادة الذين لا نشك في نواياهم بسبب اعتمادهم في بحوثهم على الروايات الضعيفة والموضوعة.

٣ ـ ومما يؤيد افتعال تلك الكثرة لأزواجه ما روي: أن الحسن بن علي رضي الله عنهما لما وافاه الأجل المحتوم خرجت جمهرة من النسوة حافيات حاسرات خلف جنازته وهن يقلن: نحن أزواج الإمام الحسن. إن افتعال ذلك صريح واضح، فإنّا لا نتصور ما يبرر خروج تلك الكوكبة من النسوة حافيات حاسرات، وهن يهتفن أمام الجماهير بأنهن زوجات الحسن، فإن كان الموجب لخروجهن إظهار الأسى والحزن، فما الموجب لهذا التعريف والسير في الموكب المزدحم بالرجال مع أنهن قد أمرن بالتستر وعدم الخروج من بيوتهن؟! إن هذا الأثر وأمثاله لا يصح ولا يثبت من حيث الإسناد.

ومن الأخبار الموضوعة التي تشابه تلك الأخبار ما رواه محمد بن سيرين: أن الحسن رضي الله عنه تزوج بامرأة فبعث لها صداقاً مئة جارية مع كل جارية ألف درهم[٢]! ويستبعد أن يعطي الحسن بن علي رضي الله عنهما هذه الأموال الضخمة مهراً لإحدى زوجاته، فإن ذلك لون من ألوان الإسراف والتبذير وهو منهي عنه في الإسلام، فقد أمر بالاقتصار على مهر السنة، وسبب ذلك تسهيل أمر الزواج لئلا يكون فيه إرهاق وعسر على الناس، ومن المؤكد أن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما لا يخالف سنة جده ﷺ، ولا يسلك أي مسلك يتنافى مع شريعته، إن هذا الحديث وأمثاله من الموضوعات تؤيد وضع كثرة الأزواج، وتزيد في الافتعال وضوحاً وجلاءً.

(١) حياة الإمام الحسن (٢/ ٤٥١).
(٢) البداية والنهاية (١١/ ١٩٧).

وعلى أي حال: فليس هناك دليل يثبت كثرة أزواج الحسن بن علي رضي الله عنهما سوى تلكم الروايات، ونظراً لما ورد عليها من الطعون فلا تصلح دليلاً للإثبات[١]، ولمعرفة كيف يستفيد الأعداء من الروايات الضعيفة والباطلة ننقل ما قاله المستشرق لامنس عن زواج الحسن بن علي رضي الله عنهما، وألصق به التهم وطعن برجاله وحماته، وقد كتب عن أزواج الحسن بن علي رضي الله عنهما ما نصه: ولما تجاوز ـ يعني الحسن ـ الشباب، وقد أنفق خير سني شبابه في الزواج والطلاق فأحصى له حوالي المئة زوجة، وألصقت به هذه الأخلاق السائبة لقب المطلاق، وأوقعت علياً في خصومات عنيفة، وأثبت الحسن كذلك أنه مبذر كثير السرف، وقد خصص لكل من زوجاته مسكناً ذا خدم وحشم، وهكذا نرى كيف يبعثر المال أيام خلافة علي التي اشتد فيها الفقر[٢].

لقد اعتمد المستشرق الإنجليزي لامنس في قوله: إن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما كان كثير الزواج والطلاق على روايات موضوعة وآثار واهية، وزاد عليها لامنس، فذكر من البهتان والأكاذيب ما لم يقل به أحد غيره؛ فقد قال:

١ ـ إنه ألقى أباه في خصومات عنيفة بسبب كثرة زواجه وطلاقه، ولم يشر أحد ممن ترجم لأمير المؤمنين علي أو الحسن رضي الله عنهما إلى تلك الخصومات العنيفة التي زعمها المستشرق لامنس.

٢ ـ وذكر أن أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنهما خصص لكل من زوجاته مسكناً ذا خدم وحشم، مع أن جميع المؤرخين الذين اطلعت عليهم لم ينقلوا ذلك، وهذا من الكذب السافر والافتراء المحض.

إن لجان التنصير المسيحي التي حاربت الإسلام وبغت عليه هي التي تدفع هذه الأقلام المأجورة وتزج بها للنيل من الإسلام، وإلى تشويه واقعه، والحط من قيم رجاله وأعلامه الذين أناروا الطريق للركب الإنساني، ورفعوا منار الحضارة في العالم[٣].

عاشراً ـ أولاده:

وأما ذريته الشريفة، فهم: الحسن، وزيد، وطلحة، والقاسم، وأبو بكر، وعبد الله، وقد قتل هؤلاء مع عمهم الحسين الشهيد بكربلاء، وعمرو، وعبد الرحمن، والحسين، ومحمد، ويعقوب، وإسماعيل، وحمزة، وجعفر، وعقيل، وأم الحسين، ولم يعقب من ذريته إلا الحسن، وزيد، فللحسن المثنى خمسة أولاد أعقبوا وفيه العدد والبيت، وأمه خولة بنت منظور

---

(١) حياة الإمام الحسن بن علي (٢/ ٤٥٢).
(٢) دائرة المعارف (٧/ ٤٠٠).
(٣) حياة الإمام الحسن بن علي (٢/ ٤٥٥).

الفزارية، ولزيد ابن هو الحسن بن زيد، فلا عقب له إلا منه، وأم زيد أم بشر بنت أبي مسعود الأنصاري البدري. وقد ولي إمرة المدينة لأبي جعفر المنصور وهو والد السيدة نفيسة، وله: القاسم، وإسماعيل، وعبد الله، وإبراهيم، وزيد، وإسحاق، وعلي، رضي الله عنهم أجمعين[(١)]، وهذه سيرة مختصرة لبعض أولاد الحسن.

١ ـ زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب:

رضي الله عنه؛ أمه أم بشير بنت أبي مسعود وهو عقبة بن عمرو بن ثعلبة، الخزرجية، فولد زيد بن حسن محمداً هلك لا بقية له وأمه أم ولد، وحسن بن زيد ولي المدينة لأبي جعفر المنصور وأمه أم ولد، ونفيسة بنت زيد تزوجها الوليد بن عبد الملك بن مروان فتوفيت عنده، وأمها لُبابة بنت عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم.

وأخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الموال قال: رأيت الناس ينظرون إليه ويعجبون من عُظْم خلقه ويقولون: جده رسول الله ﷺ.

وأخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرني عبد الله بن أبي عُبيدة قال: ردفت أبي يوم مات زيد بن حسن، ومات ببطحاء ابن أزهر على أميال من المدينة فحُمل إلى المدينة، فلما أوفينا على رأس الثنية بين المنارتين طُلع بزيد بن حسن في قبة على بعير ميتاً، وعبد الله بن حسن يمشي أمامه قد حزم وسطه بردائه ليس على ظهره شيء، فقال لي أبي: يا بُني انزل وأمسك بالركاب، فوالله لئن ركبت وعبد الله يمشي لا تُبلني عنده بالة أبداً، فركبت الحمار ونزل أبي فمشى، فما زال يمشي حتى أدخل زيداً داره ببني حُديلة، فغسل، ثم أخرج به على السرير إلى البقيع[(٢)].

٢ ـ حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب:

وأمه خولة بنت منظور الفزارية، وولد حسن بن حسن محمداً؛ وأمه رملة بنت سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل بن عبد العُزى، وعبد الله بن حسن مات في سجن أبي جعفر، وإبراهيم بن حسن مات في السجن أيضاً مع أخيه، وزينب بنت حسن تزوجها الوليد بن عبد الملك بن مروان ثم فارقها، وأم كلثوم بنت الحسن وأمهم فاطمة بنت حسين بن علي بن أبي طالب، وأمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله بن تيم، وجعفر بن حسن، وداود، وفاطمة، وأم القاسم وهي قسيمة، ومُليكة، وأمهم أم ولد تُدعى حبيبة فارسية كانت لآل أبي أبس من جديلة، وأم كلثوم بنت حسن لأم ولد[(٣)].

---

(١) جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص٩٨ ، ٣٩ ، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧٩)، الدوحة النبوية الشريفة، ص ١٠٠.

(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ٣١٨ ، ٣١٩).

(٣) سيرة آل بيت النبي الأطهار ، مجدي فتحي السيد، ص ٣١٢.

ومن مواقف الحسن بن الحسن قوله لرجل ممن غلو في أهل البيت: ويحكم أحبونا لله؛ فإن أطعنا الله فأحبونا، وإن عصينا الله فأبغضونا. قال: فقال له رجل: إنكم قرابة رسول الله ﷺ وأهل بيته. فقال: ويحك لو كان الله مانعاً بقرابة من رسول الله أحداً بغير طاعة الله لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا أباً وأماً، والله إني لأخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين، وإني لأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين. ويلكم اتقوا الله وقولوا فينا الحق فإنه أبلغ فيما تريدون ونحن نرضى به منكم. ثم قال: لقد أساء بنا آباؤنا إن كان هذا الذي تقولون من دين الله ثم لم يُطلعونا عليه ولم يُرغبونا فيه. قال: فقال له الرافضي: ألم يقل رسول الله عليه السلام لعلي: من كنت مولاه فعلي مولاه؟ فقال: أما والله لو يعني بذلك الإمرة والسلطان لأفصح لهم بذلك كما أفصح لهم بالصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت، ولقال لهم: هذا وليكم من بعدي، فإن أنصح الناس كان للناس رسول الله - ﷺ - ولو كان الأمر كما تقولون أن الله ورسوله اختارا علياً لهذا الأمر والقيام بعد النبي عليه السلام، إن كان لأعظم الناس في ذلك خطأً وجُرماً؛ إذ ترك ما أمره به رسول الله - ﷺ - أن يقوم فيه كما أمره، أو يعذر فيه إلى الناس[1]. وهكذا يتبين موقف أهل البيت في محاربتهم للغلو.

الحادي عشر - إخوانه وأخواته:

ونتحدث عن ترجمة مختصرة عن أشقائه من أولاد السيدة فاطمة رضي الله عنها:

١ - الحسين بن علي رضي الله عنهما:

هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب، سبط رسول الله ﷺ، وريحانته ومحبوبه، وابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة ٤ هـ، وقيل غير ذلك، ومات رضي الله عنه قتيلاً شهيداً، في يوم عاشوراء من شهر المحرم سنة إحدى وستين هجرية بكربلاء من أرض العراق، فرضي الله عنه وأرضاه[2]، وقد وردت في مناقبه وفضائله أحاديث كثيرة؛ منها:

أ - ما رواه أحمد بإسناده إلى يعلى العامري رضي الله عنه: أنه خرج مع رسول الله ﷺ؛ يعني إلى طعام دعوا له، قال: فاستمثل رسول الله أمام القوم، وحسين مع غلمان يلعب، فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذه، فطفق الصبي يفر هنا مرة وهاهنا مرة، فجعل النبي ﷺ يضاحكه حتى أخذه، قال: فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه ووضع فاه وقبله، وقال: «حسين مني وأنا من حسين، اللهم أحب من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط»[3]، وفي ذلك منقبة ظاهرة للحسين رضي الله عنه، إذ حث على محبته وكأنه ﷺ علم بنور الوحي ما سيحدث بينه وبين القوم

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ٣١٩، ٣٢٠).

(٢) البداية والنهاية (٨/ ١٥٢)، الإصابة (١/ ٣٣١، ٣٣٤).

(٣) فضائل الصحابة رقم ١٣٦١، إسناده حسن.

فخصه بالذكر وأكد على وجوب المحبة وحرمة التعرض له ومحاربته، وأكد ذلك بقوله: أحب الله من أحب حسيناً، فإن محبته تؤدي لمحبة رسول الله، ومحبة الرسول تؤدي إلى محبة الله[١].

ب ـ ومنها ما رواه البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أتى عبيد الله ابن زياد[٢]، برأس الحسين عليه السلام، فجعل في طست فجعل ينكث، وقال في حسنه شيئاً، فقال أنس: كان أشبههم برسول الله ﷺ، وكان مخضوباً بالوسمة[٣].

ج ـ وفي رواية أخرى عن أنس أيضاً قال: لما أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين، جعل ينكث بالقضيب ثناياه يقول: لقد كان... أحسبه قال: جميلاً، فقلت: والله لأسوءنك إني رأيت رسول الله ﷺ يلثم حيث يقع قضيبك، قال: فانقبض[٤].

٢ ـ مُحَسَّن بن علي بن أبي طالب:

لا نعرفه إلا في الحديث الذي يرويه هاني بن هاني عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «لمَّا ولد الحسن جاء رسول الله ﷺ فقال: أروني ابني، ما سميتموه؟ قلت: سمّيته حرباً، قال: بل هو حسن، فلما ولد الحسين قال: أروني ابني، ما سميتموه؟ قلت: سميته حرباً، قال: بل هو حسين. فلما ولد الثالث جاء النبي ﷺ فقال: أروني ابني، ما سميتموه؟ قلت: حرباً، قال: بل هو محسَّن، ثم قال: إني سمّيتهم بأسماء ولد هارون شبر وشُبَيْر ومشبّر»[٥]. والظاهر: أنه مات طفلاً[٦]، ويتبين لنا من هذه الرواية الصحيحة أن محسن مات في عهد النبي ﷺ، وهذا يبطل مزاعم الغلاة والكذابين في رواياتهم الكاذبة الذين يزعمون أن عمر ضرب فاطمة وأسقط ابنها.

٣ ـ أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما:

زوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابنته من فاطمة بنت النبي ﷺ من الفاروق حينما سأله زواجها منه رضىً عنه بما يطلب، وثقة فيه وإقراراً بفضله ومناقبه، واعترافاً بمحاسنه وجمال سيرته، وإظهاراً بأن بينهم من العلاقات الوطيدة الطيبة والصلات المحكمة المباركة ما يحرق قلوب الحساد من أعداء الأمة المجيدة، ويرغم أنوفهم[٧]، وقد ولدت أم كلثوم بنت علي من عمر رضي الله عنه ابنة سميت «رقية»، وولداً سمته زيداً، وقد روي: أن زيد بن عمر حضر مشاجرة في قوم من بني عدي بن كعب ليلاً، فخرج إليهم زيد بن عمر ليصلحهم، فأصابته ضربة شجت رأسه

---

(١) تحفة الأحوذي (١٠/ ٢٧٩).

(٢) قتل عبيد الله عام ٧٦ هـ، الأعلام (٤/ ١٩٣).

(٣) الوسمة: شجر باليمن يخضب بورقه، البخاري رقم ٣٧٤٨.

(٤) فضائل الصحابة (٢/ ٩٨٥) رقم ١١٩٧، إسناده حسن.

(٥) مسند أحمد (١/ ٩٨) إسناده صحيح.

(٦) التبيين في أنساب القرشيين، لابن قدامة المقدسي، ١٣٣.

(٧) الشيعة وأهل البيت، ص ١٠٥.

ومات من فوره، وحزنت أمه لقتله ووقعت مغشياً عليها من الحزن، فماتت من ساعتها، ودفنت أم كلثوم وابنها زيد بن عمر في وقت واحد، وصلى عليهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، قدمه الحسن ابن علي بن أبي طالب وصلّى خلفه(١)، وقد فصلت سيرتها في كتابي عن عمر بن الخطاب.

٤ ـ زينب بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما:

ولدت في حياة النبي ﷺ، وكانت عاقلة لبيبة جزلة، زوَّجها أبوها ابن أخيه عبد الله بن جعفر، فولدت له أولاداً، وكانت مع أخيها لما قتل، فحملت إلى دمشق(٢).

ومن أشهر إخوانه من أبيه:

٥ ـ محمد ابن الحنفيّة:

وكانت أمه من سبي بني حنيفة، اسمها خولة بنت جعفر، وكان فاضلاً عالماً ذا علم ودين وعبادة، وكان حامل راية أبيه يوم الجمل، وكان قوياً، وحكيماً، ومما روي من كلامه أنه قال: ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بُداً حتى يجعل الله له فرجاً ومخرجاً. وقال: إن الله تعالى جعل الجنة ثمناً لأنفسكم، فلا تبيعوها بغيرها. وقال: من كرمت عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قدر. وقال: كل ما لا يبتغى به وجه الله يضمحل. توفي سنة ثلاث وتسعين هجرية(٣).

الثاني عشر ـ أعمامه وعماته:

وهذه نبذة مختصرة عن أعمامه وعماته:

١ ـ طالب بن أبي طالب: هلك مشركاً بعد غزوة بدر، وقيل: إنه ذهب فلم يرجع، ولم يُدْرَ له موضع ولا خبر، وهو أحد الذين تاهوا في الأرض، وكان محباً لرسول الله ﷺ، وله فيه مدائح، وكان خرج إلى بدر كرهاً، وجرت بينه وبين قريش حين خرجوا إلى بدر محاورة فقالوا: والله يا بني هاشم لقد عرفنا ـ وإن خرجتم معنا ـ أن هواكم مع محمد، فرجع طالب إلى مكة مع من رجع، وقال شعراً وقصيدة ثناء على النبي ﷺ، وبكى فيها أصحاب قليب بدر(٤).

٢ ـ عقيل بن أبي طالب: فكان يكنى أبا يزيد، تأخر إسلامه إلى عام الفتح، وقيل: أسلم بعد الحديبية، وهاجر في أول سنة ثمان، وكان أسر يوم بدر ففداه عمّه العباس، ووقع ذكره في الصحيح في مواضع كثيرة، وشهد غزوة مؤتة، ولم يسمع له ذكر في الفتح وحنين، كأنه كان مريضاً، أشار إلى ذلك ابن سعد، لكن روى الزبير بن بكار بسنده إلى الحسين بن علي: أن عقيلاً

---

(١) أسد الغابة (٧/ ٤٢٥)، ونساء أهل البيت منصور عبد الحكيم، ص ١٨٥.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ١٦٨).

(٣) التبيين في أنساب القرشيين، ص ١٣٦.

(٤) الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه من المرتضى للندوي، ص ٢٣.

كان ممن ثبت يوم حنين، ومات في خلافة معاوية. وفي تاريخ البخاري الأصغر بسند صحيح: أنه مات في أول خلافة يزيد قبل الحرة[١]، وعمره ست وتسعون سنة[٢].

٣ ـ جعفر بن أبي طالب: فهو أحد السابقين إلى الإسلام، وكان يحب المساكين ويجلس إليهم ويخدمهم ويخدمونه، ويحدثهم ويحدثونه، وهاجر إلى الحبشة، فأسلم النجاشي ومن تبعه على يديه، ولقد تحدثت عنه في كتابي: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ـ واستشهد بمؤتة من أرض الشام مقبلاً غير مدبر[٣].

٤ ـ أم هاني بنت أبي طالب: ابنة عم النبي ﷺ، فقيل: اسمها فاختة، وقيل: اسمها فاطمة، وقيل: هند، والأول أشهر، وكانت زوج هبيرة بن عمرو بن عائذ المخزومي، وكان له منها عمرو، وبه كان يكنى، وفي فتح مكة أجارت أم هاني رجلين من بني مخزوم، وقال لها رسول الله ﷺ: «أجرنا من أجرت يا أم هاني»، وروت أم هاني عن النبي ﷺ في الكتب الستة وغيرها[٤]، قال الترمذي وغيره: عاشت بعد علي رضي الله عنه[٥].

٥ ـ جُمانة بنت أبي طالب: هي أم عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، ذكرها ابن سعد في ترجمة أمها فاطمة بنت أسد، وأفردها في باب بنات عم النبي ﷺ وقال: ولدت لأبي سفيان بن الحارث ابنه جعفر بن أبي سفيان بن الحارث، وأطعمها رسول الله ﷺ من خيبر ثلاثين وسقاً[٦].

الثالث عشر ـ أخواله وخالاته:

أما أخواله فقد ماتوا وهم صغار ولم يبلغ أحد منهم إلى سن البلوغ، وهم القاسم، وإبراهيم، وزاد الزبير بن بكار: عبد الله ـ وسمي بالطيّب والطاهر ـ لأنه ولد بعد النبوة[٧]، وعليه أكثر علماء النسب، وقيل: إن الطيّب، والطاهر: ولدان آخران. ولكن عبد الله والطيب والطاهر قد ماتوا بمكة بإجماع العلماء[٨]، وجميع أولاده صلوات الله وسلامه عليه من خديجة بنت خويلد، إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية التي أهداها له مقوقس مصر، عندما أرسل له الدعوة إلى الإسلام في السنة السادسة من الهجرة، وكان ﷺ يكنّى بأبي القاسم، وقد قيل: إنه أكبر أولاده، وأول من

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٤٩٤).
(٢) المرتضى للندوي، ص ٢٤.
(٣) المرتضى، ص ٢٤.
(٤) المصدر السابق نفسه، ص ٢٥.
(٥) الإصابة في تمييز الصحابة (٩/ ٣١٧ ـ ٣١٨).
(٦) الإصابة (٤/ ٢٥٩/ ٢٦٠)، المرتضى، ص ٢٧.
(٧) الدوحة النبوية الشريفة، ص ٣١.
(٨) الاستيعاب (٤/ ٢٨١).

مات منهم، ولد بمكة قبل النبوة، ومات صغيراً، وقيل: بل عاش حتى بلغ سن التمييز، فقيل: إنه بلغ المشي[(١)]، وقيل: بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجيبة[(٢)].

وأما خالاته فزينب، ورقية، وأم كلثوم رضي الله عنهن:

١ ـ زينب بنت رسول الله ﷺ:

أكبر خالات الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما زينب، وأدركت الإسلام، وهاجرت، وكان رسول الله ﷺ محباً لها، وقد كانت أول بناته زواجاً، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أبو العاص بن الربيع من رجال مكة المعدودين ـ مالاً وتجارة وأمانة ـ وهو ابن أخت خديجة، أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة لأمها وأبيها، فقالت خديجة لرسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ لا يخالفها، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحي، وكانت خديجة تعده بمنزلة ولدها، فلما أكرم الله تعالى نبيه بنبوته آمنت خديجة وبناتها رضي الله عنهن، فلما بادى رسول الله ﷺ قريشاً بأمر الله تعالى، أتوا بالعاص بن الربيع، فقالوا: إنكم قد فرّغتم محمداً من همِّه، فرُدّوا عليه بناته، فأشغلوه بهنَّ، وقالوا لأبي العاص بن الربيع: فارق صاحبتك، ونحن نزوجك أي امرأة من قريش شئت، فقال: لاها الله إذاً، لا أفارق صاحبتي، ولا أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش. وكان رسول الله ﷺ يثني على صهره خيراً[(٣)]. وجاء عنه أنه تذكر زينب وهو في تجارته في الشام فقال[(٤)]:

ذكرت زينب لما ورّكت[(٥)] إرما[(٦)] فقلت: سقيا لشخص يسكن الحرما
بنت الأمين جزاها الله صالحة وكلُّ بعلٍ سيُثني بالذي علما[(٧)]

أ ـ وفاء زينب لزوجها:

وكما كان أبو العاص بن الربيع وفياً لزوجه زينب، كانت هذه كذلك له، فقد أبى أبو العاص أن يسلم بمكة، وأقامت زوجه معه على إسلامها، حتى كانت معركة بدر، فحضرها أبو العاص في صفِّ كفار قريش، فأسر فيمن أسر منهم، فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب في فداء أبي العاص بمال، وكانت فيه قلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى

(١) الدوحة النبوية الشريفة، ص ٣١، الذرية الطاهرة للدولابي، ص ٤٢.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٩٦).
(٤) طبقات ابن سعد (٨/ ٣٢)، مستدرك الحاكم (٤/ ٤٤).
(٥) وركت: أي اضطجعت، يقال: ورك يرك وروكاً: إذا اضطجع، أي كأنه وضع وركه في الأرض.
(٦) الإرم: الأحجار التي تنصب علامات في الطرق والمفاوز، والجمع: أرام وإرم.
(٧) الدوحة النبوية الشريفة، ص ٣٨.

بها، قالت عائشة أم المؤمنين: فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة، وقال للمسلمين: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردّوا عليها مالها، فافعلوا، فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه، وردّوا عليه الذي له[١]. ويجدر بنا أن نقف وقفة تأمل في خطابه لأصحابه وما تضمنه من سمو العبارة والأدب الرفيع مما ينبغي أن نتحلى به في حياتنا. وكان رسول الله ﷺ قد أخذ عليه عهداً، بأن يخلي زينب لتلحق به، وكانت من المستضعفين بمكة من النساء واستكتمه رسول الله ﷺ ذلك، وصدق في عهده وأرسل زينب، وتعرضت لابتلاء شديد في طريقها إلى المدينة[٢].

ب ـ إسلام زوجها وأمانته:

وأقام أبو العاص بن الربيع بمكة، وأقامت زينب عند رسول الله ﷺ بالمدينة حين فرق بينهما الإسلام، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام، وكان رجلاً مأموناً، بمال له، وأموال لرجال من قريش أبضعوها معه، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلاً، لقيته سرية لرسول الله ﷺ، فأصابوا ما معه، وأعجزهم هارباً، فلما قدمت السرية بماله، أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ، فاستجار بها فأجارته، وجاء في طلب ماله، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الصبح، فكبّر الناس وراءه صرخت زينب من صُفّة النساء: أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع، فلما سلم رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس، فقال: أيها الناس هل سمعتم ما سمعت؟ قالوا: نعم. قال: أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم، إنه يجير على المسلمين أدناهم. ثم انصرف.

فدخل على ابنته، فقال: أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلص إليك، فإنك لا تَحلِّين له. وبعث رسول الله ﷺ إلى السرية الذين أصابوا المال، فقال: إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوا عليه ماله الذي له فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحق به، قالوا: يا رسول الله بل نرده عليه، فردُّوه، حتى إن الرجل ليأتي بالدلو، والرجل يأتي بالشنَّة[٣] والإداوة[٤]، حتى إن أحدهم ليأتي بالشطاط، ثم احتمل إلى مكة فأدى إلى كل ذي مالٍ من قريش ماله، ومن كان أبضع معه. ثم قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: كلا، فجزاك الله خيراً، فقد وجدناك وفياً كريماً، قال: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، والله ما منعني من الإسلام عنده إلا

(١) سير أعلام النبلاء (٤٧٢).
(٢) تاريخ الإسلام للذهبي، المغازي، ص ٦٩.
(٣) الشنة هي: السقاء البالي.
(٤) الإداوة: مطهرة يتوضأ منها.

تخوُّف أن تظنوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم، فلما أدَّاها الله إليكم، وفرغت منها أسلمت، ثم خرج فقدم على رسول الله ﷺ[١] ؟!.

وجاء عن عامر الشعبي وغيره: أن أبا العاص بن الربيع لما قدم من الشام ومعه أموال المشركين، قيل له: هل لك أن تُسلِم وتأخذ هذه الأموال، فإنها أموال المشركين؟ فقال أبو العاص: بئس ما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي[٢]. ومن أقوال أبي العاص رضي الله عنه نتعلم قيمة عظيمة؛ وهي الأمانة والتحلي بمكارم الأخلاق حتى مع غير المسلمين، فلا ينبغي للمسلم أن يخون أمانته لأي سبب كان.

ولما قدم أبو العاص بن الربيع على رسول الله ﷺ مسلماً ردّ عليه زوجته زينب بالنكاح الأول، ولم يحدث نكاحاً جديداً[٣]، وقد جاء في التحاقهما بالنبي ﷺ بالمدينة روايات أخرى إلا أنها تتفق على وفاء أبي العاص بن الربيع لرسول الله ﷺ، وتتفق على إيذاء المشركين لها في خروجها من مكة[٤].

ج - وفاتها وذرِّيتها:

فقد جاء عن عروة بن الزبير: «أن رجلاً أقبل بزينب بنت رسول الله ﷺ، فلحقه رجلان من قريش، فقاتلاه حتى غلباه عليها، فدفعاها حتى وقعت على صخرة، فأسقطت وأهريقت دماً، وذهبوا بها إلى أبي سفيان، فجاءته نساء بني هاشم فدفعها إليهن، ثم جاءت بعد ذلك مهاجرة، فلم تزل وجعة حتى ماتت من ذلك الوجع، فكانوا يرون أنها شهيدة، وكانت وفاتها في أول سنة ثمان من الهجرة النبوية»[٥].

ووقف رسول الله ﷺ على تجهيزها، فعن أم عطية رضي الله عنها قالت: «لما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ، قال لنا: اغسلنها وتراً، ثلاثاً أو خمساً، واجعلن في الخامسة كافوراً، أو شيئاً من كافور، فإذا غسلتنها فأعلمنني، قالت: فأعطانا حِقْوة، وقال: أشعرنها إياه»[٦]. وهكذا نرى حجم المصائب التي تحملها الرسول ﷺ حتى وصلت إلى بناته، وقد استمر على طريق الدعوة صابراً محتسباً، ومنه نتعلم أن طريق إعزاز الإسلام يحتاج إلى صبر واستعداد للتضحية.

وقد أنجبت زينب رضي الله عنها من أبي العاص بن الربيع: أمامة، وعلياً، أما علي فقد مات

---

(١) التاريخ الإسلامي للذهبي، المغازي ص ٧٠.
(٢) دلائل النبوة للبيهقي (١/ ١٥٤).
(٣) الدوحة النبوية الشريفة، ص ٤١.
(٤) المصدر السابق نفسه.
(٥) مجمع الزوائد للهيثمي (٩/ ٢١٦).
(٦) مسلم، كتاب الجنائز (٢/ ٦٤٨)، طبقات ابن سعد (٨/ ٣٤).

وهو صغير، وقيل: مات في حياة الرسول ﷺ، وقد ناهز الحلم، ودخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وهو مردفه على ناقته. وكانت أمامة عند رسول الله ﷺ بالموقع الكريم، والمحل العظيم، فقد كان يحملها على عاتقه وهو يؤم الناس في الصلاة، فعن أبي قتادة الأنصاري قال: «رأيت رسول الله ﷺ يصلي وهو يحمل أمامة بنت أبي العاص ابنة ابنته على عاتقه، فإذا ركع وضعها وإذا قام حملها»[(١)]، وعن عائشة رضي الله عنها: أن النجاشي أهدى للنبي ﷺ حِلْية فيها خاتم من ذهب فصُّه حبشي فأخذه وإنه لمعرض عنه، فأرسله إلى ابنة ابنته زينب، وقال: تَحلّيْ بهذا يا بنية[(٢)]، وفي رواية: أن رسول الله ﷺ دخل على أهله ومعه قلادة جزع[(٣)]، فقال: لأعطينَّها إلى أحبكنّ إلي، فقلن: يدفعها إلى ابنة أبي بكر، فدعا بابنة أبي العاص من زينب فعقدها بيده[(٤)]، وكان على عينها رَمَص، فمسحه بيده ﷺ.

وأما أمامة فقد عاشت، وتزوجها علي بن أبي طالب بعد وفاة خالتها فاطمة الزهراء، وكان أبو العاص بن الربيع قد أوصى بابنته أمامة إلى الزبير بن العوام، فزوجها من علي بن أبي طالب، واستشهد علي رضي الله عنه وهي عنده، ثم تزوجت بعده المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وماتت عنده، ولم تنجب أمامة لعلي بن أبي طالب، ولا للمغيرة ابن نوفل، وقيل: ولدت للمغيرة ولداً سماه يحيى ومات، فانقطع بذلك نسل السيدة زينب عليها السلام.

٢ ـ رقيّة بنت رسول الله ﷺ:

وقد ولدت على الأصح بعد زينب سنة ثلاث وثلاثين من عمر النبي ﷺ، وأسلمت حين أسلمت أمها خديجة، وبايعت حين بايعه الناس، وكانت قد خطبها عتبة بن أبي لهب، فلما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] قال له أبوه: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق ابنة محمد، وسأل رسول الله ﷺ عتبة طلاقها وسألته هي ذلك. ولم يكن قد دخل بها فقالت له أمه أم جميل ـ وهي حمّالة الحطب ـ: طلِّقها يا بُنيّ، فإنها قد صبأت، ففارقها، فأخرجها الله من يده كرامة لها، وهواناً له، فتزوجت عثمان بن عفان بمكة، وهاجر بها إلى الحبشة، ثم إلى المدينة المنورة، فهي ممن هاجر الهجرتين[(٥)].

هذا وقد توفيت بالمدينة بعد انتهاء غزوة بدر، فعن ابن شهاب الزهري قال: تخلّف عثمان بن عفان عن غزة بدر على امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، وكانت قد أصابتها الحصبة، وجاء زيد بن حارثة بشيراً بوقعة بدر، وعثمان على قبر رقية، قال أبو عمر بن عبد البر: لا خلاف بين أهل السير

---

(١) المصدر السابق نفسه، رقم ٥٤٣.
(٢) مسند أحمد (٦/ ١٠١، ٢٦١) سنده ضعيف، الدوحة النبوية الشريفة، ص ٤٣.
(٣) الجزع: هو الخرز اليماني، واحدته جزعة.
(٤) طبقات ابن سعد (٨/ ٤٠)، الاستيعاب لابن عبد البر (٤/ ٢٤٥)، الدوحة النبوية الشريفة، ص ٤٣.
(٥) الدوحة النبوية الشريفة، ص ٤٤، تفسير القرطبي (٤/ ٢٤٢).

أن عثمان بن عفان رضي الله عنه إنما تخلَّف عن بدر على امرأته رقية بأمر رسول الله ﷺ، وأنه ضرب له بسهمه وأجره(١)، وقد ولدت رقيَّة رضي الله عنها لعثمان بالحبشة ولداً سماه عبد الله، وكان يُكنَّى به، بلغ سنتين، وقيل: ست سنين، فنقر عينه ديك فتورم وجهه ومرض ومات، وقيل: أسقطت من عثمان سقطاً، ثم ولدت عبد الله، فمات، ولم تلد له غيره حتى توفيت رضي الله عنها وأرضاها(٢)، قال ابن سعد في الطبقات: وهاجرت معه ـ أي: عثمان ـ إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعاً. . وكانت في الهجرة الأولى قد أسقطت من عثمان سقطاً، ثم ولدت له بعد ذلك ولداً فسماه عبد الله، وكان عثمان يكنى به في الإسلام(٣)، وبهذا يكون نسلها قد انقطع(٤).

٣ ـ أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ:

وأما خالة الحسن رضي الله عنه الثالثة فهي أم كلثوم، فقد عرفت بكنيتها، ولا يعرف لها اسم إلا ما ذكره الحاكم عن مصعب الزبيري: أن اسمها أمية، وهي أكبر سناً من فاطمة رضي الله عنهما(٥)، وكانت قد تزوجها عتيبة بن أبي لهب، أخو عتبة الذي تزوج أختها رقية ـ ولم يدخلا بهما ـ، فأمره أبوه وأمه أن يفارقها كما أمرا أخاه أن يفارق أختها. وجاء إلى النبي ﷺ فقال له: كفرت بدينك، وفارقتُ ابنتك، لا تحبني ولا أحبك، ثم سطا عليه فشق قميص النبي ﷺ، وكان خارجاً إلى الشام، فقال النبي ﷺ: أما إني أسأل الله أن يسلط عليك كلباً من كلابه، فخرج في تَجْر قريش ـ أي جماعة التجار ـ نحو الشام، حتى نزلوا بمكان يقال له: الزرقاء، فأطاف بهم الأسد في تلك الليلة، فجعل عتيبة يقول: أيا ويل أمي هو والله آكلي كما دعا عليّ محمد، أقاتلي ابن أبي كبشة وهو بمكة وأنا بالشام؟! فعدا عليه الأسد من بين القوم، فأخذ برأسه فضغمه ضغمة فقتله(٦). ولما فارقها عتيبة بن أبي لهب لم تزل بمكة مع رسول الله ﷺ، وهاجرت إلى المدينة حين هاجر رسول الله ﷺ، وخرجت إليها مع عياله(٧).

أ ـ زواجها:

وقال سعيد بن المسيب: تأيَّم عثمان من رقية بنت رسول الله ﷺ وتأيَّمت حفصة بنت عمر من زوجها، فمر عمر بعثمان، فقال: هل لك في حفصة، وكان عثمان قد سمع رسول الله ﷺ يذكرها

---

(١) الاستيعاب (٤/ ١٩٥٢).
(٢) الذرية الطاهرة للدولابي، ص ٥٣، الدوحة النبوية الشريفة، ص ٤٥.
(٣) الطبقات (٨/ ٣٦).
(٤) الدوحة النبوية الشريفة، ص ٤٥.
(٥) المصدر السابق نفسه، ص ٤٦.
(٦) المعجم الكبير للطبراني (٢٢/ ٤٣٥، ٤٣٦)، وفيه زهير بن العلاء وهو ضعيف، الذرية الطاهرة للدولابي، رقم ٧٦.
(٧) الدوحة النبوية الشريفة، ص ٤٦.

فلم يجبه، وذكر ذلك عمر للنبي ﷺ، فقال: هل لك في خير من ذلك؟ أتزوج حفصة وأزوج عثمان خيراً منها أم كلثوم[(١)]، وكان زواج أم كلثوم من عثمان ابن عفان رضي الله عنهما سنة ثلاث من الهجرة النبوية، في ربيع الأول، وبنى بها في جمادى الآخرة[(٢)]. وجاء أن رسول الله ﷺ دخل على ابنته وهي تغسل برأس عثمان رضي الله عنه، فقال: يا بنيَّة أحسني إلى أبي عبد الله، فإنه أشبه أصحابي خلقاً[(٣)].

ب ـ وفاتها:

ولم تزل أم كلثوم عند عثمان رضي الله عنهما إلى أن توفيت في شعبان سنة تسع من الهجرة وصلّى عليها رسول الله ﷺ، وجلس على شفير قبرها عليها السلام، فعن أنس بن مالك: أنه رأى النبي ﷺ جالساً على قبر أم كلثوم، قال: فرأيت عينيه تدمعان، فقال: هل منكم رجل لم يقارف الليلة؟ فقال أبو طلحة: أنا، قال: فانزل في قبرها[(٤)]. وقد غسلتها أسماء بنت عُميس، وصفية بنت عبد المطلب، وهي التي شهدت أم عطية غُسلها، وحكت قول رسول الله ﷺ: اغسلنها ثلاثاً، أو خمساً، أو أكثر من ذلك[(٥)].

وجاء عند ابن سعد أن علي بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وأسامة بن زيد، قد نزلوا في حفرتها مع أبي طلحة، وأن التي غسلتها هي أسماء بنت عميس، وصفية بنت عبد المطلب[(٦)].

ج ـ ذريتها:

اتفق العلماء على أن أم كلثوم، لم تلد ولم تعقب[(٧)].

ومن الغريب أن بعض الشيعة الإماميَّة يطعنون بصحة نسب بنات النبي ﷺ، ومع ذلك يزعمون بأنهم يحبون النبي ﷺ مخالفين بذلك القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والتاريخ، ويكفي في الرد عليهم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩] فذكر بناته بالجمع.

* * *

(١) مستدرك الحاكم (٤/ ٤٩) صحيح.

(٢) سنن ابن ماجه رقم ١١٠ فيه ضعف، الدوحة النبوية، ص ٤٧.

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ٨١)، قال الهاشمي: فيه محمد بن عبد الله يروي عن المطلب ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٤) البخاري، كتاب الجنائز (٣/ ٢٠٨) رقم ١٢٨٥.

(٥) البخاري رقم ١٢٥٣، الاستيعاب رقم ٣٠٦٣.

(٦) الطبقات (٨/ ٣٨، ٣٩)، الاستيعاب رقم ٣٥٦٣.

(٧) طبقات ابن سعد (٨/ ٣٨)، الاستيعاب لابن عبد البر (٤/ ٤٨٧)، الإصابة (٤/ ٤٨٩)، مجمع الزوائد (٩/ ٢١٧)، عيون الأثر لابن سيد الناس (٢/ ٣٨٠) الدوحة النبوية الشريفة ص ٤٩.

المبحث الثاني
أم الحسن بن علي بن أبي طالب السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها

هي فاطمة بنت إمام المتقين سيد ولد آدم رسول الله ﷺ، وأمها خديجة بنت خويلد، كانت تكنى بأم أبيها[١]، ولدت رضي الله عنها قبل البعثة سنة خمس وثلاثين من مولد النبي ﷺ[٢]، زوجها النبي ﷺ علي بن أبي طالب سنة اثنتين للهجرة بعد وقعة بدر، وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم، وزينب ومحسِّن، وكانت وفاتها بعد وفاة النبي ﷺ بستة أشهر، فرضي الله عنها وأرضاها[٣].

أولًا ـ مهرها وجهازها:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: خُطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ، فقالت مولاة لي: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ؟ قلت: لا، قالت: فقد خطبت، فما يمنعك أن تأتي رسول الله ﷺ فيزوجك. فقلت: وعندي شيء أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوجك. قالت: فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول ﷺ، فلما أن قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبة. فقال: لعلك جئت تخطب فاطمة؟ فقلت: نعم، فقال: وهل عندك من شيء تستحلها؟ فقلت: لا والله يا رسول الله. فقال: ما فعلت درع سلَّحْتُكَهَا؟ ـ فوالذي نفس علي بيده إنها لحطمية ما قيمتها أربعمئة درهم ـ فقلت: عندي، فقال: قد زوجتكها، فابعث إليها بها فاستحلها بها، فإنها كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ[٤].

وقد جهز رسول الله ﷺ فاطمة في خميل[٥]، وقربة، ووسادة أدم[٦] حشوها إذخر[٧]، وقد جاء في روايات الشيعة مساهمة لعثمان بن عفان رضي الله عنه في الزواج الميمون حيث قال علي

---

(١) أسد الغابة (٥/ ٥٢٠)، الإصابة (٤/ ٣٦٥).

(٢) الطبقات لابن سعد (٨/ ٢٦).

(٣) حلية الأولياء (٢/ ٣٩، ٤٣)، سير أعلام النبلاء (٢/ ١١٨).

(٤) دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ١٦٠) إسناده حسن.

(٥) خميل: القطيفة.

(٦) الأدم: الجلد.

(٧) إذخر: نبات، صحيح السيرة النبوية، ص ٦٦٧، مسند فاطمة الزهراء وما ورد في فضلها، تحقيق: فؤاد أحمد زمرلي، ص ١٨٩.

رضي الله عنه: فأخذت درعي فانطلقت به إلى السوق فبعته بأربعمئة درهم من عثمان بن عفان، فلما قبضت الدراهم منه وقبض الدرع مني قال: يا أبا الحسن، ألست أولى بالدرع منك، وأنت أولى بالدراهم مني؟ فقلت: نعم، قال: فإن هذا الدرع هدية مني إليك، فأخذت الدرع والدراهم، وأقبلت إلى رسول الله ﷺ، فطرحت الدرع والدراهم بين يديه، وأخبرته بما كان من أمر عثمان، فدعا له النبي ﷺ بخير(١).

ثانياً ـ زفافها:

قالت أسماء بنت عميس: كنت في زفاف فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فلما أصبحنا جاء النبي ﷺ إلى الباب فقال: يا أم أيمن ادعي لي أخي، فقالت: هو أخوك وتنكحه؟ قال: نعم يا أم أيمن، قالت: فجاء علي فنضح النبي ﷺ عليه من الماء ودعا له، ثم قال: ادعو إلي فاطمة، قالت: فجاءت تعثر من الحياء، فقال لها رسول الله ﷺ: اسكني فقد أنكحتك أحب أهل بيتي إلي، قالت: ونضح النبي ﷺ عليها من الماء ودعا لها، قالت: ثم رجع رسول الله ﷺ فرأى سواداً بين يديه، فقال: من هذا؟ فقالت: أنا، قال: أسماء؟ قلت: نعم، قال: أسماء بنت عميس؟ قلت: نعم، قال: جئت في زفاف بنت رسول الله تكرمة له؟ قلت: نعم، قالت: فدعا لي(٢)، وفي هذه القصة قيمة اجتماعية رفيعة وهي التعاون بين أفراد المجتمع في المناسبات الاجتماعية المختلفة.

ثالثاً ـ وليمة العرس:

عن بريدة قال: لما خطب علي فاطمة، قال رسول الله ﷺ: إنه لا بد للعُرس(٣) من وليمة، قال: فقال سعد: عليّ كبش، وجمع له رهط من الأنصار آصعاً من ذرة، فلما كان ليلة البناء، قال: يا علي لا تحدث شيئاً حتى تلقاني. فدعا النبي ﷺ بماء فتوضأ منه ثم أفرغه على علي، فقال: اللهم بارك فيهما وبارك عليهما، وبارك في شبلهما(٤).

رابعاً ـ معيشة علي وفاطمة رضي الله عنهما:

كانت معيشة علي وفاطمة رضي الله عنهما وهما من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ، معيشة زهد وتقشف، وصبر وجهد، فقد أخرج هناد عن عطاء، قال: نبئت أن علياً رضي الله عنه قال: مكثنا أياماً ليس عندنا شيءٌ، ولا عند نبي الله ﷺ، فخرجت، فإذا أنا بدينار مطروح على الطريق، فمكثت هنيهة أؤامر نفسي في أخذه أو تركه، ثم أخذته لما بنا من الجهد، فأعطيت به الضفاطين(٥) فاشتريت به دقيقاً، ثم أتيت به فاطمة فقلت: اعجني واخبزي، فجعلت تعجن وإن

---

(١) كشف الغمة للأربلي (١/ ٣٥٩)، نقلاً عن الشيعة وأهل البيت، ص ١٣٧ ، ١٣٨.
(٢) فضائل الصحابة (٢/ ٩٥٥) رقم ٣٤٢ إسناده صحيح.
(٣) للعرس: أي للعروس.
(٤) المعجم الكبير للطبراني (١١٥٣)، فضائل الصحابة (٢/ ٨٥٨) إسناده صحيح.
(٥) الضفاطون: الحمالون والمكارون الذين يجلبون الدقيق من الخارج.

قصتها لتضرب حرف الجفنة من الجهد الذي بها ـ ثم خبزت، فأتيت نبي الله ﷺ، فأخبرته، فقال: كلوا فإنه رزق رزقكموه الله عز وجل[١].

وعن الشعبي، قال: قال علي رضي الله عنه: تزوجت فاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ ومالي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل، ونعلف عليه ناضحنا بالنهار، وما لي خادم غيرها[٢].

وعن مجاهد: قال علي: جعت مرة بالمدينة جوعاً شديداً، فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة، فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدراً، فظننتها تريد بلَّه[٣]، فأتيتها فقاطعتها[٤] كلّ ذنوب[٥] على تمرة، فمددت ستة عشرة ذنوباً، حتى مجلت يداي[٦]، ثم أتيت الماء فأصبت منه، ثم أتيتها فقلت: يكفي هذا بين يديها[٧]، فعدت لي ست عشرة تمرة، فأتيت النبي ﷺ، فأخبرته، فأكل معي منها[٨].

في هذا الخبر بيان لشدة الحال التي مر بها والد الحسن في المدينة، ونأخذ منها صورة من السلوك المشروع في مواجهة الشدائد؛ حيث خرج علي للعمل بيديه للكسب المشروع، ولم يجلس منتظراً ما تجود به أيدي المحسنين، وصورة أخرى من قوة التحمل حيث قام بذلك العمل الشاق وهو يعاني من شدة الجوع ما يضعف قوته، وصورة أخرى من إيثار الأحبة والوفاء لهم، فهو على ما به من شدة الجوع وبالرغم مما قام به من ذلك العمل الشاق قد احتفظ بأجرته من التمر حتى لقي النبي ﷺ فأكل معه[٩]. إن من أهم الدروس في هذه القصة: هو أن فقر الإنسان أو غناه المادي لا يعبر بالضرورة على حب الله للعبد من عدمه، وإنما المعيار الحقيقي هو تقوى الله عز وجل وينبغي أن يكون تقييمنا للناس على هذا الأساس.

خامساً ـ زهد السيدة فاطمة وصبرها:

كانت حياة والدة الحسن رضي الله عنهما في غاية البساطة، بعيدة عن التعقيد، وهي إلى شظف العيش أقرب منها إلى رغده[١٠]، وهذه القصة تصور لنا حال السيدة فاطمة من التعب وموقف رسول الله ﷺ منها عندما طلبت منه أن يعطيها خادماً من السبي، قال علي لفاطمة ذات

---

(١) كنز العمال (٧/ ٣٢٨)، المرتضى للندوي، ص ٤١.

(٢) المصدر السابق نفسه (٧/ ١٣٣)، المرتضى للندوي، ص ٤١.

(٣) المدر: يعني الطين اليابس، تريد بلّه: يعني بالماء.

(٤) فقاطعتها: أي اتفقت معها على أجرة.

(٥) ذنوب: دلو.

(٦) مجلت: تقرَّحت من العمل، وتكوَّن بين الجلد واللحم فيها ماءٌ بإصابة نارٍ، أو مشقةٍ، أو معالجة الشيء الخشن.

(٧) يعني: بسطهما وضمهما.

(٨) صفة الصفوة (١/ ٣٢٠)، الموسوعة الحديثية، مسند أحمد ١١٣٥. إسناده ضعيف لانقطاعه.

(٩) التاريخ الإسلامي للحميدي (١٩/ ٤٩، ٥٠).

(١٠) انظر: معين السيرة ص ٢٥٥ للشامي.

يوم: والله لقد سنوت[١]، حتى لقد اشتكيت صدري، قال: وجاء الله أباك بسبي فاذهبي، فاستخدميه[٢]، فقالت: أنا والله قد طحنت حتى مجلت يداي، فأتيت النبي ﷺ فقال: ما جاء بك أي بنية. قالت: جئت لأسلم عليك، واستحيت أن تسأله ورجعت، فقال علي: ما فعلت؟ قالت: استحيت أن أسأله، فأتينا جميعاً، فقال علي: يا رسول الله والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة: قد طحنت حتى مجلت يداي[٣]، وقد جاءك الله بسبي وسعة فأخدمنا، فقال رسول الله ﷺ: والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوي[٤] بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم، فرجعا فأتاهما النبي ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما إذا غطيت رؤوسهما تكشفت أقدامهما، وإذا غطيت أقدامهما تكشفت رؤوسهما، فثارا، فقال: مكانكما، ثم قال: ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟ قالا: بلىٰ. فقال: كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام، فقال: تسبحان في دبر كل صلاة عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبران عشراً، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين[٥].

وفي هذه القصة السالفة بعض القيم؛ منها: أن هذه الحادثة تبين لنا كيف أدار النبي ﷺ الأزمة الاقتصادية التي مرت بدولة الرسول ﷺ في المدينة، وذلك من خلال ترتيبه للأولويات، فسد جوع أهل الصفة ضرورة ملحة، وأما حاجة علي وفاطمة للخادم، فليست بمرتبة احتياج أهل الصفة، فقدم رسول الله أهل الصفة عليهم، وكانت وسائل رسول الله ﷺ في حل الأزمة الاقتصادية كثيرة، ولقد تأثر والد الحسن بن علي رضي الله عنهما بهذه التربية النبوية، ويمر الزمن بأمير المؤمنين علي فيصبح خليفة المسلمين، فإذا به من آثار هذه التربية يترفع عن الدنيا وزخارفها وبيده كنوز الأرض وخيراتها، لأن ذكر الله يملأ قلبه ويغمر وجوده، ولقد حافظ على وصية رسول الله ﷺ له، وقد حدثنا عن ذلك فقال: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن، فسأله أحد أصحابه: ولا ليلة صفين؟ فقال: ولا ليلة صفين[٦].

سادساً ـ محبة رسول الله ﷺ للسيدة فاطمة وغيرته عليها:

عن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر آخر عهده بالمدينة إتيان فاطمة، وأول من يدخل عليه إذا قدم من سفره فاطمة[٧]. وفي رواية عن أبي ثعلبة الخشني قال: كان

---

(١) سنوت: استقيت.
(٢) أي: اسأليه خادماً.
(٣) مسلم رقم ٢٧٢٧ السيرة النبوية للصَّلاَّبي (٢/ ٩٩).
(٤) تطوي: طوى من الجوع، فهو خالي البطن جائع لم يأكل.
(٥) البخاري رقم ٣٧٠٥، مسلم رقم ٢٧٢٧.
(٦) مسلم (٤/ ٢٠٩٢).
(٧) مسند أحمد (٥/ ٢٧٥)، الدوحة النبوية، ص ٥٦.

رسول الله ﷺ إذا قدم من غزو أو سافر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين، ثم يأتي فاطمة، ثم يأتي أزواجه[١]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ولا دلًّا برسول الله ﷺ في قيامه وقعوده من فاطمة بنت رسول الله، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها[٢]. وفي رواية: أنها كانت تقبل يديه[٣]. وعن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: أحب أهل بيتي إليَّ فاطمة[٤]. وقد أراد علي رضي الله عنه: أن يتزوج بنت أبي جهل على فاطمة، فخطب رسول الله ﷺ الناس ـ إن في رواية السيدة عائشة للحديث دليل على حقيقة المحبة بين السيدتين وليست كما يدعي المغرضون[٥] ـ فقال: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني»[٦].

وعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ على المنبر يقول: «بني هاشم ابن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما ابنتي بضعة مني، يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها»[٧].

وروى الترمذي بسنده إلى عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما: أن علياً ذكر بنت أبي جهل، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «إنما فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما آذاها، ويتعبني ما أتعبها»[٨].

ومن مناقب السيدة فاطمة ما رواه الحاكم أيضاً بإسناده إلى بريدة رضي الله عنه قال: كان أحب النساء إلى رسول الله ﷺ فاطمة، ومن الرجال علي[٩]. ولا يفهم من هذا الحديث معارضته لما ثبت في الصحيح من حديث عمرو بن العاص: «أنه سأل النبي ﷺ: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، قال: من الرجال؟ قال: أبوها»[١٠]. فالمراد من هذا الحديث والله أعلم أن فاطمة أحب النساء إليه من أهله، وعلي من رجالهم، وفي ذلك يقول ابن العربي عند هذا الحديث: كان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ أبو بكر، وأحب أزواجه إليه عائشة، وأحب أهله إليه فاطمة، وعلي من

(١) الاستيعاب (٤/ ٣٧٦) في سنده أبو فروة الرهاوي مضعف، الدوحة النبوية، ص ٥٦.
(٢) مسلم رقم ٢٤٥٠، صحيح سنن أبي داود رقم ٥٢١٧.
(٣) سنن أبي داود رقم ٥٢١٧، وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٧٩).
(٤) مسند الطيالسي (٢/ ٢٥) حسن صحيح.
(٥) أسمى المطالب في سير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (١/ ١٣٦).
(٦) البخاري رقم ٤١٧٣.
(٧) المصدر السابق نفسه، رقم ٥٢٣٠.
(٨) فضائل الصحابة (٢/ ٧٥٦) رقم ١٣٢٧، إسناده صحيح.
(٩) المستدرك، كتاب معرفة الصحابة (٣/ ١٥٥) صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.
(١٠) البخاري رقم ٤٣٥٨.

رجالهم، وبهذا الترتيب تأتلف الأحاديث ويرتفع عنها التعارض[(١)].

سابعاً ـ صدق لهجتها:

روى الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها: أنها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبي ﷺ قالت: «ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة منها إلا أن يكون الذي ولدها»[(٢)].

وفي ذلك منقبة ظاهرة لها رضي الله عنها، فقد وصفتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأنها كانت تشبه النبي ﷺ هيئة وطريقة وحسن حال، كما كان التزامها للصدق أشبه له فرضي الله عنها وأرضاها[(٣)].

ثامناً ـ سيادتها في الدنيا والآخرة:

جاءت الأحاديث الصحيحة عن الصادق المصدوق التي دلت على سيادتها في الدنيا والآخرة، روى الترمذي بإسناده إلى أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسيا امرأة فرعون»[(٤)]. وروى الحاكم بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران»[(٥)]. وقال البخاري: باب مناقب فاطمة رضي الله عنها، وقال النبي ﷺ: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»[(٦)].

تاسعاً ـ الصديق والسيدة فاطمة وميراث النبي ﷺ:

قالت عائشة رضي الله عنها: إن فاطمة والعباس رضي الله عنهما أتيا أبا بكر رضي الله عنه يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ، وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك وسهمه من خيبر، فقال لهما أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال[(٧)].

وفي رواية: قال أبو بكر رضي الله عنه: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ[(٨)].

---

(١) عارضة الأحوذي (١٣/ ٢٤٧، ٢٤٨)، العقيدة في أهل البيت، ص ١٣٧.

(٢) المستدرك (٣/ ١٦٠، ١٦١) صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٣) العقيدة في أهل البيت، ص ١٣٦.

(٤) فضائل الصحابة (٢/ ٢٥٥) رقم ١٣٢٥، صححه الألباني، المشكاة (٣/ ٧٤٥).

(٥) المصدر السابق نفسه، رقم ١٣٣٢ إسناده حسن لغيره.

(٦) البخاري، كتاب فضل الصحابة (٤/ ٢٥٢).

(٧) المصدر السابق نفسه، رقم ٦٧٢٦.

(٨) مسلم رقم ١٧٥٩.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن أزواج النبي ﷺ، حيث توفي رسول الله ﷺ، أردن أن يبعثن عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أبي بكر، ليسألنه ميراثهن من النبي ﷺ، فقالت عائشة رضي الله عنها لهن: أليس قد قال رسول الله ﷺ: لا نورث ما تركنا صدقة(١)؟!

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقتسم ورثتي ديناراً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهي صدقة»(٢). وهذا ما فعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع فاطمة رضي الله عنها امتثالاً لقوله ﷺ، لذلك قال الصديق: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به(٣)، وقال: والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيه إلا صنعته(٤).

وقد تركت أم الحسن رضي الله عنها منازعته بعد احتجاجه بالحديث وبيانه لها، وفيه دليل على قبولها الحق وإذعانها لقوله ﷺ، وقد غلا الشيعة في قصة ميراث النبي ﷺ غلواً مفرطاً مجانبين الحق والصواب، وقد ناقشتهم في كتابي أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(٥)، وبينت فيه حقيقة ما وقع بين الصديق والسيدة فاطمة في قضية الميراث.

عاشراً ـ تسامح السيدة فاطمة مع أبي بكر رضي الله عنه:

وقد ثبت عن فاطمة ـ رضي الله عنها ـ أنها رضيت عن أبي بكر بعد ذلك، وماتت وهي راضية عنه، على ما روى البيهقي بسنده عن الشعبي أنه قال: لما مرضت فاطمة أتاها أبو بكر الصديق، فاستأذن عليها، فقال علي: يا فاطمة هذا أبو بكر الصديق يستأذن عليك؟ فقالت: أتحب أن آذن له؟ قال: نعم، فأذنت له فدخل عليها يترضَّاها، فقال: والله ما تركت الدار والمال، والأهل والعشيرة، إلا ابتغاء مرضاة الله، ومرضاة رسوله، ومرضاتكم أهل البيت، ثم ترضَّاها حتى رضيت(٦)، قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد قوي والظاهر: أن عامر الشعبي سمعه من علي أو ممن سمعه من علي(٧)، وبهذا تندحض مطاعن الشيعة على أبي بكر التي يعلقونها على غضب فاطمة عليه، فلئن كانت غضبت في بداية الأمر فقد رضيت بعد ذلك وماتت وهي راضية عنه، ولا يسع أحد صادق في محبته لها، إلا أن يرضى عمن رضيت عنه(٨).

ولا يعارض هذا ما ثبت في حديث عائشة: إنما يأكل آل محمد ﷺ هذا المال، وأني والله لا أغير

---

(١) البخاري رقم ٦٧٣٠، مسلم رقم ١٧٥٨.
(٢) المصدر السابق نفسه، رقم ٦٧٢٩.
(٣) مسلم رقم ١٧٥٨.
(٤) البخاري رقم ٦٧٢٦.
(٥) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي (١/ ١٩٩).
(٦) السنن الكبرى للبيهقي (٦/ ٣٠١).
(٧) البداية والنهاية (٥/ ٢٥٣).
(٨) الانتصار للصحب والآل، ص ٤٣٤.

شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ، فأبى أبو بكر أن يدفع لفاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت[١]، فإن هذا بحسب علم عائشة ـ رضي الله عنها، راوية الحديث.

وفي حديث الشعبي زيادة علم، وثبوت زيادة أبي بكر لها وكلامها له ورضاها عنه، فعائشة رضي الله عنها نفت، والشعبي أثبت، ومعلوم لدى العلماء: أن قول المثبت مقدم على قول النافي، لأن احتمال الثبوت حصل بغير علم النافي، خصوصاً في مثل هذه المسألة، فإن عيادة أبي بكر لفاطمة ـ رضي الله عنها ـ ليست من الأحداث الكبيرة التي تشيع في الناس، ويطلع عليها الجميع، وإنما هي من الأمور العادية التي قد تخفى على من لم يشهدها، والتي لا يعبأ بنقلها لعدم الحاجة لذكرها.

على أن الذي ذكره العلماء: أن فاطمة ـ رضي الله عنها ـ لم تتعمد هجر أبي بكر رضي الله عنه تلك الفترة أصلاً، ومثلها ينزه عن ذلك لنهي النبي ﷺ عن الهجر فوق ثلاث، وإنما لم تكلمه لعدم الحاجة لذلك[٢]، قال القرطبي صاحب المفهم في سياق شرحه لحديث عائشة المتقدم: ثم إنها (أي فاطمة) لم تلتق بأبي بكر لشغلها بمصيبتها برسول الله ﷺ، ولملازمتها بيتها، فعبر الراوي عن ذلك بالهجران، وإلا فقد قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[٣]، وهي أعلم الناس بما يحل من ذلك ويحرم، وأبعد الناس عن مخالفة رسول الله ﷺ؛ كيف لا يكون كذلك وهي بضعة من رسول الله ﷺ وسيدة نساء أهل الجنة[٤].

لقد انشغلت فاطمة رضي الله عنها عن كل شيء بحزنها لفقدها أكرم الخلق، وهي مصيبة تزري بكل المصائب، كما أنها انشغلت بمرضها الذي ألزمها الفراش عن أية مشاركة في أي شأن من الشؤون فضلاً عن لقاء خليفة المسلمين المشغول بكل لحظة من لحظاته بشؤون الأمة، وحروب الردة وغيرها، كما أنها كانت تعلم بقرب لحوقها بأبيها؛ فقد أخبرها رسول الله ﷺ بأنها أول من يلحق به من أهله[٥]، ومن كان في مثل علمها لا يخطر بباله أمور الدنيا، وما أحسن قول المهلب الذي نقله العيني: ولم يروِ أحد أنهما التقيا وامتنعا عن التسليم، وإنما لازمت بيتها، فعبر الراوي عن ذلك بالهجران[٦]. وقد دل على ذلك زيارة أبي بكر لها وترضيته لها كما مر معنا.

الحادي عشر ـ وفاة السيدة فاطمة رضي الله عنها:

ومما يدل على أن العلاقة كانت وطيدة بين الصديق والسيدة فاطمة إلى حدّ أن زوجة أبي بكر

---

(١) البخاري رقم ٤٢٤٠، رقم ١٧٥.
(٢) الانتصار للصحب والآل، ص ٤٣٤.
(٣) البخاري رقم ٦٠٧٧.
(٤) المفهم (١٢/ ٧٣).
(٥) مسلم رقم ٢٤٥٠.
(٦) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، ص ١٠٨.

أسماء بنت عميس هي التي كانت تمرض فاطمة بنت النبي ﷺ ورضي الله عنها في مرض موتها، وكانت معها حتى الأنفاس الأخيرة، وشاركت في غسلها وترحيلها إلى مثواها الأخير، وكان علي رضي الله عنه يمرضها بنفسه وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس رضي الله عنها، وقد وصتها بوصايا في كفنها ودفنها وتشييع جنازتها، فعملت أسماء بها(١)، فقد قالت السيدة فاطمة لأسماء: إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء أنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها، فقالت أسماء: يا بنت رسول الله ﷺ: ألا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله، به تعرف المرأة من الرجال(٢). وعن ابن عبد البر: فاطمة رضي الله عنها أول من غطي نعشها في الإسلام، ثم زينب بنت جحش.

وكان الصديق دائم الاتصال بعلي من ناحية ليسأله عن أحوال بنت النبي ﷺ خلاف ما يزعمه القوم، فمرضت، أي فاطمة رضي الله عنها، وكان علي يصلي في المسجد الصلوات الخمس، فلما صلى قال له أبو بكر وعمر: كيف بنت رسول الله؟ ومن ناحية أخرى: كان الصديق يسأل زوجته أسماء بنت عميس حيث كانت هي المشرفة والممرضة الحقيقية لها، ولما قبضت فاطمة من يومها، فارتجت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء، ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر وعمر يعزيان علياً ويقولان: يا أبا الحسن، لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله(٣).

وقد توفيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة. عن مالك بن جعفر ابن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، قال: ماتت فاطمة بين المغرب والعشاء، فحضرها أبو بكر وعمر وعثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، فلما وضعت ليصلى عليها، قال علي: تقدم يا أبا بكر، قال أبو بكر رضي الله عنه: وأنت يا أبا الحسن؟ قال: نعم، فوالله لا يصلي عليها غيرك، فصلى عليها أبو بكر رضي الله عنه ودفنت ليلاً. وجاء في رواية: صلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه على فاطمة بنت رسول الله، فكبر عليها أربعاً(٤). وفي رواية مسلم: صلى عليها علي بن أبي طالب. وهي الرواية الراجحة(٥).

وأما ما يوجد في بعض الكتب الشيعية من كون السيدة فاطمة أوصت عليّاً رضي الله عنهما، بأن لا يقوم على قبرها أحد من الذين ظلموها وجحدوا حقها لأنهم أعداؤها وأعداء أبيها، فهذا

---

(١) الشيعة وأهل البيت، ص ٧٧.
(٢) الاستيعاب (٤/ ٣٧٨).
(٣) الشيعة وأهل البيت، ص ٧٧، كتاب سليم بن قيس، ص ٢٥٥.
(٤) المختصر من كتاب الموافقة، ص ٦٨ في سنده ضعيف.
(٥) مسلم رقم ١٧٥٩.

من الأباطيل، ولا تصح رواياته، بل هي موضوعة، مثل التي ذكرها صاحب كتاب (حياة الإمام الحسن بن علي)(١).

وهذه أبيات رقيقة وعذبة قالها محمد إقبال في قصيدته العصماء في السيدة فاطمة رضي الله عنها:

نسبُ المسيح بَنَى لمريم سيرةً ... بقيت على طول المدى ذكراها
والمجد يشرف في ثلاث مطالع ... في مهد فاطمة فما أعلاها
هي بنت من هي زوج من هي أم من ... من ذا يداني في الفخار أباها
هي ومضة من نور عين المصطفى ... هادي الشعوب إذا تروم هداها
من أيقظ الفطر النيام بروحه ... وكأنه بعد البلى أحياها
وأعاد تاريخ الحياة جديدة ... مثل العرائس في جديد حلاها
هي أسوة للأمهات وقدوة ... يترسم القمر المنير خطاها
جعلت من الصبر الجميل غذاءها ... ورأت رضا الزوج الكريم رضاها

إلى أن قال:

لولا وقوفي عند شرع المصطفى ... وحدود شرعته ونحن فداها
لمضيت للتطواف حول ضريحها ... وغمرت بالقبلات طيب ثراها

وقال في قصيدة في بيان أن السيدة فاطمة أسوة للنساء المسلمات:

وهي أم السَّيدينِ الأكرمين ... حسنٍ خيرِ حليم وحسين
ذا سراج في ظلام الحَرم ... حافظ وحدة خير الأمم
ازدرى الملك ابتغاء الألفة ... أطفأ النِّيران بين الإخوة
ذاك في الأبرار ربُّ العَلَمِ ... أسوةُ الأحرار في الخَطْب العَمي
سيرةُ الأولاد صنعُ الأمهات ... وخلالُ الخير طبع الأمَّهات
زهرةٌ في روضة الصدق البتول ... أسوة النِّسوة في الحق البتول
نُشِّئت ما بين صبر ورضا ... في الفَمِ القرآنُ والكفّ الرَّحَى
دمعها من خشية الله جرى ... في مصلَّاها يفوق الجوهرا(٢)

* * *

(١) حياة الإمام الحسن بن علي، باقر القرشي (١/ ١٦٤).
(٢) ديوان محمد إقبال الأعمال الكاملة، سيد عبد الماجد غوري (١/ ٢٣٥، ٢٣٦).

المبحث الثالث
مكانة الحسن عند جده الحبيب المصطفى ﷺ

كانت بشرى رسول الله ﷺ بمولد الحسن عظيمة، وكان ﷺ يحمله ويداعبه، ويدعوه ليتسلق صدره ويلعب معه، وترعرع الحسن رضي الله عنه في حجر النبوة، ولاحظته عين الرعاية النبوية، والعناية المصطفوية، من ولادته حتى يفاعته، لاسيما شبهه بالنبي ﷺ ظاهر في محيَّاه وأساريره، وقد تمتع الحسن رضي الله عنه بمكانة كبيرة وتقدير عالٍ من جده الرسول الكريم ﷺ، وهذا ليس لكونه سبطه فحسب، بل لما تحمله نفس الحسن رضي الله عنه من صفات طيبة وخلق عالٍ وتواضع كريم(١)، وهذه بعض الأحاديث والمواقف التي تبين مكانة الحسن عند جده ﷺ.

أولًا ـ محبة رسول الله ﷺ ورحمته بالحسن وملاعبته له:

١ ـ **عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب الحسن والحسين فقد أحبَّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»(٢).

٢ ـ **وعن عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يُصلي والحسن والحسين يثبان على ظهره، فيباعدهما الناس فقال: «دعوهما، بأبي هما وأمي، من أحبني فليحب هذين»(٣).

٣ ـ **وعن أبي هريرة** رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال للحسن: «اللهم إني أحبه، فأحبه، وأحب من يحبه»(٤) قال أبو هريرة: فما رأيته إلا دمعت عيناي(٥).

٤ ـ **وعن البراء بن عازب** ـ رضي الله عنه ـ قال: رأيت الحسن بن علي على عاتق النبي ﷺ وهو يقول: «اللهم إني أحبه فأحبه»(٦).

٥ ـ **وعن عليٍّ** رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أخذ بيد حسن وحسين وقال: «من أحبَّني وأحبَّ

---

(١) الحسن بن علي سيرته ودوره السياسي والإداري، فتيخان كردي، ص٤٥، الدوحة النبوية الشريفة، ص٧٢.

(٢) سنن النسائي رقم ٨١٦٨، قام الشيخ عثمان الخميس بتخريج الحديث، وحكم على درجته بأنه حسن لذاته، في رسالته أحاديث بشأن السبطين، ص ٣١٢.

(٣) أحاديث بشأن السبطين، ص ٢٩٣، عثمان الخميس، حديث حسن.

(٤) مسند أحمد (٢/ ٢٤٩، ٣٣١) سنده صحيح.

(٥) الدوحة النبوية الشريفة، ص ٧٤.

(٦) مسلم رقم ٢٤٢٢.

هذين وأباهما وأمَّهما كان معي في درجتي يوم القيامة» أخرجه أحمد والترمذي وقال: «كان معي في الجنَّة» وقال: حديث غريب(١).

٦ ـ **وعن يعلى بن مرة** قال: جاء الحسن والحسين يستبقان إلى رسول الله ﷺ فجاء أحدهما قبل الآخر، فجعل يدَه في عنقه فضمَّه إلى بطنه وقبَّل هذا ثم قبَّل هذا، ثم قال: «إني أحبُّهما، فأحبوهما. أيها الناس! الولد مبخلة مجبنة»(٢).

٧ ـ **عن إسرائيل** قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحبَّ الحسن والحسين فقد أحبَّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»(٣).

٨ ـ **عن زهير بن الأقمر** قال: قال رجل من الأزد: سمعت رسول الله ﷺ يقول للحسن بن علي: «من أحبَّني فليُحبه، فليبلغ الشاهد منكم الغائب». ولولا عزمة رسول الله ﷺ ما حدّثْتُكم(٤).

٩ ـ **وعن أسامة بن زيد** ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن على فخذه الأخرى ويقول: «اللهمَّ إني أرحمهما فارْحمهما»(٥).

١٠ ـ **وعن أبي هريرة** ـ رضي الله عنه ـ قال: دخل الأقرع بن حابس على النبي ﷺ فرآه يقبِّل إما حسناً وإما حسيناً فقال: تقبِّله، ولي عشرة من الولد ما قبَّلت واحداً منهم! فقال رسول الله ﷺ: «إنه من لا يَرْحَمْ لا يُرْحَم»(٦).

١١ ـ **عن معاوية بن أبي سفيان** ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ يمصُّ لسان الحسن أو شفته، وإنَّه لن يُعَذَّبَ لسانٌ أو شفتان مصَّهما رسول الله ﷺ(٧). ورواية معاوية للحديث تدل على محبته للحسن.

١٢ ـ **عن أبي هريرة رضي الله عنه**: أنه لقِيَ الحسن بن عليٍّ في بعض طرق المدينة فقال له: اكشف لي عن بطنك ـ فداك أبي ـ حتى أقبِّل حيث رأيت رسول الله ﷺ يقبِّلُه. قال: فكشف عن بطنه، فقبَّل سرته(٨).

١٣ ـ **عن عكرمة عن أبي عباس** قال: كان النبي ﷺ حاملاً الحسن بن علي رضي الله عنهما على

---

(١) مسند أحمد (١/ ٧٧)، سنن الترمذي رقم ٣٧٣٤، سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٥٤)، ثم قال: إسناده ضعيف، والمتن منكر، وأورده في الميزان (٣/ ١١٧).

(٢) مسند أحمد (٤/ ١٧٢)، سنن ابن ماجه رقم ٣٦٦٦ في الأدب، وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات. انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٥٥).

(٣) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، ص ٢١٥، المسند (٥/ ٢٨٨)، تاريخ دمشق (١٤/ ٢٦).

(٤) مستدرك (٣/ ١٧٣ ـ ١٧٤)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٥٣، ٢٥٤)، إسناده صحيح.

(٥) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٥/ ٤١٥)، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، ص ٢١٦.

(٦) مسلم رقم ٢٣١٨.

(٧) مسند أحمد (٤/ ٩٣)، إسناده صحيح، سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٥٩).

(٨) المستدرك (٣/ ١٦٣)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

عاتقه، فقال رجل: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال النبي ﷺ: «ونعم الراكب هو»(١).

١٤ ـ **وعن أبي الزبير، عن جابر** قال: دخلت على النبي ﷺ، فإذا هو على أربع والحسن والحسين رضي الله عنهما على ظهره يحبو بهما في البيت، وهو يقول: «نعم الجمل جملكما، ونعم العِدْلان أنتما»(٢).

١٥ ـ **عن أبي هريرة رضي الله عنه** قال: كنا نصلي مع النبي ﷺ، فإذا سجد وثب الحسن والحسين رضي الله عنهما على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما على الأرض، فإذا عاد عادا حتى يقضي صلاته(٣).

١٦ ـ **حدثنا ابن بريدة عن أبيه** قال: بينما رسول الله ﷺ يخطب إذ أقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما، عليهما قميصان أحمران يمشيان ويتعثران، إذ نزل رسول الله ﷺ عن المنبر فرفعهما إليه وقال: «صدق الله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [التغابن: ١٥]، نظرت إلى هذين الصبيين يمضيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»(٤).

١٧ ـ **وعن أبي هريرة رضي الله عنه** قال: خرجت مع رسول الله ﷺ في طائفة من النهار لا يكلمني ولا أكلمه، حتى جاء سوق بني قينقاع، ثم انصرف حتى أتى خباء(٥) فاطمة فقال: «أثم لكع(٦) أثم لكع» يعني «حسناً»، فظننا أنه إنما تحبسه أمه لأن تغسله وتلبسه سخاباً(٧)، فلم يلبث أن جاء يسعى حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه(٨).

١٩ ـ **وعن سلمة بن الأكوع** قال: لقد قُدت بنبي الله ﷺ والحسن والحسين بغلته الشهباء حتى أدخلتهم حجرة النبي ﷺ، هذا قدامه، وهذا خلفه(٩).

فمن هذا المعين فليتعلم الآباء المحبة وليغترفوا العطف والحنان على الأبناء، وفيها الشيء الكثير من هدي النبي ﷺ لمحبته للحسن ورحمته به وملاعبته، وفيها إرشاد نبوي للمسلمين

---

(١) الشريعة للآجري (٥٢١٦٠) إسناده ضعيف.

(٢) المصدر السابق نفسه، إسناده ضعيف فيه مسروح أبو شهاب: تكلم فيه، قال العقيلي: لا يتابع عليه ـ أي علىٰ هذا الحديث ـ وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن مسروح وعرضت عليه بعض حديثه فقال: يحتاج إلى التوبة من حديث باطل رواه عن الثوري. وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج بخبره لمخالفته الأثبات في كل ما يروي. المجروحين (٣/ ١٩)، الميزان (٤/ ٩٧).

(٣) الشريعة (٥/ ٢١٦١) إسناده ضعيف فيه محمد بن عيسى بن حبان المدائني. قال الدارقطني: ضعيف متروك.

(٤) المصدر السابق نفسه (٥/ ٢١٦٢).

(٥) خباء فاطمة: أي بيتها.

(٦) لكع: يريد به الصغير، وإذا قيل للكبير، فمعناه: قليل العلم.

(٧) السخاب: القلادة، وجمعه سُخَب، ويصنع من القرنفل والعود والسُّك وغير ذلك، وقيل: خيط فيه خرز.

(٨) مسلم (٤/ ١٨٨٢ ـ ١٨٨٣).

(٩) مسلم رقم ٢٤٢٣.

في كيفية بناء نفس الطفل وتكوينه، وفيها إجابة لهذا السؤال المهم: كيف نبني عاطفة الطفل؟ ونؤدي له حقه ليكون إنساناً سوياً في مستقبله؟ فقد أشارت الأحاديث النبوية إلى مجموعة من الأسس التي بتطبيقها نسير على هدى ونور بيّن:

أ ـ الأساس العاطفي الأول: القُبلة والرأفة والرحمة للأطفال:

إن للقبلة دوراً فعالاً في تحريك مشاعر الطفل وعاطفته، كما أن لها دوراً كبيراً في تسكين ثورانه وغضبه، بالإضافة إلى الشعور بالارتباط الوثيق في تشييد علاقة الحب بين الكبير والصغير، وهي دليل رحمة القلب والفؤاد لهذا الطفل الناشئ، وهي برهان على تواضع الكبير للصغير، وهي النور الساطع الذي يبهر فؤاد الطفل، ويشرح نفسه ويزيد من تفاعله مع من حوله، ثم هي أولاً وأخيراً السنة الثابتة في المصطفى ﷺ مع الأطفال(١)، وإن الرحمة بالأطفال والشفقة عليهم صفة من صفات النبوة المحمدية، وهي طريق لدخول الجنة والفوز برضوان الله تعالى.

ب ـ الأساس الثاني: المداعبة والممازحة مع الأطفال:

وقد بينا بعض الأحاديث النبوية التي تدل على ذلك، وفيها دروس وعبر من هدي النبي ﷺ في مداعبة الأطفال، تارة بالحمل وأخرى بالمضاحكة.. وإلى غير ذلك، وقد اقتدى الصحابة رضوان الله عليهم برسول الله ﷺ، فسارعوا إلى ممازحة ومداعبة أطفالهم وينزلون منازلهم، ويتصابون لهم ويلاعبونهم، وقد قال عمر رضي الله عنه: ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي. أي: في الأنس والبشر وسهولة الخلق والمداعبة مع أولاده. وكان رسول الله ﷺ يلاعب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

وبهذه المداعبة والملاعبة، كان تعامل رسول الله ﷺ مع الأطفال، وهو يغذي نفوسهم بهذه العاطفة الصادقة الطيبة، بعيداً عن الجفاء والقسوة وعدم إعطاء الطفل حقه(٢).

ج ـ الأساس العاطفي الثالث: الهدايا والعطايا:

للهدايا أثر طيب في النفس البشرية عامة، وفي نفوس الأطفال أكثر تأثيراً وأكبر وقعاً، والرسول ـ ﷺ ـ بين لنا عملياً هذا الركن القوي في بناء عاطفة الطفل وتحريكها وتوجيهها وتهذيبها، وقد بينا ما فعله رسول الله ﷺ مع ابنة خالة الحسن بن علي، أمامة بنت أبي العاص من بنت رسول الله زينب، فعن عائشة رضي الله عنها: أن النجاشي أهدى للنبي ﷺ حِلْية فيها خاتم من ذهب فصّه حبشي، فأخذه، وإنه لمعرض عنه، فأرسله إلى ابنة ابنته زينب، وقال: تَحلَّي بهذا يا بنية(٣).

---

(١) منهج التربية الإسلامية للطفل، ص ١٧٩.

(٢) منهج التربية النبوية، ص ١٨٤.

(٣) سنن ابن ماجه رقم ٣٦٤٤، الدوحة النبوية الشريفة، ص ٤٣.

د ـ الأساس الرابع : مسح رأس الطفل :

وكان رسول الله ﷺ ، يداعب عواطف الأطفال بمسح رؤوسهم، فيشعرون بلذة الرحمة والحنان والحب والعطف، الأمر الذي يشعر الطفل بوجوده وحب الكبار له، واهتمامهم به، وعن مصعب بن عبد الله قال: عبد الله بن ثعلبة ولد قبل الهجرة بأربع سنين وحمل إلى رسول الله ﷺ فمسح وجهه وبرك عليه عام الفتح، وتوفي رسول الله ﷺ وهو ابن أربع عشرة[(١)] .

هـ ـ الأساس الخامس : حسن استقبال الطفل :

إن اللقاء مع الطفل لا بد منه، وأهم ما في اللقاء اللحظات الأولى، فإذا كان اللقاء طيباً استطاع الطفل متابعة الحديث وفتح الحوار والتجاوب مع المتكلم، فيفتح قلبه وما يدور في خاطره ويعرض مشاكله ويتحدث عن أمانيه، كل ذلك يحصل إذا أحسن استقبال الطفل بفرح وحب ومداعبة[(٢)]، وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا قدم من سفر تلقى الصبيان من أهل بيته، وأنه جاء من سفر، فسبق بي إليه، فحملني بين يديه، ثم جيءَ بأحد ابني فاطمة الحسن والحسين رضي الله عنهما فأردفه خلفه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة[(٣)] .

و ـ الأساس السادس : تفقد حال الطفل والسؤال عنه :

كثيراً ما يمشي الطفل وحده فيضل الطريق ويتيه في الشارع، فإذا كان الوالدان مهتمين بحال الطفل تنبها سريعاً لشروده، وتم تتبع أثر الطفل والعثور عليه بأسرع ما يمكن، والعكس بالعكس، وهذه السرعة تلعب دوراً كبيراً في نفس الطفل فالتأخير عليه يزيد من مخاوفه وآلامه وبكائه، ويشتد عذابه النفسي كلما زادت فترة تأخر وصول أحد والديه إليه، لهذا سارع رسول الله ـ ﷺ ـ وأمر أصحابه بمساعدته والانتشار في الطرقات حتى يتم العثور على الحسن والحسين[(٤)]، فقد روى الطبراني عن سلمان رضي الله عنه قال: كنا حول رسول الله ـ ﷺ ـ فجاءت أم أيمن رضي الله عنهما فقالت: يا رسول الله لقد ضل الحسن والحسين رضي الله عنهما، قال: وذاك وأد النهار ـ يقول ارتفاع النهار ـ فقال النبي ﷺ : قوموا فاطلبوا ابني، وأخذ كل رجل وجهة، وأخذت نحو النبي ﷺ فلم يزل حتى سفح جبل وإذا الحسن والحسين رضي الله عنهما ملتزق كل واحد منهما بصاحبه. وإذا شجاع ـ أي حية الذكر، وقيل: الحية مطلقاً ـ قائم على ذنبه يخرج من فيه شرار النار، فأسرع إليه رسول الله ـ ﷺ ـ فالتفت مخاطباً لرسول الله ﷺ ثم انساب ـ أي: جرى ـ فدخل بعض الأحجار ثم أتاهما، فأفرق بينهما، ثم مسح وجوههما وقال: بأبي وأمي أنتما ما أكرمكما على الله، ثم حمل أحدهما على عاتقه الأيمن والآخر على عاتقه الأيسر، فقلت: طوبى لكما نعم

---

(١) مستدرك الحاكم (٣/ ٣٧٩).

(٢) منهج التربية النبوية للطفل، ص ١٨٥ .

(٣) مسلم رقم ٢٤٢٨ ، سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥٨).

(٤) منهج التربية النبوية للطفل، ص ١٨٦ .

المطية مطيتكما، فقال رسول الله ﷺ: ونعم الراكبان هما، وأبوهما خير[١] منهما.

فأنت تلاحظ الخوف الذي حصل للحسن والحسين حيث التزق كل واحد بالآخر خائفاً من الحيَّة، ومسارعة الرسول ـ ﷺ ـ لفك هذا الخوف ثم التفريق بينهما.. ثم مسح وجههما ثم دعا لهما ثم أكرمهما بحملهما على عاتقه ثم مدحهما، بقوله: ونعم الراكبان هما، وما ذلك إلا من شدة حبه وحرصه واهتمامه بالحسن والحسين[٢].

ز ـ الأساس السابع: لعب الكبار مع الصغار والأطفال:

كان النبي ﷺ ـ وهو الرسول القائد ـ يلعب مع الحسن والحسين ـ كما مرّ معنا ـ وما هذا إلا ليربي الوالدين والكبار، وليقتدوا به ويلعبوا مع أطفالهم، وقد روي أن رسول الله ﷺ كان يشجع الحسن على الحسين؛ فعن ابن عباس قال: اتّحد الحسن والحسين عند رسول الله ﷺ، فجعل يقول: هيّ يا حسن، خذ يا حسين، فقالت عائشة: تعين الكبير؟ قال: إن جبريل يقول: خذ يا حسين[٣]، وجاء في رواية ضعيفة عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قعد رسول الله ﷺ موضع الجنائز، فطلع الحسن والحسين فاعتركا، فقال النبي ﷺ: إيهاً حسن. فقال عليٌّ: يا رسول الله! أعلى حسين تواليه؟ فقال: هذا جبريل يقول: إيهاً حسين[٤]، فأنت شاهدت أنواعاً مختلفة من لعبه ـ ﷺ ـ مع الحسن والحسين وما ذاك إلا ليدلك النبي ﷺ إلى فكرة التنوع في اللعب مع الأطفال، وأنت لاحظت أيضاً ثناءه ومدحه لهما في اللعب وذلك ليزيد من نشاطهما النفسي في اللعب فيستمران بلا كلل ولا تعب، ويتابعان اللعب بحب وشغف، وذلك ليكون غذاءً جسمياً ونفسياً في آن واحد[٥]، كما أن اللعب للأطفال فيه مجموعة من الفوائد والقيم منها جسدية، وتربوية، واجتماعية، وخلقية، وذاتية، وعلاجية[٦]... إلخ.

ثانياً ـ شبه الحسن بن علي رضي الله عنهما بالنبي ﷺ:

١ ـ عن أبي خالد، قال: قلت لأبي جُحَيْفَة: رأيت النبي ﷺ؟ قال: نعم؛ كان أشبه الناس به الحسن بن علي[٧].

---

(١) معجم الطبراني (٣/ ٦٥) رقم ٢٦٧٧، وفي المجمع (٩/ ١٨٢)، وفيه أحمد بن راشد الهلالي وهو ضعيف، ضعفه الذهبي في المغني (١/ ٣٩).

(٢) منهج التربية النبوية للطفل، ص ١٨٧.

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٦) إسناده حسن.

(٤) سير أعلام النبلاء فيه انقطاع ضعيف جداً، وقوله: إيها: معناه التحريض والتشجيع والاستحسان، والأصل فيها أنها للكف. انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٨٤).

(٥) منهج التربية النبوية للطفل، ص ٢٠٩ إلى ٢١٦.

(٦) المصدر السابق نفسه، ص ٢١٦.

(٧) الطبقات الكبرى، الطبقة الخامسة من الصحابة (١/ ٢٤٥)، أخرجه البخاري رقم ٣٥٤٤ إسناده صحيح.

٢ ـ عن عقبة بن الحارث، قال: إني لمع أبي بكر إذ مرَّ على الحسن بن علي فوضعه على عنقه ثم قال: بأبي شِبيهٌ النبي ليس شبيهاً بعلي، قال: وعلي معه فجعل علي يضحك(١)، وفي رواية أخرى: عن عقبة بن الحارث، قال: خرجت مع أبي بكر من صلاة العصر بعد وفاة النبي ﷺ بليال وعلي يمشي إلى جنبه، فمر بحسن بن علي وهو يلعب مع غلمان فاحتمله على رقبته وهو يقول: وبأبي شبه النبي ليس بشبه بعلي، وعلي يضحك(٢)، ونرى حقيقة المحبة والانسجام بين أبي بكر وعلي، وهذا ما تؤكده هذه الرواية الصحيحة ليس كما يدعي بعض الناس.

٣ ـ عن هانئ بن هانئ، عن علي قال: الحسن أشبه رسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه النبي ﷺ ما كان أسفل ذلك(٣).

٤ ـ عن عاصم بن كليب، قال: حدثني أبي: أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «من رآني في النوم فقد رآني، فإن الشيطان لا ينتحلُني». قال أبي: فحدثت ابن عباس وأخبرته أني قد رأيته(٤)، قال: رأيته؟ قلت: إي والله لقد رأيته، قال: فذكرت الحسن بن علي؟ قال: إي والله، لقد ذكرته وتَفَيّه(٥) في مشيته(٦). قال ابن عباس: إنه كان يُشبهُهُ(٧).

٥ ـ عن البهي مولى الزبير قال: تذاكرنا من أشبه النبي ﷺ من أهل بيته؟ فدخل علينا عبد الله بن الزبير فقال: أنا أحدثكم بأشبه أهله به، أحبهم إليه: الحسن بن علي، رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته، أو قال: ظهره، فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل، ولقد رأيته يجيء وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر(٨).

٦ ـ قال: قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن الزهري: أخبرني أنس قال: لم يكن أحد أشْبَه بالنَّبي ﷺ من الحسن بن علي(٩). وعنه قال: كان الحسن بن علي من أشبههم وجهاً بالنبي ﷺ(١٠).

٧ ـ عن فاطمة بنت رسول الله ـ ﷺ ـ: أنها أتت بالحسن والحسين إلى رسول الله ـ ﷺ ـ في

---

(١) البخاري رقم ٣٧٥٠.
(٢) الطبقات، الطبقة الخامسة من الصحابة (١/ ٢٤٧) إسناده صحيح.
(٣) المصدر السابق نفسه (١/ ٢٤٧) إسناده ضعيف.
(٤) أي: رأى النبي ﷺ في المنام.
(٥) تفيئه: أي تحركه يميناً وشمالاً. انظر: لسان العرب (١/ ١٢٥).
(٦) الطبقات، الطبقة الخامسة (١/ ٢٤٨).
(٧) المصدر السابق نفسه (١/ ٢٤٨) إسناده حسن.
(٨) المصدر السابق نفسه (١/ ٢٤٩) إسناده ضعيف.
(٩) الصحيح المسند من فضائل الصحابة للعدوي، ص ٢٦٣.
(١٠) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، ص ٢٢١.

شكواه الذي توفِّي فيه، فقالت: يا رسول الله هذان ابناك، فورِّثهما شيئاً. فقال: «أما الحسن فله هيبتي وسُؤدُدِي، وأمّا حُسينٌ فله جُرأتي وجُودِي»[١].

٨ ـ وعن أبي مليكة قال: كانت فاطمة رضي الله عنها تنقز الحسن وتقول: بني شبيه رسول الله ﷺ، ليس بشبيه علي[٢] رضي الله عنهما.

٩ ـ وممن يشبّه برسول الله ﷺ: جعفر بن أبي طالب، والحسن بن علي، وأبو سفيان ابن الحارث، وقثم بن العباس، والسائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب[٣].

١٠ ـ عن أبي إسحاق: أنه سمع هبيرة بن يَرِيم: أنه سمع علياً رضي الله عنه يقول: من سره أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله ﷺ ما بين عنقه إلى وجهه وشعره فلينظر إلى الحسن بن علي، ومن سرّه أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله ﷺ ما بين عنقه إلى كعبه خلقاً فلينظر إلى الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ[٤].

ثالثاً ـ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة:

١ ـ عن حذيفة قال: «سألتني أُمِّي: منذ متى عهدك بالنَّبيِّ ﷺ؟ قال: فقلت لها: منذ كذا وكذا. قال: فنالت منِّي وسبَّتني. قال: فقلت لها: دَعيني فإنِّي آتي النَّبيَّ ﷺ فأُصلي معه المغرب، ثمَّ لا أدعه حتّى يستغفر لي ولك، قال: فأتيت النبي ﷺ فصليت معه المغرب، فصَلَّى النبي ﷺ العشاء ثم انفتل، فتبعته فعرض له عارض فناجاه ثم ذهب، فاتبعته فسمع صوتي، فقال: من هذا؟ فقلت: حذيفة. قال: ما لك؟ فحدثته بالأمر، فقال: غفر الله لك ولأُمِّك ـ ثم قال: أما رأيت العارض الذي عرض لي قُبيلُ؟ قال: قلت: بلى. قال: فهو ملك من الملائكة لم يهبط الأرض قبل هذه الليلة، فاستأذن ربَّه أن يُسلم عليَّ ويبشرني أن الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»[٥].

٢ ـ عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة»[٦].

٣ ـ عن الحكم بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) الأحاديث الواردة بشأن السبطين، ص ٢٨٧. قال الشيخ عثمان الخميس: في ضوء دراسة إسناد الحديث تبين أنه ضعيف جداً لمكان محمد بن حميد وإبراهيم بن علي، ص ٢٨٩.

(٢) مجمع الزوائد (٩/ ١٧٦) مرسل، وفيه زمعة بن صالح وهو لين.

(٣) التبيين في أسباب القرشيين، ص ١٠٢.

(٤) الشريعة للآجري (٥/ ٢١٤٦).

(٥) مسند أحمد (٥/ ٣٩١) الحديث فيه المنهال بن عمرو، تكلم فيه بعضهم لترك شعبة له ولكنه مقبول الحديث على الصحيح، ثم هو قد توبع من قبل عدي بن ثابت وعاصم، وهما وإن كان في الطريقين عنهما كلام إلا أنه يمكن أن يقوي بعضهما بعضاً. انظر: الأحاديث الواردة بشأن السبطين، ص ١٧٦.

(٦) الأحاديث الواردة بشأن السبطين، ص ١٨٢، حسن لغيره.

«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، إلا ابني الخالة عيسى ويحيى بن زكريا عليهما السلام»(١)، وقد قام الشيخ عثمان الخميس بدراسة طرق هذا الحديث وبين أنه روي عن ستة عشر صحابياً(٢)، وقال: والحديث سئل عنه أحمد بن حنبل، فقال: صحيح(٣)، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية، وقال: في أسانيده كلها ضعف(٤)، وقال الذهبي: روِيَ من وجوه يُقوِّي بعضها بعضاً(٥). ثم قال عثمان الخميس: والذي يظهر لي أنه يمكن الجمع بين أقوال هؤلاء الأئمة، فهو كما قال الحافظ ابن كثير: في أسانيده كلها ضعف. انتهى، وبعضها حسن، وبعضها حسن لغيره، فيقويِّ بعضها بعضاً، كما قال الحافظ الذهبي، وبالتالي فهو صحيح كما قال الإمام أحمد ولكن لغيره(٦) والله أعلم.

رابعاً ـ هما ريحانتايَ من الدنيا:

عن أبي نُعيم، قال: سمعت عبد الله بن عمر وسأله عن المُحْرِمِ ـ قال شعبة: أحسبه يقتل الذباب ـ فقال: أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله ـ ﷺ ـ! وقال النبي ﷺ: هما ريحانتايَ من الدنيا(٧).

وعن الحسن، عن أبي بكرة قال: رأيت الحسن والحسين رضي الله عنهما يثبان على ظهر رسول الله ﷺ وهو يصلي، فيمسكهما بيده حتى إذا استقر على الأرض تركهما، فلما صلى أجلسهما في حجره ثم مسح رؤوسهما، ثم قال: «إن ابنيَّ هذين ريحانتاي من الدنيا» ثم أقبل على الناس فقال: «إن ابني هذا سيد، وأرجو أن يصلح الله عز وجل به بين فئتين عظيمتين في آخر الزمان»(٨)، قال محمد بن الحسين الآجري: يعني به الحسن رضي الله عنه(٩)، وعن أبي بكرة قال: كان النبي ﷺ يصلي، فكان إذا سجد جاء الحسن فركب ظهره، فكان النبي ﷺ إذا رفع رأسه أخذه فوضعه على الأرض وضعاً رفيقاً، فإذا سجد ركب ظهره، فلما صلى أخذه فوضعه في حجره، فجعل يقبله، فقال له رجل: أتفعل بهذا الصبي هكذا؟ فقال: «إنهما ريحانتاي، وعسى الله عز وجل أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»(١٠).

(١) الشريعة للآجري (٥/ ٢١٤٤) إسناده حسن.
(٢) الأحاديث الواردة بشأن السبطين، ص ٢١١.
(٣) السؤال رقم ١٢٤، المنتخب من العلل للخلال، لابن المقدسي.
(٤) البداية والنهاية (٨/ ٢٠٨).
(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٨٣).
(٦) الأحاديث الواردة بشأن السبطين، ص ٢١٢.
(٧) البخاري رقم ٣٧٥٣.
(٨) صحيح ابن حبان رقم ٦٩٦٤.
(٩) الشريعة للآجري، ص ٢١٥٧.
(١٠) المصدر السابق نفسه، ص ٢١٥٧ إسناده حسن.

خامساً ـ سيادته في الدنيا والآخرة:

أعلن رسول الله ﷺ مكانة الحسن بن علي رضي الله عنهما وبيَّن جلالة قدره، على مرأى ومسمع من الناس في غير ما مرة، وقد تواترت الروايات بقوله ﷺ عن الحسن: «وإن ابني هذا سيد»، قال ابن عبد البر: وتواترت الآثار الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال في الحسن ابن علي: «إن ابني هذا سيد، وعسى الله أن يبقيه حتى يصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[(١)]، ورواه جماعة من الصحابة، وفي حديث أبي بكرة في ذلك: وأنه ريحانتي من الدنيا، ولا أسود ممن سماه رسول الله ﷺ سيداً[(٢)].

وعن أبي بكرة قال: سمعت النبي ﷺ على المنبر، والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[(٣)]، فهذا الحديث فيه منقبة للحسن رضي الله عنه، فقد أخبر النبي ﷺ بأنه سيد. قال ابن الأثير: قيل: أراد به الحليم لأنه قال في تمامه: وإن الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين[(٤)]. وجاء في تحفة الأحوذي: فيه أن السيادة لا تختص بالأفضل، بل هو الرئيس على القوم، والجمع سادة، وهو مشتق من السؤدد، وقيل: من السواد لكونه يرأس على السواد العظيم من الناس: أي الأشخاص الكثيرة، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين تثنية فئة، وهي الفرقة[(٥)].

ووصفه عليه الصلاة والسلام للفئتين بالعظيمتين، كما في راوية عند البخاري[(٦)]، لأن المسلمين كانوا يومئذ فرقتين؛ فرقة مع الحسن رضي الله عنه وفرقة مع معاوية، وهذه معجزة عظيمة من النبي ﷺ حيث أخبر بهذا فوقع مثل ما أخبر، وأصل القضية: أن عليّ بن ابن طالب لما ضربه عبد الرحمن ابن ملجم المرادي يوم الجمعة وليلة السبت، وتوفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين من الهجرة، وبويع لابنه الحسن بالخلافة في شهر رمضان من هذه السنة، وأقام الحسن أياماً مفكراً في أمره، ثم رأى اختلاف الناس فرقة من جهته وفرقة من جهة معاوية ولا يستقيم الأمر، ورأى النظر في إصلاح المسلمين وحقن دمائهم أولى من النظر في حقه؛ سَلَّم الخلافة لمعاوية في الخامس من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وقيل: من ربيع الآخر، وقيل: في غرة جمادى الأولى، وكانت خلافته ستة أشهر إلا أياماً، وسمي هذا العام عام

(١) مسند أحمد (٥/ ٥١)، والبخاري بنحوه (٣/ ٢٤٤).
(٢) الاستيعاب (١/ ٤٣٧).
(٣) البخاري، فضائل الصحابة رقم ٣٧٤٦.
(٤) النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤١٧).
(٥) تحفة الأحوذي (١/ ٢٧٧).
(٦) البخاري، فضائل الصحابة رقم ٣٧٤٦.

الجماعة، وهذا الذي أخبر به النبي ﷺ: «لعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين»[١].

فالحديث فيه علم من أعلام النبوة، ومنقبة للحسن بن علي فإنه ترك الملك لا لقلة ولا لذلة ولا لعلة بل لرغبته فيما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة.

وعن سعيد بن أبي سعيد قال: كنا مع أبي هريرة جلوساً، فجاء الحسن بن علي بن أبي طالب، فسلم علينا، فرددنا عليه، وأبو هريرة لا يعلم فمضى، فقلنا: يا أبا هريرة هذا حسن بن علي قد سلم علينا، فقام فلحقه، فقال: يا سيدي، فقلت له: تقول يا سيدي؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه لسيد[٢]، وعن جابر بن عبد الله أنه قال: من سرّه أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة، فلينظر إلى الحسن بن علي[٣]. وقد نقل إلينا خبر سيادة الحسن والحسين في الجنة جمع غفير من الصحابة، وما ذلك إلا لإعلان رسول الله ﷺ بذلك مرة بعد مرة، أو في محافل جامعة، وممن جاء عنهم، عبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود، وجابر بن عبد الله، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد، وقرة بن إياس، ومالك بن الحويرث، والبراء بن عازب، وأبو هريرة رضي الله عنهم. . . وغيرهم[٤].

سادساً ـ أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامّة ومن كل عين لامّة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال كان النبي ﷺ يُعَوِّذُ الحسن والحسين ويقول: «إنّ أباكما ـ أي: إبراهيم عليه السلام ـ كان يُعَوِّذُ بها إسماعيل وإسحاق، أعوذ بكلمات الله التامّة من كل شيطان وهامّة[٥] ومن كل عين لامّة»[٦]، وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يُعَوِّذُ الحسن والحسين يقول: «أُعِيذُكُما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامّة، ومن كل عين لامّةٍ، ويقول: هكذا كان إبراهيم يُعوِّذُ إسحاق وإسماعيل عليهما السلام»[٧].

وهذا علاج يتفرد به الطب النبوي للأطفال، وهو ركن من أركان المحافظة على صحة الطفل

(١) فتح الباري (١٣/ ٦٦).
(٢) مستدرك الحاكم (٣/ ١٦٩) وقال: صحيح، وأقرّه الذهبي والطبراني رقم ٢٥٩٦، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٧٨): رجاله ثقات.
(٣) صحيح ابن حبان (١٥/ ٤٢١، ٤٢٢)، مناقب الحسن، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية وذكر إسناده وقال: لا بأس به.
(٤) روايات هذه الأحاديث في مجمع الزوائد (٩/ ١٨٣)، والمعجم الكبير (٣/ ٢٤)، الدوحة النبوية الشريفة، ص ٨١.
(٥) هامّة: كل ذات سم يقتل كالحية وغيرها.
(٦) لامّة: هي التي تصيب ما نظرت إليه بسوء، البخاري رقم ٣٣٧١.
(٧) سنن الترمذي رقم ٢٠٦٠ حديث حسن صحيح.

عند رسول الله ﷺ ، وهذا ما فعله ـ ﷺ ـ مع الحسن والحسين[١]، وفي هذا الحديث قيمة رفيعة حيث بيَّن رسول الله ﷺ أهمية دعاء الوالدين لأبنائهم وما فيها من فوائد عظيمة؛ منها: جلب الراحة والطمأنينة والحفظ والبركة للأبناء والآباء من جهة، ومن جانب آخر: صرف الشر عنهم بإذن الله من الحسد والشيطان وهوام الأرض، وفوق هذا كله فإن الدعاء هو مخ العبادة كما قال رسول الله ﷺ ، وفيه شعور بالفقر والالتجاء إلى الله وحده، وهذا من أهم مقاصد الإسلام.

سابعاً ـ الأحاديث التي رواها الحسن بن علي عن رسول الله ﷺ:

إن مما اتفق عليه المسلمون أن أصول العلم والمعرفة التي توصل إلى مرضاة الحق سبحانه وتعالى: القرآن الكريم، وما ثبت من أقوال وأفعال وتقريرات الحبيب المصطفى ﷺ وهذا ما يعرف بالسنة النبوية، وهي لا تُعْرَفُ عبر الحقب والأجيال إلا بالنقل والرواية والأخبار، وقد اتجه أهل العلم والمعرفة إلى ضبط أسماء الرواة ومعرفتهم، ثم البحث عن سيرهم وأحوالهم، ليخلصوا إلى التأكد من أمرين اثنين وإعطاء كل راوٍ قدره في ميزانهما:

١ ـ **العدالة**: وهي استقامة السيرة، وصلاح الحال، والتقصِّي عن المحرمات بعد القيام بالواجبات، والتحلي بالمروءة وارتداء لبوسها السابغ.

٢ ـ **الضبط والإتقان للحديث المروي والنص المنقول**: والوعي والاستيعاب له، حفظاً أو كتابة أو هما معاً، وهذا الذي تقدم حكم عام شامل لجميع الرواة ونقلة السنة النبوية، خلا الصحابة، رضوان الله عليهم، لأنهم حملة الرسالة عن رسول الله ﷺ، وقد رباهم على عينه ونشأهم بكريم رعايته وعميق عنايته.

ولقد كان الأئمة من أهل البيت الكرام، رضوان الله عليهم محلَّ تقدير علماء الحديث والرواية، في الأخذ عنهم ما رووه عن رسول الله ﷺ ، لما تمتعوا به من عدالة وإتقان، وأمير المؤمنين علي رضي الله عنه وابناه الحسن والحسين من جلَّة الصحابة، فهم فوق التعديل والسؤال لكونهم من سادات الصحابة رضي الله عنهم. وأبو الحسن، أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. روى له بقي بن مخلد الأندلسي المتوفى ٢٧٦هـ في مسنده ـ وهو أوسع المسانيد في الإسلام ـ خمسمئة وستة وثمانين حديثاً (٥٨٦)[٢]. وروى له أحمد بن حنبل المتوفى ٢٤١هـ في مسنده المتداول بين أيدينا ثمانمئة وتسعة عشر حديثاً بتكرار الطرق (٨١٩)[٣]. وأخرج له أصحاب الكتب الستة: البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه، ثلاثمئة واثنين

(١) منهج التربية النبوية للطفل، ص ٢٤٨.
(٢) الدوحة النبوية الشريفة، ص ١٣٩ مقدمة مسند بقي بن مخلد، ص ٨٠.
(٣) مسند أحمد (١/ ١٦٤).

وعشرين حديثاً (٣٢٢)[١]، اتفق البخاري ومسلم على عشرين حديثاً منها (٢٠)، وانفرد البخاري بتسعة (٩)، ومسلم بخمسة عشر حديثاً (١٥)، وفي هذه الأحاديث من المضامين والمعاني ما يتعلق بجميع وسائل الحياة: العقائد والأحكام والتفسير وغيرها[٢].

ويعتبر أمير المؤمنين علي أكثر الخلفاء الراشدين رواية لأحاديث رسول الله ﷺ، وهذا راجع إلى تأخر وفاته عن بقية الخلفاء، وكثرة الرواة عنه، وانتشار طلبة العلم من التابعين الذين كانوا يكثرون السؤال، ووقوع الأحاديث التي تقتضي البلاغ والرواية في أمور كثيرة، فنقلوا عنه ما بلغهم بأمانة ونزاهة[٣]، وقد استفاد ابنه الحسن منه استفادة عظيمة، أما من جده ﷺ، فقد توفي ﷺ، والحسن صغير كما هو معلوم، فعقل عن رسول الله ﷺ أحاديث وأموراً ذكرها منسوبة لرسول الله ﷺ، كصغار الصحابة الآخرين، ابن عباس ومحمود بن الربيع، فقد حفظ الحسن عن جده وعن أبيه وأمه، وحدَّث عنه ابنه الحسن بن الحسن، وسويد بن غفلة، وأبو الحوراء السعدي، والشعبي، وهبيرة بن يَرِيم، وأصبغ بن نباتة، والمسيَّبُ بن نجبة[٤]، وقد روى له بقي بن مخلد في مسنده عن رسول الله ﷺ ثلاثة عشر حديثاً (١٣)[٥]، وروى له أحمد في مسنده عشرة أحاديث (١٠)، وله في السنن الأربعة ستة أحاديث[٦]، وهذه الأحاديث منها:

١ ـ عن أبي الحوراء عن الحسن بن علي، قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في قنوت الوتر: «اللهمَّ اهـدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت»[٧]. ونرى هنا كيف حرص سيد البشر على تعليم الحسن محبة الله سبحانه وتعالى وعبوديته ودعاءه والتعلق بالله وحده لا شريك له وهذه هي حقيقة التوحيد الخالص الذي يجب أن يحققه المسلم في حياته ويربي عليه أبناءه.

٢ ـ عن هبيرة قال: خطبنا الحسن بن عليّ ـ بعد قتل علي ـ، فقال: لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأوّلون بعلم، ولا يدركه الآخرون، كان رسول الله ﷺ يبعثه بالراية، جبريل عن يمينه

---

(١) تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للمزي (٧/ ٣٤٦).
(٢) الدوحة النبوية الشريفة، ص ١٤٠.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٤٦).
(٥) تلقيح أهل الأثر في عيون التاريخ والسير لابن الجوزي، ص ٣٦٩.
(٦) مسند أحمد (٣/ ١٦٧) تحقيق: أحمد شاكر، مسند أهل البيت، تحقيق: عبد الله الليثي الأنصاري، ص ٢٥، الدوحة النبوية، ص ١٤٢.
(٧) المصدر السابق نفسه (٣/ ١٦٨) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

وميكائيل عن شماله، لا ينصرف حتى يُفتح له[(١)].

٣ ـ **عن عمرو بن حبشي قال: خطبنا الحسن بن علي بعد قتل علي** فقال: لقد فارقكم رجل بالأمس، ما سبقه الأوّلون بعلم، ولا أدركه الآخرون، إن كان رسول الله ﷺ ليبعثه ويعطيه الراية، فلا ينصرف حتى يفتح له، وما ترك من صفراء ولا بيضاء إلا سبعمئة درهم من عطائه، كان يرصدها لخادم لأهله[(٢)].

٤ ـ **عن محمد بن علي عن الحسن بن علي**: أنـه مرّ بهم جنازة، فقام القوم ولم يَقُمْ، فقال الحسن: ما صنعتم؟ إنما قام رسول الله ﷺ تأذِّياً بريح اليهودي[(٣)].

٥ ـ **عن أبي الحوراء السعدي قال: قلت للحسن بن علي**: ما تذكر من رسول الله ﷺ؟ قال: أذكر أني أخذت تمرة من تمر الصدقة، فألقيتها في فمي، فانتزعها رسول الله ﷺ بلعابي فألقاها في التمر، فقال له رجل: ما عليك لو أكل هذه التمرة؟ قال: «إنا لا نأكل الصدقة»، قال: وكان يقول: «دع ما يَرِيبك إلى ما لا يَرِيبك، فإن الصدق طُمأنينة، وإن الكذب ريبة»، قال: وكان يعلمنا هذا الدعاء: «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شرت ما قضيت، إنه لا يَذِلّ من واليت، وربما قال: تباركت ربنا وتعاليت»[(٤)].

ومن خلال حديث رسول الله ﷺ يتضح أن آل بيت رسول الله ﷺ لا تحل لهم الصدقة، والصدقة نوعان: صدقة الفرض وهي الزكاة، وصدقة التطوع، يقول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] قال المفسرون: هي الزكاة، أي الصدقة المفروضة، وليس هناك خلاف في أن الصدقة بنوعيها لا تحل لرسول الله ﷺ، وصدقة الفرض، كما تحرم عليه ﷺ، تحرم على آله رضوان الله عليهم، ولكن في حرمة صدقة التطوع على آل البيت خلاف، فللشافعي رضي الله عنه فيها قولان، أصحهما بالحرمة، وسبب حرمة الصدقة أو الزكاة على آل البيت الطاهرين أوضحه الحبيب المصطفى ﷺ، في حديث شريف طويل، نأخذ منه قوله عليه الصلاة والسلام: «إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس»[(٥)]، قال الإمام النووي في شرحه لهـذا الحديث في صحيح مسلم: ومعنى أوساخ الناس أنها تطهير لأموالهم ونفوسهم، كما قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، فهي كغسالة

---

(١) مسند أحمد (٣/ ١٦٧، ١٦٨) إسناده صحيح.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) مسند أحمد (٣/ ١٦٧، ١٦٩) إسناده ضعيف لانقطاعه.
(٤) مسند أحمد (٣/ ١٦٧، ١٦٩) إسناده صحيح.
(٥) مسلم رقم ١٠٧٢.

الأوساخ. وفي هذا تنزيه لهم، وإعلاء لمكانتهم، والتنويه بطهارتهم[١]، رضي الله عنهم. ولهذا لم يكونوا يأخذون شيئاً من الصدقات في عهد رسول الله ﷺ، ولا بعد ذلك، وكانوا يأخذون نصيبهم من خمس الغنائم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الأنفال: ٤١]. قال المفسرون: قوله تعالى: ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ أي سهم من الخمس يعطى لرسول الله ﷺ، ولذي القربى. وقد اختلف العلماء في المراد بالآل في الزكاة وفي تحديدهم إلى قولين:

أ ـ ذهب أبو حنيفة ومالك وأحمد في رواية إلى أنهم بنو هاشم فقط وهم آل علي، وآل العباس، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل الحارث بن عبد المطلب، ولم يدخل فيهم أبو لهب فيجوز الدفع إلى بنيه، لأن حرمة الصدقة لبني هاشم كرامة من الله تعالى لهم ولذريتهم حيث نصروا النبي ﷺ في جاهليتهم وإسلامهم، أما أبو لهب فكان حريصاً على أذى رسول الله ﷺ فلم يستحقها بنوه[٢]، وقال بعض علماء الحنابلة: ويدخل فيهم آل أبي لهب لأنهم من سلالة هاشم[٣]، وكيف لا يدخلون وقد أسلم من أبناء أبي لهب عتبة ومعتب يوم الفتح، وسر النبي ﷺ بإسلامهما ودعا لهما، وشهدا معه حنيناً والطائف، ولهم عقب عند أهل النسب[٤].

ب ـ ويرى الشافعي أنهم بنو هاشم وبنو المطلب: واستدل على ذلك بما يلي:

أن النبي ﷺ أعطى سهم ذوي القربى من الخمس لبني هاشم وبني المطلب ولم يعط أحداً من قبائل قريش غيرهم، كما أخرج البخاري من حديث جبير بن مطعم قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله ﷺ، فقلنا: يا رسول الله أعطيت بني المطلب من خمس خيبر وتركتنا، ونحن وهم بمنزلة واحدة؟ فقال النبي ﷺ: «إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد»[٥]. ووجه الدلالة من الحديث: أن بني المطلب مع بني هاشم في سهم ذوي القربى، وهم آله، فدل على أن بني المطلب آله ﷺ أيضاً، وعلى أن الزكاة تحرم عليهم، وأن هذه العطية إنما هي عوض عما حرموه من الصدقة، وبالتالي فإن هذا الحكم «منع الزكاة» يتعلق بذوي القربى، كاستحقاق الخمس، فوجب أن يستوي فيه الهاشمي والمطلبي[٦]، وعن الإمام أحمد في بني المطلب روايتان:

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٧/ ١٨٣ ـ ١٨٧).
(٢) شرح فتح القدير لابن الهمام (٢/ ٢٧٢ ـ ٢٧٤)، المنتقى للباجي (٢/ ١٥٣)، نيل الأوطار (٤/ ١٧٢).
(٣) الإنصاف للمرداوي (٣/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦).
(٤) التبيين في أنساب القرشيين، ص ١٤٣.
(٥) البخاري كتاب فرض الخمس رقم ٣١٤٠.
(٦) معالم السنن للخطابي (٢/ ٧١)، الأم للشافعي (٢/ ٦٩)، المجموع للنووي (٦/ ٢٤٤)، العقيدة في أهل البيت، ص ١٨١.

أحدهما: تحرم عليهم الزكاة لقول النبي ﷺ: «إنا وبنو المطلب لم نفترق في جاهلية ولا إسلام، إنما نحن شيء واحد»(١). وفي لفظ رواه الشافعي في مسنده: «إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين أصابعه»(٢)، ولأنهم يستحقون من خمس الخمس فلم يكن لهم الأخذ من الزكاة كبني هاشم.

ثانيهما: لهم الأخذ منها وفقاً لمذهب أبي حنيفة ومالك لدخولهم في عموم قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦]. لكن خرج بنو هاشم لقوله ﷺ: «إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد»(٣)، فيختص المنع بهم(٤)، وقالوا: إن قياس بني المطلب على بني هاشم غير صحيح؛ لأن بني هاشم أقرب إلى النبي ﷺ وأشرف، وأما مشاركتهم لهم في خمس الخمس فلم يستحقوا ذلك بمجرد القرابة، بل لنصرتهم لرسول الله ﷺ، والنصرة لا تقتضي المنع(٥).

وقد تحدث الفقهاء عن حكم دفع الزكاة إليهم في حال منعهم من خمس الخمس، فإذا لم يعطوا حقهم من خمس الخمس لخلو بيت المال من الفيء أو الغنيمة، أو لاستيلاء الظلمة واستبدادهم بهما، فقد قال بعض العلماء من المتقدمين والمتأخرين أنهم يعطون من الزكاة، فقد روي عن الإمام أبي حنيفة: أنه يجوز الدفع إلى بني هاشم في زمانه، لأن عوضهما وهو الخمس لم يصل إليهم، وإذا لم يصل إليهم العوض «الخمس» عادوا إلى المعوض «الزكاة»(٦)، وقال بعض المالكية: إذا حرموا حقهم من بيت المال وصاروا فقراء جاز أخذهم وإعطاؤهم من الزكاة(٧)، وفي ذلك يقول أبو بكر الأبهري(٨): قد حلت لهم الصدقات فرضها ونفلها(٩)، وقال أبو سعيد الاصطخري من الشافعية: إن منعوا حقهم من الخمس جاز الدفع إليهم، إنما حرموا الزكاة لحقهم في خمس الخمس، فإذا منعوا منه وجب أن يدفع إليهم(١٠)، وذلك لحديث: «إن

---

(١) سنن أبي داود، الإمارة رقم ٢٩٨٠.

(٢) سنن النسائي رقم ٤١٣٧.

(٣) مسلم رقم ١٠٧٢.

(٤) العقيدة في أهل البيت، ص ١٨١.

(٥) المغني لابن قدامة (٤/ ١١١ ـ ١١٢).

(٦) حاشية ابن عابدين (٢/ ٩١).

(٧) بلغة المسالك (١/ ٢٣٢)، حاشية الدسوقي (١/ ٤٥٢ ـ ٤٥٣).

(٨) هو: محمد بن عبد الله بن محمد صالح أبو بكر التميمي شيخ المالكية في العراق توفي ٣٧٥ هـ: انظر: شذرات الذهب (٣/ ٨٥ ـ ٨٦).

(٩) المنتقى للباجي (٢/ ١٥٣).

(١٠) المجموع للنووي (٦/ ٢٤٤ ـ ٢٤٦).

لكم في خمس الخمس ما يكفيكم، أو يغنيكم»(١)، فجعلوا الغنى عن الزكاة بخمس الخمس، فإذا عدم زال الغنى، فخمس الخمس علة لاستغنائهم وشرط لمنعهم، فإذا زال الشرط انتفى المانع، وقال بعض علماء الحنابلة: يجوز الأخذ من الزكاة إذا منعوا من خمس الخمس لأنه محل حاجة وضرورة(٢)، واختاره ابن تيمية(٣).

٦ ـ **حدثنا ربيعة بن شيبان: أنه قال للحسن بن علي**: ما تذكر من رسول الله ﷺ؟ قال: «أدخلني غرفة الصدقة، فأخذت منها تمرة فألقيتها في فمي، فقال رسول الله ﷺ: ألقها فإنها لا تحل لرسول الله ولا لأحد من أهل بيته ـ ﷺ ـ»(٤).

٧ ـ **حدثنا بُريدة بن أبي مريم عن أبي الحوراء قال**: كنا عند حسن بن علي، فسُئِل: ما عَقَلْتَ من رسول الله ﷺ؟ ـ أو عن رسول الله ﷺ ـ قال: كنت أمشي معه فمرَّ على جَرِين من تمر الصدقة، فأخذت تمرة فألقيتها في فمي، فأخذها بلعابي، فقال بعض القوم: وما عليك لو تركتها؟ قال: «إنا آل محمد لا تحلُّ لنا الصدقة»، وعقلت منه الصلوات الخمس(٥).

٨ ـ **عن أيوب بن محمد**: أن الحسن بن علي وابن عباس رأيا جنازة، فقام أحدهما وقَعد الآخر، فقال الذي قام: ألم يَقمْ رسول الله ﷺ؟ وقال الذي قعد: بلى وقعد(٦).

هذه بعض الأحاديث التي رواها الحسن بن علي رضي الله عنهما، عن جده ﷺ، ويعتبر الحسن بن علي رضي الله عنهما من علماء الصحابة المفتين وهو من ضمن الطبقة الثالثة، فقد قسم المحدِّثون علماء الصحابة إلى ثلاث طبقات، وذلك نظراً إلى قلة أو كثرة فتاواهم. قال ابن القيم رحمه الله ـ: كانوا بين مكثر منها ومقل ومتوسط.

أ ـ المكثرون من الفتيا: والذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ مئة ونيف وثلاثون نفساً ما بين رجل وامرأة، وكان المكثرون منهم سبعة: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبد الله ابن عمر، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم: قال أبو محمد بن حزم: ويمكن أن يجمع في فتوى كل واحد منهم سفر ضخم، قال: وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب ابن أمير المؤمنين المأمون فتيا ابن عباس رضي الله عنهما في عشرين كتاباً، وأبو بكر محمد المذكور أحد أئمة الإسلام في العلم والحديث.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣١٣) قال ابن كثير حديث حسن الإسناد.
(٢) الإنصاف للمرداوي (٣/ ٢٥٥)، وكشاف القناع للبهوتي (٢/ ٢٩١).
(٣) الاختيارات (١٠٤)، العقيدة في أهل البيت، ص ١٨٦.
(٤) مسند أحمد (٣/ ١٧٠) إسناده صحيح. قاله أحمد شاكر.
(٥) المصدر السابق نفسه.
(٦) المصدر السابق نفسه (٣/ ١٧١) إسناده صحيح. قاله أحمد شاكر.

ب ـ المتوسطون في الفتيا: قال أبو محمد: والمتوسطون منهم فيما روي عنهم من الفتيا: أبو بكر الصديق، وأم سلمة، وأنس بن مالك، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وعثمان بن عفان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير... إلخ رضي الله عنهم.

ج ـ المقلُّون في الفتيا: والباقون منهم مقلُّون في الفتيا، ولا يروى عن الواحد منهم إلا المسألة والمسألتان والزيادة اليسيرة على ذلك.. وهم: أبو الدرداء، وأبو اليسر، وأبو سلمة المخزومي، وأبو عبيدة بن الجراح، والحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب، والنعمان ابن بشير، وأبي بن كعب، وأبو أيوب، وأبو طلحة، وأبو ذر، وأم عطية، وصفية أم المؤمنين، وحفصة، وأم حبيبة... وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين[١].

ثامناً: صفة رسول الله ﷺ، كما يرويها الحسن بن علي:

١ ـ عن الحسن بن علي عن خاله هند بن أبي هالة قال: كان رسول الله ﷺ متواصل[٢] الأحزان، دائم الفكرة ليست له راحة، طويل السكت لا يتكلم من غير حاجة، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه[٣]، ويتكلم بجوامع الكلم[٤]، كلامه فصل[٥]، لا فضول ولا تقصير، ليس بالجافي[٦] والمهين[٧]، يعظم النعمة وإن دقت[٨]، لا يذم منها شيئاً، غير أنه لم يكن يذم ذواقاً[٩]، ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا ولا مكان لها[١٠]، فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، لا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها وضرب براحته اليمنى بطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح[١١]، وإذا فرح غض طرفه، جُل[١٢] ضحكه التبسم،

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٢، ١٣)، سيرة عائشة، سليمان الندوي، ص ٣٢٧.

(٢) أي: لا ينفك حزن عن حزن يعقبه.

(٣) جمع شدق بالكسر: طرف الفم، أي أنه يستعمل جميع فمه للتكلم ولا يقتصر على تحريك الشفتين كفعل المتكبرين.

(٤) أي: بكلمات قليلة الحروف جامعة لمعانٍ كثيرة، وقيل: الجوامع القواعد الكلية المحتوية على الفروع المتكثرة.

(٥) الفاصل بين الحق والباطل.

(٦) الجافي: الغليظ الطبع، السيئ الخلق، العديم البر.

(٧) المهين: لم يكن غليظ الخلق ولا ضعيفه بل كان معتدلاً من أنواع المهابة والوقار والجلالة.

(٨) صغرت وقلت.

(٩) المأكول والمشروب، فعّال بمعنى المفعول من الذوق.

(١٠) أي: ولا يغضبه أيضاً ما كان له علاقة بالدنيا.

(١١) جد في الإعراض وبالغ فيه.

(١٢) معظمه أو أكثره.

يفتر[١] عن مثل حب الغمام[٢]، وكان فخماً[٣] مفخماً[٤] يتلألأ[٥] وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، مسيح[٦] القدمين ينبو[٧] عنهما الماء، إذا زال زال[٨] قلعاً، يخطو تكفياً[٩]، ويمشي هوناً، ذريع المشية[١٠]، إذا مشى كأنما ينحط من صبب[١١]، وإذا التفت التفت جميعاً[١٢]، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة[١٣]، يسوق أصحابه، يبدأ من لقي بالسلام[١٤].

٢ ـ وعن الحسن بن علي عن الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جاء وصف النبي كالتالي: لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً[١٥]، ولا صخّاباً[١٦] في الأسواق، ولا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح[١٧]. ما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادماً، ولا امرأة، ما رأيته منتصراً من مظلمة ظُلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله تعالى شيء، فإذا انتهك من محارم الله تعالى كان من أشدهم غضباً، وما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما، وإذا دخل بيته كان بشراً من البشر؛ يفلي[١٨] ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه، كان يخزن لسانه إلا فيما يعنيه، ويؤلّفهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس

(١) من افترّ: ضحك ضحكاً حسناً حتى بدت أسنانه من غير قهقهة.
(٢) أي: البرد.
(٣) أي: عظيماً في نفسه.
(٤) أي: المعظم في الصدور والعيون.
(٥) يتلألأ: أي يستنير.
(٦) مسيح القدمين: أملسهما.
(٧) ينبو: يتباعد ويتجافى.
(٨) أي: رفع رجله عن الأرض رفعاً بائناً بقوة لا كمن يمشي اختيالاً ويقارب خطاه تبختراً.
(٩) جملة مؤكدة لما قبلها، وهو بكسر الفاء المشددة بعدها، أي: يمشي مائلاً إلى سنن المشي لا إلى طرفيه، يُقال: يتكفأ؛ أي: يتمايل إلى قدام.
(١٠) أي: سريعها.
(١١) أي: محل منحدر.
(١٢) أي: لا يسارق النظر.
(١٣) وهي مفاعلة من اللحظ وهو النظر باللحاظ، يقال: لحظه ولحظ إليه.
(١٤) مختارات من أدب العرب لأبي الحسن الندوي، ص ١٣.
(١٥) أي: ولا المتكلف به، أي: لم يكن الفحش له خلقياً ولا كسبياً.
(١٦) صاخباً: صيّاحاً.
(١٧) صفح عنه: أعرض عنه وتركه، بابه: فتح.
(١٨) فلى يفلي فلياً رأسه أو ثوبه: نقاهما من القمل.

منهم من غير أن يطوي على أحد منهم بشره[١]، ولا خلقه، ويتفقد[٢] أصحابه ويسأل عما في الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهيه[٣]، معتدل الأمر غير مختلف، ولا يغفل مخافة أن يغفلوا ويملوا، لكل حال عنده عتاد[٤]، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة[٥] ومؤازرة[٦]، لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، يعطي كل جلسائه بنصيبه، لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو فاوضه[٧]، في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، ومن سأله حاجته لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً، وصاروا عنده في الحق سواء، مجلسه مجلس علم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن[٨] فيه الحرم، ولا تنثى[٩] فلتاته[١٠]، متعادلين[١١] يتفاضلون فيها بالتقوى، متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب[١٢].

٣ ـ عن الحسن بن علي، عن الحسين بن علي، عن علي رضي الله عنهم ملتقطاً من جزء الشمائل للترمذي: كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب[١٣]، ليس بفظ[١٤]، ولا غليظ، ولا صخاب ولا فحّاش ولا عياب ولا مشاح[١٥]، يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه،

---

(١) بشره: بكسر الباء؛ طلاقة الوجه وبشاشته.

(٢) يتفقد: يتعرف ويطلب من غاب منهم.

(٣) يوهيه: يضعفه.

(٤) العتاد: هو العدة والتأهب مما يصلح لكل ما يقع، اعتدّ وعتد وأعتِدة.

(٥) المواساة: المداراة، وهي إصلاح أحوال الناس بالمال والنفس.

(٦) المواساة والمؤازرة: المعاونة.

(٧) فاوضه: عامله في حاجة أو خالطه.

(٨) ولا تؤبن: هو العيب والتهمة، أي: لا تقذف ولا تعاب.

(٩) ولا تنثى: لا تشاع ولا تذاع.

(١٠) فلتاته: زلاته ومعائبه على تقدير وجود وقوعها، جمع فلتة.

(١١) متعادلين: متساوين.

(١٢) مختارات من أدب العرب لأبي الحسن الندوي، ص ١٥.

(١٣) أي: سريع العطف، كثير اللطف، جميل الصفح، وقيل: قليل الخلاف، وقيل: كناية عن السكون والوقار والخشوع والخضوع.

(١٤) الغليظ: السيئ الخلق، الخشن الكلام.

(١٥) اسم فاعل من باب المفاعلة من الشح، وهو البخل، وقيل: أشده.

ولا يجيب[١] فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء[٢]، والإكبار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث؛ كان لا يذمّ أحداً ولا يعيبه ولا يطلب عورته. ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، وإذا تكلم أطرق[٣] جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث، ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم[٤]، يضحك مما يضحكون، ويتعجب ممّا يتعجبون، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته حتى إن كان أصحابه يستجلبونهم ويقول: إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فأرفدوه[٥]، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ[٦]، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام، أجود الناس صدراً وأصدق الناس لهجة[٧]، وألينهم عريكة[٨]، وأكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبَّه، ويقول ناعته: لم أرَ قبله ولا بعده مثله ﷺ[٩].

تاسعاً ـ آية التطهير وحديث الكساء:

آية التطهير هي قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وأما حديث الكساء، فقد روت عائشة رضي الله عنها، فقالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحّل[١٠]، فأدخل علياً وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، قال: «﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾» [الأحزاب: ٣٣]، وإن رواية عائشة للحديث يبين لنا كذب من يقول: إن الصحابة يكتمون فضائل علي، فهذه عائشة التي يدعون أنها تبغض علياً هي التي تروي هذا الفضل لعلي وفاطمة[١١] والحسن والحسين رضي الله عنهم.

إن الخطاب في الآيات الكريمة كله لأزواج النبي ﷺ؛ حيث بدأ بهن وختم بهن، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا

---

(١) أي: لا يجيب أحداً فيما لا يشتهي، بل يسكت عنه عفواً وتكرماً.
(٢) الجدال.
(٣) أمالوا رؤوسهم وأقبلوا بأبصارهم إلى صدورهم.
(٤) أي: حديث أفضلهم أو كأول تكلمهم، أي: لا عن ملالة وسآمة.
(٥) الإرفاد: الإعطاء والإعانة.
(٦) أي: من مقارب في مدحه غير مجاوز به عن حد مثله، ولا مقصر به عما رفعه الله إليه من علو مقامه.
(٧) اللسان.
(٨) الطبيعة.
(٩) مختارات من أدب العرب لأبي الحسن الندوي، ص ١٦ نقلاً عن الشمائل للترمذي.
(١٠) كساء من خز أو صوف أو كتان. لسان العرب (٧/ ٤٠١)، والمرحل: نقش فيه تصوير الرحال.
(١١) حقبة من التاريخ، ص ١٨٧.

جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا . . . ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢٨ ـ ٣٤]، فالخطاب كله لأزواج النبي ﷺ، ومعهنّ الأمر والنهي والوعد والوعيد، لكن لما تبين ما في هذا من المنفعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت؛ جاء التطهير بضمير المذكر؛ لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، حيث تناول أهل البيت كلهم، وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أخص من غيرهم بذلك، لذلك خصهم النبي ﷺ بالدعاء لهم، كما أن أهل بيت النبي ﷺ يتعدى علياً والحسن والحسين وفاطمة إلى غيرهم، كما في حديث زيد بن أرقم، وأنه لما قيل له: نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه، ولكن أهل بيته الذين حرموا الصدقة، وهم: آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس(١).

وقد تعمد علماء الشيعة الاثني عشرية اقتطاع آية التطهير من السياق القرآني الذي جاءت فيه، والذي خاطب الله به نساء النبي ﷺ، إغفالاً لنساء النبي ﷺ من الخطاب، ثم ضموا إلى ذلك حديث الكساء الذي رواه مسلم في صحيحه، عن أم المؤمنين عائشة، قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه المرط(٢) المرحّل(٣) من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي، فأدخله، ثم جاء الحسين، فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾.

وحديث أم المؤمنين أم سلمة لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك، وأنت على خير(٤). لتثبيت المعنى الذي يريدونه من الاستدلال بهذه الآية الكريمة(٥)، ويرى علماء الشيعة: أن في آية التطهير دلالة على عصمة أصحاب الكساء علي وفاطمة والحسن والحسين، من الخطايا والذنوب، صغيرها وكبيرها، بل ومن الخطأ والسهو البشري(٦)، ويعتقدون أن الحسن بن علي هو الإمام الثاني المعصوم عندهم.

---

(١) مسلم رقم ١٠٧.
(٢) مرط: يعني كساء. .
(٣) وهو الموشّى المنقوش عليه صور رحال الإبل.
(٤) سنن الترمذي، كتاب المناقب، رقم: ٣٧٨٨.
(٥) ثم أبصرت الحقيقة، ص ١٧٦.
(٦) المصدر السابق نفسه.

إن عصمة الإمامة عند الشيعة الإمامية شرط من شروط الإمامة، وهي من المبادئ الأولية في كيانهم العقدي، ولها أهمية كبرى عندهم، ونتيجة لما أضفاه الشيعة الإماميَّة على أئمتهم من صفات وقدرات ومواهب علمية غير محدودة، ذهبوا إلى أن الإمام ليس مسؤولاً أمام أحد من الناس، ولا مجال للخطأ في أفعاله مهما أتى من أفعال، بل يجب تصديقه والإيمان بأن كل ما يفعله من خير لا شر فيه؛ لأن عنده من العلم ما لا قبل لأحد بمعرفته، ومن هنا قرر الشيعة الإماميَّة للإمام ضمن ما قرروا: العصمة، فذهبوا إلى أن الأئمة معصومون في كل حياتهم لا يرتكبون صغيرة ولا كبيرة، ولا يصدر عنهم أي معصية، ولا يجوز عليهم خطأ ولا نسيان[١]، وقد نقل الإجماع على ذلك شيخهم المفيد، فقال: إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرع وتأديب الأنام معصومون، كعصمة الأنبياء، وأنهم لا يجوز منهم كبيرة ولا صغيرة، وأنه لا يجوز منهم سوء في شيء من الدين، ولا ينسون شيئاً من الأحكام، وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شذَّ منهم، وتعلق بظواهر روايات لها تأويلات على خلاف ظنه الفاسد من هذا الباب[٢]، وقد تحدثت عن هذه العقيدة بنوع من التفصيل في كتابي أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[٣]، فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

وأما حجة الشيعة الإمامية في آية التطهير فنقدها من وجوه:

أ ـ حديث أم سلمة السابق، فقد ورد بعدة صيغ:

فروي عن أم سلمة: أنها قالت: كان النبي ﷺ عندي وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فجعلت لهم خزيرة، فأكلوا وناموا وغطى عليهم عباءة أو قطيفة، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، وفي رواية أخرى: أنه ﷺ أجلسهم على كساء، ثم أخذ بأطرافه الأربعة بشماله، فضمَّه فوق رؤوسهم، وأومأ بيده اليمنى إلى ربه، فقال: «هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، وفي رواية أخرى أنه ﷺ أجلسهم على كساء، ثم أخذ بأطرافه الأربعة بشماله، فضمه فوق رؤوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى ربه، فقال: «هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، وهاتان الروايتان تتفقان مع رواية مسلم عن السيدة عائشة في دخول الخمسة الآية، ولكن هذا لا يحتم عدم دخول غيرهم[٤].

وقد وردت روايات عن أم سلمة فيها زيادات تشير إلى عدم دخولها مع أحاديث الكساء، لا

---

(١) دراسات عن الفرق، د. أحمد جلي، ص ٢٠٣.

(٢) أوائل المقالات للمفيد، ص ٣٥.

(٣) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (٢/ ٣٠٢).

(٤) ثم أبصرت الحقيقة، ص ١٧٧.

يخلو أكثرها من الضعف، لكن صح منها من جملتها هذه الرواية: لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً، فجلّلهم بكساء، وعلي خلف ظهره فجلله بكساء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: «أنت على مكانك وأنت على خير»[(١)].

وهناك رواية هامة جداً رويت بإسناد حسن، تشير إلى أن أم سلمة قد دخلت في الكساء بعد خروج أهل الكساء منه[(٢)]، ولعل التعليل في ذلك: أنه لا يصح أن تدخل أم سلمة مع علي بن أبي طالب تحت كساء واحد؛ فلذلك أدخلها رسول الله ﷺ بعد خروج أهل الكساء منه، فعن شهر قال: سمعت أم سلمة زوج النبي ﷺ حين جاء نعي الحسين بن علي، لعنت أهل العراق، فقالت: قتلوه قتلهم الله، غرّوه وذلّوه لعنهم الله، فإني رأيت رسول الله ﷺ جاءته فاطمة غدية ببرمة قد وضعت فيها عصيدة تحملها في طبق لها، حتى وضعتها بين يديه، فقال لها: «أين ابن عمك؟» قالت: هو في البيت، قال: «اذهبي فادعيه وائتني بابنيه»، قال: فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما بيد، وعلي يمشي في إثرهما، حتى دخلوا على رسول الله ﷺ، فأجلسهما في حجره، وجلس علي على يمينه، وجلست فاطمة على يساره، قالت أم سلمة: فاجتبذ كساء خيبرياً كان بساطاً لنا على المنامة، فلفّه رسول الله ﷺ جميعاً، فأخذ بشماله طرفي الكساء، وألوى بيده اليمنى إلى ربه عز وجل: قال: «اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، قلت: يا رسول الله! ألست من أهلك؟ قال: «بلى، فادخلي في الكساء»، فدخلت في الكساء بعدما قضى دعاءه لابن عمه علي وابنيه وابنته فاطمة[(٣)]، فشهد رسول الله ﷺ لأم سلمة أنها من أهل بيته، وأدخلها في الكساء بعد دعائه لهم[(٤)].

ب ـ ومما يدلُّ على أن الآية ليست دالة على العصمة والإمامة: أن الخطاب في الآيات لأزواج النبي ﷺ حيث بدأ بهن وختم بهنّ:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا

---

(١) فضائل الصحابة (٢/ ٧٢٧) رقم ١٩٩٤، إسناده فيه ضعف وله طرق قوية.
(٢) ثم أبصرت الحقيقة، ص ١٧٧.
(٣) فضائل الصحابة (٢/ ٨٥٢) رقم ١١٧٠، إسناده حسن.
(٤) ثم أبصرت الحقيقة، ص ١٧٨.

كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٨ ـ ٣٤].

فالخطاب كله لأزواج النبي ﷺ، ومعهن الأمر والنهي، والوعد والوعيد، لكن لما تبين ما في هذا من المنفعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بضمير المذكر، لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، حيث تناول أهل البيت كلهم، وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أخص من غيرهم بذلك، لذلك خصهم النبي ﷺ بالدعاء لهم، كما أن زوج الرجل من أهل بيته، وهذا شائع في اللغة كما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك؟ أي: امرأتك ونساؤك، فيقول: هم بخير، وقد قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾ [هود: ٧٣]، والمخاطب بهذه الآية بالإجماع هي سارة زوجة إبراهيم عليه السلام، وهذا دليل على أن زوجة الرجل من أهل البيت(١).

وقوله تعالى: ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾ [القصص: ٢٩]. والمخاطب هنا أيضاً زوجة موسى عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾ [مريم: ٥٤ ـ ٥٥]. فمن أهله الذين كان يأمرهم بالصّلاة؟ وهذا كقوله تعالى مخاطباً النبي ﷺ: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾ [طه: ١٣٢]. ولا شك في دخول زوجاته، أو خديجة رضي الله عنها على أقل تقدير في الأهل، باعتبار أن السورة مكية(٢)، وقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٢٥]، فالمخاطب هنا عزيز مصر، وقولها: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً؟ أي: زوجتك، وهذا بيِّن(٣).

ج ـ إذهاب الرجس لا يعني في لغة القرآن معنى العصمة:

يقول الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن مادة رجس: الرجس: الشيء القذر،

---

(١) الإمامة والنص، فيصل نور، ص ٣٨٦.
(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٣٩١.
(٣) ثم أبصرت الحقيقة، ص ٣٩٣.

قال: رجل رجس، ورجال أرجاس، قال تعالى: ﴿ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [المائدة: ٩٠]. . والرجس من جهة الشرع: الخمر والميسر. . وجعل الكافرين رجساً من حيث إن الشرك بالعقل أقبح الأشياء، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ [التوبة: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يونس: ١٠٠].

قيل: الرجل النتن، وقيل: العذاب، وذلكم كقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ [التوبة: ٢٨]، وقال: أو لحم خنزير؛ فإنه رجس، وبالجملة لفظ: ﴿ ٱلرِّجْسَ ﴾ أصله القذر، يطلق ويراد به الشرك، كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ [الحج: ٣٠]، ويطلق ويراد به الخبائث المحرمة كالمطعومات والمشروبات، ونحو قوله: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [المائدة: ٩٠]، ولم يثبت أن استخدم القرآن لفظ: ﴿ ٱلرِّجْسَ ﴾ بمعنى مطلق الذنب بحيث يكون في إذهاب الرجس عنه إثبات لعصمته(١).

د ـ التطهير من الرجس لا يعني إثبات العصمة لأحد:

فكما أن كلمة ﴿ ٱلرِّجْسَ ﴾ لا يراد بها ذنوب الإنسان وأخطاؤه في الاجتهاد، وإنما يُراد بها القذر والنتن والنجاسات المعنوية والحسية، فإن كلمة التطهير لا تعني العصمة، فإن الله عز وجل يريد تطهير كل المؤمنين وليس أهل البيت فقط، وإن كان أهل البيت هم أولى الناس وأحقهم بالتطهير، فقد قال الله تعالى عن صحابة رسوله: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة: ٦]، وقال عز من قائل: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فكما أخبر الله عز وجل بأنه يريد تطهير أهل البيت، أخبر كذلك بأنه يريد تطهير المؤمنين، فإن كان في إرادة التطهير وقوع للعصمة لحصل هذا للصحابة، ولعموم المؤمنين الذين نصت الآيات على إرادة الله عز وجل تطهيرهم، وقد قال تعالى عن رواد مسجد قباء من الصحابة: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٨]، ولم يكن هؤلاء معصومين من الذنوب بالاتفاق، وقال تعالى عن أهل بدر وهم ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [الأنفال: ١١]، ولم يكن في هذا إثبات لعصمتهم مع أنه لا فرق يذكر في الألفاظ بين قول الله تعالى عن أهل البيت، ليذهب عنكم الرجز أهل البيت ويطهركم تطهيراً، وبين قوله في أهل بدر: ﴿ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾؛ فالرجز

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٨١.

والرجس متقاربان، ويطهركم في الآيتين واحد، لكن الهوى هو الذي جعل من الآية الأولى دليلاً على العصمة دون الأخرى.

والعجيب في علماء الشيعة الإماميَّة: أنهم يتمسكون بالآية ويصرفونها إلى أصحاب الكساء، ثم يصرفون معناها من إرادة التطهير إلى إثبات عصمة أصحاب الكساء، ثم يتناسون في الوقت نفسه آيات أخرى نزلت في إرادة الله عز وجل لتطهير الصحابة، بل هم بالمقابل يقدحون فيهم، ويقولون بانقلابهم على أعقابهم، مع أن الله عز وجل نصَّ على إرادته تطهيرهم بنص الآية[1]: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

ـ الإرادة في الآية إرادة شرعية، وهي غير الإرادة القدرية:

يعني: يحب الله أن يذهب عنكم الرجس، وقد تحدث علماء أهل السنة عن الإرادتين الشرعية الدينية، والإرادة القدرية الكونية، فقالوا:

ـ **إرادة شرعية دينية**: وهي تتضمن معنى المحبة والرضا، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٧ ـ ٢٨].

ـ **إرادة قدرية خلقية**: وهي بمعنى المشيئة الشاملة لجميع الموجودات، وذلك مثل الإرادة في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقوله: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤]، فالمعاصي إرادة كونية قدرية فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها ويسخطها، ويكرهها، ونهى عنها، هذا قول السلف والأئمة قاطبة، فيفرقون بين إرادته التي تتضمن محبته ورضاه، وبين إرادته ومشيئته الكونية القدرية التي لا يلزم منها المحبة والرضا[2]، ولا شك أن الله عز وجل أذهب الرجس عن فاطمة والحسن والحسين وعلى زوجات النبي ﷺ، ولكن الإرادة في هذه الآية إرادة شرعية، ولذلك جاء في الحديث: أن النبي ﷺ لما جللهم بالكساء قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهمَّ أذهب عنهم الرجس»[3].

هـ ـ دعاء النبي ﷺ يحسم القضية:

آية التطهير لو كان فيها ما يدل على وقوع التطهير لأهل الكساء لما قام رسول الله ﷺ بتغطيتهم

(١) ثم أبصرت الحقيقة، ص ١٨٢.
(٢) وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد بن عبد الله، ص ٣٨٧.
(٣) سنن الترمذي، كتاب مناقب أهل البيت، رقم ٣٧٨٧.

بالكساء والدعاء لهم بقوله: «اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس»(١)، بل في هذا دلالة واضحة على أن الآية نزلت في نساء النبي ﷺ، وأن رسول الله ﷺ أراد أن ينال أصحاب الكساء هذا الإخبار الرباني عن التطهير، فجمعهم وجللهم بالكساء ودعا لهم فتقبل الله دعاءه لهم(٢)، فطهَّرهم كما طهر الله نساء النبي بنص الآية(٣).

و ـ من الردود الدالة على عدم دلالة الآية الإمامة والعصمة:

ومنها: أن ما اختص به أمير المؤمنين علي والحسن والحسين رضي الله عنهم من الآية بزعم القوم ثبت للسيدة فاطمة رضي الله عنها، وخصائص الإمامة لا تثبت للنساء، فلو كان هذا دليلاً لكان من يتصف بما في الآية يستحق العصمة والإمامة، وفاطمة رضي الله عنها كذلك وبذات الاعتبار، فدلَّ على أن الآية لا يراد بها الإمامة ولا العصمة، ومنها خروج تسعة من الأئمة المزعومين لعدم شمول الآية لهم، حيث اختصت الآية بثلاثة منهم(٤) وهم:

ـ علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ـ والحسن بن علي رضي الله عنه.

ـ والحسين بن علي رضي الله عنه.

عاشراً ـ آية المباهلة ووفد نصارى نجران:

جاء وفد نجران إلى رسول الله ﷺ.. فقالوا لرسول الله ﷺ: كنا مسلمين قبلكم، فقال النبي ﷺ: «يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير، وزعمكم أن لله ولداً»(٥)، وكثر الجدال والحجاج بينه وبينهم، والنبي ﷺ يتلو عليهم القرآن ويقرع باطلهم بالحجة، وكان مما قالوه لرسول الله ﷺ: مالك تشتم صاحبنا، وتقول: إنه عبد الله؟! فقال: أجل إنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب، فإن كنت صادقاً فَأَرِ مثله؟ فأنزل الله في الرد عليهم قوله سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩ ـ ٦٠]. فكانت حجة دامغة شبّه فيها الغريب بما هو أغرب منه(٦).

---

(١) سنن الترمذي، كتاب مناقب أهل البيت، رقم ٣٧٨٧، صححه الألباني.

(٢) ثم أبصرت الحقيقة، ص ١٨٢.

(٣) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي (٢/ ٣١٤).

(٤) الإمامة والنص، ص ٣٨٧.

(٥) زاد المعاد (٣/ ٦٣٣) سنده فيه ضعف.

(٦) زاد المعاد (٣/ ٦٢٩ ـ ٦٣٨).

فلما لم تُجْدِ معهم المجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة دعاهم إلى المباهلة[١]، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

وخرج النبي ﷺ ومعه الحسن والحسين وفاطمة وقال: «وإذا أنا دعوت فأمِّنوا»[٢]، فائتمروا فيما بينهم، فخافوا الهلاك لعلمهم أنه نبي حقاً، وأنه ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا، فأبوا أن يلاعنوه، وقالوا: احكم علينا بما أحببت، فصالحهم على ألفي حلة، ألف في رجب، وألف في صفر[٣]. وهكذا يتضح المقصد الحقيقي لنزول الآية ومناسبتها، وأنه ليس لها علاقة لا من قريب ولا من بعيد على ما ادَّعاه الشيعة على إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنص، وقد رددت على زعمهم في كتابي (أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه)[٤]، فمن أراد التوسع فليرجع إليه.

الحادي عشر ـ أثـر التربية الأسرية على الحسن بن علي رضي الله عنه:

نشأ الحسن بن علي رضي الله عنه في بيت النبوة، وتربى على يدي جده ﷺ ووالده علي وأمه فاطمة رضي الله عنهما، فأخذ عن جده ووالديه مفاهيم الإسلام، ولهذه النشأة تأثير كبير في بناء وتكوين شخصيته القوية التي التزمت بأوامـر الإسلام، واستقامت على تعاليمه، فالرسول ﷺ يقول: «الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام»[٥]، فمعدن الحسن بن علي نادر الوجود، ولم ينشأ في الجاهلية وإنما نشأ في بيت النبوة، مما جعله يكون سيداً بما تعني هذه الكلمة من معنى، وقد اجتمع للحسن بن علي من أصالة النسب والتربية الأسرية ما لم يجتمع لغيره من الناس:

فجده الحبيب المصطفى ـ ﷺ ـ.

وأبوه علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وأمه فاطمة الزهراء رضي الله عنها.

وجدته لأمه السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

وبعد وفاة رسول الله ﷺ تولى أمير المؤمنين علي تربية الحسن والحسين، وأشرف عليهم

(١) السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٤٧).
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي (٢/ ٣٣٤ إلى ٣٣٦).
(٥) البخاري، رقم ٣٣٨٣.

إشرافاً مباشراً، وكانت شخصية أمير المؤمنين تتوفر فيها شروط الأب المربي، ولا شك أنه فهم واستوعب قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦٦].

ومن الشروط الواجب توافرها في الأب المربي المسؤول ما يلي:

١ ـ الإخلاص والشعور بأهمية القضية والاهتمام بها:

فقد اهتم أمير المؤمنين علي بتربية وتعليم الحسن والحسين أبنائه، وشمَّر عن ساعد الجد، وتعهدهم بالرعاية والاهتمام، وكان هدفه من ذلك رضاء الله وثوابه والتقرب إليه، بتربيته علي أولاده على طاعة الله وهدي نبيه ﷺ.

٢ ـ إعطاء القدوة الحسنة للأبناء:

تعتبر القدوة من أهم وسائل التربية إن لم تكن هي أهمها على الإطلاق، وذلك لوجود تلك الغريزة الفطرية الملحَّة في كيان الإنسان، التي تدفعه نحو التقليد والمحاكاة، خاصة الأطفال الصغار[١]. يقول ابن خلدون: ويبدأ التقليد غايته في سن الخامسة أو السادسة، ويستمر معتدلاً حتى الطفولة المتأخرة[٢]، وكان أمير المؤمنين علي قدوة عظيمة لابنه الحسن، فهو من سادات الصحابة ومن الخلفاء الراشدين، وكان الحسن بن علي يقلد أباه وأمه عن حب عميق.

٣ ـ كان أمير المؤمنين علي رحيماً رفيقاً ليناً في تربيته:

فقد كان أمير المؤمنين متحلِّياً بالرحمة والحلم، وكان رفيقاً وليناً بالحسن والحسين في تربيتهم، ويعرف لهم فضلهم ومكانتهم من رسول الله ﷺ والسيدة فاطمة رضي الله عنها.

٤ ـ التوسُّط في المعاملة والعدل بين الأبناء:

ويظهر هذا الخلق جلياً في وصيته للحسن والحسين عندما أصبح من الدنيا راحلاً ولأصحابه مفارقاً ولكأس المنية شارباً، وقد اتبع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه التوجيهات القرآنية في تربيته وتعليمه وتوجيهه لأبنائه؛ مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٣ ـ ١٤].

والمقصود أن الهدي القرآني اهتم بتذكير الآباء بتربية الأبناء، وحياة أمير المؤمنين علي تطبيق لأوامر الله عز وجل، وابتعاد عن نواهيه، هذه بعض الصفات المهمة في شخصية أمير المؤمنين علي والتي ساعدته في تربية ابنيه الحسن والحسين.

---

(١) مسؤولية الأب، عدنان با حارث، ص ٦٥.

(٢) مقدمة ابن خلدون نقلاً عن موسوعة تربية الأجيال المسلمة، لنصر بن محمد العنقري، ص ٨٦.

الثاني عشر ـ أثر الواقع الاجتماعي على تربية الحسن:

إن البيئة الاجتماعية المحيطة لها دور فعال ومهمّ في صناعة الرجال وبناء شخصيتهم، فالحسن بن علي رضي الله عنه عاش في زمن ساد فيه الصحابة، والرعيل الأول الذي تربى على يدي رسول الله ﷺ، فهيمنت الفضيلة والتقوى والصلاح على ذلك المجتمع الفريد، وكثر الإقبال على طلب العلم والعمل بالكتاب والسنة؛ فهذه الحالة دفعت الحسن بن علي إلى الاستفادة والاقتداء بالمجتمع الذي يعيش فيه، فكان عدد الصحابة الذين استوطنوا المدينة في حياة الرسول كمّاً كبيراً، واستمر عدد كبير في المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وإن مجتمعاً عاش فيه الرسول ﷺ وتربى فيه على يديه النواة الأولى لخير أمة أخرجت للناس، لهو مجتمع لا يدانيه أي مجتمع آخر، فقد شاهد هذا المجتمع الوحي وصاحب الدعوة، ولازم رسول الله ﷺ، فكان لهذه الملازمة والصحبة آثار نفسية ومعانٍ إيمانية وتعلق روحي[١]، فكان هذا المجتمع محل جذب الناس والتأثير فيهم بالسلوك والقول، وإن هذا المجتمع له قوة التأثير في صياغة شخصية الحسن بن علي التربوية والعلمية.

* * *

(١) الإمام الزهري، شرّاب، ص ٢٦.

المبحث الرابع
الحسن بن علي في عهد الخلفاء الراشدين

أولًا ـ مكانة الحسن بن علي في عهد الصديق رضي الله عنه:

كان للحسن والحسين بن علي رضي الله عنهم مكانة مرموقة لدى الصديق، وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم جميعاً، فقد كانوا يحبونهم ويتعاملون معهم بشكل خاص، فبينما كان أبو بكر وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما يمضيان بعد صلاة العصر، فرأى أبو بكر رضي الله عنه الحسن يلعب مع الغلمان، فأخذه أبو بكر فحمله على عنقه وقال:

بأبي شبيه بالنبي ليس شبيهاً بعلي

وعلي يبتسم[١]. وقد تأثر الحسن بن علي بسيرة الصديق حتى إنه سمّى أحد أبنائه باسم أبي بكر، ولا يسمّى أحد من الناس أسماءً على شخص معين إلا نتيجة حب ومعرفة مفصلة بسيرته، وقد تعلم الحسن بن علي من عهد الصديق سواء في حياته أو بعد وفاة أبي بكر أموراً؛ منها:

١ ـ هول فاجعة وفاة الرسول ﷺ وموقف أبي بكر منها:

قال ابن رجب: لما توفي رسول الله ﷺ اضطرب المسلمون، فمنهم من دُهش فخولط، ومنهم من أقعد فلم يُطق القيام، ومن اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية[٢]، وقال ابن إسحاق: ولما توفي رسول الله ﷺ عظمت به مصيبة المسلمين، فكانت عائشة فيما بلغني تقول: لما توفي النبي ﷺ ارتدت العرب واشرأبت اليهودية والنصرانية، ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم[٣].

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: .. واضطربت الحال.. فكان موت النبي ﷺ قاصمة الظهر، ومصيبة العمر، فأما علي فاستخفى في بيت فاطمة، وأما عثمان فسكت، وأما عمر فأهجر، وقال: ما مات رسول الله، وإنما واعده ربه كما واعد موسى، وليرجعن رسول الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم[٤]، ولما سمع أبو بكر الخبر أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنح،

(١) نسب قريش (١/ ٢٣)، البخاري (٥/ ٩٣).
(٢) لطائف المعارف، ص ١١٤.
(٣) سيرة ابن هشام (٤/ ٣٢٣).
(٤) العواصم من القواصم، ص ٣٨.

حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلِّم الناس، حتى دخل على عائشة فتيمَّم رسول الله ﷺ وهو مُغشّى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكبَّ عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي عليك فقد متها[(١)]، وخرج أبو بكر؛ وعمر يتكلم، فقال: اجلس يا عمر، وهو ماضٍ في كلامه، وفي ثورة غضبه، فقام أبو بكر في الناس خطيباً بعد أن حمد الله وأثنى عليه، فقال: أما بعد فإن من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. فنشج الناس يبكون.

وبهذه الكلمات القلائل، واستشهاد الصديق بالقرآن الكريم خرج الناس من ذهولهم وحيرتهم، ورجعوا إلى الفهم الصحيح رجوعاً جميلاً، فالله هو الحي وحده الذي لا يموت، وأنه وحده الذي يستحق العبادة، وأن الإسلام باقٍ بعد موت محمد ﷺ[(٢)]، كما جاء في رواية من قول الصديق: إن دين الله قائم، وإن كلمة الله تامة، وإن الله ناصر من نصره، ومعز دينه، وإن كتاب الله بين أظهرنا وهو النور والشفاء، وبه هدى الله محمداً ﷺ، وفيه حلال الله وحرامه، والله لا نبالي من أجلب علينا من خلق الله، إن سيوفَ الله لمسلولة ما وضعناها بعد، ولنجاهدنّ من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله، فلا يبغين أحد إلا على نفسه[(٣)].

كان موت محمد ﷺ مصيبة عظيمة، وابتلاءً شديداً، ومن خلالها وبعدها ظهرت شخصية الصديق كقائد فذٍّ للأمة لا نظير له ولا مثيل[(٤)]، فقد أشرق اليقين في قلبه، وتجلى ذلك في رسوخ الحقائق فيه، فعرف حقيقة العبودية، والنبوة، والموت، وفي ذلك الموقف العصيب ظهرت حكمته رضي الله عنه، فانحاز بالناس إلى التوحيد: (من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)، وما زال التوحيد في قلوبهم غضاً طرياً، فما إن سمعوا تذكير الصديق لهم حتى رجعوا إلى الحق[(٥)]، تقول عائشة رضي الله عنها: فوالله لكأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه، فتلقاها منه الناس، فما يسمع بشر إلا يتلوها[(٦)].

ولا شك أن هذه الحادثة أخذت مكانها الطبيعي في ذاكرة الحسن بن علي، وأصبحت من

---

(١) البخاري، كتاب المغازي، رقم ٤٤٥٢.
(٢) استخلاف أبي بكر الصديق، جمال عبد الهادي، ص ١٦٠.
(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢١٨).
(٤) دولة ـ مجدي حمدي، ص ٢٥، ٢٦.
(٥) استخلاف أبي بكر الصديق، ص ١٦٠.
(٦) البخاري، رقم ٢٤١، ٢٤٢.

ضمن ثقافته ومعرفته، فقد كان عمر الحسن عندما مضى رسول الله إلى الرفيق الأعلى سبع أو ثماني سنين، وهو طور تنمو فيه مدارك الطفولة، وتكون فيه فكرة الطفل كالعدسة اللاقطة تنقل إلى ذاكرته كثيراً من المشاهدات والصور، والحسن من الأطفال الأذكياء وله من الاستعداد لأن يستوعب مجريات ذلك العهد ويفهم الغايات السامية والأعمال العظيمة، والمواقف المشهودة والقيم الكبرى التي قام بها الصديق، ولقد أثَّرت تلك الأعمال والمواقف على نفسية الحسن، وتملَّك قلبه حبُّ الصديق، وسمّى أحد أبنائه عليه. ومن أهم الدروس التي تعلمها الحسن من وفاة النبي هي: أن البقاء للمبادئ وليست للأشخاص، وأهمية التعلق بالله وحده؛ فهو الباقي وهو النافع والضار وهو على كل شيء قدير.

٢ ـ سقيفة بني ساعدة:

لما علم الصحابة رضي الله عنهم بوفاة رسول الله ﷺ، اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة في اليوم نفسه؛ وهو يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة، وتداولوا الأمر بينهم في اختيار من يلي الخلافة من بعده[١]، والتفَّ الأنصار حول زعيم الخزرج سعد بن عبادة رضي الله عنه، ولما بلغ خبر اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة إلى المهاجرين وهم مجتمعون مع أبي بكر لترشيح من يتولى الخلافة[٢]، قال المهاجرون لبعضهم: انطلقوا بنا إلى إخواننا من الأنصار، فإن لهم في هذا الحق نصيباً[٣]، . . فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مزَّمِّل بين ظهرانيهم، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة، فقلت: ما له؟ قالوا: يُوعَك، فلما جلسنا قليلاً تشهَّد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط، وقد دفت دافة من قومكم[٤]، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر[٥]، فلما سكت أردت أن أتكلم ـ وكنت قد زوَّرتُ مقالة أعجبتني أريد أن أقدّمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحدَّة، فلما أردتُ أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك. فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر، فكان هو أحلم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال بديهة مثلها أو أفضل منها حتى سكت، فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يُعرف هذا الأمر إلا لهذا الحيِّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم ـ

(١) التاريخ الإسلامي (٩/ ٢١).
(٢) عصر الخلافة الراشدة للعمري، ص ٤٠.
(٣) عصر الخلافة الراشدة للعمري، ص ٤٠.
(٤) أي: عند قليل.
(٥) أي: يخرجوننا من أمر الخلافة.

فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا ـ فلم أكره مما قال غيرها، والله أن أقدّم فتضرب عنقي لا يُقرِّبني ذلك من إثم أحب إليَّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تُسوِّل إليَّ نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن. فقال قائل من الأنصار: أنا جُذيلها المحكَّك، وعُذيقُها المرحَّب[١]، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى فرقت من الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده، فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار[٢].

وفي رواية أحمد: فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فلم يترك شيئاً في الأنصار ولا ذكره رسول الله ﷺ من شأنهم إلا ذكره، وقال: ولقد علمت أن رسول الله ﷺ قال: «لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً سلكت وادي الأنصار». ولقد علمت يا سعد[٣]: أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: «قريش ولاة هذا الأمر فَبرُّ الناس تبع لبرِّهم، وفاجر الناس تبع لفاجرهم»، قال: فقال له سعد: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء[٤]..

وكان أبو بكر الصديق زاهداً في الإمارة، وظهر زهده في خطبته التي اعتذر فيها من قبول الخلافة؛ حيث قال: والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة قط ولا كنت فيها راغباً ولا سألتها الله عزَّ وجل في سر وعلانية، ولكني أشفقت من الفتنة، وما لي في الإمارة من راحة ولكن قلدت أمراً عظيماً ما لي به طاقة ولا يد إلا بتقوية الله عز وجل، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني[٥].

وقد قام باستبراء نفوس المسلمين من أي معارضة لخلافته واستحلفهم على ذلك فقال: أيها الناس! اذكروا الله، أيما رجل ندم على بيعتي لما قام على رجليه، فقال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، ومعه السيف، فدنا منه حتى وضع رِجلاً على عتبة المنبر، والأخرى على الحصى وقال: والله لا نقيلك ولا نستقيلك، قدّمك رسول الله فمن ذا يؤخرك[٦]؟!

هذه هي الحقائق التي عرفها وتعلمها الحسن بن علي عن حادثة السقيفة لا كما يدعي مزوِّرو التاريخ، ولم يكن أبو بكر وحده الزاهد في أمر الخلافة والمسؤولية، بل إنها روح العصر ـ

(١) الجزيل: عود ينصب للإبل الجَرْبَى لتحتك به، والمحكك: الذي يحتك به كثيراً، أراد أن يستشفي برأيه، وعذيق النخلة: أي الذي يعتمد عليها.
(٢) البخاري، كتاب الحدود، رقم ٦٨٣٠.
(٣) يعني: سعد بن عبادة الخزرجي رضي الله عنه.
(٤) مسند أحمد (١/ ٥)، صحيح لغيره.
(٥) المستدرك (٣/ ٦٦) قال الحاكم: حديث صحيح، وأقره الذهبي.
(٦) الأنصار في العصر الراشدي، ص ١٠٨، الرياض النضرة (١/ ٢١٦).

ويمكن الرجوع إلى النصوص التي تمّ ذكرها بتوسع في كتابي الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق[١].

ويمكن القول: إن الحوار الذي دار في سقيفة بني ساعدة لا يخرج عن هذا الاتجاه، بل يؤكد حرص الأنصار على مستقبل الدعوة الإسلامية واستعدادهم المستمر للتضحية في سبيلها، فما أن اطمأنوا على ذلك حتى استجابوا سراعاً لبيعة أبي بكر الذي قبل البيعة لهذه الأسباب، وإلا فإن نظرة الصحابة مخالفة لرؤية الكثير ممن جاء بعدهم ممن خالفوا المنهج العلمي، والدراسة الموضوعية، بل كانت دراستهم متناقضة مع روح ذلك العصر، وآمال وتطلعات أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار وغيرهم، وإذا كان اجتماع السقيفة أدى إلى انشقاق بين المهاجرين والأنصار كما زعمه بعضهم[٢]، فكيف قبل الأنصار بتلك النتيجة وهم أهل الديار وأهل العدد والعدة؟ وكيف انقادوا لخلافة أبي بكر ونفروا في جيوش الخلافة شرقاً وغرباً مجاهدين لتثبيت أركانها؟ لو لم يكونوا متحمسين لنصرتها؟ فالصواب اتضح من حرص الأنصار على تنفيذ سياسة الخلافة والاندفاع لمواجهة المرتدين، وأنه لم يتخلَّف أحد من الأنصار عن بيعة أبي بكر فضلاً عن غيرهم من المسلمين، وأن أخوة المهاجرين والأنصار أكبر من تخيلات الذين سطروا الخلاف بينهم في رواياتهم المغرضة[٣]، والتي زعموا أن حادثة السقيفة أثرت في نفسية الحسن بن علي لما رأى من التآمر والمكر والخديعة كما زعم صاحب كتاب حياة الإمام الحسن بن علي[٤].

فالحقيقة التي يعرفها الحسن بن علي رضي الله عنهما: أنه لم يحدث أزمات لا بسيطة ولا خطيرة، ولم يثبت أي انقسام أو فرق لكل منها مرشح يطمع في الخلافة كما زعم بعض كتاب التاريخ الذين اعتمدوا على روايات الإماميَّة، وكتب الأدب، وأكاذيب التاريخ، ولم يثبت النقل الصحيح تآمراً حدث بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة لاحتكار الحكم بعد وفاة رسول الله ﷺ[٥]، فهم كانوا أخشى لله، وأتقى من أن يفعلوا ذلك.

إن الحسن رضي الله عنه حدثنا بأنه عقل الصلوات الخمس في عهد الرسول ﷺ، وكان يتردَّد على مسجد رسول الله، ولا شك في أنه رأى رسول الله ﷺ يقدم أبا بكر على غيره أثناء مرضه ﷺ، وقد علم ببيعة المسلمين لأبي بكر بعد جده، فمعتقد الحسن بن علي رضي الله عنهما في خلافة أبي بكر، معتقد أهل السنة والجماعة القائل بصحة وشرعية خلافة أبي بكر الصديق بعد النبي

---

(١) الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق، ص ١٣٦ إلى ١٨٧.

(٢) انظر: الإسلام وأصول الحكم، محمد عمارة، ص ٧١ إلى ص ٧٤.

(٣) الأنصار في العصر الراشدي.

(٤) انظر: حياة الحسن بن علي، باقر شريف القرشي (١/ ١٢٣ إلى ١٣٩).

(٥) استخلاف أبي بكر، جمال عبد الهادي، ص ٥٠، ٥١، ٥٣.

ﷺ، لفضله وسابقته، وتقديم النبي ﷺ إياه في الصلوات على جميع الصحابة، وقد فهم أصحاب النبي ﷺ مراد المصطفى عليه الصلاة والسلام من تقديمه في الصلاة، فأجمعوا على تقديمه في الخلافة، ومتابعته، ولم يختلف منهم أحد، ولم يكن الرب جلَّ وعلا ليجمعهم على ضلالة، فبايعوه طائعين، وكانوا لأوامره ممتثلين ولم يعارض أحد في تقديمه(١).

فعندما سئل سعيد بن زيد: متى بويع أبو بكر؟ قال: يوم مات رسول الله ﷺ! كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة(٢)، وقد نقل جماعة من أهل العلم المعتبرين إجماع الصحابة ومن جاء بعدهم من أهل السنة والجماعة على أن أبا بكر رضي الله عنه أولى بالخلافة من كل أحد(٣)، كالخطيب البغدادي(٤)، وأبي الحسن الأشعري(٥)، وعبد الملك الجويني(٦)، وأبي بكر الباقلاني(٧)، وقد استوعب الحسن بن علي رضي الله عنهما أسس الخلافة الإسلامية الراشدة، وبأنها تقوم على الشورى، والبيعة، وقد أجمع المسلمون على وجوب الخلافة، وأن تعيين الخليفة فرض على المسلمين، يرعى شؤون الأمة، ويقيم الحدود، ويعمل على نشر الدعوة الإسلامية، وعلى حماية الدين والأمة بالجهاد، وعلى تطبيق الشريعة وحماية حقوق الناس ورفع المظالم، وتوفير الحاجات الضرورية لكل فرد(٨).

هذا وقد قام أهل الحل والعقد في سقيفة بني ساعدة ببيعة الصديق خاصة، ثم رشَّحوه للناس في اليوم الثاني، وبايعته الأمة في المسجد البيعة العامة(٩).

وقد تعلَّم الحسن رضي الله عنه مما دار في سقيفة بني ساعدة مجموعة من المبادئ؛ منها: أن قيادة الأمة لا تقام إلا بالاختيار، وأن البيعة هي أصل من أصول الاختيار وشرعية القيادة، وأن الخلافة لا يتولاها إلا الأصلب ديناً والأكفأ إدارة، فاختيار الخليفة يكون وفق مقومات إسلامية، وشخصية، وأخلاقية، . . وأن الحوار الذي دار في سقيفة بني ساعدة قام على قاعدة الأمن النفسي السائد بين المسلمين؛ حيث لا هرج ولا مرج، ولا تكذيب ولا مؤامرات، ولا نقض

---

(١) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٥٥٠).
(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٢٠٧).
(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (٢/ ٥٥٠).
(٤) تاريخ بغداد (١٠/ ١٣٠ ـ ١٣١).
(٥) الإبانة عن أصول الديانة، ص ٦٦.
(٦) كتاب الإرشاد، ص ٣٦١.
(٧) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص ٦٥.
(٨) الخلافة والخلفاء الراشدون، ص ١٦٣.
(٩) المصدر السابق نفسه، ص ٦٦، ٦٧.

للاتفاق، ولكن تسليم للنصوص التي تحكمهم؛ حيث المرجعية في الحوار إلى النصوص الشرعية[١].

٣ ـ بعض ملامح الحكم في عهد الصديق:

إن الحسن بن علي رضي الله عنه قد استوعب هدي النبي ﷺ وهدي الخلفاء الراشدين، ولذلك نجده عندما تنازل لمعاوية شرط عليه الالتزام بالكتاب والسنة ومنهج الخلفاء الراشدين، وهذا يدلُّنا على أنه على علم ودراية بعهد الصديق رضي الله عنهما، وخطة الصديق عندما تولَّى القيادة تعتبر من عيون الخطب الإسلامية على إيجازها، وقد قرر فيها قواعد العدل والرحمة في التعامل بين الحاكم والمحكوم، وركز على أن طاعة ولي الأمر مرتبة على طاعة الله ورسوله، ونص على الجهاد في سبيل الله لأهميته في إعزاز الأمة، وعلى اجتناب الفاحشة لأهمية ذلك في حماية المجتمع من الانهيار والفساد[٢]، ومن خلال الخطبة، والأحداث التي تمت بعد وفاة رسول الله ﷺ، تعلَّم الحسن بن علي ملامح نظام الحكم في بداية عهد الخلافة الراشدة، والتي من أهمها:

أ ـ القرآن الكريم والسنة النبوية: المرجعية العليا في دولة الصديق رضي الله عنه:

قال أبو بكر رضي الله عنه في خطبته: أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم[٣].

ب ـ حق الأمة في مراقبة الحاكم ومحاسبته: وجاء في خطبته: فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوِّموني[٤].

ج ـ إقرار مبدأ العدل والمساواة بين الناس: وجاء في خطبته أيضاً: الضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله[٥].

د ـ الصدق أساس التعامل بين الحاكم والمحكوم: وجاء في خطبته أيضاً: الصدق أمانة والكذب خيانة[٦]. إن الصدق بين الحاكم والأمة هو أساس التعامل، في العهد الراشدي.

هـ ـ إعلان التمسُّك بالجهاد وإعداد الأمة لذلك: قال أبو بكر رضي الله عنه: وما ترك قوم

(١) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، للشجاع، ص ٢٥٦.
(٢) التاريخ الإسلامي (٩/ ٢٨).
(٣) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٦).
(٤) المصدر السابق نفسه (٦/ ٣٠٥).
(٥) المصدر السابق نفسه.
(٦) المصدر السابق نفسه.

الجهاد في سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل(١)، وهذا ما فهمه الصديق من قول رسول الله ﷺ: إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه، حتى ترجعوا إلى دينكم(٢).

و ـ **تطهير المجتمع من الفواحش**: قال أبو بكر رضي الله عنه: ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمَّهم الله بالبلاء(٣)، والصديق هنا يذكِّر الأمة بقول النبي ﷺ: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا»(٤).

هذه بعض الأهداف التي بينها الصديق في خطابه للأمة بعد البيعة العامة، والذي رسم فيه سياسة الدولة؛ فحدد مسؤولية الحاكم ومدى العلاقة بينه وبين المحكومين، وغير ذلك من القواعد المهمة في بناء الدولة وتربية الشعوب(٥).

٤ ـ مبايعة والد الحسن للصديق رضي الله عنهما:

جاءت روايات صحيحة السند تفيد بأن علياً والزبير رضي الله عنهما بايعا الصديق في أول الأمر، وقد ذكرت تفاصيلها في كتابي: أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(٦)، وقد رأى الحسن والده في مواقفه الداعمة للصديق، فقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لا يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع عنه في جماعة من الجماعات، وكان يشاركه في المشورة، وفي تدبير أمور المسلمين، وكان رضي الله عنه لأبي بكر عيبة نصح(٧) له، مرجحاً لما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين على أي شيء آخر، ومن الدلائل الساطعة على إخلاصه لأبي بكر ونصحه للإسلام والمسلمين، وحرصه على الاحتفاظ ببقاء الخلافة واجتماع شمل المسلمين؛ ما جاء في موقفه من توجه أبي بكر رضي الله عنه بنفسه إلى ذي القصة، وعزمه على محاربة المرتدين، وقيادته للتحركات العسكرية ضدهم بنفسه، وما كان في ذلك من مخاطرة وخطر على الوجود الإسلامي(٨).

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما برز أبو بكر إلى ذي القصة واستوى على راحلته، أخذ

---

(١) المصدر السابق نفسه.
(٢) سنن أبي داود رقم ٣٤٦٢، صححه الألباني.
(٣) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٥).
(٤) صحيح ابن ماجة، للألباني، رقم ٤٠١٩.
(٥) الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، ص ١٨٣.
(٦) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (١/ ١٨٧).
(٧) العيبة: وعاء من خوص ونحوه ينقل فيه الزرع المحصود، ووعاء من أدم يكون فيه المتاع.
(٨) المرتضى للندوي، ص ٩٧.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه بزمام راحلته، فقال: إلىٰ أين يا خليفة رسول الله؟! أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد: لُمَّ سيفك ولا تفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبداً، فرجع[١]، فلو كان علي رضي الله عنه ـ أعاذه الله من ذلك ـ لم ينشرح صدره لأبي بكر، وقد بايعه على رغم من نفسه، فقد كانت هذه فرصة ذهبية ينتهزها علي، فيترك أبا بكر وشأنه، لعله يحدث به حدث فيستريح منه ويصفو له الجو، وإذا كان فوق ذلك ـ حاشاه الله ـ من كراهته له، وحرصه على التخلص منه، أغرى به أحداً يغتاله، كما يفعل السياسيون الانتهازيون بمنافسيهم، وأعدائهم[٢].

وقد كان رأي علي رضي الله عنه مقاتلة المرتدين، وقال لأبي بكر لما قال لعلي: ما تقول يا أبا الحسن؟ قال: أقول: إنك إن تركت شيئاً مما كان أخذه منهم رسول الله، فأنت على خلاف سنة الرسول، فقال: أما لئن قلت ذاك لأقاتلنهم وإن منعوني عقالاً[٣].

ولا شك أن الحسن بن علي سمع والده في مدحه لأبي بكر وعمر؛ مثل قوله: لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري[٤]، وقوله: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر وعمر[٥]؟ وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: خير الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر. وقد روي هذا عنه من طرق كثيرة قيل: إنها تبلغ ثمانين طريقاً[٦]، وعن صلة بن زفر العبسي قال: كان أبو بكر إذا ذكر عند علي قال: السبَّاق تذكرون، والذي نفسي بيده ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقنا إليه أبو بكر[٧].

وقد كان علي رضي الله عنه يمتثل أوامر الصديق؛ فعندما جاء وفد من الكفار إلى المدينة، ورأوا بالمسلمين ضعفاً وقلة لذهابهم إلى الجهات المختلفة للجهاد واستئصال شأفة المرتدين والبغاة الطغاة، وأحس منهم الصديق خطراً على عاصمة الإسلام والمسلمين، أمر الصديق بحراسة المدينة، وجعل الحرس على أنقابها يبيتون بالجيوش، وأمر علياً والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود أن يرأسوا هؤلاء الحراس، وبقوا ذلك حتى أمنوا منهم[٨].

وللتعامل الموجود بينهم وللتعاطف والتوادد والوئام الكامل؛ كان عليّ وهو سيد أهل البيت

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣١٤ ـ ٣١٥).
(٢) المرتضى للندوي، ص ٩٧.
(٣) المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة، للزمخشري، ص ٤٨.
(٤) فضائل الصحابة (١/ ٨٣) في سنده ضعف.
(٥) مسند أحمد (١/ ١٠٦، ١١٠، ١٢٧) صحيح أحمد شاكر.
(٦) منهاج السنة (٣/ ١٦٢).
(٧) الطبراني في الأوسط (٧/ ٢٠٧، ٢٠٨) إسناده ضعيف.
(٨) تاريخ الطبري (٤/ ٦٤)، الشيعة وأهل البيت، ص ٧١.

ووالد سبطي الرسول صلوات الله وسلامه عليه، يتقبل الهدايا والتحف دأب الأخوة المتساورين ما بينهم والمتحابين، كما قبل الصهباء الجارية التي سبيت في معركة عين التمر، وولدت له عمر و رقية[١]، وأيضاً منحه الصديق خولة بنت جعفر بن قيس التي أسرت مع من أسر في حرب اليمامة وولدت له أفضل أولاده بعد الحسن والحسين وهو محمد ابن الحنفية، وكانت خولة من سبي أهل الردة، وبها يعرف ابنها ونسب إليها محمد ابن الحنفية[٢].

يقول الإمام الجويني عن بيعة الصحابة لأبي بكر: وقد اندرجوا تحت الطاعة عن بكرة أبيهم لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وكان علي رضي الله عنه سامعاً لأمره، وبايع أبا بكر على ملأ من الأشهاد، ونهض إلى غزو بني حنيفة[٣].

ووردت روايات عديدة في قبوله هو وأولاده الهدايا المالية والخمس من الغنائم وأموال الفيء من الصديق رضي الله عنهم أجمعين، وكان عليّ هو القاسم والمتولي في عهده على الخمس والفيء، وكانت هذه الأموال بيد علي، ثم كانت بيد الحسن، ثم بيد الحسين، ثم الحسن بن الحسن، ثم زيد بن الحسن[٤].

وكان علي رضي الله عنه يؤدي الصلوات الخمس في المسجد خلف الصديق، راضياً بإمامته، ومظهراً للناس إتفاقه ووئامه معه[٥]، وهذا ما عرفه الحسن بن علي في علاقة والده بالصديق، بالإضافة إلى المصاهرات بين الصديق وأهل البيت، وتسمية أهل البيت بعض أسمائهم باسم أبي بكر، فقد كانت صلة أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ بأعضاء أهل البيت، صلة ودية تقديرية تليق به وبهم، وكانت هذه المودة والثقة متبادلة، وكانت من المتانة بحيث لا يُتصور معها التباعد والاختلاف مهما نسج المتآمرون الأساطير والأباطيل.

فالصديقة عائشة بنت الصديق بنت أبي بكر كانت زوجة جد الحسن بن علي ﷺ، ومن أحب الناس إليه مهما احترق الحساد ونقم المخالفون، فإنها حقيقة ثابتة، وهي طاهرة مطهرة بشهادة القرآن مهما جحدها المبطلون وأنكرها المنكرون، ثم أسماء بنت عميس التي كانت زوجة لجعفر بن أبي طالب شقيق علي، فمات عنها وتزوجها الصديق وولدت له ولداً سماه محمداً الذي ولاه على مصر، ولما مات أبو بكر تزوجها علي بن أبي طالب فولدت له ولداً سماه يحيى[٦]، وكان من

---

(١) الطبقات (٣/ ٢٠) المصدر السابق نفسه.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) الإرشاد للجويني، ص ٤٢٨ نقلاً عن أصول مذهب الشيعة للقفاري.
(٤) الشيعة وأهل البيت، ص ٧٢.
(٥) المصدر السابق نفسه.
(٦) خلافة علي بن أبي طالب، وترتيب وتهذيب كتاب البداية والنهاية، للسُّلمي، ص ٢٢.

أحب أهل البيت للصديق، والتوادد ما بينهم أنهم سموا أبناءهم بأسماء أبي بكر، وهذا دليل على حب ومؤاخاة وإعظام علي للصديق رضي الله عنهما، والجدير بالذكر أنه ولد له هذا الولد بعد تولية الصديق الخلافة والإمامة، بل بعد وفاته كما هو معروف بداهة، وعلي رضي الله عنه لم يسم ابنه بأبي بكر إلا متيمناً بالصديق، وإظهاراً له المحبة والوفاء وحتى بعد وفاته، وإلا فلا يوجد في بني هاشم رجل قبل علي سمى ابنه بهذا الاسم.

ثم لم يقتصر علي بهذا التيمن والتبرك وإظهار المحبة والصداقة للصديق بل بعده بنوه أيضاً مشوا مشيه ونهجوا نهجه، فالحسن والحسين سمَّىٰ كلٌّ واحد منهما أحد أولادهِ بأبي بكر، وحتى اليعقوبي والمسعودي ذكر ذلك، وهما من مؤرخي الشيعة(١)، واستمر أهل البيت يسمون من أسماء أولادهم بأبي بكر، ولا شك أن العلاقة المتينة بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما كان لها أثرها البالغ في نفسية وقلب الحسن بن علي، مما ترتب عليه تقديره للصديق واحترامه ومعرفة فضله ومكانته في الإسلام.

٥ ـ إنفاذ الصديق جيش أسامة رضي الله عنهما:

ومن الأحداث المشهورة في عهد الصديق، والتي لها أثرها الخاص في ثقافة الحسن وجيله: إنفاذ أبي بكر لجيش أسامة بعد وفاة الرسول ﷺ، وإصراره على ذلك تنفيذاً لوصية رسول الله ﷺ، فقد اقترح بعض الصحابة على الصديق رضي الله عنه بأن يُبقي الجيش، فقالوا: إن هؤلاء جل المسلمين، والعرب ـ كما ترى ـ قد انتقضت بك فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين(٢)، وأرسل أسامة من معسكره من الجرف عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي بكر يستأذنه أن يرجع بالناس، وقال: إنَّ معي وجوه المسلمين وجلتهم، ولا آمن على خليفة رسول الله، وحرم رسول الله، والمسلمين أن يتخطفهم المشركون(٣)، وبعد مناقشات ومداولات أمر الصديق بفضِّ الاجتماع الأول، ثم دعاهم إلى اجتماع عام آخر في المسجد، وفي هذا الاجتماع طلب من الصحابة أن ينسوا فكرة إلغاء مشروع وضعه رسول الله بنفسه، وأبلغهم أنه سينفذ هذا المشروع حتى لو تسبب تنفيذه في احتلال المدينة من قبل الأعراب المرتدين؛ فقد وقف خطيباً وخاطب الصحابة(٤) قائلاً: والذي نفس أبي بكر بيده، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبقَ في القرى غيري لأنفذته(٥).

---

(١) تاريخ اليعقوبي (٢/ ٢٢٨).
(٢) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٨).
(٣) الكامل لابن الأثير (٢/ ٢٢٦).
(٤) الشورى بين الأصالة والمعاصرة، ص ٨٣.
(٥) تاريخ الطبري (٤/ ٤٥).

وطلبت الأنصار رجلاً أقدم سناً من أسامة يتولى أمـر الجيش، وأرسلوا عمر بن الخطاب ليحدث الصديق في ذلك، فقال عمر رضي الله عنه: فإن الأنصار تطلب رجلاً أقدم سناً من أسامة رضي الله عنه، فوثب أبو بكر رضي الله عنه وكان جالساً وأخذ بلحية عمر رضي الله عنه وقال: ثكلتك أمك يا بن الخطاب: استعمله رسول الله ﷺ، وتأمرني أن أعزله[١]، . . ثم خرج أبو بكر الصديق حتى أتاهم، فأشخصهم، وشيعهم، وهو ماشٍ، وأسامة راكب، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر رضي الله عنهما، فقال له أسامة رضي الله عنه: يا خليفة رسول الله! والله لتركبن أو لأنزلن. فقال: والله لا تنزل، والله لا أركب. وما عليَّ أن أُغبِّر قدميَّ في سبيل الله[٢]. ثم قال الصديق رضي الله عنه لأسامة رضي الله عنه: إن رأيت تعينني بعمر رضي الله عنه فافعل، فأذن له[٣].

ثم توجه الصديق رضي الله عنه إلى الجيش فقال: يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر، فاحفظوها عني: لا تخونوا ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا[٤]، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منه شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها. وتلقون أقواماً قد فحصوا[٥] أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب، فأخفقوهم[٦] بالسيف خفقاً. اندفعوا باسم الله[٧].

وأوصى الصديق أسامة رضي الله عنهما أن يفعل ما أمر به النبي الكريم قائلاً: اصنع ما أمرك به نبي الله ﷺ؛ ابدأ ببلد قضاعة ثم ائتِ آبل[٨]، ولا تقصِّرن في شيء من أمر رسول الله، ولا تعجلنَّ لما خلَّفت عن عهده[٩]، ومضى أسامة بجيشه وانتهى إلى ما أمر به النبي ﷺ من بث الخيول من قبائل قضاعة، والغارة على آبل، فسَلِم وغنم[١٠]، وكان مسيره ذاهباً وقافلاً أربعين يوماً[١١].

---

(١) المصدر السابق نفسه (٤/ ٤٦).
(٢) المصدر السابق نفسه (٤/ ٤٦).
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) ولا تمثلوا: يقال: مثلت بالحيوان أمثل به مثلاً؛ إذا قطعت أطرافه وشوَّهت به.
(٥) فحصوا: حلقوا.
(٦) فأخفقوهم: من أخفق فلاناً، أي صرعه.
(٧) تاريخ الطبري (٤/ ٤٦).
(٨) آبل: منطقة في جنوب بلاد الأردن اليوم.
(٩) تاريخ الطبري (٤/ ٤٧).
(١٠) المصدر السابق نفسه.
(١١) تاريخ الطبري: (٤/ ٤٧)، تاريخ خليفة بن خياط، ص ١٠١.

وقد قُدِم بنعي رسول الله على هِرَقل وإغارة أسامة في ناحية أرضه خبراً واحداً، فقالت الروم: ما بال هؤلاء؟! يموت صاحبهم ثم أغاروا على أرضنا(١)، وقال العرب: لو لم يكن لهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش(٢)، فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه(٣).

ولقد اختلق بعض الشيعة الإماميَّة حديثاً نسبوه لرسول الله، لا أصل له في كتب السنة فقالوا: بأن رسول الله لعن من تخلف عن جيش أسامة، وهذا الحديث منكر لا أصل له، وهم ما احتجوا بهذا الحديث المختلق إلا ليجعلوا من أبي بكر وعمر أول الملعونين. فقد قالوا: وقد تخلف أبو بكر وعمر عن جيش أسامة! ولم يجد الإماميَّة الحديث مسنداً إلا من طريق منبوذ مجهول لدى الإماميَّة والسنة.

لقد استفاد الحسن بن علي رضي الله عنه وشباب ذلك الجيل من قصة إنفاذ جيش أسامة دروساً وعبراً منها:

أ ـ الأحوال تتغير وتتبدل والشدائد لا تشغل أهل الإيمان عن أمر الدين:

فقد علّم الصديق الأمة إذا نزلت بها الشدة وألمَّت بها المصيبة أن تصبر، فالنصر مع الصبر، وأن لا تيأس ولا تقنط من رحمة الله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]. وليتذكر المسلم دائماً أن الشدة مهما عظمت، والمصيبة مهما اشتدت وكبرت فإن من سنن الله الثابتة: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الانشراح: ٥ ـ ٦]. وإن المسلم لأمره عجيب في هذه الدنيا؛ فقد بين رسول الله ﷺ في قوله: عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له(٤). فالشدائد والمصائب مهما عظمت وكبرت لا تشغل أهل الإيمان عن أمر الدين، فوفاة الرسول الكريم ﷺ لم تشغل الصديق عن أمر الدين، وأمر ببعث أسامة في ظروف كالحة مظلمة بالنسبة للمسلمين، ولكن ما تعلمه الصديق من رسول الله من الاهتمام بأمر الدين مقدَّم على كل شيء، وبقي هذا الأمر حتى ارتحل من هذه الدنيا(٥)، وقد تعلم الحسن بن علي رضي الله عنهما هذا الدرس واستوعبه وعاش به في حياته.

ب ـ المسيرة الدعوية لا ترتبط بأحد، ووجوب اتباع النبي ﷺ:

فقد تعلم الحسن بن علي من قصة إنفاذ جيش أسامة بأن مسيرة الدعوة لم ولن تتوقف، حتى

---

(١) عهد الخلفاء الراشدين للذهبي، ص ٢٠.
(٢) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة، د. فضل إلٰهي، ص ١٤.
(٣) الكامل لابن الأثير (٢/ ٢٢٧).
(٤) مسلم (٤/ ٢٢٩٥).
(٥) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة، ص ٢٤.

بمـوت سيد الخلق، وإمام الأنبياء وقائد المسلمين ﷺ، وقد كان الصديق رضي الله عنه قبل ذلك قد بيَّن في خطبته التي ألقاها إثر بيعته عن عزمه على مواصلة بذل الجهود لخدمة هذا الدين(١)، وقد جاء في رواية قوله: فاتقوا الله أيها الناس، واعتصموا بدينكم وتوكلوا على ربكم فإن دين الله قائم، وإن كلمة الله تامة، وإن الله ناصر من نصره، ومعز دينه، والله لا نبالي من أجلب علينا من خلق الله، إن سيوف الله لمسلولة، وما وضعناها بعد، ولنجاهدنَّ من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله ﷺ، فلا يبغين أحد إلا على نفسه(٢).

ومن الدروس التي استفادها الحسن بن علي من قصة إنفاذ الصديق جيش أسامة رضي الله عنهم: أنه يجب على المسلمين اتباع أمر النبي ﷺ، في السراء والضراء، فقد بيَّن الصديق من فعله أنه عاضٌّ على أوامر النبي ﷺ بالنواجذ ومنفِّذها مهما كثرت المخاوف وشدّت المخاطر؛ فمن أقوال الصديق الخالدة في تلك الحادثة: والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته(٣)، وقدَّم بموقفه هذا صورة تطبيقية لقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقد تعلم المسلمون أن الله تعالى ربط نصر الأمة وعزها باتباع النبي ﷺ، فمن أطاعه فله النصر والتمكين، ومن عصاه فله الذل والهوان، فَسِرُّ حياة الأمة في طاعتها لربها واقتدائها بسنَّة نبيها ﷺ(٤).

ج ـ حدوث الخلاف بين المؤمنين وردُّه إلى الكتاب والسنَّة:

ومما استفاده الحسن بن علي رضي الله عنه من هذه القصة أنه قد يحدث الخلاف بين المؤمنين الصادقين حول بعض الأمور؛ فقد اختلفت الآراء حول تنفيذ جيش أسامة رضي الله عنه في تلك الظروف الصعبة، وقد تعددت الأقوال حول إمارته، ولم يصرّ أحد على رأي بعد وضوح فساده وبطلانه، وعندما ردّ الصديق الخلاف إلى ما ثبت من أمر النبي ﷺ ببعث أسامة، وبيَّن رضي الله عنه أنه ما كان ليفرِّط فيما أمر به رسول الله ﷺ بعدما وضحه لهم الصديق، وكما أنه لا عبرة لرأي الأغلبية إذا كان مخالفاً للنص، فقد رأى عامّة الصحابة حبس جيش أسامة، وقالوا للصديق: إن العرب قد انتقضت عليك، وإنك لا تصنع بتفريق الناس شيئاً(٥)، فأولئك الناس لم يكونوا كعامة الناس، بل كانوا من الصحابة الذين هم خير البشر الذين وجدوا على الأرض بعد الأنبياء والرسل

(١) المصدر السابق نفسه ص ٢٧.
(٢) البداية والنهاية (٥/ ٢١٣، ٢١٤).
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٤٥).
(٤) الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق للصّلاّبي، ص ٢٢٧، قصة جيش أسامة، ص ٢٢٧.
(٥) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٢٧.

عليهم السلام، لكن الصديق رضي الله عنه لم يستجب لهم؛ مبيناً أن أمر الرسول ﷺ أجل وأكرم، وأوجب من رأيهم كلهم[١]، قال الحافظ ابن حجر تعليقاً على رأي الأكثرية، حول وفاته ﷺ: فيؤخذ منه أن الأقل عدداً في الاجتهاد قد يصيب ويخطئ الأكثرية، فلا يتعين الترجيح بالأكثر[٢].

فخلاصة الكلام: إن مما نستفيده من قصة تنفيذ الصديق جيش أسامة رضي الله عنهما: أن تأييد الكثرة لرأي ليس دليلاً على إصابته[٣]، ومما يستفاد من هذه القصة: انقياد المؤمنين وخضوعهم للحق إذا اتضح لهم، فعندما ذكرهم الصديق أن النبي ﷺ قد أمر بتنفيذ جيش أسامة، وهو الذي عين أسامة أميراً على الجيش، انقاد أولئك الأبرار للأمر النبوي الكريم[٤].

د ـ جعل الدعوة مقرونة بالعمل:

فقد تعلم الحسن بن علي رضي الله عنهما من قصة جيش أسامة أهمية جعل الدعوة مقرونة بالعمل، فقد علم أن الصديق لم يقتصر على الإصرار على إمارة أسامة فحسب بل قدم اعترافاً عملياً بإمارته، وقد تجلى ذلك في أمرين:

* **مشى أبو بكر رضي الله عنه مع أسامة رضي الله عنه**، وهو راكب، وقد كان ابن عشرين سنة من عمره، وأصر على المشي مع أسامة رضي الله عنه، كما أصر على بقاء أسامة راكباً لما طلب منه أسامة رضي الله عنه إما أن يركب هو، أو يأذن له بالنزول، فلم يوافق رضي الله عنه لا على هذا ولا على ذاك، وكأن الصديق بمشيه ذلك يخاطب الجيش فيقول: انظروا أيها المسلمون؛ أنا أبو بكر رغم كوني خليفة رسول الله ﷺ أمشي مع أسامة وهو راكب إقراراً وتقديراً لإمارته.

* **كان أبو بكر الصديق يرغب في بقاء عمر بن الخطاب** نظراً لحاجته إليه، لكنه لم يأمره بذلك، بل استأذن من أسامة في تركه إياه بالمدينة إن رأى هو ذلك مناسباً، وبهذا قدَّم الصديق رضي الله عنه صورة تطبيقية أخرى لاعترافه واحترامه لإمارة أسامة رضي الله عنه، وفيها بلا شك دعوة قوية للجيش إلى الإقرار والانقياد لإمارته، وهذا الذي اهتم به الصديق رضي الله عنه من جعل دعوته مقرونة بالعمل هو الذي أمر به الإسلام، ووبّخ الرب عز وجل أولئك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم[٥]، قال تعالى: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

(١) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة، ص ٤٤.
(٢) فتح الباري (٨/ ١٤٦).
(٣) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة، ص ٤٦.
(٤) المصدر السابق نفسه، ص ٥٢.
(٥) المصدر السابق نفسه، ص ٦٦.

هـ ـ مكانة الشباب في الإسلام:

ومما يتجلَّى في هذه القصة كذلك منزلة الشباب العظيمة في خدمة الإسلام، فقد عين رسول الله ﷺ الشاب أسامة بن زيد رضي الله عنهما أميراً على الجيش المعدّ لقتال الروم ـ القوة العظمى في زعم الناس في ذلك الوقت ـ وكان عمره آنذاك عشرين سنة، أو ثماني عشرة سنة، وأقره أبو بكر الصديق رضي الله عنه على منصبه رغم انتقاد الناس، وعاد الأمير الشاب بفضل الله من مهمته التي أسندت إليه غانماً ظافراً، وفي هذا توجيه للشباب في معرفة مكانتهم في خدمة الإسلام[1]. فعلى الدعاة والمربين إعطاء هذا الجانب حقه بالاهتمام، وفتح المجال أمام الطاقات الشابة لكي تبدع في خدمة دينها، وهذه السنة النبوية تجدد الحيوية والنشاط في الأمة، وتساهم في تفجير طاقات خلّاقة تقوم بالدور الحضاري المنوط بالمسلمين.

و ـ صورة مشرقة من آداب الجهاد في الإسلام:

وتعلم الحسن بن علي رضي الله عنهما من قصة بعث أبي بكر لجيش أسامة الصورة المشرقة للجهاد الإسلامي، وقد تجلَّت تلك الصورة المشرقة في وصية أبي بكر الصديق لجيش أسامة عند توديعه إياهم، ولم يكن أبو بكر الصديق رضي الله عنه في وصاياه للجيوش إلا مستناً بسنَّة المصطفى ﷺ؛ حيث كان عليه الصلاة والسلام يوصي الأمراء والجيوش عند توديعهم[2]، ومن خلال الوصية التي جاءت في البحث تظهر الغاية من حروب المسلمين؛ فهي دعوة إلى الإسلام، فإذا ما رأت الشعوب جيشاً يلتزم بهذه الوصايا لا يملك إلا الدخول في دين الله طواعية واختياراً[3].

ز ـ أثر جيش أسامة على هيبة الدولة الإسلامية:

عاد جيش أسامة ظافراً غانماً بعدما أرهب الروم، حتى قال لهم هرقل وهو بحمص بعد ما جمع بطارقته: هذا الذي حذرتكم، فأبيتم أن تقبلوا مني!! قد صارت العرب تأتي مسيرة شهر فتُغِير عليكم، ثم تخرج من ساعتها ولم تُكْلَمْ[4]. وأصاب القبائل العربية في الشمال الرعب والفزع من سطوة الدولة الإسلامية، وكان لهذه الغزوة أثر في حياة المسلمين وفي حياة العرب الذين فكروا في الثورة عليهم، وفي حياة الروم الذين تمتد بلادهم على حدودهم[5]؛ فقد فعل هذا الجيش بسمعته ما لم يفعله بقوته وعدده، فأحجم من المرتدين من أقدم، وتفرق من اجتمع،

---

(١) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة، ص ٧٠.
(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٨٠.
(٣) تاريخ الدعوة إلى الإسلام، ص ٢٦٩.
(٤) ولم تكلم: تصاب بالجروح.
(٥) الصديق ـ لهيكل باشا، ص ١٠٧.

وهادن المسلمين من أوشك أن ينقلب عليهم، وصنعت الهيبة صنيعها قبل أن يصنع الرجال، وقبل أن يصنع السلاح[١]، حقاً لقد كان إرسال هذا الجيش نعمة على المسلمين، إذ أمست جبهة الردة في الشمال أضعف الجبهات، ولعل من آثار هذا أن الجبهة في وقت الفتوحات كان كسرها أهون على المسلمين من كسر جبهة العدو في العراق، كل ذلك يؤكد أن أبا بكر رضي الله عنه كان في الأزمات، من بين جميع الباحثين عن الحل، أثقبهم نظراً، وأعمقهم فهماً[٢]، وقد أثبتت الأحداث تأثر الحسن بن علي بالخلفاء الراشدين في إدارته للأزمات، فكان في خلافته من أعمق الناس فهماً وأبعدهم نظراً وأشدهم حرصاً على وحدة المسلمين.

٦ ـ حروب الردة:

كان رأي الصديق في حرب المرتدين رأياً ملهماً، وهو الرأي الذي تمليه طبيعة الموقف لمصلحة الإسلام والمسلمين، وأي موقف غيره سيكون فيه الفشل والضياع والهزيمة والرجوع إلى الجاهلية، ولولا الله ثم القرار الحاسم من أبي بكر رضي الله عنه في قتال أهل الردة لتغير وجه التاريخ وتحولت مسيرته، ورجعت عقارب الساعة إلى الوراء، ولعادت الجاهلية تعيث في الأرض فساداً[٣]، لقد تجلى فهمه الدقيق للإسلام وشدة غيرته على هذا الدين في قوله: قد انقطع الوحي وتم الدين، أينقص وأنا حي[٤]؟!.

لقد سمع أبو بكر وجهات نظر الصحابة في حرب المرتدين، وما عزم على خوض الحرب إلا أنه كان سريع القرار، حاسم الرأي؛ فلم يتردد لحظة واحدة بعد ظهور الصواب له، وعدم التردد كان سمة بارزة من سمات أبي بكر ـ هذا الخليفة العظيم ـ في حياته كلها[٥]، ولقد اقتنع المسلمون بصحة رأيه ورجعوا إلى قوله واستصوبوه، وأصبح قوله: والله لو منعوني عقالاً[٦] كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه[٧]، من أقواله الخالدة التي حفظها لنا التاريخ ولم تهملها الليالي ولم تفصلها عنا حواجز الزمن ولا أسوار القرون، ولقد استخدم في جهاده للمرتدين دهاء وحنكة سياسية ورؤية استراتيجية واضحة تمثلت في أساليب عدة؛ منها: النفسية، والدعوية، والاستخباراتية، والإعلامية، والعلمية، وتوجهه بجيوشه المظفرة التي قضت على حركة الردة

---

(١) عبقرية الصديق ـ للعقاد ص ١٠٧.
(٢) حركة الردة، د. علي العتوم، ص ١٦٨.
(٣) الشورى بين الأصالة والمعاصرة، ص ٨٦.
(٤) المرتضى لأبي الحسن الندوي، ص ٧٠؛ مشكاة المصابيح (٦٠٣٤).
(٥) الشورى بين الأصالة والمعاصرة، ص ٨٧.
(٦) العقال: هو الحبل الذي يعقل به البعير.
(٧) البخاري رقم ٦٩٢٤.

في جزيرة العرب، ولقد فهم وتعلم الحسن فقه الصديق في التعامل مع المرتدين، ولمس بعض فقه التمكين في جهاده للمرتدين، والتي من أهم معالمه:

ـ استقرار التنظيم الإداري في الجزيرة[١].

ولا شك أن حروب الردة وأسبابها، وفقه الصديق في القضاء عليها أخذت بلباب الحسن بن علي، وشكلت جزءاً من ثقافته سواء عن طريق السماع أو المشاهدة.

ـ كما أن معالم السياسة الخارجية في دولة الصديق كانت واضحة في حسِّ أبناء ذلك الجيل الذي من نوابغه الحسن بن علي رضي الله عنهما، فقد رسمت خلافة الصديق رضي الله عنه أهدافاً في السياسة الخارجية للدولة الإسلامية، والتي كان من أهمها:

ـ بذر هيبة الدولة في نفوس الأمم الأخرى.

ـ العدل بين الأمم المفتوحة والرفق بأهلها.

ـ رفع الإكراه عن الأمم المفتوحة.

ـ مواصلة الجهاد الذي أمر به المولى عز وجل في القرآن.

ـ كما أن معالم التخطيط الحربي عند الصديق أصبحت من ثقافة ذلك الجيل وأدبياته، خصوصاً لإطلاع القيادة الشبابية وعلى رأسهم الحسن بن علي، فقد وضع الصديق مع مستشاريه من الصحابة خطوطاً رئيسة للخطة الحربية التي سار عليها، وقد كانت هذه الخطة المحكمة عاملاً من عوامل نزول النصر والتمكين من الله عز وجل للمسلمين، ومن هذه الخطوط:

ـ عدم الإيغال في بلاد العدو حتى تدين للمسلمين.

ـ التعبئة وحشد القوات.

ـ تنظيم عملية الإمداد للجيوش.

ـ تحديد الهدف من الحرب.

ـ إعطاء الأفضلية لمسارح العمليات.

ـ عزل ميدان المعركة.

ـ التطور في أساليب القتال.

ـ سلامة خطوط الاتصال مع القادة.

ـ ذكاء الخليفة وفطنته[٢]. فقد امتازت الخطط الحربية الإسلامية في بداية الفتوحات بوجود

---

(١) الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر، ص ٣٢٩ إلى ٣٦٥.

(٢) الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر ، ص ٤٥٤ إلى ٤٥.

العقل المدبر، ذي الفطنة والذكاء والكياسة والفراسة، وهو الصديق، وقد ساعد أبو بكر على فهمه الواسع للتخطيط الحربي طول ملازمته للنبي ﷺ، فقد تربى على تعليمه وتوجيهاته.

فكسب علوماً شتى، وخبرات متنوعة، فقام بعد رحيل رسول الله ﷺ في مقام الخلافة خير قيام، فحمل البصيرة الواعية، وزود الجيوش بالنصائح الغالية، وأرسل الإمدادات في أوقاتها تسعف المجاهدين، وتمدهم بالهمة والعزيمة الماضية[١]. إن الحسن بن علي رضي الله عنه تربى على كتاب الله وهدي رسوله، وتشرّب هدى الخلفاء الراشدين المهديين والذين في مقدمتهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

ثانياً ـ في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

كان عمر رضي الله عنـه شديد الإكرام لآل رسول الله ﷺ، وإيثارهم حتى على أبنائه وأسرته، وله في ذلك مواقف كثيرة منها:

١ ـ أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر:

جاء فيما رواه الحسين بن علي رضي الله عنه: إن عمر قال لي ذات يوم: أي بني لو جعلت تأتينا وتغشانا؟ فجئت يوماً وهو خال بمعاوية، وابن عمر بالباب لم يؤذن له، فرجعت فلقيني بعد، فقال: يا بني لم أرك تأتينا؟ قلت: جئت وأنت خال بمعاوية فرأيت ابن عمر رجع، فرجعت، فقال: أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر، إنما أنت في رؤوسنا ما ترى: الله ثم أنتم، ووضع يده على رأسه[٢].

٢ ـ والله ما هنأ لي ما كسوتكم:

روى ابن سعد عن جعفر بن محمد الباقر، عن أبيه علي بن الحسين، قال: قدم على عمر حلل من اليمن، فكسا الناس فراحوا في الحلل، وهو بين القبر والمنبر جالس، والناس يأتونه فيسلمون عليه ويدعون له، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة رضي الله عنها يتخطيان الناس، ليس عليهما من تلك الحلل شيء، وعمر قاطب صَارٌّ بين عينيه ثم قال: والله ما هنأ لي ما كسوتكم، قالوا: يا أمير المؤمنين، كسوت رعيتك فأحسنت، قال: من أجل الغلامين يتخطيان الناس وليس عليهما من شيء؛ كبرت عنهما وصغرا عنها، ثم كتب إلى والي اليمن أن ابعث بحلتين لحسن وحسين وعجل، فبعث إليه بحلتين فكساهما[٣].

---

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية، ص ٣٣٦.
(٢) المرتضى، ص ١١؛ كنز العمال (٧/ ١٠٥)، الإصابة (١/ ١٣٣).
(٣) المرجع السابق نفسه؛ الإصابة (١/ ١٠٦).

٣ ـ تقديم الحسن والحسين وبني هاشم في العطاء:

عن أبي جعفر: أنه لما أراد عمر أن يفرض للناس بعدما فتح الله عليه، وجمع ناس من أصحاب النبي ﷺ، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: ابدأ بنفسك، فقال: لا والله بالأقرب من رسول الله ﷺ، ومن بني هاشم رهط رسول الله ﷺ، وفرض للعباس، ثم لعلي، حتى والى ما بين خمس قبائل، حتى انتهى إلى بني عدي بن كعب، فكتب: من شهد بدراً من بني هاشم، ثم من شهد بدراً من بني أمية بن عبد شمس، ثم الأقرب، فالأقرب ففرض الأعطيات لهم[(١)]، وألحق الحسن والحسين بفريضة أبيهما مع أهل بدر لقرابتهما من رسول الله ﷺ؛ ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف درهم[(٢)]. وفي هذه القصة تظهر حقيقة محبة عمر لآل البيت عموماً، والحسن والحسين خصوصاً، حيث خصهم بأن جعلهم مع الطبقة الأولى من سادات الصحابة في العطاء وما ذلك إلا محض المحبة لهما، وتقديراً لهما من مكانتهما من رسول الله ﷺ.

٤ ـ معاملة عمر بن الخطاب للسيدة فاطمة والدة الحسن رضي الله عنهما بعد وفاة رسول الله ﷺ:

عن أسلم العدوي قال: لما بويع لأبي بكر بعد النبي ﷺ، كان علي والزبير بن العوام يدخلان على فاطمة فيشاورانها، فبلغ عمر فدخل على فاطمة، فقال: يا بنت رسول الله! ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك، وما أحد من الخلق بعد أبيك أحب إلينا منك، وكلَّمها، فدخل علي والزبير على فاطمة فقالت: انصرفا راشدين، فما رجعا إليها حتى بايعا[(٣)]، وهذا هو الثابت الصحيح، والذي مع صحة سنده ينسجم مع روح ذلك الجيل وتزكية الله له.

وقد زاد رواة الشيعة الإماميَّة في هذه الرواية واختلقوا إفكاً وبهتاناً وزوراً، وقالوا بأن عمر قال: إذا اجتمع عندك هؤلاء النفر أحرق عليهم هذا البيت، لأنهم أرادوا شق عصى المسلمين بتأخرهم عن البيعة، ثم خرج عنها، فلم يلبث أن عادوا إليها، فقالت لهم: تعلمون أن عمر جاءني وحلف بالله لأن أنتم عدتم إلى هذا البيت ليحرقنه عليكم، وايم الله إنه ليصدقن فيما حلف عليه، فانصرفوا عني فلا ترجعوا إليّ، ففعلوا ذلك، ولم يرجعوا إليها إلا بعدما بايعوا[(٤)].

وهذه القصة الباطلة لم تثبت عن عمر رضي الله عنه، ودعوى أن عمر رضي الله عنه همّ بإحراق بيت فاطمة، من أكاذيب الإماميَّة، وقد أوردها مع أكاذيب أخرى الطبرسي في كتابه: دلائل

---

(١) الخراج لأبي يوسف، ص ٢٤، ٣٥؛ المرتضى، ص ١١٨.
(٢) تاريخ دمشق الكبير (١٤/ ٦).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة، المصنف (١٤/ ٥٦٧) إسناده صحيح.
(٤) عقائد الثلاثة والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني (١/ ١٤٠).

الإمامة[١]، عن جابر الجعفي، وهو رافضي كذاب باتفاق أئمة الحديث كما في الميزان للذهبي[٢]، وتهذيب التهذيب[٣].

وزعم بعض الإماميَّة أن عمر ضرب فاطمة حتى أسقط ولدها محسناً وهو في بطنها، وهذه من الأكاذيب الإماميَّة التي لا أساس لها من الصحة، وما علموا أنهم يطعنون في علي رضي الله عنه؛ وذلك باتهامه بالجبن والسكوت عن عمر وهو من أشجع أصحاب النبي ﷺ[٤]، بل إن بعض عقلاء الشيعة أنكر صحة هذا الهذيان والزور[٥]. علماً بأن محسن ولد في حياة النبي ﷺ كما ثبت ذلك بالرواية الصحيحة في مسند الإمام أحمد كما سبق.

٥ ـ زواج عمر من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب:

كان عمر يكن لأهل البيت محبة خاصة لا يكنها لغيرهم لقرابتهم من رسول الله ﷺ، ولما أوصى به رسول الله ﷺ من إكرام أهل البيت ورعاية حقوقهم، فمن هذا الباعث خطب عمر أم كلثوم ابنة علي وفاطمة رضوان الله عليهم، وتودَّد إليه في ذلك قائلاً: فوالله ما على الأرض رجل يرصد من حسن صحبتها ما أرصده، فقال علي: قد فعلتُ، فأقبل عمر إلى المهاجرين، وهو مسرور قائلاً: رفئوني.. ثم ذكر أن سبب زواجه منها ما سمعه من النبي ﷺ: «كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا ما كان من سببي ونسبي»، فأحببت أن يكون بيني وبين رسول الله ﷺ سبب[٦]، وقد قام الأستاذ أبو معاذ الإسماعيلي في كتابه (زواج عمر بن الخطاب من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب حقيقة وليس افتراء) بتتبع مراجع ومصادر الشيعة وأهل السنة فيما يتعلق بهذا الزواج الميمون، وقد ذكرت شيئاً من سيرتها ومواقفها في حياتها في عهد الفاروق في كتابي (فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب، شخصيته وعصره).

٦ ـ في غنائم المدائن:

عندما فتحت المدائن[٧]، عام ١٦هـ جاءت الأموال منها، فقام عمر رضي الله عنه بإعطاء

---

(١) دلائل الإمامة، ص٢٦ نقلاً عن عقائد الثلاثة والسبعين (١/ ١٤٠).
(٢) الميزان للذهبي (١/ ٢٧٩).
(٣) تهذيب التهذيب (٢/ ٤٧).
(٤) حقبة من التاريخ، ص٢٢٤.
(٥) مختصر التحفة الاثني عشرية، ص٢٥٢.
(٦) إسناده حسن، أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٤٢) صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقال الذهبي متعقباً: منقطع؛ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٧٣) وقال: أورده الطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير الحسن بن سهل، وهناك من ضعفه.
(٧) المدائن: بلدة بينها وبين بغداد ستة فراسخ، فتحت على يد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

الحسن والحسين رضي الله عنهما ألف درهم لكل واحد منهم، وأعطى ابنه عبد الله خمسمئة[١]، وفي هذه الحادثة تأكيد على محبة عمر للحسن والحسين وتقديمه لهما.

*** تأثر الحسن بن علي بالفقه الراشدي للفاروق:**

قامت دولة الفاروق على فقه الخلافة الراشدة، وكان ـ بعد الله وتوفيقه ـ لعبقرية الفاروق أثر في تطوير مؤسسات الدولة والاجتهاد في النوازل الفقهية، وإدارة الأزمات، ومما ساعد على تأثر الحسن بن علي بثقافته، وأدبيات عهد الفاروق؛ قرب والده أمير المؤمنين علي من الفاروق؛ فقد كان علي رضي الله عنه عضواً بارزاً في مجلس شورى الدولة العمرية، بل كان هو المستشار الأول، فقد كان عمر رضي الله عنه يعرف لعلي فضله، وفقهه، وحكمته، وكان رأيه فيه حسناً، فقد ثبت قوله فيه: أقضانا علي[٢]، وكان لعلي اجتهادات في الأمور القضائية والمالية والإدارية في عهد الفاروق أخذ بها أمير المؤمنين عمر، وكان الفاروق يستشير عليّاً في الأمور الكبيرة منها والصغيرة، وقد استشاره حين فتح المسلمون بيت المقدس، وحين فتحت المدائن، وعندما أراد عمر التوجه إلى نهاوند وقتال الفرس، وحين أراد أن يخرج لقتال الروم، وفي موضع التقويم الهجري وغير ذلك من الأمور[٣].

وكان علي رضي الله عنه طيلة حياة عمر مستشاراً ناصحاً لعمر محباً له خائفاً عليه، وكان عمر يحب علياً، وكانت بينهما مودة ومحبة وثقة متبادلة، ومع ذلك يأبى أعداء الإسلام إلا أن يزوروا التاريخ، ويقصوا بعض الروايات التي تناسب أمزجتهم ومشاربهم، ليصوروا لنا فترة الخلفاء الراشدين عبارة عن: أن كل واحد منهم كان يتربص بالآخر الدوائر لينقضّ عليه، وكل أمورهم كانت تجري من وراء الكواليس[٤]!! إن من أبرز ما يلاحظه المتأمل في خلافة عمر تلك الخصوصية في العلاقة وذلك التعاون المتميز الصافي، بين عمر وعلي رضي الله عنهما، فقد كان علي هو المستشار الأول لعمر في سائر القضايا والمشكلات، وما اقترح علي على عمر رأياً إلا واتجه عمر إلى تنفيذه عن قناعة، وكان علي رضي الله عنه يمحضه النصح في كل شؤونه وأحواله[٥]، فلا شك أن تلك العلاقة بين علي وعمر رضي الله عنهما لها انعكاساتها الثقافية والعلمية والتربوية على الحسن وأبناء ذلك الجيل.

والمواقف التي تدل على قوة العلاقة بين عمر وعلي كثيرة؛ منها:

---

(١) مقامات العلماء للغزالي، ص ١٦١.
(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ١١٠٢.
(٣) علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين، ص ٩٩.
(٤) المصدر السابق نفسه، ص ٩٩.
(٥) فقه السيرة النبوية للبوطي، ص ٥٢٩.

*** كساني هذا الثوب أخي وخليلي:**

خرج علي وعليه برد عدني فقال: كساني هذا الثوب أخي وخليلي وصفيي وصديقي أمير المؤمنين عمر[(١)]، وفي رواية: عن أبي السفر قال: رؤي على علي بن أبي طالب رضي الله عنه برد كان يكثر لبسه، قال: فقيل: يا أمير المؤمنين! إنك لتكثر لبس هذا البرد؟ فقال: نعم، إن هذا كسانيه خليلي وصفيي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ناصح الله فنصحه، ثم بكى[(٢)] ومن هذه القصص وأمثالها عرف الحسن حقيقة محبة علي وأهل البيت لعمر، ومحبة عمر لهم.

*** ما قاله علي في عمر بعد استشهاده:**

قال ابن عباس كما في صحيح البخاري: وُضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون، قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل أخذ منكبي، إذا علي بن أبي طالب، فترحَّم على عمر وقال: ما خلفت أحداً أحب إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أني كنت كثيراً ما أسمع النبي ﷺ يقول: «ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر»[(٣)].

*** إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله، فأنا أكرهه لذلك:**

لما فرغ علي من وقعة الجمل، ودخل البصرة، وشيَّع أمَّ المؤمنين عائشة لما أرادت الرجوع إلى مكة، سار من البصرة إلى الكوفة، فدخلها يوم الإثنين، لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين، فقيل له: انزل بالقصر الأبيض، فقال: لا إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله فأنا أكرهه لذلك، فنزل في الرحبة، وصلى في الجامع الأعظم ركعتين[(٤)].

*** حب أهل البيت لعمر رضي الله عنه:**

إن من دلالة محبة أهل البيت لعمر رضي الله عنه تسمية أبنائهم باسمه حباً وإعجاباً بشخصيته، وتقديراً لما أتى به من الأفعال الطيبة والمكارم العظيمة، ولما قدَّم إلى الإسلام من الخدمات الجليلة، وإقراراً بالصلات الودية الوطيدة التي تربطه بأهل بيت النبوة، والرحم والصهر القائم بينه وبينهم، فأول من سمى ابنه باسمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سمى ابنه من أم حبيب بنت ربيعة البكرية عمر[(٥)]، وقد جاء في كتاب صاحب الفصول، تحت ذكر أولاد

---

(١) المختصر من كتاب الموافقة، ص ١٤٠.
(٢) المصنف لابن أبي شيبة (١٢/ ٢٩).
(٣) البخاري، رقم ٣٦٨٥.
(٤) تاريخ الخلافة الراشدة، محمد كنعان، ص ٣٨٣.
(٥) تاريخ اليعقوبي (٢/ ٢١٣)؛ الشيعة وأهل البيت، ص ١٣٣.

علي بن أبي طالب: وعمر من التغلبية؛ وهي الصهباء بنت ربيعة من السبي الذي أغار عليهم خالد بن الوليد بعين التمر، وعمّر عمر هذا حتى بلغ خمساً وثمانين سنة، فحاز نصف ميراث علي رضي الله عنه، وذلك أن جميع إخوته وأشقائه؛ وهم: عبد الله وجعفر وعثمان قتلوا جميعهم قبله مع الحسين رضي الله عنهم ـ يعني: أنه لم يقتل معهم ـ بالطف فورثهم[١]، هذا وتبعه الحسن في ذلك الحب لعمر بن الخطاب رضي الله عنهم فسمّى أحد أبنائه عمر أيضاً[٢]، وكذلك الحسين بن علي سمّى عمر، ومن بعد الحسين ابنه علي الملقب بزين العابدين سمّى أحد أبنائه باسم عمر[٣]، وكذلك موسى بن الصادق الملقب بالكاظم سمَّى أحد أبنائه باسم عمر[٤]، فهؤلاء الأئمة من أهل البيت الذين ساروا على هدي النبي ﷺ، ومعالم منهج أهل السنة والجماعة بسيرته العطرة يظهرون لعمر الفاروق ما يكنونه في صدورهم من حبهم وولائهم له بعد وفاته بمدة، وقد جرى هذا الاسم وكذلك أبو بكر وعثمان في ذرية أهل البيت ممن ساروا على مذهب الحق، وهو منهج أهل السنة والجماعة إلى يومنا هذا، ونجد أسماء الصحابة وأمهات المؤمنين في البيوت الهاشمية التي التزمت بالكتاب والسنة، فقد سموا: طلحة، وعبد الرحمن، وعائشة، وأم سلمة. ونحن ندعو الشيعة اليوم، الاقتداء بعلي والحسن والحسين وسائر الأئمة من آل البيت، فيحبون أنصار دين الله وأصحاب رسوله، فيسمون بعض أبنائهم وبناتهم بأسماء الخلفاء الراشدين، وأمهات المؤمنين[٥] . . . نرجو ذلك.

*** قول عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في عمر:**

عن حفص بن قيس، قال: سألت عبد الله بن الحسن عن المسح على الخُفَّين، فقال: أمسح، فقد مسح عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: فقلت: إنما أسألك: أنت تمسح؟ قال: ذاك أعجز لك، أخبرك عن عمر وتسألني عن رأيي، فعمر كان خيراً مني ومن ملء الأرض. فقلت: يا أبا محمد، فإن أناساً يزعمون أن هذا منكم تقية، قال: فقال لي ـ ونحن بين القبر والمنبر ـ: اللهم إن هذا قولي في السر والعلانية، فلا تسمعنّ عليَّ قول أحد بعدي. ثم قال: من هذا الذي يزعم أن علياً رضي الله عنه كان مقهوراً، وأن رسول الله ﷺ أمره بأمر ولم ينفذه. وكفى بإزراء على علي ومنقصة أن يزعم أن رسول الله ﷺ أمره بأمر ولم ينفذه[٦].

---

(١) الفصول المهمة، ص ١٤٣؛ الشيعة وأهل البيت، ص ١٣٣.
(٢) الشيعة وأهل البيت، ص ١٣٣.
(٣) المصدر السابق نفسه، ص ١٣٤.
(٤) المصدر السابق نفسه، ص ١٣٥.
(٥) اذهبوا فأنتم الرافضة، عبد العزيز الزبيري، ص ٢٣٠.
(٦) النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب، لمحمد عبد الواحد المقدسي، ص ٥٧.

ثالثاً ـ في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

كان ذو النورين على صلة وثيقة بالدعوة الإسلامية من سنتها الأولى، فلم يفته من أخبار النُّبوَّة الخاصَّة والعامَّة في حياة النبي ﷺ، ولم يفته شيء بعدها من أخبار الخلافة في حياة الشيخين، ولم يفته بعبارة أخرى شيء مما نسمّيه اليوم بأعمال التأسيس في الدولة الإسلامية، وكان المنهج التربوي الذي تربى عليه عثمان بن عفان، وكل الصحابة الكرام القرآن الكريم، المنزل من عند رب العالمين، كما أن الرافد القوي الذي أثر في شخصية عثمان بن عفان، وصقل مواهبه، وفجر طاقته، وهذب نفسه هو مصاحبته لرسول الله ﷺ، وتتلمذه على يديه في مدرسة النبوة، ذلك: أن عثمان رضي الله عنه لازم الرسول ﷺ في مكة بعد إسلامه كما لازمه في المدينة بعد هجرته، فقد نظم عثمان نفسه، وحرص على التلمذة في حلقات مدرسة النبوة في فروع شتى من المعارف والعلوم على يدي معلم البشرية، وهاديها، والذي أدبه ربُّه، فأحسن تأديبه.

ولم يكن عثمان بن عفان رضي الله عنه ممن تخلَّفوا عن بدر لتقاعس منه، أو هروب ينشده، كما يزعم أصحاب الأهواء ممن طعن عليه في تغيبه عن بدر، فهو لم يقصد مخالفة الرسول ﷺ، لأن الفضل الذي حازه أهل بدر في شهود بدر طاعة الرسول ومتابعته، وعثمان رضي الله عنه، خرج فيمن خرج مع الرسول ﷺ، فرده ﷺ للقيام على ابنته رقية التي اشتد بها المرض وماتت بسبب ذلك، فكان عثمان في أجلِّ فرض لطاعته لرسول الله ﷺ، وتخلفه، وقد ضرب له بسهمه، وأجره، وشاركهم في الغنيمة والفضل والأجر لطاعته المولى عز وجل ورسوله، وانقياده لهما.

وفي الحديبية: ذكر المحب الطبري اختصاص عثمان بعدة أمور، منها: اختصاصه بإقامة يد النبي ﷺ الكريمة مقام يد عثمان لما بايع الصحابة، وعثمان غائب، واختصاصه بتبليغ رسالة رسول الله ﷺ إلى من بمكة أسيراً من المسلمين، وذكر شهادة النبي ﷺ في عثمان بموافقته في ترك الطواف لما أرسله في تلك الرسالة[١].

وفي فتح مكة: قبل رسول الله ﷺ شفاعة عثمان بن عفان في عبد الله بن أبي السرح في فتح مكة[٢].

ومن حياة عثمان رضي الله عنه الاجتماعية في المدينة: زواجه من أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ بعد وفاة رقيَّة بنت رسول الله، ووفاة عبد الله بن عثمان، ثم وفاة أمِّ كلثوم رضي الله عنها.

ومن مساهمته الاقتصادية في بناء الدولة: شراء بئر رومة بعشرين ألف درهم، وجعلها عثمان رضي الله عنه للغني والفقير وابن السبيل، وتوسعة المسجد النبوي، وإنفاقه الكبير على جيش

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة، ص ٤٩٠، ٤٩١.
(٢) أضواء البيان في تاريخ القرآن، لصابر أبو سليمان، ص ٧٩.

العسرة، وقد وردت أحاديث كثيرة في فضله مع غيره، ومنها ما ورد في فضله وحده، وقد أخبر رسول الله ﷺ عن الفتنة التي يقتل فيها عثمان، وكان رضي الله عنه من الصحابة وأهل الشورى الذين يؤخذ رأيهم في أمهات المسائل في عهد الصديق، فهو ثاني اثنين في الحظوة عند الصديق، فعمر بن الخطاب للحزم والشَّدائد، وعثمان للرِّفق والأناة، وكان عمر وزير الخلافة الصديقية، وكان عثمان أمينها العام، وكاتبها الأكبر، وكان رضي الله عنه ذا مكانة عند عمر، فكانوا إذا أرادوا أن يسألوا عمر عن شيء رموه بعثمان وبعبد الرحمن بن عوف، وكان عثمان يسمّى الرَّديف ـ والرَّديف بلسان العرب: هو الذي يكون بعد الرّجل ـ والعرب تقول ذلك للرّجل الذي يرجونه بعد رئيس، وكانوا إذا لم يقدر هذان على عمل شيء، ثلثوا بالعبَّاس(١).

وكان الحسن بن علي رضي الله عنه في عهد عثمان في عز الشباب وعنفوانه، فقد كان في سن يسمح لصاحبها أن يستوعب ما يدور حوله، ويتعلم من الأحداث ومن سياسة الخليفة الراشد عثمان ومن حوله من أصحاب رسول الله ﷺ.

ومن أهم الدروس التي استوعبها الحسن بن علي هي:

١ ـ الفقه العمري في الاستخلاف:

استمرّ اهتمام الفاروق رضي الله عنـه بوحدة الأمة، ومستقبلها حتَّى اللحظات الأخيرة من حياته، رغم ما كان يعانيه من آلام جراحاته البالغة، وهي بلا شك لحظات خالدة، تجلَّى فيها إيمان الفاروق العميق، وإخلاصه، وإيثاره(٢)، وقد استطاع الفاروق في تلك اللحظات الحرجة أن يبتكر طريقة جديدة لم يسبق إليها في اختيار الخليفة الجديد، وكانت دليلاً ملموساً، ومعْلماً واضحاً على فقهه في سياسة الدّولة الإسلامية، لقد مضى قبله الرّسول ﷺ، ولم يستخلف بعده أحداً بنصٍّ صريح، ولقد مضى أبو بكر الصِّدِّيق، واستخلف الفاروق بعد مشاورة كبار الصَّحابة، ولمَّا طُلب من الفاروق أن يستخلف وهو على فراش الموت، فكر في الأمر مليّاً، وقرّر أن يسلك مسلكاً آخر يتناسب مع المقام، فرسول الله ﷺ ترك النّاس، وكلهم مقرٌّ بأفضلية أبي بكر، وأسبقيته عليهم، فاحتمال الخلاف كان نادراً، وخصوصاً أن النبي ﷺ وجّه الأمة قولاً وفعلاً إلى أن أبا بكر أولى بالأمر من بعده، والصِّدِّيق لما استخلف عمر، كان يعلم: أنّ عند الصحابة أجمعين قناعة بأنّ عمر أقوى، وأفضل من يحمل المسؤولية بعده، فاستخلفه بعد مشاورة كبار الصحابة، ولم يخالف رأيه أحد منهم، وحصل الإجماع على بيعة عمر(٣).

---

(١) تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان للصَّلابي، ص٢٧٤.
(٢) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعاني، ص ١٦١.
(٣) أوليات الفاروق للقرشي، ص ١٢٢.

وأما طريقة انتخاب الخليفة الجديد، فتعتمد على جعل الشورى في عدد محصور، وقد حصر ستَّة من صحابة رسول الله ﷺ كلهم يصلحون لتولّي الأمر، ولو أنهم يتفاوتون، وحدّد لهم طريقة الانتخاب، ومدَّته، وعدد الأصوات الكافية لانتخاب الخليفة، وحدّد الحَكَمَ في المجلس، والمرجِّح إن تعادلت الأصوات، وأمر مجموعة من جنود الله لمراقبة سير الانتخابات في المجلس، وعقاب من يخالف أمر الجماعة، ومنع الفوضى بحيث لا يسمحون لأحد يدخل، أو يسمع ما يدور في مجلس أهل الحلِّ والعقد[١].

وهذا بيان ما أجمل في الفقرات السَّابقة:

أ ـ العدد الذي حدده للشُّورى، وأسماؤهم:

أمّا العدد، فهو ستة، وهم: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقّاص، والزبير بن العوّام، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم جميعاً، وترك سعيد بن زيد، وهو من العشرة المبشَّرين بالجنة، ولعله تركه لأنه من قبيلة بني عديٍّ[٢]، وكان عمر رضي الله عنه حريصاً على إبعاد الإمارة عن أقاربه، مع أنَّ فيهم من هو أهلٌ لها، فهو يُبعد قريبه سعيد بن زيد عن قائمة المرشَّحين للخلافة[٣].

ب ـ طريقة اختيار الخليفة:

أمرهم: أن يجتمعوا في بيت أحدهم، ويتشاوروا، وفيهم عبد الله بن عمر يحضر معهم مشيراً فقط، وليس له من الأمر شيء، ويصلِّي بالناس أثناء التشاور صهيب الرُّوميُّ، وقال له: أنت أمير الصَّلاة في هذه الأيام الثلاثة. حتى لا يولِّي إمامة الصلاة أحداً من السِّتَّة، فيصبح هذا ترشيحاً من عمر له بالخلافة[٤]، وأمر المقداد بن الأسود، وأبا طلحة الأنصاريَّ أن يرقبا سير الانتخابات[٥].

ج ـ مدَّة الانتخابات أو المشاورة:

حدَّدها الفاروق رضي الله عنه بثلاثة أيّام، وهي فترة كافية، وإن زادوا عليها، فمعنى ذلك أن شقَّة الخلاف ستتَّسع، ولذلك قال لهم: لا يأتي اليوم الرّابع إلا وعليكم أمير[٦].

د ـ عدد الأصوات الكافية لاختيار الخليفة:

أخرج ابن سعد بإسنادٍ رجاله ثقات: أنَّ عمر رضي الله عنه قال لصهيب: صلِّ بالناس ثلاثاً،

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٢٤.
(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٤٢).
(٣) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص ٩٨.
(٤) الخلافة والخلفاء الراشدون للبهنساوي، ص ٢١٣.
(٥) أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة، ص ٦٤٨.
(٦) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٦٤).

وليخلُ هؤلاء الرَّهط في بيت، فإذا اجتمعوا على رجل، فمن خالفهم فاضربوا رأسه[(١)]، فعمر رضي الله عنه أمر بقتل من يريد أن يخالف هؤلاء الرّهط ويشقَّ عصا المسلمين، ويفرِّق بينهم، عملاً بقوله ﷺ: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل منكم يريد أن يشقَّ عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه»[(٢)].

وما جاء في كتب التَّاريخ من أن عمر رضي الله عنه أمرهم بالاجتماع، والتَّشاور، وحدّد لهم أنه إذا اجتمع خمسة منهم على رجل، وأبى أحدهم، فليضرب رأسه بالسَّيف، وإن اجتمع أربعة، ورضوا رجلاً منهم، وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما[(٣)]، فهذه من الرِّوايات التي لا تصح سنداً، فهي من الغرائب، التَّي ساقها أبو مخنف ـ الرَّافضي الشيعي ـ مخالفاً فيها النصوص الصحيحة وما عرف من سير الصَّحابة رضي الله عنهم، فما ذكر أبو مخنف من قول عمر لصهيب: وقم على رؤوسهم ـ أي: أهل الشورى ـ فإن اجتمع خمسة، ورضوا رجلاً، وأبى واحد، فاشدخ رأسه بالسَّيف، وإن اتَّفق أربعة، فرضوا رجلاً منهم، وأبى اثنـان فاضرب رؤوسهما[(٤)]: فهذا قول منكر، وكيف يقول عمر رضي الله عنه هذا، وهو يعلم: أنَّهم هم الصَّفوة من أصحاب رسول الله ﷺ، وهو الذي اختارهم لهذا الأمر لعلمه بفضله وقدرهم[(٥)].

وقد ورد عن ابن سعد: أن عمـر قال للأنصار: «أدخلوهم بيتاً ثلاثة أيام، فإن استقاموا وإلا فادخلوا عليهم فاضربوا أعناقهم[(٦)]، وهذه الرِّواية منقطعة، وفي إسنادها: «سماك بن حرب» وهو ضعيف، وقد تغير بأخرة[(٧)].

هـ ـ الحَكَم في حال الاختلاف:

لقد أوصى بأن يحضر عبد الله بن عمر معهم في المجلس، وأن ليس له من الأمر شيء، ولكن قال لهم: فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم، وثلاثة رجلاً منهم، فحكِّموا عبد الله بن عمر، فأيُّ الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرَّحمن بن عوف، ووصف عبد الرَّحمن بن عوف بأنه مسدَّدٌ رشيدٌ، فقال عنه: ونعم ذو الرأي عبد الرَّحمن بن عوف مسدَّدٌ رشيدٌ، له من الله حافظ، فاسمعوا منه[(٨)].

---

(١) المصدر السابق نفسه.
(٢) مسلم (٣/ ١٤٨٠).
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٢٢٦).
(٤) المصدر السابق نفسه.
(٥) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطَّبري، د. يحيى ص ١٧٥.
(٦) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٤٢).
(٧) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص ١٧٦.
(٨) تاريخ الطبري (٥/ ٣٢٥).

و ـ جماعة من جنود الله تراقب الاختيار، وتمنع الفوضى:

طلب عمر أبا طلحة الأنصاريَّ، وقال له: يا أبا طلحة! إن الله ـ عزّ وجلَّ ـ أعزَّ الإسلام بكم، فاختر خمسين رجلاً من الأنصار، فاستحثَّ هؤلاء الرَّهط، حتّى يختاروا رجلاً منهم[(١)]. وقال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتموني في حفرتي، فاجمع هؤلاء الرَّهط في بيت حتَّى يختاروا رجلاً منهم[(٢)].

ز ـ جواز تولية المفضول مع وجود الأفضل:

ومن فوائد الشُّورى: جواز تولية المفضول مع وجود الأفضل، لأنَّ عمر جعل الشُّورى في ستة أنفس مع علمه: أنَّ بعضهم كان أفضل من بعض، ويؤخذ هذا من سيرة عمر في أمرائه الذين كان يؤمرهم في البلاد، حيث كان لا يراعي الفضل في الدِّين فقط، بل يضمُّ إليه مزيد المعرفة بالسِّياسة مع اجتناب ما يخالف الشَّرع منها، فاستخلف معاوية، والمغيرة ابن شعبة، وعمرو بن العاص مع وجود من هو أفضل من كلٍّ منهم في أمر الدِّين، والعلم كأبي الدّرداء في الشَّام، وابن مسعود في الكوفة[(٣)].

ح ـ جمع عمر بين التعيين، وعدمه:

عرف عمر: أن الشُّورى لن تكون بين الستة فقط، وإنّما ستكون في أخذ رأي الناس في المدينة، فيمن يتولَّى الخلافة، حيث جعل لهم أمد ثلاثة أيَّام، فيمكنهم من المشاورة، والمناظرة لتقع ولاية من يتولى بعده عن اتِّفاق من معظم الموجودين حينئذ ببلده التي هي دار الهجرة، وبها معظم الصّحابة، وكلُّ من كان ساكناً في بلد غيرها كان تبعاً لهم فيما يتَّفقون عليه، فما زالت المدينة حتى سنة ٢٣هـ مجمع الصَّحابة؛ بل لأنَّ كبار الصَّحابة فيها، حيث استبقاهم عمر بجانبه، ولم يأذن لهم بالهجرة إلى الأقاليم المفتوحة[(٤)].

ط ـ أهل الشورى أعلى هيئة سياسية:

إنّ عمر رضي الله عنه أناط بأهل الشُّورى وحدهم اختيار الخليفة من بينهم، ومن المهمِّ أن نشير إلى أنَّ أحداً من أهل الشُّورى لم يعارض هذا القرار الذي اتّخذه عمر، كما أنَّ أحداً من الصَّحابة الآخرين لم يثر أيَّ اعتراض عليه، ذلك ما تدلُّ عليه النُّصوص التي بين أيدينا، فنحن لا نعلم: أنَّ اقتراحاً آخر قد صدر عن أحد من النّاس في ذلك العصر، أو أنَّ معارضة ثارت حول أمر

(١) المصدر السابق نفسه (٥/ ٢٢٥).
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (٢/ ٩٧).
(٤) المصدر السابق نفسه.

عمر خلال السَّاعات الأخيرة من حياته، أو بعد وفاته، وإنّما رضي الناس كافة عن هذا التدبير، ورأوا فيه مصلحة لجماعة المسلمين، وفي وسعنا أن نقول: إن عمر قد أحدث هيئة سياسية عليا، مهمَّتها انتخاب رئيس الدَّولة، أو الخليفة، وهذا التنظيم الدُّستوري الجديد، الذي أبدعته عبقرية عمر لا يتعارض مع المبادئ الأساسية التي أقرَّها الإسلام، ولا سيَّما فيما يتعلق بالشُّورى، لأنَّ الغيرة من حيث النتيجة للبيعة العامَّة التي تجري في المسجد الجامع.

وعلى هذا لا يتوجَّه السُّؤال الذي قد يرد على بعض الأذهان، وهو: من أعطى عمر هذا الحقَّ؟ ما هو مستند عمر في هذا التدبير؟ ويكفي أن نعلم أنَّ جماعة من المسلمين قد أقرَّت هذا التدبير، ورضيت به، ولم يُسمع صوت اعتراض عليه، حتى نتأكد: أنَّ الإجماع ـ وهو من مصادر التشريع ـ قد انعقد على صحته، ونفاذه[١]، ولا ننسى أن عمر خليفة راشد. كما ينبغي أن نؤكِّد: أن أهل الشُّورى أعلى هيئة سياسية قد أقرَّه نظام الحكم في الإسلام في العهد الرَّاشدي، كما: أنّ الهيئة التي سمّاها عمر، تمتّعت بمزايا لم يتمتع بها غيرها من جماعة المسلمين، وهذه المزايا مُنحت لها من الله، وبلَّغها الرسول، فلا يمكن عند المؤمنين أن يبلغ أحدٌ من المسلمين مبلغ هؤلاء العشرة، من التّقوى، والأمانة.

هكذا ختم عمر رضي الله عنه حياته، ولم يشغله ما نزل به من البلاء، ولا سكرات الموت عن تدبير أمر المسلمين، وأرسى نظاماً صالحاً للشّورى لم يسبقه عليه أحد، ولا يُشكُ: أنّ أصل الشُّورى مقرّرٌ في القرآن الكريم، والسُّنّة القوليّة، والفعلية، وقد عمل بها رسول الله ﷺ وأبو بكر، ولم يكن عمراً مبتدعاً بالنسبة للأصل، ولكنَّ الذي عمله عمر هو تعيين الطّريقة التي يختار بها الخليفة، وحصْرُ عدد معين جعلها فيهم، وهذا لم يفعله الرّسول ﷺ، ولا الصِّدِّيق رضي الله عنه، بل أوَّل من فعل ذلك عمر، ونِعْمَ ما فعل، فقد كانت أفضل الطُّرق المناسبة لحال الصَّحابة في ذلك الوقت[٢]، ولا شك بأن هذا التطوير الرائع لفقه الخلافة والوعي السياسي وما تتطلبه المرحلة من اجتهادات عملية؛ ساهم في تثقيف وتعليم الحسن بن علي رضي الله عنهما، وأعطاه فهماً واسعاً ونظراً ثاقباً فيما بعد، مما جعله يختار أسلوباً جديداً لم يسبق إليه، ساهم في توحيد الأمة بعد الفرقة والاختلاف، فالشخصيات الفذَّة، والعبقريات المبدعة لا تأتي من فراغ وإنما هي حصيلة لخبرة واسعة، واستفادة كبيرة من جهود من سبقها في البناء الحضاري الرباني الراشدي.

٢ ـ منهج عبد الرحمن بن عوف في إدارة الشُّورى:

ومما عاصره الحسن بن علي في أمر بيعة عثمان منهج عبد الرحمن بن عوف في إدارة الشورى، والذي تمثل في الخطوات التالية:

---

(١) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ للقاسمي (١/ ٢٢٧، ٢٥٨).
(٢) أوليَّات الفاروق، ص ١٢٧.

أ ـ اجتماع الرّهط للمشاورة:

لم يكد يفرغ النَّاس من دفن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتَّى أسرع رهط الشُّورى وأعضاء مجلس الدَّولة الأعلى إلى الاجتماع في بيت عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها، وقيل: إنَّهم اجتمعوا في بيت فاطمة بنت قيس الفهْرية أخت الضحاك بن قيس، ليقضوا في أعظم قضيَّة عرضت في حياة المسلمين ـ بعد وفاة عمر ـ، وقد تكلَّم القوم، وبسطوا آراءهم، واهتدوا بتوفيق الله إلى كلمة سواء، رضيها الخاصَّة والكافة من المسلمين[١].

ب ـ عبد الرحمن يدعو إلى التنازل:

عندما اجتمع أهل الشُّورى قال لهم عبد الرّحمن بن عوف: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم. فقال الزُّبير: جعلت أمري إلى عليٍّ. وقال طلحة: جعلت أمري إلى عثمان. وقال سعد: جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف. وأصبح المرشحون ثلاثة، علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف. فقال عبد الرحمن: أيكما تبرَّأ من هذا الأمر، فنجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظرنَّ أفضلهم في نفسه، فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن بن عوف: أفتجعلونه إليَّ والله عليَّ أن لا آلو عن أفضلكما؟ قالا: نعم[٢].

ج ـ تفويض ابن عوف بإدارة عمليّة الشُّورى:

بدأ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه اتصالاته، ومشاوراته فور انتهاء اجتماع المرشَّحين السِّتَّة صباح يوم الأحد، واستمرَّت مشاوراته، واتِّصالاته ثلاثة أيام كاملة، حتى فجر يوم الأربعاء الرَّابع من المحرم، وهو موعد انتهاء المهلة التي حدّدها لهم عمر، وبدأ عبد الرحمن بن عوف بعليٍّ بن أبي طالب، فقال له: إن لم أبايعك فأشر عليَّ، فمن ترشح للخلافة؟ قال عليّ: عثمان بن عفان، وذهب عبد الرحمن إلى عثمان، وقال له: إن لم أبايعك، فمن ترشِّح للخلافة؟ فقال عثمان: عليَّ بن أبي طالب. . وذهب ابن عوف بعد ذلك إلى الصحابة الآخرين، واستشارهم، وكان يشاور كلَّ من يلقاه في المدينة من كبار الصَّحابة، وأشرافهم، ومن أمراء الأجناد، ومن يأتي للمدينة، وشملت مشاوراته النِّساء في خدورهنَّ، وقد أبدين رأيهن، كما شملت الصِّبيان، والعبيد في المدينة والمسلمين كانوا يشيرون بعثمان بن عفَّان، ومنهم من كان يشير بعليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنهما.

وفي منتصف ليلة الأربعاء، ذهب عبد الرحمن بن عوف إلى بيت ابن أخته: المسور بن مخرمة، فطرق البيت، فوجد المسور نائماً، فضرب الباب حتى استيقظ، فقال: أراك نائماً،

---

(١) عثمان بن عفان، لصادق عرجون، ص ٦٢، ٦٣.
(٢) البخاري، كتاب فضائل أصحاب النَّبي، رقم ٢٧٠٠.

فوالله ما اكتحلت هذه الليلة بكبير نوم، انطلق فادع الزبير، وسعداً. فدعوتهما له: فشاورهما ثمّ دعاني، فقال: ادع لي علياً، فدعوته، فناجاه حتَّى ابهارَّ[١] الليل، ثم قام عليٌّ من عنده.. ثم قال: ادع لي عثمان، فدعوته فناجاه حتى فرّق بينهما المؤذِّن بالصُّبح[٢].

د ـ الاتفاق على بيعة عثمان رضي الله عنه:

وبعد صلاة صبح يوم البيعة، اليوم الأخير من شهر ذي الحجة ٢٣هـ/ ٦ نوفمبر ٦٤٤م وكان صهيب الرُّومي الإمام، إذ أقبل عبد الرَّحمن بن عوف، وقد اعتمَّ بالعمامة التي عمَّمه بها رسول الله ﷺ، وكان قد اجتمع رجال الشورى عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين، والأنصار، وأمراء الأجناد، منهم: معاوية أمير الشَّام، وعمير بن سعد أمير حمص، وعمرو بن العاص أمير مصر، وكانوا وافوا تلك الحجَّة مع عمر، وصاحبوه إلى المدينة[٣].

وجاء في رواية البخاري:.. فلمَّا صلَّى للنَّاس الصُّبح، واجتمع أولئك الرّهط عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين، والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد، وكانوا وافوا تلك الحجَّة مـع عمر، فلمّا اجتمعوا، تشهَّد عبد الرحمن، ثمّ قال: أمّا بعد: يا عليُّ! إني قد نظرت في أمر النَّاس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعل بنفسك سبيلاً. فقال عبد الرحمن مخاطباً عثمان[٤]: أبايعك على سُنَّة الله، ورسوله، والخليفتين من بعده. فبايعه الناس: المهاجرون، والأنصار، وأمراء الأجناد، والمسلمون[٥]. وجاء في رواية صاحب التّمهيد، والبيان: أن عليَّ بن أبي طالب أوَّل من بايع بعد عبد الرّحمن بن عوف[٦].

هـ ـ حكمة عبد الرحمن بن عوف في تنفيذ خطة الشُّورى:

نفّذ عبد الرحمن بن عوف خطة الشورى بما دلَّ على شرف عقله، ونبل نفسه، وإيثاره مصلحة المسلمين العامة على مصلحته الخاصَّة ونفعه الفردي، وترك عن طواعية ورضا أعظم منصب يطمح إليه إنسان في الدنيا، ليجمع كلمة المسلمين، وحقق أوّل مظهر من مظاهر الشورى المنظمة في اختيار من يجلس على عرش الخلافة، ويسوس أمور المسلمين، فهو قد اصطنع من الأناة، والصبر، والحزم، وحسن التدبير ما كفل له النجاح في أداء مهمته العظمى، وقد كانت الخطوط التي اتخذها كالآتي:

---

(١) ابهارَّ: أي: انتصف.
(٢) البخاري، كتاب الأحكام، رقم ٧٢٠٧.
(٣) شهيد الدَّار، ص ٣٧، وهناك خلاف في تحديد تاريخ البيعة.
(٤) فقال: أي عبد الرحمن مخاطباً عثمان.
(٥) البخاري، كتاب الأحكام، رقم ٧٢٠٧.
(٦) التمهيد والبيان، ص ٢٦.

* ـ بسط برنامجه في أول جلسة عقدها مجلس الشورى في دائرة الزمن الذي حدّده لهم عمر، وبذلك أمكنه أن يحمل جميع أعضاء مجلس الشورى على أن يدلوا برأيهم، فعرف مذهب كل واحد منهم، فسار في طريقه على بيِّنة من أمره.

* ـ خلع نفسه وتنازل عن حقه في الخلافة، ليدفع الظُّنون ويستمسك بعروة الثِّقة الوثقى.

* ـ أخذ في تعرُّف نهاية ما يصبو إليه كل واحد من أصحابه، وشركائه في الشُّورى، فلم يزل يقلِّب وجوه الرَّأي معهم، حتى انتهى إلى شبه انتخاب جزئيٍّ، فاز فيه عثمان برأي سعد ابن أبي وقاص، ورأي الزبير بن العوام، فلاحت له أغلبية آراء الأعضاء الحاضرين معه.

* ـ عمد إلى معرفة كلٍّ واحد من الإمامين: عثمان، وعليٍّ في صاحبه بالنِّسبة إلى وزنه من سائر الرَّهط الذين رشَّحهم عمر، فعرف من كل واحد منهما: أنه لا يعدل صاحبه أحداً إذا فاته الأمر.

* ـ أخذ في تعرُّف رأي مَنْ وراء مجلس الشُّورى من خاصَّة الأمَّة، وذوي رأيها، ثمَّ من عامّتها، وضعفائها، فرأى أنَّ معظم النَّاس لا يعدلون أحداً بعثمان، فبايع له، وبايعه عامَّة الناس[(١)].

لقد تمكَّن عبد الرحمن بن عوف بكياسته، وأمانته، واستقامته، ونسيانه نفسه بالتخلِّي عن الطّمع في الخلافة، والزُّهد بأعلى منصب في الدولة أن يجتاز هذه المحنة، وقاد ركب الشُّورى بمهارة، وتجرد مما يستحقُّ أعظم التَّقدير[(٢)].

قال الذَّهبي: ومن أفضل أعمال عبد الرَّحمن عزله نفسه من الأمر وقت الشُّورى، واختياره للأمَّة مَنْ أشار بـه أهل الحل والعقد، فنهض في ذلك أتمَّ نهوض على جمع الأمَّة على عثمان، ولو كان محابياً فيها، لأخذها لنفسه، أو لولاَّها ابن عمِّه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقَّاص[(٣)].

وبهذا تحقَّقت صورة أخرى من صور الشُّورى في عهد الخلفاء الرَّاشدين: وهي الاستخلاف عن طريق مجلس الشُّورى، ليعيِّنوا أحدهم بعد أخذ المشورة العامَّة، ثمَّ البيعة العامة[(٤)].

فهذا هو الذي تمَّ في عملية الشورى وما عاصره الحسن بن علي رضي الله عنه من أحداث، ولا ينظر للأباطيل الإماميَّة التي دست في قصة الشورى وشوهت التاريخ الإسلامي، والتي تلقفها

(١) عثمان بن عفَّان رضي الله عنه ـ لصادق عرجون، ص ٧٠، ٧١.
(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٠) ص (٢٥٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٨٦).
(٤) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص ٢٧٨.

المستشرقون وقاموا بتوسيع نشرها، وتأثر بها الكثير من المؤرخين، والمفكرين المحدثين، ولم يمحِّصوا الرِّوايات، ويحقِّقوا في سندها ومتنها، فانتشرت بين المسلمين، لقد اهتم مؤرخو الشيعة الإماميَّة بقصة الشورى وتولية عثمان بن عفان الخلافة ودسوا فيها الأباطيل والأكاذيب، وألف جماعة منهم كتباً خاصة، فقد ألف أبو مخنف كتاب الشورى، وكذلك ابن عقدة، وابن بابويه[(١)]، ونقل ابن سعد تسع روايات من طريق الواقدي في خبر الشورى وبيعة عثمان وتاريخ تولِّية الخلافة[(٢)]، ورواية من طريق عبيد الله بن موسى تضمنت مقتل عمر، وحصره للشورى في السِّتَّة ووصيته لكلٍّ من عليّ، وعثمان إذا تولى أحدهما أمر الخلافة، ووصيته لصهيب في هذا الأمر[(٣)].

وقد نقل البلاذري خبر الشورى، وبيعة عثمان عن أبي مخنف[(٤)] الرافضي المحترق، وعن هشام الكلبي، منها ما نقله عن أبي مخنف[(٥)]، ونقل ابن أبي الحديد بعض أحداث قصَّة الشورى من طريق أحمد بن عبد العزيز الجوهري[(٦)]، وأشار إلى نقله عن كتاب (الشُّورى) للواقدي[(٧)].

وقد تضمَّنت الرِّوايات الشيعيَّة عدَّة أمور مدسوسة، ليس لها دليلٌ من الصِّحَّة، وهي:

*** ـ اتهام الصَّحابة بالمحاباة في أمر المسلمين:**

اتَّهمت الرِّوايات الشِّيعيَّة الصَّحابة بالمحاباة في أمر المسلمين، وعدم رضا عليّ بأن يقوم عبد الرحمن بن عوف باختيار الخليفة، فقد ورد عن أبي مخنف، وهشام الكلبيِّ عن أبيه، وأحمد الجوهريِّ: أنَّ عمر جعل ترجيح الكفَّتين إذا تساوتا بعبد الرحمن بن عوف، وأنَّ علياً أحسَّ بأن الخلافة ذهبت منه، لأنَّ عبد الرحمن سيقدِّم عثمان للمصاهرة التي بينهما[(٨)]، وقد نفى ابن تيمية أي ارتباط في النَّسب القريب بين عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، فقال: فإنَّ عبد الرحمن ليس أخاً لعثمان، ولا ابن عمِّه، ولا من قبيلته أصلاً، بل هذا من بني زهرة وهذا من بني أمية، وبنو زهرة إلى بني هاشم أكثر ميلاً منهم إلى بني أميَّة، فإن بني زهرة أخوال النَّبيّ ﷺ، ومنهم: عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص الذي قال له النبي ﷺ: «هذا خالي فليرني امرؤ

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة (١٤/ ٢٤٦).
(٢) الطبقات الكبرى (٣/ ٦٣، ٣/ ٦٧).
(٣) المصدر السابق نفسه (٣/ ٣٤٠).
(٤) أنساب الأشراف (٥/ ١٨، ١٩).
(٥) المصدر السابق نفسه.
(٦) شرح نهج البلاغة (٩/ ٤٩، ٥٠، ٥٨).
(٧) شرح نهج البلاغة (٩/ ١٥)، عثمان بن عفان للصَّلاَّبيّ، ص ٧٣.
(٨) أثر التشيع على الرِّوايات التاريخية، ص ٣٢٢.

خاله»[(١)]، فإنَّ النبي ﷺ لم يؤاخِ بين مهاجريٍّ ومهاجريٍّ، ولا بين أنصاريٍّ وأنصاريٍّ، وإنما آخى بين المهاجرين والأنصار، فآخَى بين عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع الأنصاري[(٢)]، وحديثه مشهور ثابت في الصِّحاح وغيرها، يعرفه أهل العلم بذلك[(٣)].

وقد بنت الرِّوايات الشيعية محاباة عبد الرحمن لعثمان للمصاهرة التي كانت بينهما، متناسية أن قوة النَّسب أقوى من المصاهرة من جهة، ومن جهة أخرى تناسوا طبيعة العلاقة بين المؤمنين في الجيل الأوّل، وأنها لا تقوم على نسب ولا على مصاهرة، وأما كيفية المصاهرة التي كانت بين عبد الرحمن وعثمان، فهي أنَّ عبد الرحمن تزوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أخت الوليد[(٤)].

***ـ حزب أمويّ، وحزب هاشمي:**

أشارت رواية أبي مخنف الرافضي إلى وقوع مشادَّةٍ بين بني هاشم، وبني أميَّة أثناء المبايعة، وهذا غير صحيح، ولم يرد ذلك برواية صحيحة ولا ضعيفة[(٥)]، وقد انساق بعض المؤرخين خلف الرِّوايات الشِّيعيَّة الإماميَّة، وبنوا تحليلاتهم الخاطئة على تلك الرِّوايات، فصوَّر تشاور أصحاب الرَّسول ﷺ من تحديد الخليفة الجديد بصورة الخلاف العشائريِّ، وأنَّ الناس قد انقسموا إلى حزبين: حزب أمويٍّ وحزبٍ هاشميٍّ؛ وهو تصوُّر موهوم، واستنتاج مردود ولا دليل عليه، إذ إنَّه ليس نابعاً من ذلك الجوِّ الذي كان يعيشه أصحاب رسول الله ﷺ حينما كان يقف المهاجري مع الأنصاري ضدَّ أبيه، وأخيه، وابن عمه وبني عشيرته، وليس نابعاً من تصوُّر هؤلاء الصَّحب وهم يضحُّون بكلِّ شيء من حطام الدنيا في سبيل أن يسلم لهم دينهم، ولا من المعرفة الصحيحة لهؤلاء النخبة من المبشرين بالجنة، فالأحداث الكثيرة التي رويت عن هؤلاء تثبت: أنَّ هؤلاء كانوا أكبر بكثير من أن ينطلقوا من هذه الزَّاوية الضَّيِّقة في معالجة أمورهم، فليست القضيَّة قضيَّة تمثيل عائلي، أو عشائري، فهم أهل شورى لمكانتهم في الإسلام[(٦)].

***ـ أقوال نسبت زوراً وبهتاناً لوالد الحسن رضي الله عنهما:**

قال ابن كثير: وما يذكره كثير عن المؤرخين كابن جرير، وغيره عن رجال لا يعرفون: أنَّ علياً قال لعبد الرَّحمن بن عوف: خدعتني، وإنَّك إنَّما وليته لأنَّه صهرك، وليشاورك كلَّ يوم في شأنه،

---

(١) صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٢٠) رقم (٤٠١٨).
(٢) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٧٨٠.
(٣) منهاج السنة النبوية (٦/ ٢٧١، ٢٧٢).
(٤) الطبقات الكبرى (٣/ ١٢٧).
(٥) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص ١٧٧، ١٧٨.
(٦) الخلفاء الرَّاشدون، أمين القضاة، ص ٧٨، ٧٩.

وأنه تلكَّأ حتى قال لعبد الرحمن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]، إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصِّحاح، فهي مردودة على قائليها، وناقليها، والله أعلم، والمظنون من الصّحابة خلاف ما يتوهَّم كثير من الرَّافضة، وأغبياء القصَّاص الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار، وضعيفها، ومستقيمها، وسقيمها، ومبادها، وقويمها، والله الموفق للصَّواب[١].

في الدروس المهمة التي استفدتها من دراستي لمرحلة السيرة النبوية والخلافة الراشدة: أنه بجانب الرواية الصحيحة التي تظهر حقيقة الصورة المشرقة للصحابة في دينهم وصفائهم ومحبتهم لبعضهم؛ هناك صورة أخرى مناقضة لها حرص أعداء الإسلام من الكذابين على نشرها حقداً على الإسلام، وروَّج لها المستشرقون وأذنابهم، وتورط فيها بعض الفضلاء عن جهل، وهي بطبيعة الحال تساهم في إضعاف الأمّة وفقدان الأجيال التالية نموذج الاقتداء في سلفهم الصالح، فيجب على الغيورين من الباحثين في هذه الأمَّة كشف هذا الزيف والأباطيل والتحذير من الكتب التي تروّج لها وتنشرها، وبيان الروايات الصحيحة، والترويج للكتب التي تتبناها دفاعاً عن الصحابة الكرام وابتغاء لمرضاة الله تعالى.

٣ ـ معتقد الحسن بن علي في خلافة عثمان رضي الله عنهم:

إن معتقد الحسن بن علي في خلافة عثمان، هو ما ذهب إليه الصحابة، حيث أجمعوا على صحة خلافته بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولم يخالف، أو يعارض في هذا أحد، بل الجميع سلَّم له بذلك، وقد قال أبو الحسن الأشعري: وثبتت إمامة عثمان رضي الله عنه بعقد من عقد له الإمامة من أصحاب الشُّورى، الذين نصَّ عليهم عمر، فاختاروه ورضوا بإمامته، وأجمعوا على فضله وعدله[٢]، وقال عثمان الصَّابوني مبيناً عقيدة أهل السنة، وأصحاب الحديث في ترتيب الخلافة بعد أن ذكر أنَّهم يقولون أوّلاً بخلافة الصِّدِّيق، ثمّ عمر، قال: ثم خلافة عثمان رضي الله عنه بإجماع أهل الشورى. وإجماع الصحابة كافة، ورضاهم حتَّى جعل الأمر إليه[٣].

٤ ـ الحسن بن علي في فتح إفريقية في جيش العبادلة:

كانت خطة عثمان في الفتوحات تتسم بالحسم والعزم، وتمثَّلت في الآتي: إخضاع

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٥٢).
(٢) الإبانة عن أصول الديانة، ص ٦٨.
(٣) عقيدة السَّلف وأصحاب الحديث ضمن الرسائل المنيرية (١/ ١٣٩).

المتمرِّدين من الفرس، والرُّوم، وإعادة سلطان الإسلام إلى هذه البلاد، واستمرار الجهاد والفتوحات فيها وراء هذه البلاد لقطع المدد عنهم، وإقامة قواعد ثابتة يرابط فيها المسلمون لحماية البلاد الإسلامية، وإنشاء قوة بحرية عسكرية لافتقار الجيش الإسلامي إلى ذلك، وكانت معسكرات الإسلام ومسالكه (ثغوره) في عهد عثمان هي عواصم أقطاره الكبرى، فمعسكر العراق: الكوفة، والبصرة، ومعسكر الشَّام في دمشق بعد أن خلص الشَّام كله لمعاوية بن أبي سفيان، ومعسكر مصر، وكان مركزه الفسطاط، وكانت هذه المعسكرات تقوم بحماية دولة الإسلام، ومواصلة الفتوحات، ونشر الإسلام.

ومن أشهر قادة الفتوحات في عهد عثمان رضي الله عنه: الأحنف بن قيس، وسليمان ابن ربيعة، وعبد الرحمن بن ربيعة، وحبيب بن مسلمة.

وقد استفاد المسلمون من تلك الفتوحات العثمانية دروساً، منها: تحقق وعد الله للمؤمنين بالنصر والتمكين، والتطور في فنون الحرب والسياسة وركوب البحر، والقتال البحري، وجمع المعلومات على الأعداء، والحرص على وحدة الكلمة في مواجهة العدو.

وعندما أراد أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه أن يفتح إفريقية استشار الأكابر من أصحاب رسول الله، فقد جاء في رياض النفوس: أن أمير المؤمنين عثمان جاءه من واليه على مصر عبد الله بن سعد: أنَّ المسلمين يغيرون على أطراف إفريقية فيصيبون من عدوهم، وأنهم قريبون من حَوز المسلمين، فأعرب عثمان بن عفان رضي الله عنه ـ على إثر ذلك ـ للمسور بن مخرمة عن رغبته في بعث الجيوش لغزو إفريقية.

جاء في هذا الصدد ما نصه: فما رأيك يا بن مخرمة؟ قلت: أغزهم. قال: أجمع اليوم الأكابر من أصحاب رسول الله، وأستشيرهم، فما أجمعوا عليه فعلته، أو ما أجمع عليه أكثرهم فعلته.. ايت علياً، وطلحة، والزبير، والعباس، وذكر رجالاً، فخلا بكل واحد منهم في المسجد، ثم دعا أبا الأعور سعيد بن زيد. فقال له عثمان: لم كرهت ـ يا أبا الأعور ـ من بعثة الجيوش إلى إفريقية؟ فقال له: سمعت عمر يقول: لا أغزيها أحداً من المسلمين ما حملت عينايَ الماء. فلا أرى لك خلاف عمر. فقال له عثمان: والله ما نخافهم وإنهم لراضون أن يقروا في مواضعهم، فلا يغزون، فلم يختلف عليه أحد ممن شاوره غيره، ثم خطب الناس، وندبهم إلى الغزو إلى إفريقية، فخرج بعض الصحابة، منهم: عبد الله بن الزبير، وأبو ذر الغفاري[١]، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر والحسن والحسين[٢] وغيرهم كثير، وقد قدم المسلمون الغالي

---

(١) رياض النفوس (١/٨ ـ ٩)؛ الجهاد والقتال لهيكل (١/٥٥٦).

(٢) ليبيا من الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية للدكتور صالح مصطفى، ص ٤١؛ الشرف والتسامي بحركة الفتح الإسلامي للصَّلاَّبي، ص ١٩.

والرَّخيص في فتوحات إفريقية، واستشهد منهم الكثير، وممَّن توفي منهم بإفريقية في خلافة عثمان أبو ذُؤيب الهُذلي وكان شاعراً مشهوراً، وهو الذي قال:

وإذا المنيـــة أنشبــت أظفـــارهـــا ألفيـــت كـــل تميمـــة لا تنفـــع
وتجلـــدي للشـــامتيـــن أُريهـــم أنـــي لـــريـــب الـــدهـــر لا أتضعضـــع

وبعد انتصارهم الكبير على أعدائهم اتجه الحسن ومعه ثلة مباركة من المسلمين إلى عاصمة الخلافة وقلبه مفعم بالسرور والارتياح لتوسع النفوذ الإسلامي، وانتشار دين رب العالمين.

٥ ـ موقف والد الحسن بن علي والصحابة في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه:

كانت هناك أسباب متنوعة ومتداخلة ساهمت في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه كالرخاء وأثره في المجتمع، وطبيعة التحول الاجتماعي، ومجيء عثمان بعد عمر رضي الله عنهما، وخروج كبار الصحابة من المدينة، والعصبية الجاهلية، وتآمر الحاقدين، والتدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان، واستخدام الوسائل والأساليب المهيِّجة للناس، وأثر السبئية في إحداث الفتنة، وقد فصلت وشرحت تلك الأسباب في كتابي (تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، شخصيته وعصره).

ولقد استخدم أعداء الإسلام في فتنة مقتل عثمان الأساليب والوسائل المهيجة للناس، من إشاعة الأراجيف حيث ترددت كلمة الإشاعة والإذاعة كثيراً، والتحريض والمناظرة والمجادلة للخليفة أمام الناس والطعن في الولاة، واستخدام تزوير الكتب واختلاقها على لسان الصحابة رضي الله عنهم، عائشة وعلي وطلحة والزبير، والإشاعة بأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الأحق بالخلافة، وأنه الوصي بعد رسول الله ﷺ، وتنظيم فرق في كل من البصرة والكوفة ومصر، أربع فرق من كل مصر مما يدل على التدبير المسبق، وأوهموا أهل المدينة أنهم ما جاؤوا إلا بدعوة الصحابة، وصعَّدوا الأحداث حتى وصلت إلى القتل[١].

وإلى جوار هذه الوسائل، استخدموا مجموعة من الشعارات؛ منها: التكبير، ومنها: أن جهادهم هذا ضد المظالم، ومنها: أنهم لا يقومون إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنها: المطالبة باستبدال الولاة وعزلهم، ثم تطورت المطالبة إلى خلع عثمان، إلى أن تمادوا في جرأتهم وطالبوا؛ بل سارعوا إلى مقتل الخليفة، وخاصة حينما وصلهم الخبر بأن أهل الأمصار قادمون لنصرة الخليفة، فزاد حماسهم المحموم لتضييق الخناق على الخليفة، والتشوق إلى قتله بأية وسيلة[٢]، وكان التنظيم السبئي بقيادة عبد الله بن سبأ اليهودي خلف تلك الأحداث، والتي

(١) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص ٤٠١.
(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٤٠٢.

بعدها كالجمل وصفين وغيرهما، وقد تحدثنا عن حقيقة عبد الله بن سبأ في كتابي (عثمان بن عفان)، وكتابي (أسمى المطالب في سيرة علي ابن أبي طالب) رضي الله عنهما؛ فمن أراد المزيد فليرجع إليهما، ولقد تعرّضت في كتابي (عثمان بن عفان) للشبهات التي ألصقت بتاريخ عثمان رضي الله عنه، وبينت كذبها وبطلانها، بالأدلة الدامغة والبراهين الساطعة، فقد كان عثمان رضي الله عنه بحق الخليفة المظلوم الذي افترى عليه خصومه الأوَّلون، ولم ينصفه المتأخِّرون.

***ـ موقف علي رضي الله عنه في بداية الفتنة:**

استمر علي رضي الله عنه في طريقته المعهودة مع الخلفاء؛ وهي السمع والطاعة والإدلاء بالمشورة والنصح، وقد عبر بنفسه عن مدى طاعته للخليفة عثمان والتزام أمره ولو كان شاقاً، بقوله: لو سيرني عثمان إلى صرار لسمعت وأطعت[١]، وعندما نزل المتمردون في ذي المروة قبل مقتل عثمان بما يقارب شهراً ونصفاً، أرسل إليهم عثمان علياً ورجلاً آخر لم تسمِّه الروايات، والتقى بهم علي رضي الله عنه فقال لهم: تعطون كتاب الله، وتعتبون من كل ما سخطتم، فوافقوا على ذلك[٢]، وفي رواية: أنهم شادُّوه وشادهم مرتين أو ثلاثاً، ثم قالوا: ابن عم رسول الله، ورسول أمير المؤمنين يعرض عليكم كتاب الله، فقبلوا[٣]، فاصطلحوا على خمس: على أن المنفي يقلب، والمحروم يعطى، ويوفر الفيء، ويعدل في القسم، ويستعمل ذو الأمانة والقوة، وكتبوا ذلك في كتاب، أن يرد ابن عامر على البصرة، وأن يبقى أبو موسى على الكوفة[٤]. وهكذا اصطلح عثمان رضي الله عنه مع كل وفد على حدة ثم انصرفت الوفود إلى ديارها[٥].

وبعد هذا الصلح وعودة أهل الأمصار جميعاً راضين تبين لمشعلي الفتنة أن خطتهم قد فشلت، وأن أهدافهم الدنيئة لم تتحقق، لذا خططوا تخطيطاً آخر يذكي الفتنة ويحييها يقتضي تدمير ما جرى من صلح بين أهل الأمصار، وعثمان رضي الله عنه، وبرز ذلك فيما يلي: في أثناء طريق عودة أهل مصر، رأوا راكباً على جمل يتعرض لهم، ويفارقهم، فكأنه يقول: خذوني، فقبضوا عليه، وقالوا له: ما لك؟ قال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله، فتحوا الكتاب، فإذا فيه أمر بصلبهم أو قتلهم أو تقطيع أيديهم وأرجلهم، فرجعوا إلى المدينة حتى وصلوها[٦]، ونفى عثمان رضي الله عنه أن يكون كتب هذا الكتاب، وقال لهم: إنهما اثنتان: أن تقيموا رجلين من المسلمين، أو يمين بالله الذي لا إلٰه إلا هو ما كتبت ولا أمللت، ولا علمت، وقد يكتب الكتاب

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٢٥) سنده صحيح.
(٢) تاريخ دمشق، ترجمة عثمان، ص ٣٢٨؛ تاريخ خليفة، ص ١٦٩.
(٣) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٢٩).
(٤) المصدر السابق نفسه (١/ ١٢٩).
(٥) المصدر السابق نفسه (١/ ٣٢٩).
(٦) تاريخ الطبري (٥/ ٣٧٩).

على لسان الرجل وينقش الخاتم، فلم يصدقوه[١]. وهو الصادق البار، لغاية في نفوسهم.

وهذا الكتاب الذي زعم هؤلاء المتمردون البغاة المنحرفون أنه من عثمان وعليه خاتمه يحمله غلامه على واحد من إبل الصدقة إلى عامله بمصر ابن أبي سرح، يأمر فيه بقتل هؤلاء الخارجين؛ هو كتاب مزوَّر مكذوب على لسان عثمان، وذلك لعدة أمور؛ منها[٢]: كيف علم العراقيون بالأمر وقد اتجهوا إلى بلادهم، وفصلتهم عن المصريين، الذين أمسكوا بالكتاب المزعوم ـ مسافة شاسعة، فالعراقيون في الشرق، والمصريون في الغرب، ومع ذلك عادوا جميعاً في آن واحد، كأنما كانوا على ميعاد؟ لا يعقل هذا إلا إذا كان الذين زوَّروا الكتاب استأجروا راكباً آخر انطلق إلى العراقيين ليخبرهم بأن المصريين قد اكتشفوا كتاباً بعث فيه عثمان لقتل المنحرفين المصريين، وهذا ما احتج به علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد قال: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر، وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا[٣]، بل أن علياً يجزم: هذا والله أمر أبرم بالمدينة[٤].

إن هذا الكتاب المشؤوم ليس أول كتاب يزوِّره هؤلاء المجرمون، بل زوَّروا كتباً على لسان أمهات المؤمنين، وكذلك على لسان علي وطلحة والزبير، فهذه عائشة رضي الله عنها تُتهم بأنها كتبت إلى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان، فتنفي وتقول: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي[٥] هذا. ويعقب الأعمش فيقول: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها[٦]، ويتهم الوافدون علياً بأنه كتب إليهم أن يقدموا عليه بالمدينة، فينكر ذلك عليهم ويقسم: والله ما كتبت إليكم كتاباً[٧]، كما ينسب إلى الصحابة كتابة الكتب إلى أهل الأمصار يأمرونهم بالقدوم إليهم، فدين محمد قد فسد وترك، والجهاد في المدينة خير من الرباط في الثغور البعيدة[٨]، ويعلق ابن كثير على هذا الخبر قائلاً: وهذا كذب على الصحابة، وإنما كتبت كتب مزورة عليهم، فقد كتب من جهة علي وطلحة والزبير إلى الخوارج ـ قتلة عثمان ـ كُتُبٌ مزورة عليهم أنكروها، وكذلك زوِّر هذا الكتاب على عثمان أيضاً، فإنه لم يأمر به، ولم يعلم به[٩]، ويؤكد كلام ابن كثير ما رواه الطبري وخليفة من استنكار كبار

---

(١) فتنة مقتل عثمان (٥/ ١٣٢)؛ البداية والنهاية (٧/ ١٩١).
(٢) تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان للصّلاَّبي، ص ٤١٠.
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٣٥٩).
(٤) المصدر السابق نفسه.
(٥) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٤).
(٦) تاريخ خليفة بن خياط، ص ١٦٩.
(٧) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٥)؛ البداية والنهاية (٧/ ١٩١).
(٨) المصدر السابق نفسه (٧/ ١٧٥).
(٩) المصدر السابق نفسه.

الصحابة ـ علي وعائشة والزبير ـ أنفسهم لهذه الكتب في أصحِّ الروايات[١].

إن الأيدي المجرمة التي زوَّرت الرسائل الكاذبة على لسان أولئك الصحابة هي نفسها التي أوقدت نار الفتن من أولها إلى آخرها، ورتبت ذلك الفساد العريض، وهي التي زورت وروَّجت على عثمان تلك الأباطيل، وإنه فعل وفعل، ولقنتها للناس، حتى قبلها الرعاع، ثم زوَّرت على لسان عثمان ذلك الكتاب، ليذهب عثمان ضحية إلى ربه شهيداً سعيداً، ولم يكن عثمان الشهيد المجني عليه وحده في هذه المؤامرة السبئية اليهودية، بل الإسلام نفسه كان مجنياً عليه قبل ذلك، ثم التاريخ المشوَّه المحرَّف، والأجيال الإسلامية التي تلقت تاريخها مشوَّهاً هي كذلك ممن جنى عليهم الخبيث اليهودي وأعوانه من أصحاب المطامع والشهوات والحقد الدفين، أما آن للأجيال الإسلامية أن تعرف تاريخها الحق، وسير رجالاتها العظام؟ بل ألم يأنِ لمن يكتب في هذا العصر من المسلمين ـ أن يخاف الله ولا يتجرأ على تجريح الأبرياء قبل أن يحقق ويدقق حتى لا يسقط كما سقط غيره[٢].

*** موقف الحسن بن علي ووالده أثناء الحصار:**

اشتد الحصار على عثمان رضي الله عنه، حتى منع من أن يحضر للصلاة في المسجد، وكان صابراً على هذه البلوى التي أصابته كما أمره رسول الله ﷺ بذلك، وكان مع إيمانه القوي بالقضاء والقدر، يحاول أن يجد حلاً لهذه المصيبة، فنراه تارة يخطب الناس عن حرمة دم المسلم، وإنه لا يحل سفكه إلا بحقه، وتارة يتحدث في الناس ويظهر فضائله وخدماته الجليلة في الإسلام، ويستشهد على ذلك ببقية العشرة رضوان الله عليهم[٣]، وكأنه يقول: من هذا عمله وفضله هل من الممكن أن يطمع بالدنيا ويقدمها على الآخرة؟ وهل يعقل أن يخون الأمانة ويعبث بأموال الأمة ودمائها وهو يعرف عاقبة ذلك عند الله؟ وهو الذي تربى على عين النبي ﷺ، والذي شهد له وزكاه وكذلك أفاضل الصحابة، وحتىٰ بعد ما تجاوز السبعين وقارب الثمانين من عمره أهكذا تكون معاملته؟

واشتدت سيطرة المتمردين على المدينة حتى إنهم ليصلون بالناس في أغلب الأوقات[٤]، وحينها أدرك الصحابة أن الأمر ليس كما حسبوا، وخشوا من حدوث ما لا يحمد عقباه، وقد بلغهم أن القوم يريدون قتله، فعرضوا عليه أن يدافعوا عنه، ويخرجوا الغوغاء عن المدينة، إلا أنه رفض أن يراق دم بسببه[٥].

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٥).
(٢) عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر، ص ٢٣٨، ٢٢٩.
(٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي، ص ٨٥.
(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥١٥).
(٥) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٦٧)؛ المسند (١/ ٣٩٦) أحمد شاكر.

وأرسل كبار الصحابة أبناءهم دون استشارة عثمان رضي الله عنه، ومن هؤلاء: الحسن ابن علي رضي الله عنهما، وعبد الله بن الزبير، فقد كان عثمان يحب الحسن ويكرمه، فعندما وقعت الفتنة وحوصر عثمان رضي الله عنه أقسم على الحسن رضي الله عنه بالرجوع إلى منزله وذلك خشية عليه أن يصاب بمكروه(١)، وقد قال عثمان للحسن رضي الله عنه: ارجع يا بن أخي حتى يأتي الله بأمره(٢)، وقد صحت روايات: أن الحسن حُمِلَ جريحاً من الدار يوم الدار(٣)، كما جرح غير الحسن، عبد الله بن الزبير، ومحمد بن حاطب، ومروان ابن الحكم، كما كان معهم الحسين بن علي وابن عمر رضي الله عنهما(٤).

وقد كان علي من أدفع الناس عن عثمان رضي الله عنه، وشهد له بذلك مروان بن الحكم(٥)، كما أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن علياً أرسل إلى عثمان فقال: إن معي خمسمئة دارع، فأذن لي، فأمنعك من القوم؛ فإنك لم تحدث شيئاً يستحل به دمك، فقال: جزيت خيراً، ما أحب أن يهراق دم في سببي(٦).

وقد وردت روايات عديدة تفيد وقوفه بجانب عثمان رضي الله عنهما، أثناء الحصار؛ فمن ذلك: أن الثائرين منعوا عن عثمان الماء حتى كاد أهله أن يموتوا عطشاً، فأرسل علي رضي الله عنه إليه بثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل إليه، وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية حتى وصلت(٧)، ولقد تسارعت الأحداث؛ فوثب الغوغاء على عثمان وقتلوه رضي الله عنه، وأرضاه، ووصل الخبر إلى الصحابة وأكثرهم في المسجد، فذهبت عقولهم، وقال علي لأبنائه و أبناء أخيه: كيف قتل عثمان وأنتم على الباب؟ ولطم الحسن، وكان قد جرح(٨)، وضرب صدر الحسين، وشتم ابن الزبير وابن طلحة، وخرج غضبان إلى منزله وهو يقول: تباً لكم سائر الدهر، اللهم إني أبرأ إليكم من دمه أن يكون قتلتُ أو مالأت على قتله(٩).

وهكذا كان موقف علي رضي الله عنه، نصح وشورى، سمع وطاعة، ووقفة قوية بجانبه أثناء الفتنة، ومن أدفع الناس عنه، ولم يذكره بسوء قط، يحاول الإصلاح وسد الخرق بين الخليفة

---

(١) تاريخ المدينة لابن شبة (٤/ ١٢٠٨).
(٢) الرياض النضرة نقلاً عن الحسن بن علي ودوره السياسي، ص ٤٦.
(٣) الطبقات لابن سعد (٨/ ١٢٨) بسند صحيح.
(٤) تاريخ خليفة، ص ١٧٤.
(٥) تاريخ الإسلام للذهبي، ص ٤٦ ـ ٤٦١ إسناده قوي.
(٦) تاريخ دمشق، ص ٤٠٣.
(٧) أنساب الأشراف للبلاذري (٥ / ٧٦).
(٨) ابن أبي عاصم: الآحاد والمثاني (١/ ١٢٥) نقلاً عن خلافة علي، ص ٨٧.
(٩) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٠٩) إسناده صحيح.

والخارجين عليه، لكن الأمر فوق طاقته، وخارج إرادته، إنها إرادة الله عز وجل أن يفوز أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه بالشهادة[١]، ويبوء المفسدون بالإثم.

إن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنكر قتل عثمان، وتبرأ من دمه، وكان يقسم على ذلك في خطبه، وغيرها: إنه لم يقتله ولا أمر بقتله، ولا مالأ عليه، ولا رضي، وقد ثبت ذلك عنه بطرق تفيد القطع[٢]، خلافاً لما تزعمه الإماميَّة من أنه كان راضياً بقتل عثمان رضي الله عنهما[٣].

وقال الحاكم بعد ذكر بعض الأخبار الواردة في مقتله رضي الله عنه: فأما الذي ادعته المبتدعة من معونة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فإنه كذب، وزور، فقد تواترت الأخبار بخلافه[٤]. وقال ابن تيمية: وهذا كله كذب على علي رضي الله عنه، وافتراء عليه، فعلي رضي الله عنه لم يشارك في دم عثمان رضي الله عنه ولا أمر ولا رضي، وقد روي عنه ذلك، وهو الصادق البار[٥]، وقد قال علي رضي الله عنه: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان[٦].

وقد شوهت بعض كتب التاريخ مواقف الصحابة من فتنة مقتل عثمان، وذلك بسبب الروايات الإماميَّة التي ذكرها كثير من المؤرخين، والمتتبع لأحداث الفتنة في تاريخ الإمام الطبري، وكتب التاريخ الأخرى من خلال روايات أبي مخنف، والواقدي، وابن أعثم، وغيرها من الأخبار يتبيّن ويشعر أن الصحابة هم الذين كانوا يحركون المؤامرة، ويثيرون الفتنة، فأبو مخنف ذو الميول الشيعية لا يتورع في اتهام عثمان بأنه الخليفة الذي كثرت سقطاته، فاستحق ما استحق، ويظهر طلحة في مروياته كواحد من الثائرين على عثمان، والمؤلبين ضده، ولا تختلف روايات الواقدي عن روايات أبي مخنف، وقد كثرت الروايات الإماميَّة التي تتهم الصحابة بالتآمر ضد عثمان رضي الله عنه، وأنهم هم الذين حركوا الفتنة، وأثاروا الناس، وهذا كله كذب وزور[٧].

وخلافاً للروايات الإماميَّة والموضوعة والضعيفة فقد حفظت لنا كتب المحدثين بحمد الله الروايات الصحيحة التي يظهر فيها الصحابة من المؤازرين لعثمان، والمنافحين عنه والمتبرئين من قتله، والمطالبين بدمه بعد مقتله، وبذلك يستبعد أي اشتراك لهم في تحريك الفتنة، أو إثارتها[٨]، إن الصحابة جميعاً رضي الله عنهم أبرياء من دم عثمان رضي الله عنه، ومن قال خلاف

---

(١) خلافة علي بن أبي طالب علي عبد الحميد، ص ٨٧.
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٠٢).
(٣) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، ص ١٢٩؛ حق اليقين، عبد الله شبر، ص ١٨٩.
(٤) المستدرك (٣/ ١٠٣).
(٥) مناهج السنة (٤/ ٤٠٦).
(٦) العقيدة في أهل البيت، ص ١٣٠، إسناده حسن؛ الطبقات (٣/ ٣).
(٧) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٤ إلى ١٨).
(٨) المصدر السابق نفسه.

ذلك، فكلامه باطل لا يستطيع أن يقيم عليه أي دليل ينهض إلى مرتبة الصحة، ولذلك أخرج خليفة في تاريخه عن عبد الأعلى بن الهيثم، عن أبيه، قال: قلت للحسن: أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين، والأنصار؟ قال: لا، كانوا أعلاجاً[١]، من أهل مصر. وقال الإمام النَّووي: ولم يشارك في قتله أحد من الصحابة، وإنما قتله همج، ورعاع من غوغاء القبائل سفلة الأطراف والأراذل، تحزَّبوا، وقصدوه من مصر، فعجزت الصَّحابة الحاضرون عن دفعهم، فحصروه حتَّى قتل، رضي الله عنه[٢].

وقد وصفهم الزبير رضي الله عنه بأنهم غوغاء من الأمصار، ووصفتهم السيِّدة عائشة بأنَّهم نزَّاع القبائل[٣]، ووصفهم ابن تيمية بأنهم خوارج مفسدون وضالون، باغون معتدون[٤]، ووصفهم الذهبيُّ بأنهم رؤوس شرٍّ، وجفاء[٥]، ووصفهم ابن العماد الحنبليُّ في الشذرات بأنَّهم أراذل من أوباش القبائل[٦]، ويشهد على هذا الوصف تصرُّف هؤلاء الرُّعاع منذ الحصار إلى قتل الخليفة رضي الله عنه ظلماً، وعدواناً؛ فكيف يمنع الماء عنه، والطّعام، وهو الذي طالما دفع من ماله الخاص ما يروي ظمأ المسلمين بالمجّان[٧]؟ وهو الذي يساهم بأموال كثيرة عندما يلمُّ بالناس مجاعة، أو مكروه، وهو الدائم العطاء عندما يصيب النَّاس ضائقة، أو شدَّة من الشدائد[٨]، حتى إنَّ علياً رضي الله عنه يصف هذا الحال، وهو يؤنب المحاصرين بقوله: يا أيُّها الناس: إن الذي تفعلونه لا يشبه أمر المؤمنين، ولا أمر الكافرين، فلا تمنعوا عن هذا الرّجل الماء، ولا المادة ـ الطعام ـ فإن الرُّوم، وفارس لتأسر، وتطعم، وتسقي[٩].

لقد صحَّت الأخبار، وأكّدت حوادث التاريخ على براءة الصَّحابة من التَّحريض على عثمان أو المشاركة في الفتنة ضدّه[١٠]، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى (كتابي تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان)[١١].

---

(١) العلج: كل جاف شديد من الرّجال.
(٢) شهيد الدار عثمان بن عفان، ص ١٤٨.
(٣) شرح النَّوويِّ على صحيح مسلم (١٥/١٤٨).
(٤) منهاج السنَّة (٢/ ١٨٩ ـ ٢٠٦).
(٥) دول الإسلام للذهبي (١/ ١٢).
(٦) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٤٨٢)؛ شذرات الذهب (١/ ٤٠).
(٧) تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان للصَّلاَّبي، ص ٤٥٠.
(٨) التمهيد والبيان، ص ٤٢٤.
(٩) تاريخ الطبري (٥/ ٤٠٠).
(١٠) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٨).
(١١) عثمان بن عفان للصَّلاَّبي، ص ٤٥١ إلى ٤٦٦.

رابعاً ـ الحسن بن علي في عهد والده رضي الله عنهما :

تمت بيعة علي رضي الله عنه بالخلافة بطريقة الاختيار، وذلك بعد أن استشهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه على أيدي الخارجين المارقين الشذاذ الذين جاؤوا من الآفاق، ومن أمصار مختلفة، وقبائل متباينة لا سابقة لهم، ولا أثر خير في الدين، فبعد أن قتلوه ـ رضي الله عنه ـ ظلماً وزوراً وعدواناً يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين[١]، قام كل من بقي بالمدينة من أصحاب رسول الله بمبايعة علي رضي الله عنه بالخلافة، وذلك لأنه لم يكن أحد أفضل منه على الإطلاق في ذلك الوقت، فلم يدَّعِ الإمامة لنفسه أحد بعد عثمان رضي الله عنه، ولم يكن أبو السبطين رضي الله عنه حريصاً عليها، ولذلك لم يقبلها إلا بعد إلحاح شديد ممن بقي من الصحابة بالمدينة، وخوفاً من ازدياد الفتن وانتشارها، ومع ذلك لم يسلم من نقد بعض الجهال إثر تلك الفتن كموقعة الجمل وصفين؛ التي أوقد نارها وأنشبها الحاقدون على الإسلام كابن سبأ وأتباعه الذين استخفهم، فأطاعوه لفسقهم ولزيغ قلوبهم عن الحق والهدى.

وقد روى الكيفية التي تم بها اختيار علي رضي الله عنه للخلافة بعض أهل العلم[٢]، وقد ذكرت تلك الروايات بالتفصيل في كتابي (أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه)، وقد انعقد إجماع أهل السنة والجماعة على أن علياً رضي الله عنه كان متعيناً للخلافة بعد عثمان رضي الله عنه لبيعة المهاجرين والأنصار له؛ لما رأوا لفضله على من بقي من الصحابة، وأنه أقدمهم إسلاماً، وأوفرهم علماً، وأقربهم بالنبي ﷺ نسباً، وأشجعهم نفساً، وأحبهم إلى الله ورسوله، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأشرفهم منزلة، وأشبههم برسول الله ﷺ هدياً وسمتاً، فكان رضي الله عنه متعيناً للخلافة دون غيره، وقد قام من بقي من أصحاب النبي ﷺ بالمدينة بعقد البيعة له بالخلافة بالإجماع، فكان حينئذ إماماً حقاً وجب على سائر الناس طاعته، وحرم الخروج عليه ومخالفته.

وقد نقل الإجماع على خلافته كثير من أهل العلم منهم: ابن سعد[٣]، وابن قدامة[٤]، وأبو الحسن الأشعري[٥]، وأبو نعيم الأصبهاني[٦]، وأبو منصور البغدادي[٧]، والزهري[٨]،

---

(١) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣١).
(٢) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (٢/ ٦٧٧).
(٣) الطبقات الكبرى (٣/ ٣١).
(٤) منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين، ص٧٧ ـ ٧٨ نقلاً عن عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٦٨٩).
(٥) الإبانة عن أصول الديانة، ص ٧٨، مقالات الإسلاميين (١/ ٣٤٦).
(٦) كتاب الإمامة والرد على الرافضة، ص ٣٦٠ ـ ٣٦١.
(٧) كتاب أصول الدين، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧.
(٨) الاعتقاد، ص ١٩٣.

وعبد الملك الجويني[١]، وأبو عبد الله بن بطة[٢]، والغزالي[٣]، وأبو بكر ابن العربي[٤]، وابن تيمية[٥]، وابن حجر[٦]، والذي نستفيده من هذه النقول المتقدمة للإجماع أن خلافة علي رضي الله عنه محل إجماع على أحقيتها وصحتها في وقت زمانها، وذلك بعد قتل عثمان رضي الله عنه؛ حيث لم يبق على الأرض أحق بها منه رضي الله عنه، فقد جاءت علي رضي الله عنه على قَدَر في وقتها ومحلها[٧].

١ ـ خروج أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى الكوفة:

لم يكن بعض الصحابة رضي الله عنهم في المدينة يؤيدون خروج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من المدينة، وقد تبين ذلك حينما همَّ عليٌّ بالنهوض إلى الشام ليزور أهلها وينظر ما هو رأي معاوية، وما هو صانع[٨]، فقد كان يرى أن المدينة لم تعد تمتلك المقومات التي تملكها بعض الأمصار في تلك المرحلة، فقال: إن الرجل والأموال بالعراق[٩]، فلما علم أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه بهذا الميل قال للخليفة: يا أمير المؤمنين، لو أقمت بهذه البلاد لأنها الدرع الحصينة، ومهاجر رسول الله ﷺ، وبها قبره ومنبره ومادة الإسلام، فإن استقامت لك العرب كنت كما كان، وإن تشعب عليك قوم رميتهم بأعدائهم، وإن ألجئت حينئذ إلى السير سرت وقد أعذرت...، فأخذ الخليفة بما أشار عليه أبو أيوب. وعزم المقام بالمدينة وبعث العمال على الأمصار[١٠].

ولكن حصلت كثير من المستجدات السياسية التي أرغمت الخليفة على مغادرة المدينة، وقرّر الخروج للتوجه إلى الكوفة ليكون قريباً من أهل الشام[١١]، وأثناء استعداده للخروج، بلغه خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة، فاستنفر أهل المدينة ودعاهم إلى نصرته، وحدث تثاقل من بعض أهل المدينة بسبب وجود الغوغاء في جيش علي، وطريقة التعامل معهم، فكثير

---

(١) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ص ٣٦٢، ٣٦٣.
(٢) لوامع الأنوار البهية للإسفراييني (٢/ ٢٤٦)؛ عقيدة أهل السنة (٢/ ٦٩٢).
(٣) الاقتصاد في الاعتقاد، ص ١٥٤.
(٤) العواصم من القواصم، ص ١٤٢.
(٥) الوصية الكبرى، ص ٢٣.
(٦) فتح الباري (٧/ ٧٢).
(٧) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (٢/ ٦٩٣).
(٨) الثقات لابن حبان (٢/ ٢٨٣)، الأنصار في العصر الراشدي، ص ١٦١.
(٩) الإحالة السابقة نفسها.
(١٠) الإحالة السابقة نفسها.
(١١) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، ص ١٨٣.

من أهل المدينة يرون أن الفتنة لا زالت مستمرة، فلا بد من التروي حتى تتجلى الأمور أكثر، وهم يقولون: لا والله ما ندري كيف نصنع، فإن هذا الأمر لمشتبه علينا ونحن مقيمون حتى يضيء لنا ويسفر، وروى الطبري: أن علياً رضي الله عنه خرج في تعبئته التي كانت تعبأ بها إلى الشام، وخرج معه النشطة من الكوفيين والبصريين متخففين في سبعمئة رجل[١]، والأدلة على تثاقل الكثير من أهل المدينة عن إجابة دعوة أمير المؤمنين للخروج كثيرةٌ؛ منها: خُطَبُ الخليفة التي شكا فيها من هذا التثاقل[٢].

٢ ـ نصيحة الحسن بن علي لوالده:

خرج أمير المؤمنين من المدينة، وعندما بلغ الربذة[٣] عسكر فيها بمن معه، ووفد عليه عدد من المسلمين بلغوا المئتين[٤]، وفي الربذة قام إليه ابنه الحسن رضي الله عنهما وهو باكٍ لا يخفي حزنه وتأثره على ما أصاب المسلمين من تفرق واختلاف، وقال الحسن لوالده: قد أمرتني فعصيتك، فتقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك، فقال علي: إنك لا تزال تخن خنين الجارية[٥]، وما الذي أمرته فعصيته؟ قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان رضي الله عنه أن تخرج من المدينة، فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل أن لا تبايع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر، ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان، ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا، فإن كان الفساد كان على يدي غيرك، فعصيتني في ذلك كله. قال: أي بني، أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما قولك: لا تبايع حتى تأتي بيعة الأمصار، فإن الأمر أمر أهل المدينة وكرهنا أن يضيع هذا الأمر، وأما قولك: حين خرج طلحة و الزبير، فإن ذلك كان وهناً على أهل الإسلام، والله ما زلت مقهوراً مذ وليت، منقوصاً لا أصل إلى شيء مما ينبغي، وأما قولك: اجلس في بيتك؛ فكيف لي بما قد لزمني أو من تريدني؟ أتريدني أن أكون مثل الضبع التي يحاط بها، ويقال: دباب دباب[٦]، ليست هاهنا حتى يحل عرقوباها ثم نخرج، وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر ويعنيني فمن ينظر فيه، فكف عنك أي بني.

ومن هذه الحادثة نلاحظ حسن تربية أمير المؤمنين علي لابنه، وكيف أعطاه مجالاً ليعبر عن ما في نفسه بدون ضغوط، ثم رد أمير المؤمنين على كل اعتراض، كما تبين ميل الحسن رضي الله

(١) المصدر السابق نفسه، (٥/ ٤٨١).
(٢) الطبقات (٣/ ٢٣٧)، الأنصار في العصر الراشدي، ص ١٦٣.
(٣) شرق المدينة المنورة تبعد ٢٤٠ كم.
(٤) أنساب الأشراف (٢/ ٤٥)؛ خلافة علي بن أبي طالب، ص ١٤٣.
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٢): خن: أخرج الصوت من خياشيمه.
(٦) دباب، كقطام: دعاء الضبع للضبع.

عنه المبكر للسلم والابتعاد عن استخدام القوة مهما كلف الأمر، أما أمير المؤمنين علي، فقد كان حازماً ـ والحق معه ـ في هذه المشكلة، واضحاً، ولم يستطع أحد أن يثنيه عن عزمه وكان متريثاً في تنفيذ القصاص على قتلة عثمان فقد كان ينتظر حتى يستتبَّ له الأمر، ثم ينظر في شأن قتلة عثمان، فحين طالب الزبير وطلحة ومن معهم بإقامة حد القصاص عليهم اعتذر لهم بأنهم كثير، وأنهم قوة لا يستهان بها، وطلب منهم أن يصبروا حتى تستقر الأوضاع وتهدأ الأمور، فتؤخذ الحقوق، لأن الظروف لم تكن مواتية من جلب المصالح، وقد ألمح أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى اختيار أهون الشرين حين قال: هذا الذي ندعوكم إليه من إقرار ـ قتلة عثمان ـ وهو خير من شر منه: القتال والفرقة[(١)].

لقد رأى أمير المؤمنين أن المصلحة تقتضي تأخير القصاص لا تركه، فأخر القصاص من أجل هذا، وكان رضي الله عنه ينتظر بقتلة عثمان أن يستوثق الأمن وتجتمع الكلمة ويرفع الطلب من أولياء الدم، فيحضر الطالب للدم والمطلوب، وتقع الدعوة ويكون الجواب، وتقوم البينة ويجري القضاء في مجلس الحكم[(٢)]، ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدى ذلك إلى إثارة الفتنة وتشتيت الكلمة[(٣)]، وأما ما أثير عن وجود قتلة عثمان في جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وكيف يرضى أن يكون هؤلاء في جيشه، فقد أجاب الإمام الطحاوي عن ذلك بقوله: وكان في عسكر علي رضي الله عنه من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه، ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله[(٤)]، وعلى كل حال، كان موقفه منهم موقف المحتاط منهم، المتبرئ من فعلهم، وكان راغباً في الاستغناء عنهم بل الاقتصاص منهم، لو وجد إلى ذلك سبيلاً، وقد فصلت ذلك في كتابي (أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب).

٣ ـ أثر الحسن بن علي في استنفار أهل الكوفة:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يمارس صلاحياته كخليفة، وكان فيه من العزم والحزم بحيث لا يستطيع أحد أن يثنيه عن عزمه، فأرسل علي رضي الله عنه من الربذة يستنفر أهل الكوفة ويدعوهم إلى نصرته، وكان الرسولان محمد بن أبي بكر الصديق، ومحمد بن جعفر، ولكنهما لم ينجحا في مهمتهما، إذ إن أبا موسى الأشعري والي الكوفة من قبل علي، ثبَّط الناس ونهاهم عن الخروج والقتال في الفتنة، وأسمعهم ما سمعه من رسول الله ﷺ من التحذير من الاشتراك في

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٠).
(٢) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٥٦).
(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ١٧١٨).
(٤) شرح الطحاوية، ص ٥٤٦.

الفتنة[١]، فأرسل علي بعد ذلك هاشم بن عتبة ابن أبي وقاص، ففشل في مهمته، لتأثير أبي موسى عليهم[٢]، فبعث عبد الله بن عباس فأبطؤوا عليه، فأتبعه بعمار بن ياسر والحسن بن علي، وعزل أبا موسى الأشعري واستعمل قرظة بن كعب بدلاً منه[٣].

وكان للقعقاع بن عمرو دور كبير في إقناع أهل الكوفة، قام فيهم وقال: إني لكم ناصح وعليكم شفيق، وأحب أن ترشدوا، ولأقولن لكم قولاً هو الحق، . . . والقول الذي هو القول: إنه لا بد من إمارة تنظم الناس، وتنزع الظالم، وتعز المظلوم، وهذا علي يلي ما ولي، وقد أنصف في الدعاء، وإنما يدعو إلى الإصلاح، فانفروا وكونوا في هذا الأمر بمرأى ومسمع[٤].

وكان للحسن بن علي أثر واضح، فقد قام خطيباً في الناس وقال: أيها الناس، أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولو النهى[٥]، أمثل في العاجلة وخير في العاقبة، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم[٦]، ولبى كثير من أهل الكوفة وخرجوا مع عمار والحسن إلى علي ما بين ستة إلى سبعة آلاف رجل، ثم انضم إليهم من أهل البصرة ألفان من عبد القيس، ثم توافدت عليه القبائل إلى أن بلغ جيشه عند حدوث المعركة اثني عشر ألف رجل تقريباً[٧]، وعندما التقى أهل الكوفة بأمير المؤمنين علي بذي قار قال لهم: يا أهل الكوفة، أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم، وفضضتم جموعهم، حتى صارت إليكم مواريثهم، فأعنتم حوزتكم، وأعنتم الناس على عودهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة؛ فإن يرجعوا فذلك ما نريد، وإن يلجوا داويناهم بالرفق وبايناهم حتى يبدؤونا بظلم، ولن ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله ولا قوة إلا بالله[٨].

٤ ـ محاولات الصلح:

كان علي رضي الله عنه حريصاً على أن يقضي على هذه الفرقة والفتنة بالوسائل السلمية، وتجنيب المسلمين شر القتال والصدام المسلح بكل ما أوتي من قوة وجهد، وكذلك الحال بالنسبة لطلحة والزبير، وقد اشترك في محاولات الصلح عدد من الصحابة وكبار التابعين، وكان من أشهرها محاولة القعقاع بن عمرو، فقد حاور طلحة والزبير والسيدة عائشة، وقد تأثروا بما

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٤)؛ مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ١٢) إسناده حسن.
(٢) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد؛ ص ٤٤، سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٨٦).
(٣) فتح الباري (١٣/ ٢٥)؛ التاريخ الصغير (١/ ١٠٩).
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٦).
(٥) أولو النهى: أصحاب العقول.
(٦) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٦).
(٧) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧) بسند صحيح إلى الزهري.
(٨) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٩).

طرح، وسألت السيدة عائشة القعقاع عن رأيه في أمر قتلة عثمان، فقال: هذا أمر دواؤه التسكين، ولا بد من التأني في الاقتصاص من قتلة عثمان، وإن أنتم بايعتم علياً[(١)] واتفقتم معه، كان هذا علامة خير، وتباشير رحمة، وقدرة على الأخذ بثأر عثمان، وإن أنتم أبيتم ذلك، وأصررتم على المكابرة والقتال كان هذا علامة شر، وذهاباً لهذا الملك، فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولاً، ولا تعرضونا للبلاء، فتتعرضوا له، فيصرعنا الله وإياكم، وايم الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه، وإني لخائف ألا يتم، حتى يأخذ الله حجته من هذه الأمة التي قل متاعها، ونزل بها ما نزل، فإن ما نزل بها أمر عظيم، وليس كقتل الرجل الرجل، ولا قتل النفر الرجل، ولا قتل القبيلة القبيلة. اقتنعوا بكلام القعقاع المقنع الصادق المخلص، ووافقوا على دعوته إلى الصلح، وقالوا له: أحسنت وأصبت المقالة، فارجع فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر إن شاء الله، وعاد القعقاع إلى علي في «ذي قار»، وقد نجح في مهمته، وأخبر علياً بما جرى معهم، فأعجب علي بذلك، وأوشك القوم على الصلح، كرهه من كرهه ورضيه من رضيه[(٢)].

٥ ـ دور السبئية في نشوب القتال في معركة الجمل:

لما عاد القعقاع وأخبر أمير المؤمنين علي بما فعل، أرسل علي رضي الله عنه رسولين[(٣)] إلى عائشة والزبير ومن معه يستوثق فيه مما جاء به القعقاع بن عمرو، فجاءا علياً، بأنه على ما فارقنا عليه القعقاع فاقدم، فارتحل علي حتى نزل بحيالهم، فنزلت القبائل إلى قبائلهم؛ مضر إلى مضر، وربيعة إلى ربيعة، واليمن إلى اليمن، وهم لا يشكون في الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح[(٤)].

وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لما نوى الرحيل قد أعلن قراره الخطير: ألا وإني راحل غداً فارتحلوا؛ يقصد إلى البصرة، ألا ولا يرتحلن غداً أحدٌ أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس[(٥)]، وكان في معسكر علي رضي الله عنه من أولئك الطغاة والخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه، ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره[(٦)]، وحرص أتباع ابن سبأ على إشعال الفتنة وتأجيج نيرانها حتى يفلتوا من القصاص[(٧)]، فلما نزل الناس منازلهم واطمأنوا؛ خرج علي وخرج طلحة والزبير، فتوافقوا

---

(١) المقصود: الانقياد التام لسياسة أمير المؤمنين علي في التعامل مع قتلة عثمان.
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٧٣٩)؛ تاريخ الطبري (٥/ ٥٢١).
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٥٢٥).
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٥٣٩).
(٥) المصدر السابق نفسه (٥/ ٥٢٥).
(٦) المصدر السابق نفسه (٥/ ٥٢٦).
(٧) المصدر السابق نفسه (٥/ ٥٢٧)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٢٠).

وتكلموا فيما اختلفوا فيه، فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح، وترك الحرب حين رأوا أن الأمر أخذ في الانقشاع، فافترقوا على ذلك، ورجع علي إلى عسكره، ورجع طلحة والزبير إلى عسكرهما، وأرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما، وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه ما عدا أولئك الذين حاصروا عثمان رضي الله عنه ـ فبات الناس على نية الصلح والعافية، وهم لا يشكون في الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، ولا ينوون إلا الصلح.

وبات الذين أثاروا الفتنة بشر ليلة باتوها قط، إذ أشرفوا على الهلاك، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلهم، وقال قائلهم: أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما، وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم، وذلك حين طلب من الناس أن يرتحلوا في الغد، ولا يرتحل معه أحد أعان على عثمان بشيء ـ ورأي الناس فينا والله واحد، وأن يصطلحوا مع علي فعلى دمائنا[(١)]، وتكلم ابن السوداء ـ عبد الله بن سبأ وهو المشير فيهم ـ فقال: إن عزكم في خلطة الناس، فصانعوهم، وإذا التقى الناس غداً فانشبوا القتال، ولا تفرغوهم للنظر، وإذا أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع، ويشغل الله علياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون[(٢)]، فاجتمعوا على هذا الرأي بإنشاب الحرب في السر، فغدوا في الغلس وعليهم ظلمة، وما يشعر بهم جيرانهم، فخرج مضريهم إلى مضريهم، وربيعيهم إلى ربيعيهم، ويمانيهم إلى يمانيهم، فوضعوا فيهم السيوف، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجوه الذين باغتوهم، فخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس واندلع القتال[(٣)]، وقد تحدثت عن جولات معركة الجمل بالتفصيل في كتابي (أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)، فقد كان أثر السبئية في معركة الجمل مما يكاد يجمع عليه العلماء، سوى من أسموهم بالمفسدين أو بأوباش الطائفتين، أو أسماهم البعض بقتلة، أو نبذوهم بالسفهاء، أو بالغوغاء، أو أطلقوا عليهم صراحة السبئية[(٤)].

وهـذه بعض النصوص التي تؤكد ذلك:

أ ـ جاء في أخبار البصرة لعمر بن شبة: أن الذين نسب إليهم قتل عثمان خشوا أن يصطلح الفريقان على قتلهم، فأنشبوا الحرب بينهم حتى كان ما كان[(٥)].

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٥٢٦).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٥٢٧).
(٣) المصدر السابق نفسه (٥/ ٥٤١).
(٤) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، ص ١٩٤.
(٥) فتح الباري (١٣/ ٥٦).

ب ـ **قال الإمام الطحاوي**: فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي ولا من طلحة، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين[(١)].

ج ـ **وقال الباقلاني**: . . وتمَّ الصلح والتفرق على الرضا، فخاف قتلة عثمان من التمكن منهم، والإحاطة بهم، فاجتمعوا، وتشاوروا واختلفوا، ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا فرقتين، ويبدؤوا بالحرب سحرة في المعسكرين ويختلطوا، ويصيح الفريق الذي في معسكر علي: غدر طلحة والزبير، ويصيح الفريق الذي في معسكر طلحة والزبير: غدر علي، فتم لهم ذلك على ما دبروه، ونشبت الحرب، فكان كل فريق منهم دافعاً لمكروه عن نفسه، ومانعاً من الإشاطة بدمه، وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله تعالى إذا وقع، والامتناع منهم على هذا السبيل، فهذا هو الصحيح المشهور، وإليه نميل، وبه نقول[(٢)].

د ـ **ونقل القاضي عبد الجبار**: أقوال العلماء، باتفاق رأي علي وطلحة والزبير وعائشة ـ رضوان الله عليهم ـ على الصلح، وترك الحرب، واستقبال النظر في الأمر، وأنَّ من كان في المعسكر من أعداء عثمان كرهوا ذلك، وخافوا أن تتفرغ الجماعة لهم، فدبّروا في إلقاء ما هو معروف، وتمّ ذلك[(٣)].

هـ ـ **ويقول القاضي أبو بكر بن العربي**: وقدم عليّ على البصرة، وتدانوا ليتراءوا، فلم يتركهم أصحاب الأهواء، وبادروا بإراقة الدماء، واشتجر الحرب، وكثرت الغوغاء على البوغاء، كل ذلك حتى لا يقع برهان، ولا يقف الحال على بيان، ويخفى قتلة عثمان، وإنّ واحداً في الجيش يفسد تدبيره، فكيف بألف[(٤)].

و ـ **ويقول ابن حزم**: . . . وبرهان ذلك: أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم، فدفع القوم عن أنفسهم حتى خالطوا عسكر عليّ، فدفع أهله عن أنفسهم كل طائفة تظن ولا شك أن الأخرى بدأتها القتال، واختلط الأمر اختلاطاً، لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه، والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون عن شنّ الحرب وإضرامها، فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها، مدافعة عن نفسها، ورجع الزبير وترك الحرب بحالها، وأتى طلحة سهم غارب، وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط، فصادف جرحاً في ساقه كان أصابه يوم أحد بين يدي رسول الله ـ ﷺ ـ، فانصرف ومات من وقته ـ رضي الله عنه ـ، وقتل الزبير بوادي السباع ـ بعد

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٥٤٦.

(٢) التمهيد، ص ٢٣٣.

(٣) تثبيت دلائل النبوة للهمذاني، ص ٢٩٩.

(٤) العواصم من القواصم، ص ١٥٦، ١٥٧.

انسحابه من المعركة ـ على أقل من يوم من البصرة، فهكذا كان الأمر[١].

ز ـ **ويقول الذهبي**. . كانت وقعة الجمل أثارها سفهاء الفريقين[٢]. ويقول: إن الفريقين اصطلحا وليس لعلي ولا لطلحة قصد القتال، بل ليتكلموا في اجتماع الكلمة، فترامى أوباش الطائفتين بالنبل، وشبَّت نار الحرب، وثارت النفوس[٣]. وفي دول الإسلام: والتحم القتال من الغوغاء: وخرج الأمر عن علي وطلحة والزبير[٤]. يقول الدكتور سليمان بن حمد العودة: ولنا بعد ذلك أن نقول: وما المانع أن تكون رواية الطبري المصرّحة بدور السبئية في الجمل، تفسر هذا التعميم وتحدد تلك المسميات التي وردت في نقولات هؤلاء العلماء؟ وحتى ولو لم تكن هذه الطوائف الغوغائية ذات صلة مباشرة بالسبئية ولم تكن لها أهداف كأهدافهم، فأي مانع يمنع القول أن هذه شكلت أرضية استغلها ابن سبأ وأعوانه «السبئية» كما هي العادة في بعض الحركات الغوغائية التي تستغل من قبل المفسدين[٥].

وقد كان الحسن رضي الله عنه يوم الجمل على الميمنة، وقيل: على الميسرة، وكان يكره القتال ويشير على أبيه بتركه[٦].

٦ ـ عدد القتلى في الجمل:

أسفرت هذه الحرب الضروس عن عدد من القتلى اختلف في تقديره الروايات، وذكر المسعودي: أن هذا الاختلاف في تقدير عدد القتلى مرجعه إلى أهواء الرواة[٧]، وقد أورد خليفة ابن خياط بياناً بأسماء من حفظ من قتلى يوم الجمل، فكانوا قريباً من المئة[٨]، فلو فرضنا أن عددهم كان مئتين وليس مئة، فإن هذا يعني أن قتلى معركة الجمل لا يتجاوز المئتين. وهذا هو الرقم الذي ترجح لدى الدكتور خالد بن محمد الغيث في رسالته (استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري دراسة نقدية)[٩]، وأما ما ذكره أبو مخنف الرافضي الشيعي في كون القتلى يصل عددهم إلى عشرين ألفاً[١٠]، فهذا مبالغ فيه، وقد أساء هذا الكذّاب

---

(١) الفصل في الملل والنحل (٤/ ١٥٧، ١٥٨).
(٢) العبر (١/ ٣٧)؛ عبد الله بن سبأ للعودة، ص ١٩٥.
(٣) تاريخ الإسلام (١/ ١٥)؛ عبد الله بن سبأ للعودة، ص ١٩٥.
(٤) المصدر السابق نفسه.
(٥) تاريخ الدول، ص ١٩٦.
(٦) الوافي بالوفيات للصفدي (١٢/ ١٠٩).
(٧) مروج الذهب (٣/ ٣٦٧).
(٨) تاريخ خليفة، ص ١٨٧، ١٩٠.
(٩) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، ص ٢١٥.
(١٠) تاريخ خليفة، ص ٨٦ بسند مرسل.

من حيث يظن أنه أحسن، إذ ذكر أن العشرين ألفاً من أهل البصرة فقط[١]، وأما سيف فيذكر أنهم عشرة آلاف نصفهم من أصحاب علي رضي الله عنه، ونصفهم من أصحاب عائشة رضي الله عنها، وفي رواية أخرى قال: وقيل: خمسة عشرة آلفاً، خمسة آلاف من أهل الكوفة، وعشرة آلاف من أهل البصرة، نصفهم قتل في المعركة الأولى، ونصفهم في الجولة الثانية[٢]، والروايتان ضعيفتان للانقطاع، وفيهما مبالغة أيضاً.

ويذكر عمر بن شبة: أن القتلى يزيدون على ستة آلاف، إلا أن الرواية ضعيفة سنداً[٣]، وأما اليعقوبي، فقد جاوز هؤلاء جميعاً، إذ وضع عدد القتلى نيفاً وثلاثين ألفاً[٤]، وهذه الأرقام مبالغٌ فيها جداً، وقد ذكرت في كتابي (أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب) أسباب المبالغة.

٧ ـ نداء أمير المؤمنين بعد الحرب:

ما إن بدأت الحرب تضع أوزارها، حتى نادى منادي علي: أن لا يجهزوا على جريح، ولا يتبعوا مدبراً، ولا يدخلوا داراً، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، وليس لجيشه من غنيمة إلا ما حمل إلى ميدان المعركة من سلاح وكراع، وليس لهم ما وراء ذلك من شيء، ونادى منادي أمير المؤمنين فيمن حاربه من أهل البصرة: من وجد شيئاً من متاعه عند أحد من جنده، فله أن يأخذه[٥].

٨ ـ تفقُّده للقتلى وترحمُّه عليهم:

بعد انتهاء المعركة خرج أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يتفقد القتلى في نفر من أصحابه، فأبصر محمد بن طلحة السجاد، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أما والله لقد كان شاباً صالحاً، ثم قعد كئيباً حزيناً.. ودعا للقتلى بالمغفرة وترحم عليهم، وأثنى على عدد منهم بالخير والصلاح[٦].

٩ ـ تأثره من مقتل طلحة رضي الله عنه:

.. وإن علياً لما دار بين القتلى رأى طلحة مقتولاً، فجعل يمسح عن وجهه التراب[٧] ثم قال:

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٨٦.
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٥٤٢ إلى ٥٥٥).
(٣) تاريخ خليفة بن خياط، ص ١٨٦ إسناده منقطع، وهو حسن إلا قتادة.
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٥٤٦)؛ فتح الباري (١٣/ ٦٢).
(٥) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، ص ٢٠٢.
(٦) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٦١)؛ المستدرك (٣/ ١٠٣، ٣٧٥، ١٠٤) والإسناد حسن لغيره؛ خلافة علي بن أبي طالب، ص ١٦٩.
(٧) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٨).

عزيز عليّ أبا محمد أن أراك مُجندلاً في الأودية، ثم قال: إلى الله أشكو عُجري وبُجري[(١)]، وترحم عليه وقال: ليتني مت قبل هذا بعشرين سنة[(٢)].

١٠ ـ موقفه من قاتل الزبير رضي الله عنه:

لما غدر عمرو بن جرموز بالزبير وقتله احتز رأسه وذهب بـه إلى علي، ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده، فاستأذن فقال علي: بشّر قاتل ابن صفية بالنار، ثم قال علي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لكل نبي حواري وحواريّ الزبير»[(٣)]، ولما رأى علي سيف الزبير قال: إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله ﷺ[(٤)]. وفي رواية: منع أمير المؤمنين ابن جرموز بالدخول عليه، وقال للآذن: بشر قاتل ابن صفية بالنار[(٥)]، ويقال: ابن عمرو بن جرموز قتل نفسه في عهد علي، وقيل: بل عاش إلى أن تأمر مصعب ابن الزبير على العراق فاختفى منه، فقيل لمصعب: إن عمرو بن جرموز هاهنا وهو مختفٍ، فهل لك فيـه؟ فقال: مروه فليظهر فهو آمن، والله ما كنت لأقيد[(٦)] للزبير منه، فهو أحقر من أن أجعله عدلاً للزبير[(٧)].

وكان أمير المؤمنين قد وضع الأسرى في مساء يوم الجمل في موضع خاص، فلما صلى الغداة طلب موسى بن طلحة بن عبيد الله، فقربه ورحب به وأجلسه بجواره، وسأله عن أحواله وأحوال إخوته، ثم قال له: إنا لم نقبض أرضكم هذه ونحن نريد أن نأخذها، إنما أخذناها مخافة أن ينتهبها الناس، ودفع له غلتها وقال: يا بن أخي وإننا في الحاجة إذا كانت لك، وكذلك فعل مع أخيه عمران بن طلحة فبايعاه، فلما رأى الأسارى ذلك دخلوا على علي رضي الله عنه يبايعونه، فبايعهم وبايع الآخرين على راياتهم قبيلة قبيلة[(٨)].

كما سأل عن مروان بن الحكم وقال: يعطفني عليه رحم ماسة، وهو مع ذلك سيد من شباب قريش، وقد أرسل مروان إلى الحسن والحسين وابن عباس رضي الله عنهم ليكلموا علياً، فقال علي: هو آمن فليتوجه حيث شاء، ولكن مروان إزاء هذا الكرم والنبل، لم تطاوعه نفسه أن يذهب حتى بايعه[(٩)]، كما أن مروان بن الحكم أثنى على فعال أمير المؤمنين علي وقال لابنه الحسن: ما

---

(١) سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي.
(٢) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص ٥٢٨.
(٣) فضائل الصحابة (٢/ ٩٢٠).
(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٦١).
(٥) الطبقات (٣/ ١٠٥) إسناده حسن؛ خلافة علي، عبد الحميد، ص ١٦٤.
(٦) أقيد: قود: القتل بالقاتل.
(٧) البداية والنهاية (٧/ ٢٦١).
(٨) الطبقات (٣/ ٢٢٤) بسند حسن، المستدرك (٣/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧).
(٩) سنن سعيد بن منصور (٢ / ٣٣٧) بسند حسن.

رأيت أكرم غلبة من أبيك، ما كان إلا أن ولينا يوم الجمل حتى نادى مناديه: ألا يتبع مدبر، ولا يذفَّف على جريح[١].

١١ ـ أمير المؤمنين علي يرد عائشة إلى مأمنها معزَّزة مكرمة:

جهز أمير المؤمنين علي عائشة بكل شيء ينبغي لـها من مركب وزاد أو متاع، وأخرج معها من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وقال: تجهَّز يا محمد ابن الحنفية فبلغها، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس، فخرجت على الناس، وودعوها وودعتهم وقالت: يا بني لا يعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة، ولا يعتدين أحد على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندي على معتبتي من الأخيار، وقال علي: يا أيها الناس، صدقت والله وبرت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة، وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ست وثلاثين، وشيعها علي أميالاً وسرح بنيه معها يوماً[٢].

١٢ ـ ندمهم على ما حصل منهم:

قال ابن تيمية: . . وهكذا عامة السابقين، ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعلي وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم[٣].

أ ـ فأمير المؤمنين علي ورد عنه، عنـدما نظر وقد أخذت السيوف مأخذها من الرجال فقال: لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة[٤].

ب ـ وروى نعيم بن حماد، بسنده إلى الحسن بن علي: أنه قال لسليمان بن صرد: لقد رأيت علياً حين اشتد القتال وهو يلوذ بي، ويقول: يا حسن! لوددت مت قبل هذا بعشرين سنة[٥].

ج ـ وعن حسن بن علي قال: أراد أمير المؤمنين علي أمراً، فتتابعت الأمور، فلم يجد منزعاً[٦].

د ـ وعن سليمان بن صرد، عن حسن بن علي: سمع عليّاً يقول ـ حين نظر إلى السيوف قد

(١) كتاب أهل البغي من الحاوي الكبير للماوردي، ص ١١١.

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٥٨١).

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال، ص ٢٢٢.

(٤) الفتن، لنعيم بن حماد (١/ ٨٠).

(٥) المصدر السابق نفسه.

(٦) الفتن (١/ ٨١) نعيم بن حماد.

أخذت القوم ـ: يا حسن أكل هذا فينا؟! ليتني مت قبل هذا بعشرين أو أربعين سنة[١].

هـ ـ قال ابن تيمية: فإن عائشة لم تقاتل، ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنت أن خروجها مصلحة للمسلمين، ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى، فكانت إذا تذكرت خروجها تبكي حتى تبل خمارها، وهكذا عامّة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعلي وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع القتال بغير اختيارهم[٢].

و ـ قال الذهبي: ولا ريب أن عائشة ندمت ندمة كلية على مسيرها إلى البصرة وحضورها يوم الجمل، وما ظنت أن الأمر يبلغ ما بلغ[٣]، ومن أراد التوسع والمزيد من معركة الجمل التي حضرها الحسن بن علي رضي الله عنه فليراجع كتابي (أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب).

ز ـ وقبل أن نودع الأحداث المؤلمة في الجمل نقف عند درس مهم نستخلصه منها: وهو أننا لا بد أن نعمل حساباً لكيد الأعداء ومكرهم في سبيل إفشال أي جهد مخلص لتوحيد الصف، أو فيه خطر على مصالحهم، فيجب في مثل هذه الحالة ـ إذا اتفقنا على الأفكار العامة ـ أن نرسم الخطط ونضع التدابير اللازمة، لتنفيذ ما اتفقنا عليه وتفويت الفرصة على الأعداء في إفشاله، وألا نترك الفرحة بجمع الكلمة تنسينا خطر الأعداء وما يمكن أن يقوموا به بالإضرار بالإسلام والمسلمين، وقد استفاد الحسن من هذا الدرس وطبقه في مشروعه الإصلاحي الذي سيأتي تفصيله بإذن الله.

*** ـ معركة صفين:**

ومن الأحداث الكبيرة التي شاهدها الحسن بن علي في عهد والده: معركة صفين، كما كان على اطلاع مفصل بالعلاقة بين أمير المؤمنين علي ومعاوية رضي الله عنهما، فقد كان معاوية رضي الله عنه والياً على الشام في عهدي عمر وعثمان رضي الله عنهما، ولما تولى علي الخلافة أراد عزله وتولية عبد الله بن عمر، فأبى عليه عبد الله بن عمر قبول ولاية الشام، واعتذر في ذلك وذكر له القرابة والمصاهرة التي بينهم[٤]، ولم يلزمه أمير المؤمنين علي وقبل منه طلبه بعدم الذهاب إلى الشام، وأما الروايات التي تزعم أن علياً قام بالتهجم على عبد الله بن عمر رضي الله

---

(١) أحداث وأحاديث فتنة الهرج، ص ٢١٧.
(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال، ص ٢٢٢، ٢٢٣.
(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٧).
(٤) المصنف لابن أبي شيبة (٧/ ٤٧٢) إسناده صحيح.

عنه لاعتزاله وعدم الوقوف بجانبه، ففي ذلك الخبر تحريف وكذب[١].

وأقصى ما وصل إليه الأمر في قضية عبد الله بن عمر وولاية الشام ما رواه الذهبي من طريق سفيان بن عيينة، عن عمر بن نافع، عن أبيه، عن ابن عمر قال: بعث إليَّ علي قال: يا أبا عبد الرحمن إنك رجل مطاع في أهل الشام، فسر فقد أمَّرتك عليهم، فقلت: أذكر الله وقرابتي من رسول الله وصحبتي إياه إلا ما أعفيتني، فأبى علي، فاستعنت بحفصة، فأبى، فخرجت ليلاً إلى مكة[٢]. وهذا دليل قاطع على مبايعة ابن عمر، ودخوله في الطاعة، إذ كيف يوليه علي وهو لم يبايع.

وبعد اعتذار ابن عمر من قبول ولاية الشام أرسل أمير المؤمنين علي سهل بن حنيف بدلاً منه، إلا أنه ما كاد يصل مشارف الشام حتى أخذته خيل معاوية وقالوا له: إن كان بعثك عثمان فحيهلا بك، وإن كان بعثك غيره فارجع[٣]، وكانت بلاد الشام تغلي غضباً على مقتل عثمان ظلماً وعدواناً فقد وصلهم قميصه مخضباً بدمائه، وبأصابع نائلة زوجه التي قطعت وهي تدافع عنه، وكانت قصة استشهاده أليمة فظيعة اهتزت لها المشاعر، وتأثرت بها القلوب، وذرفت منها الدموع، كما وصلتهم أخبار المدينة وسيطرة الغوغاء عليها، وهروب بني أمية إلى مكة، كل هذه الأمور وغيرها من الأحداث والعوامل كان لها تأثير على أهل الشام وعلى رأسهم معاوية رضي الله عنه، فقد كان يرى أن عليه مسؤولية الانتصار لعثمان، والقود من قاتليه، فهو ولي دمه والله عز وجل يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

ولذلك جمع معاوية الناس، وخطبهم بشأن عثمان، وأنه قتل ظلماً وعدواناً على يد سفهاء منافقين لم يقدروا الدم الحرام، إذ سفكوه في الشهر الحرام في البلد الحرام، فثار الناس، واستذكروا، وعلت الأصوات، وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله ﷺ، فقام أحدهم واسمه مرة بن كعب فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما تكلمت، وذكر الفتن فقربها، فمر رجل متقنع في ثوب، فقال: هذا يومئذ على الهدى، فقمت إليه، فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: نعم[٤].

وهناك حديث آخر له تأثيره في طلب معاوية القود من قتلة عثمان، ومنشطاً ودافعاً قوياً للتصميم على تحقيق الهدف؛ وهو: عن النعمان بن بشير، عن عائشة رضي الله عنها قالت:

---

(١) استشهاد عثمان ووقعت الجمل، خالد الغيث، ص ١٦٠.

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٢٤) رجاله ثقات.

(٣) تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٣٩)؛ خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص ١١٠.

(٤) صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٢٤).

أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان، فكان من آخر كلمة أن ضرب منكبه فقال: يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصاً، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني ثلاث، فقلت لها: يا أم المؤمنين، فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله ما ذكرته، قال: فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرضَ بالذي أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين: أن اكتبي إليّ به، فكتبت إليه به كتاب[١].

فقد كان الحرص الشديد على تنفيذ حكم الله في القتلة السبب الرئيسي في رفض أهل الشام بزعامة معاوية بن أبي سفيان بيعة علي بن أبي طالب بالخلافة، وليست لأطماع معاوية في ولاية الشام، أو طلبه ما ليس بحق؛ إذ كان يدرك إدراكاً تاماً أن هذا الأمر في بقية الستة من أهل الشورى، وأن علياً أفضل منه وأولى بالأمر[٢]، ودليل ذلك ما أخرجه يحيى بن سليمان الجعفي بسند جيد، عن أبي مسلم الخولاني: أنه قال لمعاوية: أنت تنازع علياً، أم أنت مثله؟ فقال: لا والله إني لأعلم إنه لأعلم مني، وأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً، وأنا ابن عمه، والطالب بدمه، فأتوه، فقولوا له: فليدفع إليَّ قتلة عثمان وأسلم لهم، وأتوا علياً فكلموه، فلم يدفعهم إليه[٣]، وفي رواية: فأتوه فكلموه فقال: يدخل في البيعة ويحاكمهم إليَّ، فامتنع معاوية[٤].

١ ـ هل خروج معاوية على علي رضي الله عنهما بسبب أطماع دنيوية؟

إن الروايات التي تصور معاوية في خروجه عن طاعة علي بسبب أطماع ذاتية وأطماع دنيوية، وبسبب التنافس والعداء الجاهلي القديم بين بني هاشم وبني أمية وغير ذلك من القذف والافتراءات والطعن على أصحاب رسول الله ﷺ مما اعتمد عليها الكتاب المعاصرون ـ كالعقاد في عبقرية علي، وعبد العزيز الدوري في مقدمته في تاريخ صدر الإسلام، وبنوا عليها تحليلاتهم الباطلة، هي روايات متروكة مطعون في رواتها عدلاً وضبطاً[٥].

مما قد شاع بين الناس قديماً وحديثاً: أن الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ـ كان سببه طمع معاوية في الخلافة، وأن خروج هذا الأخير على عليّ وامتناعه عن بيعته كان بسبب عزله عن ولاية الشام، ذكرها مؤرخو الشيعة الإماميَّة أو كتاب الإمامة والسياسية المنسوب زوراً وبهتاناً لابن قتيبة الدينوري، فهذا الكتاب لا يثبت لابن قتيبة وإنما كاتبه إماميٌّ محترق، وهذه

---

(١) مسند أحمد باقي مسند الأنصار، رقم ٢٤٠٤٥ حديث صحيح.
(٢) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص ١١٢.
(٣) فتح الباري (١٣/ ٩٢)؛ البداية والنهاية (٨/ ١٢٩).
(٤) المصدر السابق نفسه، استشهاد عثمان، ص ١٦٠.
(٥) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي، ص ١١٢.

مجموعة من الأدلة تبرهن على أن الكتاب المذكور منسوب إلى الإمام ابن قتيبة كذباً وزوراً، ومن هذه الأدلة:

ـ إن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألف كتاباً في التاريخ يدعى الإمامة والسياسة، ولا نعرف من مؤلفاته التاريخية إلا كتاب المعارف.

ـ إن المتصفح للكتاب يشعر أن ابن قتيبة أقام في دمشق والمغرب، في حين أنه لم يخرج من بغداد إلاّ إلى الدينور.

ـ إن المنهج والأسلوب الذي سار عليه مؤلف «الإمامة والسياسة» يختلف تماماً عن منهج وأسلوب ابن قتيبة في كتبه التي بين أيدينا، فإن منهج ابن قتيبة أن يقدم لمؤلفاته بمقدمات طويلة يبين فيها منهجه والغرض من مؤلفه، وعلى خلاف ذلك يسير صاحب الإمامة والسياسة، فمقدمته قصيرة جداً لا تزيد عن ثلاثة أسطر، هذا إلى جانب الاختلاف في الأسلوب، ومثل هذا النهج لم نعهده في مؤلفات ابن قتيبة.

ـ يروي مؤلف الكتاب عن أبي ليلى بشكل يشعر بالتلقي عنه، وابن أبي ليلى هذا هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه: قاضي الكوفة، توفي سنة ١٤٨هـ، والمعروف أن ابن قتيبة لم يولد إلا سنة ٢١٣هـ، أي: بعد وفاة ابن أبي ليلى بخمسة وستين عاماً.

ـ إن قسماً كبيراً من رواياته جاءت بصيغة التمريض، فكثيراً ما يجيء فيه: ذكروا عن بعض المصريين، وذكروا عن محمد بن سليمان عن مشايخ أهل مصر، وحدثنا بعض مشايخ أهل المغرب، وذكروا عن بعض المشيخة، وحدثنا بعض المشيخة. ومثل هذه التراكيب بعيدة كل البعد عن أسلوب وعبارات ابن قتيبة، ولم ترد في كتبه[(١)].

ـ ابن قتيبة يحتل منزلة عالية لدى العلماء؛ فهو عندهم من أهل السنة، وثقة في علمه ودينه، يقول السلفي: كان ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة، ويقول ابن حزم: كان ثقة في دينه وعلمه، وتبعه في ذلك الخطيب البغدادي، ويقول عنه ابن تيمية: وإن ابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق والمنتصرين لمذاهب أهل السنة المشهورة[(٢)]. ورجل هذه منزلته لدى رجال العلم المحققين: هل من المعقول أن يكون مؤلف كتاب الإمامة والسياسة الذي شوَّه التاريخ وألصق بالصحابة الكرام ما ليس فيهم[(٣)]؟!.

إن مؤلف الإمامة والسياسة قدح في صحابة رسول الله قدحاً عظيماً؛ فصوَّر ابن عمر رضي الله

(١) عقيدة الإمام ابن قتيبة، علي العلياني، ص ٩٠.
(٢) لسان الميزان (٣/ ٣٥٧)؛ تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٤٤).
(٣) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٤٤).

عنهما جباناً، وسعد بن أبي وقاص حسوداً، وذكر محمد بن مسلمة بأنه غضب على علي بن أبي طالب لأنه قتل مرحباً اليهودي بخيبر، وأن عائشة رضي الله عنها أمرت بقتل عثمان(١)، والقدح في الصحابة من أظهر خصائص الرافضة وإن شاركهم الخوارج إلا أنّ الخوارج لا يقدحون في عموم الصحابة(٢).

ـ إن مؤلف الإمامة والسياسة كتب عن الخلفاء الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان خمساً وعشرين صفحة فقط، وكتب عن الفتنة التي وقعت بين الصحابة مئتي صفحة، فقام المؤلف الإماميُّ باختصار التاريخ الناصع المشرق، وسوّد الصحائف بتاريخ زائف لم يثبت منه إلا القليل، وهذه من أخلاق الإماميَّة المعهودة نعوذ بالله من الضلال والخذلان.

ـ يقول محمود شكري الآلوسي في مختصر الإثني عشرية: ومن مكايدهم ـ يعني الإماميَّة ـ أنهم ينظرون في أسماء الرجال المعتبرين عند أهل السنة؛ فمن وجدوه موافقاً لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعي إليه، فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتقد أنه إمام من أئمتهم فيعتبر بقوله ويعتد بروايته؛ كالسدي فإنهما رجلان: أحدهما: السدي الكبير، والثاني: السدي الصغير، فالكبير من ثقات أهل السنة، والصغير من الوضاعين الكذابين وهو رافضي غال. وعبد الله بن قتيبة رافض غال، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة من ثقات أهل السنة، وقد صنف كتاباً سماه بالمعارف، فصنف ذلك الرافضي كتاباً سماه بالمعارف أيضاً قصداً للإضلال(٣)، وهذا ما يرجح أن كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة الرافضي وليس لابن قتيبة السني الثقة، وإنما خلط الناس بينهما لتشابه الأسماء(٤).

وقد اعتمد كثير من المعاصرين على هذا الكتاب وساهموا في تشويه كثير من الصحابة الكرام، ولذلك وجب التحذير منه بطريقة علمية تعتمد على التحقيق والتوثيق والدليل والبرهان، وقد ذكر صاحب كتاب الإمامة والسياسة: أن معاوية ادّعى الخلافة، وذلك من خلال الرواية التي ورد فيها ما قاله ابن الكواء لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: اعلم أن معاوية طليق الإسلام، وأن أباه رأس الأحزاب، وأنه ادّعى الخلافة من غير مشورة؛ فإن صدقك فقد حلّ خلعه، وإن كذبك فقد حرم عليك كلامه(٥)، وهذا كلام لا يثبت عن أمير المؤمنين علي وإنما هو من كلام الروافض، وقد امتلأت كتب التاريخ والأدب بالروايات الموضوعة والضعيفة التي تزعم

(١) الإمامة والسياسة (١/ ٥٤ ـ ٥٥).
(٢) عقيدة الإمام ابن قتيبة للعلياني، ص ٩١.
(٣) مختصر التحفة الاثني عشرية للآلوسي، ص ٣٢.
(٤) عقيدة الإمام ابن قتيبة، ص ٩٣.
(٥) الإمامة والسياسية (١/ ١١٣).

أن معاوية اختلف مع علي من أجل الملك والزعامة والإمارة[١]!

والصحيح: أن الخلاف بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما كان حول مدى وجوب بيعة معاوية وأصحابه لعلي قبل توقيع القصاص على قتلة عثمان أو بعده، وليس هذا من أمر الخلافة في شيء؛ فقد كان رأي معاوية ـ رضي الله عنه ـ ومن حوله من أهل الشام أن يقتص عليّ ـ رضي الله عنه ـ من قتلة عثمان ثم يدخلون بعد ذلك البيعة[٢].

ويقول القاضي ابن العربي: إن سبب القتال بين أهل الشام وأهل العراق يرجع إلى تباين المواقف بينهما: فهؤلاء ـ أي: أهل العراق ـ يدعون إلى عليّ بالبيعة وتأليف الكلمة على الإمام وهؤلاء ـ أي أهل الشام ـ يرجعون إلى التمكين من قتلة عثمان ويقولون: لا نبايع من يؤوي القتلة[٣].

ويقول إمام الحرمين الجويني في لمع الأدلّة: إن معاوية وإن قاتل علياً، فإنه لا ينكر إمامته ولا يدعيها لنفسه، وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظاناً منه أنه مصيب، وكان مخطئاً[٤].

ويقول الهيتمي: ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة: أنّ ما جرى بين معاوية وعليّ ـ رضي الله عنهما ـ من الحروب، فلم يكن لمنازعة معاوية لعليّ في الخلافة للإجماع على أحقيتها لعليّ.. فلم تهج الفتنة بسببها، وإنما هاجت بسبب أن معاوية طالب بدم ابن عمّه فامتنع علي[٥].

لقد تضافرت الروايات وأشارت إلى أنّ معاوية ـ رضي الله عنه ـ اتخذ موقفه للمطالبة بدم عثمان، وأنه صرح بدخوله في طاعة علي رضي الله عنه ـ إذا أقيم الحد على قتلة عثمان. ولو افترض أنه اتخذ قضية القصاص والثأر لعثمان ذريعة لقتال علي طمعاً في السلطان، فماذا سيحدث لو تمكن علي من إقامة الحد على قتلة عثمان، حتماً ستكون النتيجة خضوع معاوية لعلي ومبايعته له، لأنه التزم بذلك في موقفه من تلك الفتنة، كما أن كل من حارب معه كانوا يقاتلون على أساس إقامة الحد على قتلة عثمان، على أن معاوية إذا كان يخفي في نفسه شيئاً آخر لم يعلن عنه، سيكون هذا الموقف بالتالي مغامرة، ولا يمكن أن يقدم عليها إذا كان ذا أطماع[٦].

إن معاوية رضي الله عنه كان من كتّاب الوحي ومن سادة المسلمين المشهورين بالحلم ويكفيه شرف الصحبة، فكيف يعتقد أن يقاتل الخليفة الشرعي ويهرق دماء المسلمين من أجل مُلْك

(١) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/ ١٤٥).

(٢) العواصم من القواصم، ص ١٦٢.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) لمع الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة، ص ١١٥.

(٥) الصواعق المحرقة (٢/ ٦٢٢).

(٦) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٥٠).

زائل، وهو القائل: والله لا أخير بين أمرين، بين الله وبين غيره إلا اخترت الله على ما سواه[١]، وقد ثبت عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال فيه: «اللهم اجعله هادياً مهدياً واهدِ به»[٢]، وقال: «اللهم علمه الكتاب وقه العذاب»[٣].

أما وجه الخطأ في موقفه في مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ فيظهر في رفضه أن يبايع لعليّ ـ رضي الله عنه ـ قبل مبادرته إلى الاقتصاص من قتلة عثمان، ويضاف إلى ذلك خوف معاوية على نفسه لمواقفه السابقة من هؤلاء الغوغاء وحرصهم على قتله، بل ويلتمس منه أن يمكنه منهم، مع العلم أن الطالب للدم لا يصح أن يحكم، بل يدخل في الطاعة، ويرفع دعواه إلى الحاكم، ويطلب الحق عنده[٤]، وقد اتفق أئمة الفتوى على أنه لا يجوز لأحد أن يقتصّ من أحد ويأخذ حقه دون السلطان، أو من نصبه السلطان لهذا الأمر، لأن ذلك يفضي إلى الفتنة وإشاعة الفوضى[٥].

ويمكن القول: إن معاوية ـ رضي الله عنه ـ كان مجتهداً متأوِّلاً يغلب ظنه: أن الحق معه؛ فقد قام خطيباً في أهل الشام بعد أن جمعهم وذكّرهم أنه ولي عثمان ـ ابن عمه ـ وقد قتل مظلوماً، وقرأ عليهم الآية الكريمة: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣]. ثم قال: أنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان، فقام أهل الشام جميعهم وأجابوا إلى الطلب بدم عثمان، وبايعوه على ذلك، وأعطوه العهود والمواثيق على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم حتى يدركوا ثأرهم أو يفني الله أرواحهم[٦].

هذه الأحداث الجسام عاصرها الحسن بن علي وعرف موقف كل صحابي من الفتنة، وكان ميالاً للصلح والسلم ما وجد إلى ذلك سبيلاً.

٢ ـ نهي أمير المؤمنين علي عن شتم معاوية ولعن أهل الشام بعد معركة صفين:

نشبت الحرب بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في صفين، وقد فصلت تلك الأحداث في كتابي (أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) وقد اشتد القتال وتوجّه النصر فيها لأهل العراق على أهل الشام، وتفرقت صفوفهم، وكادوا أن ينهزموا، فعند ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح وقالوا: هذا بيننا وبينكم، قد فني الناس، فمن لثغور أهل الشام بعد أهل الشام، ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق؟ فلما رأى الناس المصاحف قد رفعت،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥١).

(٢) صحيح سنن الترمذي للألباني رقم ٣٠١٨ (٣/ ٢٣٦).

(٣) فضائل الصحابة (٢/ ٩١٣) إسناده صحيح.

(٤) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٥١).

(٥) تفسير القرطبي (٢/ ٢٥٦).

(٦) صفين لابن مزاحم، ص ٣٢؛ تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٥٢).

قالوا: نجيب إلى كتاب الله عز وجل ونيب إليه[١].

فالدعوة إلى تحكيم كتاب الله دون التأكيد على تسليم قتلة عثمان إلى معاوية، وقبول التحكيم دون التأكيد على دخول معاوية في طاعة علي والبيعة له، تطور فرضته أحداث حرب صفين، إذ إن الحرب التي أودت بحياة الكثير من المسلمين، أبرزت اتجاهاً جماعياً رأى أن وقف القتال وحقن الدماء ضرورة تقتضيها حماية شوكة الأمة وصيانة قوتها أمام عدوها، وهو دليل على حيوية الأمة ووعيها وأثرها في اتخاذ القرارات[٢]، فقد قبل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وقف القتال في صفين ورضي التحكيم، وعدَّ ذلك فتحاً ورجع إلى الكوفة، وعلق على التحكيم آمالاً في إزالة الخلاف وجمع الكلمة ووحدة الصف، وتقوية الدولة، وإعادة حركة الفتوح من جديد، وكان أمير المؤمنين بعد نهاية الجولات الحربية في صفين يتفقد القتلى، وقد وقف على قتلاه وقتلى معاوية فقال: غفر الله لكم، غفر الله لكم، للفريقين جميعاً[٣].

وعن يزيد بن الأصم قال: لما وقع الصلح بين علي ومعاوية، خرج علي فمشى في قتلاه فقال: هؤلاء في الجنة، ثم خرج إلى قتلى معاوية فقال: هؤلاء في الجنة، وليصير الأمر إلي وإلى معاوية[٤]. وكان يقول عنهم: هم المؤمنون[٥]، وقوله رضي الله عنه في صفين لا يكاد يختلف عن قوله في أهل الجمل[٦]، وروي: أن علياً رضي الله عنه لمّا بلغه أن اثنين من أصحابه يظهران شتم ولعن أهل الشام، أرسل إليهما أن كفا عما يبلغني عنكما، فأتيا فقالا: يا أمير المؤمنين ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: بلى ورب الكعبة المسدنة، قالا: فَلِمَ تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعانين، ولكن قولوا: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأبعدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي من لج به[٧].

وأما ما قيل من أن علياً كان يلعن في قنوته معاوية وأصحابه، وأن معاوية إذا قنت لعن علياً وابن عباس والحسن والحسين؛ لا تثبت من ناحية السند؛ حيث فيها أبو مخنف لوط ابن يحيى الرافضي المحترق الذي لا يوثق في رواياته، كما أن في أصح كتب الشيعة عندهم جاء النهي عن

---

(١) تنزيه خال المؤمنين معاوية، ص ٣٦ نقلاً عن تاريخ الطبري.
(٢) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص ٣٨.
(٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص ٢٥٠.
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣٠٣) سند حسن.
(٥) تاريخ دمشق (١/ ٣٣١، ٣٢٩)؛ خلافة علي، ص ٢٥١.
(٦) خلافة علي، عبد الحميد، ص ٢٥١، تنزيه خال المؤمنين، ص ١٦٩.
(٧) الأخبار الطوال، ص ١٦٥ نقلاً عن تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٣٢).

سب الصحابة، فقد أنكر على من يسب معاوية ومن معه فقال: إني أكره لكم أن تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم[١]، فهذا السب والتكفير لم يكن من هدي أمير المؤمنين علي باعتراف أصح كتاب في نظر الشيعة[٢].

كما أن الحسن رضي الله عنه كان معاصراً للأحداث وسمع ورأى موقف والده من أهل الشام، وهذه النظرة السليمة لأصحاب معاوية ساعدت الحسن بن علي في هندسته لمشروع الإصلاح الذي تقدم به لوحدة الأمة، والذي تحقق بفضل الله ثم فقهه العميق لمقاصد الإسلام، ومعرفته الدقيقة لعلم المصالح والمفاسد.

٣ ـ مقتل عمّار بن ياسر رضي الله عنه بصفين وأثره على المسلمين:

يعد حديث رسول الله ﷺ لعمّار رضي الله عنه: «تقتلك الفئة الباغية»[٣] من الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، وقد كان لمقتل عمّار رضي الله عنه أثر في معركة صفين، فقد كان علماً لأصحاب رسول الله يتبعونه حيث سار، وكان خزيمة بن ثابت حضر صفين وكان كافاً سلاحه، فلما رأى مقتل عمار سل سيفه وقاتل أهل الشام، وذلك لأنه سمع حديث رسول الله عن عمار: تقتله الفئة الباغية[٤]، واستمر في القتال حتى قتل[٥]، وكان لمقتل عمّار أثر في قادة معسكر معاوية مثل عمرو بن العاص وابنه عبد الله بن عمرو، وأبي الأعور السلمي، عند شرعة الماء يسقون، وكانت هي شريعة الماء الوحيدة التي يستقي منها الفريقان، وكان حديثهم عن مقتل عمّار بن ياسر، إذ قال عبد الله بن عمرو لوالده: لقد قتلنا هذا الرجل، وقد قال فيه رسول الله ﷺ: تقتله الفئة الباغية. فقال عمرو لمعاوية: لقد قتلنا الرجل وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، فقال معاوية: اسكت فوالله ما تزال تدحض[٦] في بولك! أنحن قتلناه؟! إنما قتله من جاء به[٧].

فانتشر تأويل معاوية بين أهل الشام انتشار النار في الهشيم، وجاء في رواية صحيحة: أن عمرو بن حزم دخل على عمرو بن العاص فقال: قتل عمّار، وقد قال فيه رسول الله ﷺ: «تقتله الفئة الباغية». فقام عمرو بن العاص فزعاً يرجّع، حتى دخل على معاوية، فقال له معاوية: ما شأنك؟ فقال: قتل عمار. قال: فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول له: «تقتلك الفئة

---

(١) نهج البلاغة، ص ٣٢٣.
(٢) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٤).
(٣) مسلم، رقم ٢٩١٦.
(٤) المصدر السابق نفسه.
(٥) خلافة علي، ص ٢١١؛ مجمع الزوائد (٧٢٤٢) وقال فيه: ورواه الطبراني وفيه معشر وهو لين.
(٦) الدحض: الزلق، والداحض: من لا ثبات له ولا عزيمة في الأمور.
(٧) مصنف عبد الرزاق (١١/ ٢٤٠) بسند صحيح.

الباغية» فقال له معاوية: دحضت في بولك، أو نحن قتلناه؟! إنما قتله علي وأصحابه، جاؤوا به حتى ألقوه بين رماحنا، أو قال: بين سيوفنا[١].

وفي رواية صحيحة أيضاً: جاء رجلان عند معاوية يختصمان في رأس عمار يقول كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية، قال معاوية: فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله فقال: أطع أباك مادام حياً ولا تعصه، فأنا معكم ولست أقاتل[٢].

من الروايات السابقة نلاحظ أن الصحابي الفقيه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما حريص على قول الحق، والنصح، فقد رأى أن معاوية وجنده هم الفرقة الباغية لقتلهم عماراً، فقد تكرر منه هذا الاستنكار في مناسبات مختلفة، ولا شك أن مقتل عمار رضي الله عنه قد أثر في أهل الشام بسبب هذا الحديث، إلا أن معاوية رضي الله عنه أوَّل الحديث تأويلاً غير مستساغ، ولا يصح في أن الذين قتلوا عماراً هم الذين جاؤوا به إلى القتال[٣]، وقد رد علي رضي الله عنه على قول معاوية بأن قال: فرسول الله ﷺ إذن قتل حمزة حين أخرجه، وهذا من علي إلزام لا جواب عنه، وحجة لا اعتراض عليها[٤].

وقد أثر مقتل عمار كذلك على عمرو بن العاص، بل كان استشهاد عمار دافعاً لعمرو بن العاص للسعي لإنهاء الحرب[٥]، وقد قال رضي الله عنه: وددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة[٦].

وقد جاء في البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ، فينفض التراب عنه ويقول: «ويح عمار، تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار». قال عمار: أعوذ بالله من الفتن[٧].

وقال ابن عبد البر: تواترت الآثار عن النبي ﷺ أنه قال: «تقتل عماراً الفئة الباغية»، وهذا من إخباره بالغيب وأعلام نبوته ﷺ، وهو من أصح الأحاديث[٨]، وقال الذهبي بعد ما ذكر الحديث: وفي الباب عن عدة من الصحابة، فهو متواتر[٩].

---

(١) المصدر السابق نفسه.
(٢) مسند أحمد (١١ / ١٣٨ ـ ١٣٩).
(٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص ٣٢٥.
(٤) التذكرة (٢/ ٢٢٣).
(٥) معاوية بن أبي سفيان، الغضبان، ص ٢١٥.
(٦) أسباب الأشراف (١/ ١٧٠)؛ عمرو بن العاص للغضبان، ص ٦٠٣.
(٧) البخاري، رقم ٤٤٧.
(٨) الاستيعاب (٣/ ١١٤٠).
(٩) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٢١).

٤ ـ فهم العلماء لحديث رسول الله ﷺ في عمار: «تقتلك الفئة الباغية»[(١)]:

أ ـ قال ابن حجر: وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة، وفضيلة ظاهرة لعلي وعمار، ورد على النواصب[(٢)] الزاعمين: أن علياً لم يكن مصيباً في حروبه[(٣)]، وقال أيضاً: دل الحديث: «تقتل عماراً الفئة الباغية»، على أن علياً كان المصيب في تلك الحروب، لأن أصحاب معاوية قتلوه[(٤)].

ب ـ يقول النووي: وكانت الصحابة يوم صفين يتبعونه حيث توجه لعلمهم بأنه مع الفئة العادلة لهذا الحديث[(٥)].

جـ ـ قال ابن كثير: كان علي وأصحابه أدنى الطائفتين إلى الحق من أصحاب معاوية، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري، قال: حدثني من هو خير مني ـ يعني: أبـا قتادة ـ أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»[(٦)]، وقال أيضاً: وهذا مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنهما مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قتله أهل الشام، وبان وظهر بذلك سر ما أخبر به الرسول ﷺ من أنه تقتله الفئة الباغية، وبان بذلك أن علياً محق، وأن معاوية باغٍ، وما في ذلك من دلائل النبوة[(٧)].

د ـ وقال الذهبي: هي طائفة من المؤمنين، بغت على الإمام علي، وذلك بنص قول المصطفى صلوات الله عليه لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»[(٨)].

هـ ـ قال القاضي أبو بكر بن العربي: في قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ. . . ﴾ هذه الآية أصل في قتال المسلمين، والعمدة في حرب المتأولين، وعليها عول الصحابة، وإليها لجأ الأعيان من هذه الأمة، وإياها عنى النبي ﷺ بقوله: «تقتل عماراً الفئة الباغية»[(٩)].

---

(١) مسلم، رقم ٥٩١٦.

(٢) والمقصود بالنواصب هي أحد طوائف أهل البدع التي أصيبت في معتقدها بعدم التوفيق للاعتقاد السديد في الصحابة، فقد زيَّن لهم الشيطان اعتقاد عدم محبة رابع الخلفاء الراشدين وأحد الأئمة المهديين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وحملهم على التدين ببغضه وعداوته والقول فيه بما هو بريء منه، كما تعدى بغضهم إلى غيره من أهل البيت كابنه الحسين بن علي وغيره.

(٣) فتح الباري (١/ ٦٤٦).

(٤) المصدر السابق نفسه (١٣/ ٩٢).

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٨).

(٦) البداية والنهاية (٦/ ٢٢٠).

(٧) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٧).

(٨) سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٠٩).

(٩) أحكام القرآن (٤/ ١٧١٧).

و ـ وقال ابن تيمية: وهذا يدل لصحة إمامة علي ووجوب طاعته، وأن الداعي إلى طاعته داعٍ إلى الجنة، والداعي إلى مقاتلته داعٍ إلى النار ـ وإن كان متأوِّلاً ـ وهو دليل على أنه لم يكن يجوز قتال علي، وعلى هذا فمقاتله مخطئ ـ وإن كان متأولاً ـ أو باغ ـ بلا تأويل ـ وهو أصح القولين لأصحابنا، وهو الحكم بتخطئة من قاتل علياً، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين[١]، وقال أيضاً: مع أن علياً أولى بالحق ممن فارقه، ومع أن عماراً قتلته الفئة الباغية ـ كما جاءت به النصوص ـ، وعلينا أن نؤمن بكل ما جاء من عند الله ونقر بالحق كله، ولا يكون لنا هوى، ولا نتكلم بغير علم، بل نسلك سبل العلم والعدل، ذلك هو اتباع الكتاب والسنة، وأما من تمسك ببعض الحق دون بعض، فهذا منشأ الفرقة والاختلاف[٢].

ز ـ وقال عبد العزيز بن باز: وقال ﷺ في حديث عمار: «تقتل عماراً الفئة الباغية». فقتله معاوية وأصحابه في موقعة صفين، فمعاوية وأصحابه بغاة، لكن مجتهدون ظنوا أنهم مصيبون في المطالبة بدم عثمان[٣].

ح ـ وقال سعيد حوى: بعد أن قتل عمار الذي وردت النصوص مبينة أنه تقتله الفئة الباغية، تبين للمترددين أن علياً كان على حق، وأن القتال معه كان واجباً، ولذا عبر ابن عمر عن تخلفه بأنه يأسى بسبب هذا التخلف، وما ذلك إلا أنه ترك واجباً وهو نصرة الإمام الحق على الخارجين عليه بغير حق، كما أفتى بذلك الفقهاء[٤]، لقد كان الحسن بن علي رضي الله عنه على يقين راسخ ومعرفة متينة بأن والده كان على الحق.

٥ ـ موقف الحسن بن علي من تلك الحروب:

كان موقف الحسن بن علي رضي الله عنه هو موقف أهل السنة والجماعة من الحرب التي وقعت بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وهو الإمساك عما شجر بينهم إلا فيما يليق بهم رضي الله عنهم؛ لما يسببه الخوض في ذلك من توليد العداوة والحقد والبغض لأحد الطرفين، وقالوا: إنه يجب على كل مسلم أن يحب الجميع ويترضى عنهم ويترحم عليهم ويحفظ لهم فضائلهم، ويعترف لهم بسوابقهم، وينشر مناقبهم وأن الذي حصل بينهم إنما كان عن اجتهاد، والجميع مثابون في حالتي الصواب والخطأ، غير أن ثواب المصيب ضعف ثواب المخطئ في اجتهاده، وأن القاتل والمقتول من الصحابة في الجنة، ولم يجوز أهل السنة والجماعة الخوض فيما شجر بينهم، وقبل أن أذكر طائفة من أقوال أهل السنة التي تبين موقفهم فيما شجر بين الصحابة، أذكر

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٣٧).
(٢) المصدر السابق نفسه (٤/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠).
(٣) فتاوى ومقالات متنوعة (٦/ ٨٧).
(٤) الأساس في السنة (٤/ ١٧١٠).

بعض النصوص التي فيها الإشارة إلى ما وقع بين الصحابة من الاقتتال، وبما وصفوا به فيها، وتلك النصوص هي(١):

أ ـ قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]. ففي هذه الآية أمر الله تعالى بالإصلاح بين المؤمنين إذا ما جرى بينهم قتال لأنهم إخوة، وهذا الاقتتال لا يخرجهم عن وصف الإيمان، وإذا كان حصل اقتتال بين عموم المؤمنين لم يخرجهم ذلك من الإيمان؛ لأن الله ذكر في الآية التي بعدها: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، فأصحاب رسول الله الذين اقتتلوا في موقعة الجمل وبعدها أول من يدخل في اسم الإيمان الذي ذكر في هذه الآية، فهم لا يزالون عند ربهم مؤمنين إيماناً حقيقياً، ولم يؤثر ما حصل بينهم من شجار في إيمانهم بحال؛ لأنه كان عن اجتهاد(٢).

ب ـ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق(٣). والفرقة المشار إليها في الحديث ما كان من الاختلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وقد وصف ﷺ الطائفتين معاً بأنهما مسلمتان، وأنهما متعلقتان بالحق، والحديث علم من أعلام النبوة: إذ وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين: أهل الشام وأهل العراق، لا كما يزعمه فرقة الإماميَّة، والجهلة الطغام من تكفيرهم أهل الشام، وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفتين إلى الحق وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة والذي عليه الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما: أن علياً هو المصيب، وإن كان معاوية مجتهداً وهو مأجور إن شاء الله، ولكن علياً هو الإمام فله أجران، كما ثبت في صحيح البخاري: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»(٤).

ج ـ وعن أبي بكرة قال: بينما النبي ﷺ يخطب جاء الحسن فقال النبي ﷺ: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»(٥). ففي هذا الحديث شهادة النبي ﷺ بإسلام الطائفتين أهل العراق وأهل الشام، والحديث فيه رد واضح على الخوارج الذين كفَّروا علياً ومن معه، ومعاوية ومن معه بما تضمنه الحديث من الشهادة للجميع بالإسلام ولذا كان يقول سفيان بن

---

(١) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٧٢٧).
(٢) العواصم من القواصم، ص ١٦٩ ـ ١٧٠؛ أحكام القرآن (٤/ ١٧١٧).
(٣) مسلم (٢/ ٧٤٥).
(٤) البخاري مع شرحه في فتح الباري (١٣/ ٣١٨).
(٥) البخاري، كتاب الفتن، رقم (٧١٠٩).

عيينة: قوله فئتين مـن المسلمين يعجبنا جداً. قال البيهقي: وإنما أعجبهم لأن النبي ﷺ سماهم جميعاً مسلمين، وهذا خبر من رسول الله بما كان من الحسن ابن علي بعد وفاة علي في تسليمه الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان(١)، فهذه الأحاديث المتقدم ذكرها فيها الإشارة إلى أهل العراق الذين كانوا مع علي وإلى أهل الشام الذين كانوا مع معاوية بن أبي سفيان، وقد وصفهم النبي ﷺ بأنهم من أمته(٢)، كما وصفهم بأنهم جميعاً متعلقون بالحق لم يخرجوا عنه، كما شهد لهم ﷺ بأنهم مستمرون على الإيمان ولم يخرجوا عنه بسبب القتال الذي حصل بينهم، وقد دخلوا تحت عموم قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩٠].

وقد قدمنا أن مدلول الآيـة ينتظمهم رضي الله عنهم أجمعين، فلم يكفـروا ولـم يفسقوا بقتالهم، بل هم متأوِّلـون مجتهدون. وقد بيـن الحكم في قتالهـم ذلـك علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما مر معنا، فالواجب على المسلم، ومن زعم أنه محبٌّ لأهل البيت أن يسلك في اعتقاده فيما حصل بين الصحابة الكرام مسلك الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة والذين من أئمتهم وسادتهم أمير المؤمنين علي وابناه الحسن والحسين، وهو الإمساك عما حصل بينهم رضي الله عنهم، ولا يخوض فيه إلا بما هو لائق بمقامهم.

٦ ـ استشهاد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

تركت معركة النهروان في نفوس الخوارج جرحاً غائراً لم تزده الأيام والليالي إلا إيلاماً وحسرة، فاتفق نفر منهم على أن يفتكوا بعلي رضي الله عنه، ويثأروا لمن قتل من إخوانهم في النهروان، واستطاع عبد الرحمن بن ملجم أن يقتل أمير المؤمنين علياً بالغدر، وهذا محمد ابن الحنفية يروي لنا قصة مقتل أمير المؤمنين، فقد قال:

كنت والله إني لأصلي تلك الليلة التي ضرب فيها علي في المسجد الأعظم في رجال كثير من أهل المصر، يصلون قريباً من السدة، ما هم إلا قيام وركوع وسجود، وما يسأمون من أول الليل إلى آخره، إذ خرج علي لصلاة الغداة، فجعل ينادي: أيها الناس، الصلاة الصلاة، فما أدري أخرج من السدة، فتكلم بهذه الكلمات أم لا؟ فنظرت إلى بريق، وسمعت: الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك، فرأيت سيفاً، ثم رأيت ثانياً، ثم سمعت علياً يقول: لا يفوتنكم الرجل وشد الناس عليه من كل جانب، قال: فلم أبرح حتى أخذ ابن ملجم وأدخل على علي، فدخلت فيمـا دخل من الناس، فسمعت علياً يقول: النفس بالنفس، أنا إن مت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي(٣).

وذكر أن الناس دخلوا على الحسن فزعين لما حدث من أمر علي، فبينما هـم عنده وابن ملجم

(١) الاعتقاد للبيهقي، ص ١٩٨؛ فتح الباري (١٣/ ٦٦).
(٢) مسلم (٢/ ٧٤٦).
(٣) تاريخ الطبري (٦/ ٦٢).

مكتوف بين يديه، إذ نادته أم كلثوم بنت علي وهي تبكي: أي عـدو الله لا بأس على أبي، والله مخزيك، قال: فعلى من تبكين؟ والله لقد اشتريته بألف، وسممته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل المصر ما بقي منهم أحد[١].

وقد جُمع الأطباء لعلي رضي الله عنه يوم جرح وكان أبصرهم بالطب أثير بن عمر السكوني، وكان صاحب كسرى يتطبب، فأخذ أثير رئة شاة حارة، فتتبع عرقاً منها، فاستخرجه، فأدخله في جراحة علي، ثم نفخ العرق واستخرجه فإذا عليه بياض الدماغ، وإذا الضربة قد وصلت إلى أم رأسه، فقال: يا أمير المؤمنين! اعهد عهدك فإنك ميت[٢]، وذكر أن جندب بن عبد الله دخل على علي فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين إن فقدناك ـ ولا نفقدك ـ فنبايع الحسن؟ قال: ما آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر[٣]، ومن هذا الأثر يظهر إيمان أمير المؤمنين علي بحق الأمة في اختيار خليفتها.

٧ ـ وصية أمير المؤمنين علي للحسن والحسين رضي الله عنهم:

دعا أمير المؤمنين حسناً وحسيناً، فقال: أوصيكما بتقوى الله، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زُوِي عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم، وأغيثا الملهوف، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصماً وللمظلوم ناصراً، واعملا بما في الكتاب، ولا تأخذكما في الله لومة لائم، ثم نظر إلى محمد ابن الحنفية، فقال: هل حفظت ما أوصيت به أخويك[٤]، قال: نعم، قال: فإني أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخويك، لعظيم حقهما عليك، فاتبع أمرهما، فلا تقطع أمراً دونهما ثم قـال: أوصيكما به، فإنه ابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه، وقال للحسن: أوصيك أي بني بتقوى الله وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلها، وحسن الوضوء فإنه لا صلاة إلا بطهور، ولا تقبل صلاة من مانع زكاة، وأوصيك بغفر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر، والتعهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الفواحش[٥].

فلما حضرته الوفاة أوصى فكانت وصيته: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب، أوصى: أنه يشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون. ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، ثم أوصيك يا حسن وجميع أهلي وولدي بتقوى الله ربكم، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، فاعتصموا بحبل الله

---

(١) المصدر السابق نفسه.
(٢) الاستيعاب (٣/ ١١٢٨).
(٣) تاريخ الطبري (٦/ ٦٢).
(٤) المصدر السابق نفسه (٦/ ٦٣).
(٥) المصدر السابق نفسه.

جميعاً، ولا تفرقوا، فإني سمعت أبا القاسم يقول: «إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام» انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب، الله الله في الأيتام، فلا تعنوا أفواههم، ولا يضيعن بحضرتكم، الله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم ﷺ ما زال يوصي به حتى ظننا أنه سيورثه، الله الله في القرآن، فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم، والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم، والله الله في بيت ربكم فلا تخلّوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم يناظر، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، والله الله في الزكاة فإنها تطفئ غضب الرب، والله الله في ذمة نبيكم فلا يظلمن بين أظهركم، والله الله في أصحاب نبيكم فإن الله أوصى بهم، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معايشكم، والله الله في ما ملكت أيمانكم. الصلاة الصلاة لا تخافن في الله لومة لائم، يكفيكم من أرادكم وبغى عليكم، وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى الأمر شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم. وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيت وحفظ فيكم نبيكم. أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله، ثم لم ينطق إلا بلا إلٰه إلا الله حتى قبض رضي الله عنه(١).

وجاء في رواية أخرى: . . يا بَنيَّ: أوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، والعدل على الصديق والعدو، والعمل في النشاط والكسل، والرضا عن الله في الشدة والرخاء، يا بني ما شر بعده الجنة بشرٍّ، ولا خير بعده نار بخير، وكل نعيم دون الجنة حقير، وكل بلاء دون النار عافية، يا بني من أبصر عيب نفسه شُغل عن عيب غيره، ومن رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاته، ومن سل سيف بغي قتل به، ومن حفر لأخيه بئراً وقع فيها، ومن هتك حجاب أخيه كشف عورات نفسه، ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره، ومن أعجب برأيه ضلَّ، ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبر على الناس ذلَّ، ومن خالط الأنذال احتقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم، ومن جالس العلماء وقّر، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قل حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار. يا بني، الأدب خير ميراث، وحسن الخلق خير قرين، يا بني العافية عشرة أجزاء: تسعة منها في الصمت إلا من ذكر الله، وواحدة في ترك مجالسة السفهاء، يا بني زينة الفقر الصبر، وزينة الغنى الشكر، يا بني لا شرف أعلى من الإسلام، ولا كرم أعز من التقوى، ولا معقل أحرز من الورع ولا شفيع أنجح من التوبة، ولا لباس أجمل من العافية، الحرص مفتاح التعب ومطية النصب، التدبير قبل العمل

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٦٤).

يؤمنك الندم، فبئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد، طوبى لمن أخلص لله علمه وعمله وحبه وبغضه وأخذه وتركه، وكلامه وصمته وقوله وفعله[١].

٨ ـ نهي أمير المؤمنين علي عن المثلة بقاتله:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: احبسوا الرجل؛ فإن متُّ فاقتلوه، وإن أعش فالجروح قصاص[٢]. وفي رواية أخرى قال: أطعموه واسقوه وأحسنوا إساره، فإن صححت فأنا ولي دمي أعفو إن شئت وإن شئت استقدت[٣]، وفي رواية أخرى زيادة، وهي قوله: إن مت فاقتلوه قتلتي ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين[٤]، وقد كان علي نهى الحسن عن المُثْلة، وقال: يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون في دماء المسلمين، تقولون: قتل أمير المؤمنين، قتل أمير المؤمنين، ألا لا يُقتَلنَّ. انظر يا حسن، إن من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربة، ولا تمثل بالرجل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إياكم والمثلة ولو أنها بالكلب العقور»[٥].

وقد جاء في شأن وصية أمير المؤمنين بأمر قاتله روايات كثيرة تتفاوت؛ منها الصحيح ومنها الضعيف، فالرواية التي فيها أمر علي رضي الله عنه بإحراق الشقي بعد قتله إسنادها ضعيف، والروايات الأخرى تسير في اتجاه واحد؛ فكلها فيها أمر علي رضي الله عنه بقتل الرجل إن مات من ضربته ونهاهم عما سوى ذلك، فهذه الروايات يعضد بعضها بعضاً، وتنهض للاحتجاج بها؛ هذا من جهة، كما أن أمير المؤمنين لم يجعله مرتداً، فيأمر بقتله، بل نهاهم عن ذلك لما همّ بعض المسلمين بقتله وقال: لا تقتلوا الرجل، فإن برئت فالجروح قصاص، وإن مت فاقتلوه[٦].

وتذكر الرواية التاريخية المشهورة: فلما قُبض علي رضي الله عنه بعث الحسن إلى ابن ملجم، فقال للحسن: هل لك في خصلة؟ إني والله ما أعطيت الله عهداً إلا وفيت به، إني كنت قد أعطيت الله عهداً عند الحطيم أن أقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما، فإن شئت خليت بيني وبينه، ولك الله علي إن لم أقتله ـ أو قتلته ـ ثم بقيت، أن آتيك حتى أضع يدي في يدك. فقال له الحسن: أما والله حتى تعاين النار، ثم قدمه فقتله[٧]. ثم إن الناس أخذوه، فأحرقوه بالنار، ولكن هذه الرواية منقطعة[٨].

---

(١) الشُّهب اللامعة في السياسة النافعة لابن رضوان، ص ٦٣٢، ٦٣٣.
(٢) فضائل الصحابة (٢/ ٥٦٠) بسند حسن.
(٣) المحن لابن أبي العرب، ص ٩٤؛ خلافة علي، عبد الحميد، ص ٤٣٩.
(٤) الطبقات (٣/ ٣٥).
(٥) تاريخ الطبري (٦/ ٦٤).
(٦) منهاج السنة (٥/ ٢٤٥).
(٧) تاريخ الطبري (٦/ ٦٤).
(٨) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص ٤٤٠.

والصحيح من الروايات والذي يليق بالحسن والحسين وأبناء أهل البيت: أنهم التزموا بوصية أمير المؤمنين علي في معاملة عبد الرحمن ابن مُلْجم، وفيها يظهر خلق الإسلام العظيم في النهي عن المثلة، والالتزام بالقصاص الشرعي. ولا تثبت الرواية التي تقول: فلما دفن، أحضروا ابن ملجم، فاجتمع الناس، وجاؤوا بالنفط والبواري، فقال محمد ابن الحنفية، والحسين، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب: دعُونا نشتفّ منه، فقطع عبد الله يديه ورجليه، فلم يجزع ولم يتكلّم، فكحَلَ عينيه، فلم يجزع، وجعل يقول: إنك لتكحُل عيني عمّك، وجعل يقرأ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١] حتى ختمها، وإن عينيه لتسيلان، ثم أمر به فعولج عن لسانه ليُقْطع فجزع، فقيل له في ذلك. فقال: ما ذاك بجزع ولكنّي أكره أن أبقى في الدنيا فُواقاً لا أذكر الله، فقطعوا لسانه، ثمّ أحرقوه، وكان أسمر، حسن الوجه، أفلج، شعره من شحمة أذنيه، وفي جبهته أثر السجود(١).

وابن ملجم عند الإماميَّة أشقى الخلق في الآخرة، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النّار، ونجوِّز أن الله يتجاوز عنه، لا كما يقول الخوارج والإماميَّة فيه، وحكمه حكم قاتل عثمان، وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير، وقاتل عمّار، وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله، ونكل أمورهم إلى الله عز وجل(٢).

٩ ـ خطبة الحسن بن علي رضي الله عنهما بعد مقتل أبيه:

عن عمرو بن حُبشي قال: خطبنا الحسن بن علي بعد قتل علي رضي الله عنه، فقال: لقد فارقكم رجل أمس، ما سبقه الأولون بعلم ولا أدركه الآخرون، إن كان رسول الله ﷺ ليبعثه ويعطيه الراية، فلا ينصرف(٣)، حتى يُفتح له، ما ترك من صفراء ولا بيضاء إلا سبعمئة درهم من عطائه كان يرصدها لخادم أهله(٤).

١٠ ـ استقبال معاوية خبر مقتل علي رضي الله عنهما:

ولما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي، فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم(٥)، وكان معاوية يكتب فيما ينزل به يسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك، فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٣٩)؛ الأخبار الطوال، ص ٢١٥.
(٢) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص ٦٥٤.
(٣) فضائل الصحابة (٢/ ٧٣٧) إسناده صحيح. فلا ينصرف: يرجع.
(٤) المصدر السابق نفسه.
(٥) البداية والنهاية (٨/ ١٣٣).

ابن أبي طالب، فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام، فقال له: دعني عنك[(١)].

ولنتعرف على شخصية علي عندما طلب معاوية رضي الله عنه في خلافته من ضرار الصُّدائي أن يصف له علياً، فقال: أعفني يا أمير المؤمنين قال: لتصفنَّه، قال: أما إذ لا بد من وصفه؛ فكان والله بعيد المدى، شديد القُوى، يقول فُصلاً[(٢)] ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، ويستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصُر، ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحَدِنا، يجيبنا إذا سألناه وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله ـ مع تقريبه إيانا وقربه منا ـ لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظِّم أهل الدين ويُقرِّب المساكين، ولا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف في عدله، وأشهد أنه قد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سُدُولَه[(٣)] وغارت نجومه، قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم[(٤)]، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غُرِّي غيري، إليّ تعرّضت أم إليّ تشوَّفتِ: هيهات هيهات، قد باينتك ثلاثاً لا رجع فيها، فعمرك قصير، وخطرك قليل، آه من قلة الزاد وبُعد السفر، ووحشة الطريق، فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها وهو في حجرها[(٥)].

وعن عمر بن عبد العزيز قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وأبو بكر وعمر جالسان عنده، فسلمت عليه وجلست، فبينما أنا جالس إذ أتي بعلي ومعاوية فأدخلا بيتاً وأجيف[(٦)] الباب وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج علي وهو يقول: قضي لي ورب الكعبة، ثم ما كان بأسرع من أن خرج معاوية وهو يقول: غفر لي ورب الكعبة[(٧)].

وروى ابن عساكر عن أبي زرعة الرازي أنه قال له رجل: إني أبغض معاوية، فقال له: ولم؟ قال: لأنه قاتل علياً، فقال له أبو زرعة: ويحك إن رب معاوية رحيم، وخصم معاوية خصم كريم، فإيش دخولك أنت بينهما؟ رضي الله عنهما[(٨)].

* * *

(١) الاستيعاب (٣/ ١١٠٨).
(٢) المصدر السابق نفسه (٣/ ١١٠٧).
(٣) سدوله: سدلته.
(٤) تململ السليم: يعني الملدوغ، كانت العرب تسميه كذلك للتفاؤل ببرئه.
(٥) الاستيعاب (٣/ ١١٠٨).
(٦) أجيف الباب: رُد وأغلق.
(٧) البداية والنهاية (٨/ ١٣٣).
(٨) المصدر السابق نفسه.

الفصل الثاني
بيعة الحسن بن علي بن أبي طالب ، وأهم صفاته، وبعض مواقفه في الحياة الاجتماعية، ومشروعه الإصلاحي الذي توّج بوحدة الأمة

المبحث الأول
بيعة الحسن بن علي رضي الله عنهما

كانت بيعة الحسن بن علي رضي الله عنهما في شهر رمضان من سنة ٤٠هـ ، وذلك بعد استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، على يد الخارجي عبد الرحمن ابن ملجم المرادي[(١)] ، وقد اختار الناس الحسن بعد والده ، ولم يعيِّنْ أمير المؤمنين أحداً من بعده ، فعن عبد الله بن سبع قال: سمعت علياً يقول: لتخضبن هذه من هذا[(٢)] ، فما ينتظر بي الأشقى[(٣)]. قالوا: يا أمير المؤمنين، فأخبرنا به نبير عترته[(٤)]، قال: إذن تالله تقتلون بي غير قاتلي. قالوا: فاستخلف علينا ، قال: لا، ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله ﷺ ، قالوا: فما تقول لربك إذا أتيته، قال وكيع[(٥)] مرة: إذا لقيته، قال: أقول: اللهم تركتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم[(٦)]، وفي رواية: أقول: اللهم استخلفتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني وتركتك فيهم[(٧)] .

---

(١) الطبقات (٣/ ٣٥ـ٣٨) ، تحقيق د. إحسان عباس.
(٢) أي: لتخضبن لحيته من دم رأسه.
(٣) مجمع الزوائد (٩/ ١٣٩)؛ مسند أحمد (٢/ ٣٢٥) حسن لغيره.
(٤) نبير عُترَته: نهلك أقرباءه. لسان العرب (٤/ ٥) (٤/ ٥٣٨).
(٥) وكيع بن الجراح: ثقة حافظ عابد، التقريب: ٥٨١.
(٦) مسند أحمد (٢/ ٣٢٥) حسن لغيره. الموسوعة الحديثية.
(٧) كشف الأستار عن زوائد البزار (٣/ ٢٠٤).

وبعد مقتل علي صلى عليه الحسن بن علي ، وكبر عليه أربع تكبيرات ، ودفن بالكوفة ، وكان أول من بايعه قيس بن سعد ، قال له : ابسط يدك أبايعك على كتاب الله عز وجل ، وسنة نبيه ، وقتال المُحلِّين ، فقال له الحسن رضي الله عنه : على كتاب الله وسنة نبيه ، فإن ذلك يأتي من وراء كل شرط . فبايعه وسكت ، وبايعه الناس[١] ، وقد اشترط الحسن بن علي على أهل العراق عندما أرادوا بيعته فقال لهم : إنكم سامعون مطيعون ، تسالمون من سالمت ، وتحاربون من حاربت[٢] ، وفي رواية : قال لهم : والله لا أبايعكم إلا على ما أقول لكم ، قالوا : ما هو؟ قال : تسالمون من سالمت ، وتحاربون من حاربت[٣] ، وفي رواية ابن سعد : إن الحسن بن علي بن أبي طالب بايع أهل العراق بعد علي على بيعتين ، بايعهم على الإمرة ، وبايعهم على أن يدخلوا فيما دخل فيه ، ويرضوا بما رضي به[٤] .

ويستفاد من الروايات السابقة : ابتداء الحسن رضي الله عنه في التمهيد للصلح فور استخلافه والذي سيأتي تفصيله لاحقاً بإذن الله تعالى . ومن دراستنا لبيعة الحسن نستنبط دروساً وعبراً وفوائد ؛ منها :

أولًا : بطلان قضية النص على خلافة الحسن :

عند حديثنا عن بيعة الحسن رضي الله عنه تبرز أمامنا قضية يروِّج لها الشيعة الإمامية بقوة ؛ ألا وهي قضية النص على خلافة الحسن رضي الله عنه من قبل والده علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٥] ، وهذا الأمر يعدُّ من المفتريات على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ؛ حيث لم يصح النقل عنه بذلك ، إن الشيعة الإماميَّة يعتقدون أن الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله عز وجل على لسان رسوله ﷺ ، وأنها مثلها لطف من الله عز وجل ، ولا يجب أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى ، وليس للبشر حق اختيار الإمام وتعيينه ، بل وليس للإمام نفسه حق تعيين من يأتي بعده ، وقد وضعوا على لسان أئمتهم عشرات الروايات في ذلك ، منها ما نسبوه إلى الإمام محمد الباقر رحمه الله : أنه قال : أترون أن هذا الأمر إلينا نجعله حيث نشاء؟! لا والله ما هو إلا عهد من رسول الله رجل فرجل مسمى حتى تنتهي إلى صاحبها[٦] .
ويعتقد الشيعة الإماميَّة أن الرسول ﷺ قد نص على الأئمة من بعده ، وعينهم بأسمائهم ، وهم اثنا عشر إماماً لا ينقصون ولا يزيدون ، وهم :

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٧٣) .
(٢) المصدر السابق نفسه (٦/ ٧٧) .
(٣) الطبقات ، تحقيق د . محمد السلمي (١/ ٢٨٦ ، ٢٨٧) .
(٤) المصدر السابق نفسه (١/ ٣١٦ ، ٣١٧) .
(٥) فرق الشيعة للنوبختي ، ص ٣٤ ، مرويات خلافة معاوية .
(٦) الإمامة والنص ، فيصل نور ، ص ٨ .

١ـ علي بن أبي طالب رضي الله عنه المرتضى، توفي ٤٠هـ.

٢ـ الحسن بن علي رضي الله عنه الزكي، توفي ٥٠هـ.

٣ـ الحسين بن علي رضي الله عنه سيد الشهداء، توفي ٦١هـ.

٤ـ علي بن الحسين ـ زين العابدين ـ، توفي ٩٥هـ.

٥ـ محمد بن علي الباقر، توفي ١١٤هـ.

٦ـ جعفر بن محمد الصادق، توفي ١٤٨هـ.

٧ـ موسى بن جعفر الكاظم، توفي ١٨٣هـ.

٨ـ علي بن موسى الرضا، توفي ٢٠٣هـ.

٩ـ محمد بن علي الجواد، توفي ٢٢٠هـ.

١٠ـ علي بن محمد الهادي، توفي ٢٥٤هـ.

١١ـ الحسن بن علي العسكري، توفي ٢٦٠هـ.

١٢ـ محمد بن الحسن المهدي، توفي ٢٥٦هـ.

وأساس عقيدة الوصية هو ابن سبأ، وكان ينتهي بأمر الوصية عند علي رضي الله عنه، ولكن جاء فيما بعد من عممها في مجموعة من أولاده، وكانت الخلايا الشيعية الإماميَّة تعمل بصمت وسرية، فينفون ذلك نفياً قاطعاً، كما فعل جدهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ولذلك اخترع أولئك الكذابون على أهل البيت «عقيدة التقية» حتى يسهل نشر أفكارهم وهم في مأمن من تأثر الأتباع بمواقف أهل البيت الصادقة والمعلنة للناس[(١)].

إن من أخطر الأمور التي ابتدعها الشيعة: الوصية؛ وهي: أن رسول الله ﷺ أوصى بالخلافة بعد وفاته مباشرة إلى علي رضي الله عنه، وأن من سبقه مغتصبون لحقه كما جاء في كتابهم «الكافي»: من مات ولم يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، وكان رسول الله ﷺ، وكان علياً عليه السلام[(٢)]، ولكن بالاستقراء التاريخي لتاريخ الخلفاء الراشدين، لا نجد للوصية ذكراً في خلافة أبي بكر، ولا في خلافة عمر رضي الله عنهما، وإنما نجد بداية ظهورها في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان رضي الله عنه، عند بزوغ قرن الفتنة، وقد استنكر الصحابة هذا القول عندما وصل إلى أسماعهم، وبينوا كذبه، ومن أشهر هؤلاء: علي بن أبي طالب، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما، ثم نرى هذا القول يتبلور في فكرة موجهة، وعقيدة تدعو إلى الإيمان بها والدعوة

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٠).

(٢) أصول الكافي (٢/ ١٦ ـ ١٧).

إليها، وذلك في خلافة علي رضي الله عنه، وهذه الوصية التي تدَّعيها الإماميَّة فقد أثبت علماؤهم أنها من وضع عبد الله بن سبأ، كما ذكر ذلك النوبختي والكشي، وقد فصلت ذلك في كتابي (أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه)، ويكفي في الرد على زعمهم الباطل ما ورد بالنقل الصحيح عن عدد من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، ومنهم علي رضي الله عنه نفسه، والأدلة كثيرة منها:

١ ـ **ذكر عند عائشة: أن النبي ﷺ** أوصى إلى علي، فقالت: من قاله؟ لقد رأيت النبي ﷺ وإني لمسندته إلى صدري، فدعا بالطست، فانخنث، فمات، فما شعرت؛ فكيف أوصى إلى علي[١]، وتصريح عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ لم يوصِ لعلي من أعظم الأدلة على عدم الوصية، فإن النبي ﷺ توفي في حجرها، ولو كانت هناك وصية لكانت هي أدرى الناس بها[٢].

٢ ـ **وعن ابن عباس قال**: إن عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى في وجعه هذا، وإني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله، فلنسأله فيمن هذا الأمر، إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمنا فأوصى بنا، فقال علي: إنا والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها، لا يعطيناها الناس من بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ[٣].

وفي قوله رضي الله عنه شهادة للصحابة رضوان الله عليهم ـ على مدى التزامهم بتنفيذ أمر رسول الله ﷺ ، فلو كانت هناك وصية لما تخلف أحد عنه، ولما عبرت الأنصار عن رأيها في السقيفة بحرية وشجاعة وصدق: منا أمير ومنكم أمير[٤]، ولبايعوا من عهد إليه الوصية، أو على الأقل سيذكر بعضهم، ولو كان هناك نص قبل ذلك لقال علي للعباس: كيف نسأله عن هذا الأمر فيمن يكون وهو قد أوصى لي بالخلافة، وقد توفي رسول الله ﷺ في نفس اليوم، فلما لم يوجد شيء من ذلك تبين ما يُدَّعى من النص دعوى لا أساس لها من الصحة، وكل ما أوردوه من ذلك من التنصيص على علي مردود، لمخالفته هذا النص الصريح من علي رضي الله عنه، لأن كل أدلتهم السمعية إما أنها لا تدل على المدعى ـ وإما نصوص تدل على ذلك، ولكنها موضوعة[٥].

٣ ـ **سئل علي رضي الله عنه: أخصكم رسول الله بشيء؟ فقال**: ما خصَّنا رسول الله بشيء لم يعمّ

---

(١) البخاري، رقم ١٤٧١، كتاب الوصايا.
(٢) بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود (١/ ١٩٠).
(٣) البخاري، كتاب المغازي، رقم: ٤٤٤٧.
(٤) البخاري، كتاب الحدود، رقم ٦٨٣٠.
(٥) الإمامة والرد على الرافضة، تحقيق: علي ناصر فقيهي، ص ٢٣٨.

به الناس كافة، إلا ما كان في قراب سيفي هذا، قال: فأخرج صحيفة مكتوب فيها: لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن من سرق منار الأرض، ولعن الله مـن لعن والده، ولعن الله من آوى محدثاً(١). قال ابن كثير: وهذا الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما عن علي رضي الله عنه يرد على فرقة الرافضة من زعمهم: أن رسول الله ﷺ أوصى إليه بالخلافة، ولو كان الأمر كما زعموا لما ردَّ ذلك أحد من الصحابة، فإنهم كانوا أطوع لله ورسوله في حياته، وبعد وفاته من أن يفتئتوا عليهم فيقدموا غير من قدمه، ويؤخروا من قدمه بنصه، حاشا وكلاَّ! ومن ظن بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول ﷺ، ومضادتهم لحكمه ونصه، مع ما أنزل الله من ثناء عليهم بالقرآن، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام، وكفر بإجماع الأئمة الأعلام(٢)، قال النووي: فيه إبطال ما تزعمه الرافضة والشيعة الإمامية بالوصية لعلي وغير ذلك من اختراعاتهم(٣).

٤ ـ **وعن عمرو بن سفيان، قال**: لما ظهر علي يوم الجمل قال: أيها الناس! إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا من هذه الإمارة شيئاً حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله(٤).

٥ ـ **روى أبو بكر البيهقي بإسناده إلى شقيق بن سلمة، قال**: قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا تستخلف علينا؟ فقال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم(٥). فهذا دليل واضح من أن دعوى النص عليه رضي الله عنه إنما من اختلاق الرافضة الذين ملئت قلوبهم بالبغض والحقد لأصحاب رسول الله ﷺ بما فيهم علي وأهل بيته، وإنما يدَّعون حبهم تستراً ليتسنَّى لهم الكيد للإسلام وأهله(٦).

بهذه النصوص القطعية يتضح بجلاء: أن لا أصل للوصية المزعومة، وأن ما اعتمد عليه الإماميَّة هو من وضع عبد الله بن سبأ الذي هو أول من أحدث الوصية، ثم وضعت بعد ذلك أسانيد وركبت متون نسبوها زوراً وبهتاناً إلى النبي ﷺ، وهدفهم من ذلك الطعن في الصحابة رضوان الله عليهم لمخالفتهم أمر الرسول ﷺ، وإجماعهم على ذلك، ومن ثم الطعن وردّ ما نقلوه إلى أجيال المسلمين من قرآن وحديث(٧).

---

(١) مسلم (٣/ ١٥٦٧)، رقم ١٩٧٨.
(٢) البداية والنهاية (٥/ ٢٢١).
(٣) شرح صحيح مسلم (١٣/ ١٥١).
(٤) الاعتقاد، ص ١٨٤، وقال البيهقي في دلائل النبوة: سنده حسن.
(٥) المصدر السابق نفسه، إسناده جيد.
(٦) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٦٢٠).
(٧) خلافة علي بن أبي طالب، علي عبد الحميد، ص ٦٥.

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في رده على الحِلِّي: وأما النص على علي فليس في شيء من كتب أهل الحديث المعتمدة، وأجمع أهل الحديث على بطلانه، حتى قال أبو محمد بن حزم: ما وجدنا قط رواية عند أحد في هذا النص المدعى إلا رواية إلى مجهول يكنى أبا الحمراء لا نعرف من هو في خلق الله[١]، وقال في موضع آخر: فعلم أن ما تدعيه الرافضة من النص هو مما لم يسمعه أحد من أهل العلم بأقوال رسول الله ﷺ قديماً ولا حديثاً، ولهذا كان أهل العلم بالحديث يعلمون بالضرورة كذب هذا النقل، كما يعلمون كذب غيره من المنقولات[٢].

وقد جاء من الغلاة فيما بعد من أحيا نظرية ابن سبأ في أمير المؤمنين علي، ثم عمَّموها على آخرين من سلالة علي والحسين في إثارة مشاعر الناس وعواطفهم، والدخول إلى قلوبهم، لتحقيق أغراضهم ضد الدولة الإسلامية في ظل هذا الستار، وأول من بدأ يشيع القول بأن الإمامة محصورة بأناس مخصوصين في آل البيت، شيطان الطاق الذي تلقبه الشيعة مؤمن الطاق[٣]، وأنه حينما علم بذلك زيد بن علي رحمه الله بعث إليه ليقف على حقيقة الإشاعة، فقال له زيد: بلغني أنك تزعم أن في آل محمد إماماً مفترض الطاعة؟ قال شيطان الطاق: نعم، وكان أبوك علي بن الحسين أحدهم، فقال: وكيف وقد كان يؤتى بلقمة وهي حارة فيبردها بيده ثم يلقمنيها، أفترى أنه كان يشفق علي من حر اللقمة، ولا يشفق علي من حر النار؟ قال شيطان الطاق: قلت له: كره أن يخبرك، فتكفر، فلا يكون له فيك شفاعة[٤].

وهذه القصة المروية في أوثق كتب الرجال عندهم تبين أن هذه النظرية كانت سرية التداول لدرجة أنها خفيت على إمام من أئمة أهل البيت وهو الإمام زيد، وقد بيَّن محب الدين الخطيب: أن شيطان الطاق هو أول من اخترع هذه العقيدة الضالة، وحصر الإمامة والتشريع، وادعى العصمة لأناس مخصوصين من آل البيت[٥].

وقد شارك شيطان الطاق رجل آخر هو هشام بن الحكم المتوفى ١٧٩هـ[٦]، ويبدو أن عقيدة حصر الإمامة بأناس معينين سرت في الكوفة[٧]، بسعي مجموعة من أتباع هشام وشيطان الطاق، ففكرة حصر الأئمة بعدد معين قد وضع جذورها في القرن الثاني زمرة ممن يدعي الصلة بأهل

---

(١) المنهاج (٨/ ٣٦٢)؛ الفصل (٤/ ١٦١).
(٢) المنهاج (٧/ ٥٠).
(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٠).
(٤) رجال الكشي، ص ١٨٦.
(٥) مجلة الفتح، ص ٥، العدد ٨٦٢، عام ١٣٦٧هـ.
(٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٣).
(٧) بحار الأنوار (١/ ٢٥٩)، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٥).

البيت[١]، أمثال شيطان الطاق وهشام بن الحكم[٢].

ولقد اختلفت اتجاهات الشيعة وتباينت مذاهبهم في عدد الأئمة؛ قال في مختصر التحفة: اعلم أن الإمامية قائلون بانحصار الأئمة، ولكنهم مختلفون في مقدارهم، فقال بعضهم: خمسة، وبعضهم سبعة، وبعضهم ثمانية، وبعضهم: اثنا عشر، وبعضهم ثلاثة عشر[٣]، والغريب أن القائلين بنظرية الإمامة الإلٰهية انقسموا إلى عدة فرق؛ كل فريق منهم ينقل روايات مناقضة للآخر في إمامة من يراه، ثم ينسبون ذلك لعلي رضي الله عنه. وكتب الشيعة الإماميَّة نقلت صورة هذا التباين والتناقض؛ سواء كانت من كتب الإسماعيلية بمسائل الإمامة للناشئ الأكبر، أو الزينة لأبي حاتم الرازي، أو من كتب الإثني عشرية؛ مثل: المقالات والفرق للأشعري القمي، وفرق الشيعة للنوبختي، وقضية الإمامة عندهم ليست بالأمر الفرعي الذي يكون فيه الخلاف أمراً عادياً، بل هي أساس الدين وأصله المتين، ولا دين لمن لم يؤمن بإمامهم، ولذلك يكفر بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضاً[٤].

أما الاثنا عشرية فقد استقر قولها ـ فيما بعد ـ بحصر الإمامة في اثني عشر إماماً، ولم يكن في العترة النبوية بني هاشم على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم من يقول بإمامة الاثني عشر[٥]، إنما عرف الاعتقاد باثني عشر إماماً بعد وفاة الحسن العسكري[٦].

إن حصر الأئمة بعدد معين عقيدة فاسدة باطلة، وأمير المؤمنين علي وأولاده وأحفاده براء منها، ففي كتب الشيعة المعتمدة في نهج البلاغة، عن علي رضي الله عنه قال: دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول[٧]، وإن الآفاق قد أغامت[٨]، والمحجَّة قد تنكرت، واعلموا أني إن أحببتكم ركبت لكم ما أعلم، ولم أصغِ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً، خير لكم مني أميراً[٩]، فلو كانت إمامة علي منصوصاً عليها من الله عز وجل لما جاز لعلي بن أبي طالب تحت أي ظرف من الظروف أن يقول للناس: «دعوني

(١) أصول الشيعة (٢/ ٨٠٦).
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) مختصر التحفة، ص ١٩٣.
(٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٧).
(٥) منهاج السنة (٢/ ١١).
(٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٨).
(٧) لا تصبر له ولا تطيق احتماله.
(٨) أغامت: غطيت بالغيم.
(٩) نهج البلاغة، خطبة رقم ٩٢، ص ٢٣٦.

والتمسوا غيري» ويقول: «أنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً» كيف والناس تريده وجاءت تبايعه(١).

ويقول في النهج كلاماً أكثر صراحة وأشد وضوحاً حين يقول: إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل سمّوه إماماً كان ذلك لله رضا، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى(٢)، وقد أثار أمير المؤمنين بهذه العبارة حقائق جديرة بالاهتمام حيث جعل:

ـ الشورى للمهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ، وبيدهم الحل والعقد.

ـ اتفاقهم على شخص سبب لمرضاة الله، وعلامة لموافقته سبحانه وتعالى إياهم.

ـ لا تنعقد الإمامة في زمانهم دونهم وبغير اختيارهم.

ـ لا يرد قولهم ولا يخرج عن حكمهم إلا المبتدع الباغي المتبع غير سبيل المؤمنين، فأين هم الشيعة الاثني عشرية عن هذه التصريحات الهامة(٣).

إن مسألة النص لا تثبت بأي وجه من الوجوه، ومسألة حصر الأئمة بعدد معين مردودة بالكتاب والسنة، كما أنه لا يقبلها العقل ومنطق الواقع، إذ بعد انتهاء العدد المعين هل تظل الأمة بدون إمام؟ ولذلك فإن عصر الأئمة الظاهرين عند الاثني عشرية لا يتعدى قرنين ونصف إلا قليلاً، وهم من ذلك الوقت إلى الآن بدون إمام بشكل فعلي وواقعي مما ترتب على وضعهم هذا فقدانهم كل ما يزعمون من مبرر ضروري، أو مصلحة ضرورية من وجود إمام معصوم، وهذا تناقض ظاهر، وقد اضطر الشيعة للخروج عن حصر الأئمة بمسألة نيابة المجتهد عن الإمام، واختلف قولهم في حدود النيابة، وفي هذا العصر اضطروا للخروج نهائياً عن هذا الأصل الذي هو قاعدة دينهم، فجعلوا رئاسة الدولة تتم عن طريق الانتخاب، ولكنهم خرجوا عن حصر العدد إلى حصر النوع، فقصروا رئاسة الدولة على الفقيه الشيعي(٤)، وهو فعلياً غير معصوم بالاتفاق، ولا عنده نص يخوّله للإمامة، وهم بهذا الأمر نسخوا فعلياً نظرية الإمامة التي شقوا بها صفوف الأمة، فأصبح الإنسان العادي حتى ولو كان من غير أهل البيت يستطيع أن يحكم ويقود بحجة أنه فقيه.

---

(١) ثم أبصرت الحقيقة، ص ١٥٨.
(٢) نهج البلاغة، كتاب إلى معاوية، رقم ٦ ص ٥٢٦.
(٣) ثم أبصرت الحقيقة، ص ١٦١.
(٤) الحكومة الإسلامية للخميني، ص ٢٤٨، أصول الشيعة (٢/ ٨١٤).

وقد فصّل الأستاذ أحمد الكاتب تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، وتحدث عن أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنهما والشورى، وبين بوضوح أن الحسن بن علي لم يعتمد في دعوة الناس لبيعته على ذكر أي نص حوله من الرسول ﷺ، أو من أبيه أمير المؤمنين علي، وتحدث عن إيمان الحسن بن علي بنظام الشورى وحق الأمة في انتخاب إمامها، وقد تجلى هذا الإيمان مرة أخرى عند تنازله عن الخلافة إلى معاوية، واشتراطه عليه العودة إلى نظام الشورى بين المسلمين، ولو كانت الخلافة بالنص من الله والتعيين من الرسول، كما تقول النظرية الإمامية، لم يكن يجوز للإمام الحسن أن يتنازل عنها لأي أحد تحت أي ظرف من الظروف، ولم يكن يجوز له بعد ذلك أن يبايع معاوية أو أن يدعو أصحابه وشيعته لبيعته، ولم يكن يجوز له أن يهمل الإمام الحسين، ولأشار إلى ضرورة تعيينه من بعدِه، ولكن الإمام الحسن لم يفعل أي شيء من ذلك، وسلك مسلكاً يوحي بالتزامه بحق المسلمين في انتخاب خليفتهم عبر نظام الشورى، وقد ظل الشهيد الحسين رضي الله عنه ملتزماً ببيعة معاوية إلى آخر يوم من حياة الأخير، ورفض عرضاً من شيعة الكوفة بعد وفاة أمير المؤمنين الحسن بالثورة على معاوية، وذكر أن بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه، ولم يدَّع إلى نفسه إلا بعد وفاة معاوية الذي عهد إلى ابنه يزيد بالخلافة بعده، حيث رفض الحسين البيعة له وأصرَّ على الخروج إلى العراق حيث استشهد في كربلاء عام ٦١هـ[١].

ثانياً ـ ما يحتج به الشيعة الاثنا عشرية في أمر تحديد عدد الأئمة بما جاء في كتب السنة:

عن جابر بن سمرة، قال رسول الله ﷺ: «يكون اثنا عشر أميراً». فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: «كلهم في قريش»[٢]. وفي مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشرة خليفة». ثم قال كلمة لم أفهمها. فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: «كلهم من قريش»[٣]. وفي لفظ: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة»[٤]، وفي لفظ آخر: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً»[٥]، وعند أبي داود: «لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم تجتمع عليهم الأمة»[٦]. وأخرجه أبو داود أيضاً من طريق الأسود بن سعيد عن جابر بنحو ما مضى قال: وزاد: فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: «الهرج»[٧].

---

(١) تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، ص ١٧، ١٨.
(٢) البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف (٨/ ١٢٧).
(٣) مسلم، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش (٢/ ١٤٥٣).
(٤) المصدر السابق نفسه (٢/ ١٤٥٣).
(٥) المصدر السابق نفسه.
(٦) سنن أبي داود، كتاب المهدي (٤/ ٤٧١).
(٧) المصدر السابق نفسه (٤/ ٤٧٢)؛ فتح الباري (١٣/ ٢١١).

يتعلق الشيعة الاثنا عشرية بهذا النص ويحتجون به على أهل السنة، لا لإيمانهم بما جاء في كتب السنة[١]، ولكن للاحتجاج عليهم بما يسلمون به، وبالتأمل في النص بكل حيدة وموضوعية نجد أن هؤلاء الاثني عشر وصفوا بأنهم يتولون الخلافة، وأن الإسلام في عهدهم يكون في عزة ومنعة، وأن الناس تجتمع عليهم، ولا يزال أمر الناس ماضياً وصالحاً في عهدهم، وكل هذه الأوصاف لا تنطبق على من تدعي الاثنا عشرية فيهم الإمامة، فلم يتولَّ الخلافة منهم إلا أمير المؤمنين علي والحسن، كما لم يقم أمر الأمة في مدة أحد من هؤلاء الاثني عشر ـ في نظر الشيعة أنفسهم ـ بل ما زال أمر الأمة فاسداً. . ويتولى عليهم الظالمون بل الكافرون[٢]، وأن الأئمة أنفسهم كان يتسترون في أمور دينهم بالتقية[٣]، وأن عهد أمير المؤمنين علي وهو على كرسي الخلافة عهد تقية، كما صرح بذلك شيخهم المفيد[٤]، فلم يستطع أن يظهر القرآن، ولا أن يحكم بجملة من أحكام الإسلام، كما صرح بذلك شيخهم الجزائري[٥]، واضطر إلى ممالأة الصحابة ومجاراتهم على حساب الدين، كما أقرَّ بذلك شيخهم المرتضى[٦]. .

فالحديث في جانب، ومزاعم هؤلاء في جانب آخر، ثم إنه ليس في الحديث حصر للأئمة بهذا العدد، بل نبوءة منه، بأن الإسلام لا يزال عزيزاً في عصور هؤلاء، وكان عصر الخلفاء الراشدين وبني أمية عصر عزة ومنعة[٧]، ولهذا قال ابن تيمية: إن الإسلام وشرائعه في بني أمية أظهر وأوسع مما كان بعدهم، ثم استشهد بحديث: «لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش». ثم قال: وهكذا كان، فكان الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم تولى من اجتمع الناس عليه وصار له عزة ومنعة؛ معاوية وابنه يزيد، ثم عبد الملك وأولاده الأربعة وبينهم عمر بن عبد العزيز، وبعد ذلك حصل من النقص ما هو باقٍ إلى الآن. ثم شرح ذلك[٨].

ثم إنه قال في الحديث: كلهم من قريش[٩]، وهذا يعني: أنهم لا يختصون بعلي وأولاده؛ ولو كانوا مختصين بعلي وأولاده لذكر ما يميزون به، ألا ترى أنه لم يقل: كلهم من ولد إسماعيل ولا من العرب، فلو امتازوا بكونهم من بني هاشم، أو من قبيل علي لذكروا بذلك، فلما جعلهم

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨١٥).
(٢) منهاج السنّة (٤/ ٢١٠)؛ المنتقى، ص ٥٣٣.
(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨١٦).
(٤) المصدر السابق نفسه.
(٥) المصدر السابق نفسه.
(٦) المصدر السابق نفسه.
(٧) أصول الشيعة (٢/ ٨١٦).
(٨) منهاج السنة (٤/ ٢٠٦).
(٩) مسلم (٢/ ١٤٥٣).

من قريش مطلقاً علم أنهم من قريش، بل لا يختصون بقبيلة، بل بنو تيم، وبنو عدي، وبنو عبد شمس، وبنو هاشم، فإن الخلفاء الراشدين كانوا من هذه القبائل[١]، فإذن لم يبق من الأوصاف التي تنطبق على ما يريدون إلا مجرد العدد، والعدد لا يدل على شيء[٢].

ثالثاً ـ مدة خلافة أمير المؤمنين الحسن، ومعتقد أهل السنة في خلافته:

استمر أمير المؤمنين الحسن بن علي بعد بيعته خليفة على الحجاز واليمن والعراق وغير ذلك نحو سبعة أشهر، وقيل: ثمانية أشهر، وقيل: ستة أشهر، وكانت خلافته هذه المدة خلافة راشدة حقة؛ لأن تلك المدة كانت تتمة لمدة الخلافة الراشدة التي أخبر النبي ﷺ أن مدتها ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً[٣]، فقد روى الترمذي بإسناده إلى مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك»[٤]، وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقال: وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ؛ فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل نبوة سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليماً[٥]، وبذلك يكون الحسن بن علي رضي الله عنهما خامس الخلفاء الراشدين[٦]، وعند الإمام أحمد من حديث سفينة أيضاً بلفظ: «الخلافة ثلاثون عاماً ثم يكون بعد ذلك الملك»[٧]. وعند أبي داود بلفظ: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء، أو ملكه من يشاء»[٨]، ولم يكن في الثلاثين بعده ﷺ إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن، وقد قرر جمع من أهل العلم عند شرحهم لقوله ﷺ: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة». أن الأشهر التي تولى فيها الحسن بن علي بعد موت أبيه كانت داخلة في خلافة النبوة، ومكملة لها فقد قال كل من:

١ ـ **أبو بكر بن العربي رحمه الله**: فنفذ الوعد الصادق في قوله ﷺ: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم تعود ملكاً». فكانت لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وللحسن منها ثمانية أشهر لا تزيد ولا تنقص يوماً، فسبحان المحيط لا رب غيره[٩].

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٢١١).
(٢) أصول الشيعة (٢/ ٨١٨).
(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (٢/ ٧٤٣).
(٤) سنن الترمذي مع شرحها تحفة الأحوذي (٦/ ٣٩٥ ـ ٣٩٧)، حديث حسن.
(٥) البداية والنهاية (١١/ ١٣٤).
(٦) مآثر الإنافة (١/ ١٠٥)؛ مرويات خلافة معاوية، خالد الغيث، ص ١٥٥.
(٧) فضائل الصحابة (٢/ ٧٤٤)، إسناده حسن.
(٨) صحيح سنن أبي داود (٣/ ٨٧٩)؛ سنن أبي داود (٢/ ٥١٥).
(٩) أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٧٢٠).

٢ ـ **وقال القاضي عياض رحمه الله**: لم يكن في ثلاثين سنة إلا الخلفاء الراشدون الأربعة، والأشهر التي بويع فيها الحسن بن علي. . والمراد في حديث: «الخلافة ثلاثون سنة». خلافة النبوة، فقد جاء مفسراً في بعض الروايات: «خلافة النبوة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً»(١).

٣ ـ **وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله**: والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحديث الذي أوردناه في دلائل النبوة(٢) من طريق سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً»، وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي(٣).

٤ ـ **وقال شارح الطحاوية**: وكانت خلافة أبي بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر عشر سنين ونصفاً، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة، وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر، وخلافة الحسن ستة أشهر(٤).

٥ ـ **وقال المناوي**: بعد ذكره لقوله ﷺ: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»(٥)، قال: وكان ذلك، فلما بويع له بعد أبيه، وصار هو الإمام الحق مدة ستة أشهر تكملة للثلاثين سنة التي أخبر المصطفى ﷺ أنها مدة الخلافة، وبعدها يكون ملكاً(٦).

٦ ـ **وقال ابن حجر الهيثمي**: هو آخر الخلفاء الراشدين بنصِّ جَدِّه ﷺ، ولي الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة، فأقام بها ستة أشهر وأياماً، خليفة حق وإمام عدل وصدق، تحقيقاً لما أخبر به جده الصادق المصدوق بقوله: الخلافة بعدي ثلاثون سنة(٧)، فإن تلك الستة الأشهر هي المكملة لتلك الثلاثين، فكانت خلافته منصوصاً عليها وقام عليها إجماع من ذكر، فلا مرية في حَقِّيتها(٨).

إن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن خلافة الحسن بن علي كانت خلافة حقة، وأنها جزء مكمِّل لخلافة النبوة التي أخبر النبي ﷺ أن مدتها ستكون ثلاثين سنة(٩).

رابعاً ـ خُطَب لا تصح للحسن بعد مقتل والده:

ونورد هذا المبحث لمعرفة الباطل والتحذير منه، كما قال الشاعر:

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ٢٠١).
(٢) البداية والنهاية (١١/ ١٣٤).
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) شرح الطحاوية، ص ٥٤٥.
(٥) البخاري (٧/ ٩٤).
(٦) فيض القدير (٢/ ٤٠٩).
(٧) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (٢/ ٣٩٧).
(٨) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (٢/ ٣٩٧).
(٩) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٧٤٨).

عـرفـت الشـرَّ لا للشـر ولكـن لتـوقيـه ومـن لا يعـرف الشر مـن الخيـر يقـع فيـه

وقد اخترع الشيعة الإماميَّة الكثير من الخطب ونسبوها كذباً وبهتاناً للحسن بن علي رضي الله عنهما؛ وإليك نماذج من ذلك؛ منها:

.. أيها الناس! من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني، فأنا الحسن بن علي. أنا البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله عز وجل بإذنه وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، والذين افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى: ٢٢]. فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت[١].

ونسجوا خطبة لأبي الأسود الدؤلي إلى أن قالوا:

ثم بكى حتى اختلفت أضلاعه، ثم قال: وقد أوصى بالإمامة بعده إلى ابن رسول الله ﷺ، وابنه وسليله وشبيهه في خلقه وهديه، وإني لأرجو أن يجبر الله به ما وهي، ويسد به ما انثلم، ويجمع به الشمل، ويطفئ به نيران الفتنة، فبايعوه ترشدوا، فبايعت الشيعة كلها، وتخلف ناس ممن كان يرى رأي العثمانية وهربوا إلى معاوية[٢].

وذكروا رسائل مطولة من الحسن إلى معاوية يدعوه لبيعته ويدلي بحجته وأحقيته، وهي لا تثبت من حيث السند والمتن، وإنما ذكرت في كتب الشيعة الرافضة العارية من الأسانيد الصحيحة، المتعارضة مع ما ثبت عن الحسن بن علي في خلافته[٣]، ويكفي أن تلك المراجع تحدث فيها علماء أهل السنة، وبينوا زيفها وبطلانها وأنها ليست بحجة في مجال الاعتقاد والأحكام والعلاقة بين الصحابة الكرام، ويكفي أن النصوص السالفة الذكر من كتاب مقاتل الطالبيين، والأغاني للأصفهاني، ومن كتاب نهج البلاغة، وقد تحدث العلماء عن الأصفهاني وكتابه وكذلك نهج البلاغة، فقالوا:

١ ـ الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني:

يعتبر كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني كتاب أدب وسمر وغناء ومجون، وليس كتاب علم وتاريخ وفقه، وله طنين ورنين في آذان أهل الأدب والتاريخ، ولقد تحدث العلماء فيه قديماً فقالوا:

* **قال الخطيب البغدادي**: كان أبو الفرج الأصفهاني أكذب الناس، كان يشتري شيئاً كثيراً من الصحف، ثم تكون كل رواياته منها.

---

(١) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني، ص ٥١ ـ ٥٢.

(٢) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (١/ ١٢١).

(٣) الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، محمد ماهر حمادة، ص ٩٠ إلى ٩٥.

* **قال ابن الجوزي**: . . . ومثله لا يوثق بروايته، يصحّ فيه كتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهوّن شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمَّل كتاب الأغاني، رأى كل قبيح ومنكر(١).

* **قال الذهبي**: رأيت شيخنا تقيّ الدين ابن تيمية يضعّفه ويتهمه في نقله، ويستهْول ما يأتي به(٢).

وقد تحدث عنه بعض المعاصرين فقالوا:

* **قال الأستاذ شوقي أبو خليل مقوماً** مصادر فيليب حتِّي في كتابه (تاريخ العرب المطوّل) ما نصه: واعتمد حتى كتاب الأغاني للأصفهاني، وهو ليس كتاب تاريخ يعتمد أيضاً، إنّه كتاب أدب، وهذا لا يعني مطلقاً أن كل كتاب أدب لا يؤخذ به، بل يعتمد إن كان صاحبه ثقة، معروفاً عنه الأمانة في النقل والرِّواية. إن كتاب الأغاني الذي جعله حتِّي مرجعاً تاريخياً معتمداً، صاحبه متَّهم في أمانته الأدبيَّة والتاريخية، جاء في ميزان الاعتدال في نقد الرّجال: أن الأصفهاني في كتابه الأغاني كان يأتي بالأعاجيب بحديثنا وأخبارنا. ومن يقرأ الأغاني يرى حياة العباسيين لهواً ومجوناً وغناء وشراباً. . وهذا يناسب المؤلِّف وخياله وحياته، ومن يرجع إلى كتب التاريخ الصحيحة يجد صورة أخرى فيها علم وجهاد وأدب، فكتاب الأغاني ليس كتاب تاريخ يحتج به(٣).

* **وقال أبو عبيدة مشهور بن حسن آل مشهور**: «. . لا بد من ذكر أمر هام تفطن إليه بعض الباحثين، وهو: أن أهواء وميول أبي فرج الشيعية لها دور بارز ظهر فيما دوّنه في كتابه هذا، قال الدكتور محمد أحمد خلف الله في خاتمة كتابه (أبو الفرج الأصفهاني) ما نصه: ولقد وقفنا على ما لأبي فرج من ميول وأهواء، فيجب أن نحذر هذه الميول وهذه الأهواء كلما حاولنا الاعتماد على ما خلَّف الرجل من مرويَّات، فقد يكون الرجل مضللاً، وقد يكون صاحب غرض وهوى، وليس يخفى أنَّ للأهواء حكمها في التاريخ، وهو حكم قد يملي رغبته لا في ذكر الأخبار فحسب وإنما أيضاً في الكتمان(٤).

وأخيراً لماذا هذا التحذير؟: وقد يتساءل البعض: لماذا هذا التفصيل في التحذير من هذا الكتاب؟ والجواب: كان هذا التحذير لأسباب كثيرة هي:

---

(١) المنتظم (٧/ ٤٠، ٤١).
(٢) ميزان الاعتدال (٣/ ١٢٣).
(٣) موضوعية فيليب حتِّي في كتابه تاريخ العرب المطول، ص ١٨٧.
(٤) أبو الفرج الأصفهاني، ص ٢٣٥؛ كتب حذر منها العلماء (٢/ ٣٠).

أ ـ لشهرة هذا الكتاب وصيته الذائع .

ب ـ لاعتماد كثير من أهل التغريب عليه .

ج ـ لما حواه من أخبار فيها قدح في الإسلام والصحابة والخلفاء والولاة الصالحين العادلين .

د ـ لحرص غير واحد من المعاصرين على إظهار ما فيه على أنه حق وصدق، وقد كتب في ذلك وحرص عليه شفيق جبري في كتاب (دراسة الأغاني) الذي وضعه بتشجيع من طه حسين، والخلاصة: أن هذا الكتاب على الرغم من قيمته الأدبية وأسلوبه القوي الأخَّاذ، إلا أن أخباره ومادته تحتاج إلى وقفات ونقدات»[١] .

* **قال الأستاذ وليد الأعظمي في كتابه السيف اليماني في نحر الأصفهاني** في مقدمة كتابه بعد كلام: «من هنا بدأت أنظر إلى كتاب الأغاني نظرة جديدة، ورجعت إلى كتب التضعيف، والتوثيق والجرح والتعديل، فوجدت الأصفهانيَّ رجلاً غير مأمون، ولا يوثق به عند علمائنا الأجلاَّء المدقِّقين الممحِّصين، وسلخت من عمري سنتين كاملتين متفرغاً لكتاب الأغاني أتملَّىٰ نصوصه، وأقواله، وأقف عند كل خبر من أخباره، حتى فلَّيت سطوره وكلماته، واستخرجت قَمْلَه من بين شعراته، واصطبرت عليه اصطبار المجاهدين المرابطين على الثغور، فرأيت نيران الشعوبية والحقد وهي تغلي في الصدور كغلي القدور، وشعرت بنبال الأعداء تتوجَّه إلينا، وسهامهم تنثال علينا، ورددت قول الشاعر:

ولو كان سهماً واحداً لاتَّقَيْتُهُ ولكنه سهم وثانٍ وثالث

فشمرت عن ساعد الجد لأميز الهزل من الجدّ، والسمَّ من الشهد، . . ورحت أفحص رجال السند الذين روى عنهم الأصفهاني، وبحثت عنهم في كتب نقد الرجال، وقرأت ما جاء فيهم من أقوال، فوجدت فيهم كل داهية دهياء، وبلية سوداء عمياء، من الكذابين والمجروحين والمطعون عليهم، فعزلت أولئك الكذابين وعرّفت بهم، ثم رحت أحصي روايات الأصفهاني عن كل واحد من هؤلاء، وهالني ما رأيت من الاعتماد على أولئك الكذابين والرواية عنهم، والاستقاء من دلائهم، والاستضاءة بنارهم، ورأيت نفسي في وادٍ سحيق رهيب، ودخلت في كهف مظلم كئيب، وإذا كان أولئك الرواة يكذبون في رواية الحديث النبوي الشريف، فكيف بهم في أخبار الناس وقد توزَّعوا إلى مذاهب وفرق وطوائف، تتجاذبهم الأهواء والمشارب والمنافع، وتتقاذف بهم المقاصد والأهداف؟

وإذا كان الأغاني كتاب أدب وسمر وغناء وليس كتاب علم وتاريخ وفقه، فليس معنى ذلك أن نسكت عمّا ورد فيه من الدس والكذب الفاضح والطعن والمعايب، وقد جمع فيه الأصفهاني

---

(١) كتب حذر منها العلماء (٢/ ٣٠، ٣١) .

كثيراً من أخبار السيرة والتفسير والفقه والأدب، إلى أن قال: . . واحتوى الفصل الثاني أخباراً وحكايات أوردها الأصفهاني عن آل البيت النبويِّ الشريف، وهي أخبار تسيء إليهم، وتجرح سيرتهم، وتشوِّه سلوكهم، وتوهِّن أمرهم بما يوافق هوى آل بويه الذين يزعمون الولاء لآل البيت كذباً وزوراً، وقد ناقشت تلك الأخبار وعلَّقت على كل حكاية بما يناسبها. . وجعلت الفصل الرابع للأخبار والحكايات المتفرقة التي طعن فيها الأصفهاني بالعقائد الإسلامية، ولعْن دين الإسلام وتفضيل الجاهلية على الإسلام، مع الكفر البواح والاستخفاف بالصلاة والحج ويوم القيامة، مع دفاع عن البرامكة وإشادة بالفرس، وطعون مختلفة بأعلام العرب والمسلمين، وناقشت كل تلك الأخبار، وعلَّقت عليها بما يناسب أيضاً»[١].

إلى أن قال في الخاتمة: «بعد هذه الجولة الواسعة في كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني، والوقوف عند أخباره ومناقشتها والتعليق عليها، أرجو أن يكون القارئ الكريم قد تبيَّن مقاصد هذا الشعوبي الحاقد اللئيم، وقد غضضت وصرفت القلم عن أخبار فظيعة وحكايات شنيعة لا يكتبها أشدُّ الناس عداوة وبغضاً للعرب والمسلمين، فقد اتّهم كثيراً من أعلامهم باللواطة، وكريم نسائهم بالسحاق، وألصق بهم السخائم من ذميم الخصال وقبيح الفعال، متستراً بظلال الأدب والسمر والمذاكرة والمؤانسة، كأن ذلك لا يحصل إلا بشتم سلف هذه الأمة المجيدة في تاريخها وخُلُقها»[٢].

* **وقال أنور الجندي**: ركز التغريب والغزو الثقافي على كتابي (الأغاني) و(ألف ليلة وليلة) تركيزاً شديداً، بهدف رفعهما إلى مرتبة المراجع الأساسية التي يعتمد عليها في تصوير المجتمع الإسلامي، مع تجاهل عيوب الكتابين التي تحول دون اعتمادها في المصادر الموثوق بها: أما الأول، فكاتبه شعوبي عدو للإسلام، وأما الثاني، فهو كتاب لقيط ليس مؤلف.

أما كتاب الأغاني، فهو موسوعة في بضع وعشرين مجلداً، وضعها أبو فرج الأصفهاني ليسامر بها الأمراء والفارغين من المترفين في أسمار الليل، ولم يقصد بها إلى العلم أو التاريخ، وكان الأصفهاني في نفسه إنساناً رافضاً لمجتمع المسلمين والعرب، وله ولاء بالمولد والفكر جميعاً إلى خصوم المسلمين والباطنية والرافضة وغيرهم، ولم يكن عمله هذا إلا نوعاً من الحرب العنيفة التي شنتها الشعوبية على الإسلام والمسلمين، رغبة في هدم فكرهم كوسيلة إلى هدم مجتمعهم، وقد حرص التغريب وأصحابه نظرية النقد الأدبي الغربي الوافدة على إلقاء الأضواء الساطعة على هذا الكتاب وإحيائه، واعتباره مرجعاً في الدراسات الأدبية ومصدراً لتصوير المجتمع الإسلامي، وكان الدكتور طه حسين جزاه الله بما هو أهله من أبرز من دعوا إلى

---

(١) السيف اليماني، ص ١٠ ـ ١٣.
(٢) السيف اليماني، ص ٢٦٤.

ذلك وألحوا عليه، فقد عمد إلى الأغاني نفسها، فأصدر اعتماداً على قصصها أحكاماً زائفة على مجتمع المسلمين وتاريخهم، أراد بها المساهمة في عملية التغريب الضخمة، والتي كانت تجري في الثلاثينيات من هذا القرن[١].

وقال: على أن أقل مواجهة لسيرة الأصفهاني تكشف عن أنه كان من الشعوبيين، وقد عرف بالتحايل والإغراق، وأثبت كثير من الباحثين والمؤرخين أنه لم يكن مؤرخاً، وأكَّدوا أن كتابه لا يصلح لأن يكون مادة تاريخ، وإنما هو جماع لقصص وجدها في الكتب والأسواق، وأراد بها أن يسجل للأغاني والمغنين، وهو جانب واحد في حياة المجتمع الإسلامي الحافل بالجوانب السياسية والاجتماعية والفقهية والصوفية، وقد شهد عليه الكثير من معاصريه ومؤرخيه بالانحراف، ودمغه المؤرخ اليوسفي بشهادة هي في نظر العلماء كمصدر موثوق به، إذ قال: إن أبا الفرج أكذب الناس، لأنه كان يدخل سوق الوراقين وهي عدة من الدكاكين مملوءة بالكتب، فيشتري منها شيئاً كثيراً في الصحف ويحملها إلى بيته، ثم تكون رواياته كلها منها[٢]، وذكر عنه صاحب معجم الأدباء قوله: كان شأنه في معاقرة الخمر، وحب الغلمان، ووصف النساء شأن الشعراء والأدباء الذين كانوا في عصره أو قبله، حيث يقدم دهاقين الخمارين، وجلهم من النصارى واليهود والصابئين والمجوس، وقد عرف بمعاقرته للخمر، ولم تكن له عناية بتنظيف جسمه وثيابه[٣]. . .

ثم قال أنور الجندي: ولست أدري كيف يصلح مثل هذا الكتاب مرجعاً في نظر الباحثين، أو يمكن أن يؤتمن على رأي أو قول؟! ولقد عودتنا مناهج الفكر الإسلامي أن ننظر إلى كاتبه، فإن وجدناه كريماً أميناً موضع تقدير الناس بالصدق والحق، قبلنا منه، وإلا رفضنا ما يقدمه ولو كان صادقاً في بعضه[٤].

ثم قال تحت عنوان: كتاب مجنون وخلاعة، ما نصه: فقد كان الأصفهاني مسرفاً، أشنع في الإسراف في الملذات والشهوات، وقد كان لهذا الجانب في تكوينه الخلقي أثر ظاهر في كتابه، فإن كتاب الأغاني أحفل كتاب بأخبار الخلاعة والمجون، وهو حين يعرض للكتاب والشعراء يهتم بسرد الجوانب الضعيفة في أخلاقهم الشخصية، ويهمل الجوانب الجدية إهمالاً ظاهراً يدل على أنه كان قليل العناية بتدوين أخبار الجد والرزانة والتجمل والاغتسال، وهذه الناحية من الأصفهاني أفسدت كثيراً من آراء المؤلفين الذين اعتمدوا عليه، ونظرة فيما كتبه جرجي زيدان في

---

(١) مؤلفات في الميزان، ص ١٠٠، كتب حذر العلماء منها (٢/ ٣٨).

(٢) كتب حذر العلماء منها (٢/ ٣٨).

(٣) معجم الأدباء (٥/ ١٥٣).

(٤) مؤلفات في الميزان، ص ١٠٠ إلى ١٠٣.

كتابه تاريخ آداب اللغة العربية ، وما كتبه طه حسين في حديث الأربعاء تكفي للاقتناع بأن الاعتماد على كتاب الأغاني جرَّ هذين الباحثين إلى الحط من أخلاق الجماهير في عصر الدولة العباسية ، وحملها على الحكم بأن ذلك العصر كان عصر فسق وشك ومجون ، ولا شك أن إكثار الأصفهاني من تتبع سقطات الشعراء وتلمس هفوات الكتاب جعل في كتابه جوّاً مشبعاً بأوزار الإثم ، والغواية ، وأذاع في الناس فكرة خاطئة هي اقتران العبقرية بالترف والطيش(١) .

إن الخطر كل الخطر أن يطمئن الباحثون إلى أن لروايات الأغاني قيمة تاريخية ، وأن يبنوا على أساسها ما يثيرون من حقائق التاريخ ، ولقد كان من أخطر أعمال التغريب هو توجيه الباحثين إلى اتخاذ الأغاني مصدراً لدراسة المجتمع الإسلامي ، بينما قصر عند جانب واحد هو جانب اللهو ، ولم يتعرض للجوانب الأخرى الجادة في المجتمع وهي متعددة ، ومن هنا يوحي حين الاعتماد عليه كمصدر أن الحياة الإسلامية في القرن الثاني الهجري كانت لهواً ، وهو ما صرح به طه حسين وردَّه الكثيرون وكشفوا زيفه . .

كذلك اعتمد المستشرق لامنس على كتاب الأغاني في كتابه (تاريخ بني أمية)، وكذلك ما أورده المستشرق فلهوزن في كتابه (الدولة العربية وسقوطها)، ويحاول جبور عبد النور أن يدافع عن الأصفهاني فيسأل : أفمن الضروري إن كان المؤرخ فاسقاً أو مسرفاً يتتبع الإسراف في اللذات والشهوات أن لا يكون مؤرخاً، وألا يكون صادقاً فيما يروي أو يقول أو يكتب؟ ونحن نقول له : نعم ، في فكرنا الإسلامي ، فإن لم يكن في الفكر الغربي كذلك ، فهذا أمر آخر ، إن فكرنا الإسلامي وضع قواعد البحث والنقد والعلم على أساس الارتباط الجذري بين علم الباحث وشخصيته ، فإن كان منحرفاً في حياته ، مضطرباً في شخصيته ، بعيداً عن الأخلاق والدين ، فنحن نرفضه مصدراً علمياً ولا نقبل له شهادة ، والأصفهاني بشهادة الجميع من أنصاره وخصومه على السواء مهدور الرأي ساقط الشهادة ، وإن فسقه الشخصي قد أدخل كثيراً من هواه على ما أورده ، فضلاً عن انحرافه الفكري والعقائدي والاجتماعي مما يفسد آراءه إفساداً ، بالإضافة إلى أن كتاب الأغاني ليس مرجعاً علمياً ، ولكنه من كتب التسلية والسمر التي كتبت لتزجية فراغ بعض المترفين ، ومن هنا فإنه لا يصلح أساساً كمصدر للعلم أو مرجعاً للبحث في الأدب والتاريخ(٢) . ولقد كان لهذا الكتاب أثر كبير في تشويه تاريخنا ولذلك وجب التحذير منه .

٢ ـ نهج البلاغة :

من الكتب التي ساهمت في تشويه تاريخ الصحابة بالباطل كتاب نهج البلاغة ، فهذا الكتاب

(١) المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٠ إلى ١٠٣ ، نقلاً عن كتب حذر العلماء منها (٢/ ٤٠) .

(٢) مؤلفات في الميزان ، ص ١٠٠ إلى ١٠٣ .

مطعون في سنده ومتنه، فقد جمع بعد أمير المؤمنين بثلاثة قرون ونصف بلا سند، وقد نسبت الشيعة الإماميَّة تأليف نهج البلاغة إلى الشريف الرضي؛ وهو غير مقبول عند المحدثين لو أسند، خصوصاً فيما يوافق بدعته؛ فكيف إذا لم يسند كما فعل في النهج؟ وأما المتهم ـ عند المحدثين ـ بوضع النهج فهو أخوه علي[١]، فقد تحدث العلماء فيه فقالوا:

* **قال ابن خلكان** في ترجمة الشريف المرتضى: وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه هل جمعه؟ أم جمع أخيه الرضي؟ وقد قيل: إنه ليس من كلام علي، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه[٢]. والله أعلم.

* **وقال الذهبي** في ترجمة المُرتضى أبي طالب علي بن حسين بن موسى الموسوي المتوفى سنة ٤٣٦هـ: هو جامع كتاب نهج البلاغة المنسوبة ألفاظه إلى الإمام علي رضي الله عنه، ولا أسانيد لذلك، وبعضها باطل، وفيه حق، لكن فيه موضوعات حاشا الإمام من النطق بها، ولكن أين المنصف؟! وقيل: بل جَمْعُ أخيه الشريف الرَّضي[٣]. وقال أيضاً: وفي تواليفه سبُّ أصحاب رسول الله ﷺ، فنعوذ بالله من علم لا ينفع[٤]، وقال أيضاً في ترجمته: وهو المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة، وله مشاركة قويّة في العلوم، ومن طالع كتابه نهج البلاغة، جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه، ففيه السّبُّ الصّراح والحط على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة، وبنفس غيرهم ممّن بعدهم من المتأخرين، جزم بأن الكتاب أكثره باطل[٥].

* **وقال ابن تيمية**: . . وأيضاً، فأكثر الخطب التي ينقلها صاحب نهج البلاغة، بذلك الكلام، ولكن هؤلاء وضعوا أكاذيب وظنوا أنها مدح، فلا هي صدق ولا هي مدح، ومن قال: إن كلام علي وغيره من البشر فوق كلام المخلوق، فقد أخطأ، وكلام النبي ﷺ فوق كلامه، وكلاهما مخلوق. . وأيضاً فالمعاني الصحيحة التي توجد في كلام عليّ موجودة في كلام غيره، لكن صاحب نهج البلاغة وأمثاله أخذوا كثيراً من كلام الناس فجعلوه من كلام علي، ومنه ما يُحكى عن عليّ أنه تكلَّم به، ومنه ما هو كلام حقٍّ يليق به أن يتكلم به، ولكن هو في نفس الأمر من كلام غيره، ولهذا، يوجد في كلام «البيان والتبيين» للجاحظ وغيره من الكتب كلام منقول عن غير عليّ، وصاحب «نهج البلاغة» يجعله عن علي، وهذه الخطب منقولة في كتاب نهج البلاغة لو

---

(١) الأدب الإسلامي، نايف معروف، ص ٥٣.
(٢) الوفيات (٣/ ١٣٤).
(٣) كتب حذر منها العلماء (٢/ ٢٥٠)؛ الميزان (١/ ٢٠٠).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٨٩، ٥٩٠).
(٥) ميزان الاعتدال (٣/ ١٢٤)؛ لسان الميزان (٤/ ٢٢٣).

كانت كلها عن علي من كلامه، لكانت موجودة قبل هذا المصنَّف، منقولة عن عليّ بالأسانيد وبغيرها، فإذا عَرف من له خبرة بالمنقولات أن كثيراً منها «بل أكثرها» لا يُعرف قبل هذا عُلم أن هذا كذب، وإلا فليبيِّن الناقل لها في أي كتاب ذكر ذلك، ومن الذي نقله عن عليّ، وما إسناده؟ وإلا فالدعوة المجردة لا يعجز عنها أحد، ومن كان له خبرة بمعرفة طريقة أهل الحديث ومعرفة الآثار والمنقول بالأسانيد وتبيّن صدقها من كذبها، عَلِم أن هؤلاء الذين ينقلون مثل هذا عن عليّ من أبعد الناس عن المنقولات، والتمييز بين صدقها وكذبها(١).

* **وقال العلامة المقبلي**: أخرج البخاري عن علي رضي الله عنه أنه قال: اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الخلاف حتى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي. قال: وكان ابن سيرين يرى عامة ما يروون عن علي رضي الله عنه كذباً، وصدق ابن سيرين رحمه الله، فإن كل قلب سليم، وعقل غير زائغ عن الطريق القويم، ولُبٍّ تدرب في مقاصد سالكي الصراط المستقيم، يشهد بكذب كثير مما في نهج البلاغة الذي صار عند الشيعة عديل كتاب الله بمجرد الهوى الذي أصاب كل عرق منهم ومفصل، وليتهم سلكوا مسلك جلاميد الناس، وأوصلوا ذلك إلى علي برواية تسوغ عند الناس، وجادلوا عن رواتها، ولكن، لم يبلغوا بها مصنفها(٢).

ويمكن تلخيص أهم ما لاحظه القدامى والمحدثون على نهج البلاغة للتشكيك بصحة نسبته للإمام علي بما يلي:

* خلوُّه من الأسانيد التوثيقية التي تعزز نسبة الكلام إلى صاحبه متناً ورواية وسنداً.
* كثرة الخطب وطولها، لأن هذه الكثرة وهذا التطويل ممّا يتعذر حفظه وضبطه قبل عصر التدوين.
* رصد العديد من الأقوال والخطب في مصادر وثيقة منسوبة لغير علي رضي الله عنه، وصاحب النهج يثبتها له.
* اشتمال هذا الكتاب على أقوال تتناول الخلفاء الراشدين قبله بما لا يليق به ولا بهما، وتنافي ما عُرف عنه من توقيره لهما بالأسانيد الصحيحة، ومن أمثلة ذلك ما جاء بخطبته المعروفة بـ«الشقشقية» التي يظهر فيها حرصه الشديد على الخلافة، رغم ما شُهر عنه من التقشّف والزهد.
* شيوع السجع فيه، إذ رأى عدد من الأدباء أن هذه الكثرة لا تتّفق مع البعد عن التكلّف الذي عُرف به عصر الإمام علي رضي الله عنه، مع أن السجع العفوي الجميل لم يكن بعيداً عن روحه ومبناه.

(١) منهاج السنة (٨/ ٥٥ ـ ٥٦)؛ كتب حذر العلماء منها (٢/ ٢٥٦).
(٢) العلم الشامخ، ص ٢٣٧، كتب حذر العلماء منها (٢/ ٢٥١).

* الكلام المنمَّق الذي تظهر فيه الصناعة الأدبية التي هي من وَشْي العصر العباسي وزخرُفه، ما نجد في وصف الطاووس والخفّاش، والنحل والنمل، والزرع والسحاب وأمثالها.
* الصيغ الفلسفية والمقالات الكلامية التي وردت في ثناياه، والتي لم تُعرف عند المسلمين إلا في القرن الثالث الهجري، حين ترجمت الكتب اليونانية والفارسية والهندية، وهي أشبه ما تكون بكلام المناطقة والمتكلمين منه بكلام الصحابة والراشدين[١].

إن هذا الكتاب يجب الحذر منه في الحديث عن الصحابة، ومن أراد الاستفادة منه فعليه أن يعرض المسائل العقائدية وحديثه عن الصحابة والأحكام التي فيه على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ؛ فما وافق الكتاب والسنة، فلا مانع من الاستئناس به، وما خالف فلا يلتفت إليه.

لقد نقل صاحب كتاب الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي خطباً ورسائل وحوارات للحسن بن علي بن أبي طالب مع معاوية رضي الله عنه والمتعلقة بخلافته وعهده أكثرها لا يصح[٢]، واعتمد على مصادر ضعيفة واهية، كالأغاني ونهج البلاغة وغيرها من الكتب التي لا يمكن لطالب علم يحترم الحقيقة العلمية والموضوعية والحيادية أن يعتمد عليها في البحث التاريخي الجاد الذي يراد به وجه الله تعالى.

* * *

(١) الأدب الإسلامي، ص ٥٤، ٥٥.
(٢) الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ص ٧٦ إلى ١٠٠.

المبحث الثاني
أهم صفاته وحياته في المجتمع

أولًا ـ أهم صفاته:

إن شخصية الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما تعتبر شخصية قياديّة، وقد اتصف رضي الله عنه بصفات القائد الرّباني، فمن أهم هذه الصِّفات: إيمانه العظيم بالله واليوم الآخر، والعلم الشرعيُّ، والثقة بالله، والقدوة، والصِّدق، والكفاءة، والشَّجاعة، والمروءة، والزُّهد، وحب التضحية، والتّواضع، وقبول النصيحة، والحلم والصَّبر، وعلو الهمَّة، والحزم، والإرادة القويَّة، والعدل، والقدرة على حلِّ المشكلات، وغير ذلك من الصِّفات، وبسبب ما أودع الله فيه من صفات القيادة الربانية استطاع أن يقدم مشروعه الإصلاحي مع قدرته على التنفيذ، والتغلب على العوائق في الطريق، وتوّجت جهوده الفذة بوحدة الأمة. ومن أهم تلك الصِّفات التّي نحاول تسليط الأضواء عليها هي:

١ ـ العلم:

تربَّى الحسن في بيت النبوة، فتأثر بجده ﷺ ووالدته السيدة فاطمة في طفولته، واستفاد من والده العلم الغزير، فقد اهتم به اهتماماً كبيراً، وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يعلم الناس كتاب الله، ومن بينهم أبناؤه، ومنهم أمير المؤمنين الحسن، والحسين، فتعلموا منه منهجه لبيان الحكم الشرعي وطريقته في الاستنباط، والتي كانت ملامحها: الالتزام بظاهر القرآن الكريم، حمل المطلق على المقيد، وحمل المجمل على المفسر، والعلم بالناسخ والمنسوخ، والنظر في لغة العرب، وفهم النص بنص آخر، والسؤال عن مشكله، والعلم بمناسبة الآيات، وتخصيص العام، ومعرفة عادات العرب وأحوالهم، وقوة الفهم وسعة الإدراك، وكان القرآن الكريم لذلك الجيل ومنهم الحسن بن علي هو المنهج التربوي، ومع هدي النبي ﷺ فكانت للآيات القرآنية الكريمة التي سمعها من والده أمير المؤمنين علي أثرها في علمه وصياغة شخصيته، فقد تطهَّر قلبه وزكت نفسه، وتفاعلت معه روحه، فأبصر الحقائق الكبرى في عالم الوجود.

وكان من شيوخه الذين حفظ عليهم القرآن الكريم: عبد الله بن حبيب بن ربيعة أبو عبد الرحمن السُّلمي، مقرىء الكوفة، وكان لأبيه صحبة، روى عن علي رضي الله عنه وعبد الله ابن مسعود وعثمان بن عفان، وقد أخذ القراءة عنه عاصم وعطاء والحسن والحسين رضي الله عنهم،

وكان يقرئ عشرين آية بالغداة وعشرين آية بالعشي، وكان فقيهاً، وتوفي في الكوفة في خلافة عبد الملك بن مروان، وكان ثقة كثير الحديث[١]، وعن عبد الله بن المبارك عن عطاء بن السائب قال: دخلنا على أبي عبد الرحمن السُّلمي وهو يقضي ـ أي: ينزع ـ في المسجد، فقلنا له: لو تحولت إلى الفرش فإنه أوثر[٢]. قال: حدثني فلان: أن النبي ﷺ قال: «لا يزال أحدكم في صلاة ما دام في مصلاّه ينتظر الصلاة»[٣]، وفي رواية ابن سعد: «الملائكة تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه». قال أبو عبد الرحمن السُّلمي: فأريد أن أموت وأنا في مسجدي[٤]. وكان منهجه رحمه الله في تعليم القرآن الكريم منهج الصحابة الكرام، فعن أبي عبد الرحمن السُّلمي قال: حدّثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن ـ كعثمان بن عفّان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما: أنَّهم كانوا إذا تعلَّموا من النبي ﷺ عشر آيات، لـم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم، والعمل، قالوا: فتعلَّمنا القرآن والعلم، والعمل جميعاً، ولهذا كانوا يبقون مدّة في حفظ السُّورة[٥]. ويعتبر أبو عبد الرحمن السُّلمي شيخ الحسن بن علي في القرآن الكريم من أشهر تلاميذ عثمان بن عفان رضي الله عنه[٦]، وقد سار الحسن بن علي على نفس الطريقة في حفظ وفهم والعمل بالقرآن الكريم.

*** نظرة أمير المؤمنين الحسن لله والكون والحياة والجنة والنار:**

قد عرف الحسن من خلال القرآن الكريم وتربية والده أمير المؤمنين علي من هو الإلٰه الذي يجب أن يعبده، فأصبحت نظرة الحسن بن علي إلى الله عز وجل ـ والكون، والحياة، والجنّة والنَّار، والقضاء والقدر، وحقيقة الإنسان، وصراعه مع الشيطان؛ مستمدة مـن القرآن الكريم وهدي النبي ﷺ.

* فالله سبحانه وتعالى منزَّهٌ عن النقائص، موصوف بالكمالات التي لا تتناهى؛ فهو سبحانه واحد لا شريك له، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً.

* وأنَّه سبحانه حدّد مضمون هذه العبودية، وهذا التّوحيد في القرآن الكريم[٧].

* وأما نظرته للكون، فقد استمدّها من قول الله تعالى: ﴿۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ

---

(١) تهذيب التهذيب (٥/ ١٨٣ ـ ١٨٤)، الطبقات (٢/ ١٧٣).
(٢) أوثر: أوطأ.
(٣) كتاب الزهد، رقم ٤٢٠، ص ١٤١ ـ ١٤٢.
(٤) الطبقات الكبرى (٦/ ١٧٤/ ١٧٥).
(٥) الفتاوى (١٣/ ١٧٧).
(٦) تيسير الكريم المنّان في سيرة عثمان بن عفان، ص ٢٥.
(٧) منهج الرسول في غرس الروح الجهاديّة، ص ١٠ إلى ١٦.

ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩ ـ ١٢].

* وأما هذه الحياة مهما طالت، فهي إلى زوال، وأنّ متاعها مهما عظم، فإنه قليل حقير، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

* وأما نظرته إلى الجنة، فقد استمدها من خلال الآيات الكريمة فأصبح هذا التصور مهيمناً على نفسه، فيرى المتتبِّع لسيرة الحسن بن علي رضي الله عنهما عمق استيعابه لفقه القدوم على الله عز وجل، وشدّة خوفه من عذاب الله، وعقابه، وأما مفهوم القضاء والقدر فقد استمدَّه من كتاب الله، وتعليم رسول الله ﷺ له، فقد رسخ مفهوم القضاء والقدر في قلبه كما قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

* وعرف الحسن بن علي رضي الله عنهما من خلال القرآن الكريم حقيقة الصِّراع بين الإنسان والشيطان، وأن هذا العدوّ يأتي للإنسان من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله يوسوس له بالمعصية، ويستثير فيه كوامن الشهوات، فكان مستعيناً بالله على عدوِّه إبليس وانتصر عليه في حياته.

* وتعلّم من خطيئة آدم ضرورة توكُّل المسلم على ربِّه، وأهمية التوبة، والاستغفار في حياة المؤمن، وضرورة الاحتراز من الحسد، والكبر، وأهمية التخاطب بأحسن الكلام مع الصَّحابة لقول الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

لقد أكرم المولى ـ عز وجل ـ الحسن بن علي رضي الله عنهما بالعيش مع القرآن الكريم، فعاش به، واستمد أصوله، وفروعه من كتاب الله، وهدي رسول الله ﷺ، وأصبح من أئمة الهدى، الذين يرسمون للنَّاس خطَّ سيرهم، ويتأسَّى النَّاس بأقوالهم، وأفعالهم في هذه الحياة، وكان رضي الله عنه من أهل القرآن، ولذلك كانت خطبه بالقرآن الكريم؛ فقد روي عنه رضي الله عنه بأنه خطب يوم الجمعة فقرأ سورة إبراهيم على المنبر حتى ختمها(١)، وقد كان من هدي الرسول ﷺ فقد قرأ سورة ق حتى ختمها، فقد روى مسلم عن أم هشام بنت حارثة قالت: ما

---

(١) الطبقات، تحقيق السُّلمي: (١/ ٢٧٨) إسناده ضعيف.

أخذت ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ إلا من لسان رسول الله يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس[١]، وروى ابن ماجه عن أبي بن كعب قال: قرأ رسول الله ﷺ يوم الجمعة «تبارك» وهو قائم، فذكرنا بأيام الله، وأبو الدرداء أو أبو ذر يغمزني فقال: متى أنزلت هذه السورة؟ فإني لم أسمعها إلى الآن، فأشار إليه أن اسكت[٢]، ولهذا قال الإمام ابن القيم رحمه الله في بيان هدي النبي ﷺ في خطبته: كان النبي ﷺ كثيراً ما يخطب بالقرآن[٣]، ولذلك كان الحسن بن علي رضي الله عنهما يوجِّه الناس بآيات القرآن الكريم ويتلوها عليهم، ملتزماً بالمنهج النبوي في قراءته للقرآن بإتقان وتركيز وتدبر وخشوع، وتحسين للصوت، فتهتز لها القلوب وتذرف لها الدموع. وإذا حاولنا أن نتأمل في سورة إبراهيم عليه السلام التي قرأها على المنبر كاملة نلاحظ بأن أهم مواضيعها هي:

ـ إثبات أصول العقيدة من الإيمان بالله وبالرسل وبالبعث والجزاء وإقرار التوحيد، والتعريف بالإله الحق خالق السَّموات والأرض، وبيان الهدف من إنزال القرآن الكريم، وهو إخراج الناس من الظلمات إلى النُّور، واتَّحاد مهمة الرُّسل ودعوتهم في أصول الاعتقاد والفضائل وعبادة الله والإنقاذ من الضلال.

ـ الوعد والوعيد: ذمُّ الكافرين ووعيدهم على كفرهم وتهديدهم بالعذاب الشديد، ووعد المؤمنين على أعمالهم الطَّيِّبة بالجنان (الآية ٢، والآية ٢٣، والآيات ٢٨ ـ ٣١).

ـ الحديث عن إرسال الرُّسل بلغات أقوامهم، لتسهيل البيان والتفاهم (الآية: ٤).

ـ تسلية الرّسول ﷺ ببيان ما حدث للرُّسل السابقين مع أقوامهم: قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، والتذكير بعقابهم، كما في الآيات (٩ ـ ١٢) والآيات (١٣ ـ ١٨).

ـ ابتداء من بين قصص بعض الأنبياء المتقدمين عليهم السّلام بمحاورة موسى لقومه ودعوته إيَّاهم لعبادة الله تعالى (الآيات ٥ ـ ٨).

ـ دعوات إبراهيم عليه السَّلام بعد بناء البيت الحرام لأهل مكة بالأمان والرّزق وتعلُّق القلوب بالبيت الحرام، وتجنيبه وذريَّته عبادة الأصنام، وشكره ربه على ما وهبه من الأولاد بعد الكبر، وتوفيقه وذريّته لإقامة الصَّلاة، وطلبه المغفرة له ولوالديه وللمؤمنين (الآيات ٣٥ ـ ٤١).

ـ بيان مشهد من مشاهد الحوار بين أهل النار في عالم الآخرة (الآيات ١٩ ـ ٢٣).

---

(١) مسلم، رقم ٨٧٣.
(٢) سنن ابن ماجه، رقم ١١١١، إسناده حسن.
(٣) زاد المعاد (١/ ٤٣).

ـ ضرب الأمثال لكلمة الحق والإيمان وكلمة الباطل والضَّلال بالشجرة الطيبة والشَّجرة الخبيثة (الآيات ٢٤ـ٢٧).

ـ التذكير بأهوال القيامة وتهديد الظالمين وبيان ألوان عذابهم (الآيات: ٤٢ـ٥٢).

ـ بيان الحكمة من تأخير العذاب ليوم القيامة، وهو ما ختمت به السورة[1] (الآيات: ٥١ـ٥٢).

هذه أهم المواضيع التي اشتملت عليها سورة إبراهيم عليه السلام والتي خطب بها الحسن بن علي رضي الله عنهما على المنبر لخطبة الجمعة. كما كان الحسن بن علي رضي الله عنهما إذا أوى إلى فراشه قرأ سورة الكهف، وقد استهلت السورة ببيان وصف القرآن بأنه قيم مستقيم لا اختلاف فيه ولا تناقض في لفظه ومعناه، وأنه جاء للتبشير، ثم لفت النظر إلى ما في الأرض من زينة وجمال وعجائب تدل دلالة واضحة على قدرة الله تعالى، وتحدثت السورة عن ثلاث قصص من روائع قصص القرآن الكريم؛ وهي: قصة أصحاب الكهف، وقصة موسى مع الخضر، وقصة ذي القرنين، أما قصة سورة الكهف (الآيات ٩ ـ ٢٦) فهي مثال عالٍ، ورمز سامٍ للتضحية بالوطن والأهل والأقارب والأصدقاء والأموال في سبيل العقيدة الصحيحة واتباع الهدى، فقد فرّ هؤلاء الشباب الفتية المؤمنون بدينهم من بطش الملك الوثني، واحتموا في غار في الجبل، فأنامهم الله ثلاثمئة وتسع سنين قمرية، ثم بعثهم ليقيم دليلاً حسياً للناس على قدرته على البعث، وأتبع الله تعالى القصة بأمر النبي ﷺ بالتواضع ومجالسة الفقراء المؤمنين وعدم الفرار إلى مجالسة الأغنياء لدعوتهم إلى الدين: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف: ٢٨]. ثم هدد الله تعالى الكفار بعد إظهار الحق، وذكر ما أعده لهم من العذاب الشديد في الآخرة: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الكهف: ٢٩] وقارن ذلك بما أعده سبحانه من جنات عدن للمؤمنين الصالحين (٣٠ـ٣١).

وأما قصة موسى مع الخضر في الآيات (٦٠ ـ٧٨) فكانت مثلاً للعلماء في التواضع أثناء طلب العلم، وأنه قد يكون عند العبد الصالح من العلوم في غير أصول الدين وفروعه ما ليس عند الأنبياء، بدليل قصة خرق السفينة، وحادثة قتل الغلام، وبناء الجدار، وأما قصة ذي القرنين في الآيات (٨٣ـ٩٩) فهي عبرة للحكام والسلاطين، إذ إن هذا الملك تمكن من السيطرة على العالم، ومشارق الأرض ومغاربها، وبنائه السد العظيم بسبب ما اتصف به من التقوى والعدل والصلاح.

وتخللت هذه السورة أمثلة ثلاثة بارزة رائعة مستمدة من الواقع، لإظهار أن الحق لا يقترن بالسلطة والغنى، وإنما يرتبط بالإيمان، وأول هذه الأمثلة: قصة أصحاب الجنتين (٣٢ ـ ٤٤) للمقارنة بين الغني المغتر بماله، والفقير المعتز بإيمانه، لبيان حال فقراء المؤمنين وحال أغنياء

(١) التفسير المنير (١٣/١٩٨، ١٩٩).

المشركين. وثانيها: مثل الحياة الدنيا (٤٥ ـ ٤٦) لإنذار الناس بفنائها وزوالها. وأردف ذلك بإيراد بعض مشاهد القيامة الرهيبة من تسيير الجبال، وحشر الناس في صعيد واحد، ومفاجأة الناس بصحائف أعمالهم (٤٧ ـ ٤٩). وثالثها: قصة إبليس وإبائه السجود لآدم (٥٠ ـ ٥٣) للموازنة بين التكبر والغرور، وما أدى إليه من طرد وحرمان وتحذير الناس من شر الشيطان، وبين العبودية لله والتواضع، وما حقق من رضوان الله تعالى، وأردف ذلك بيان عناية القرآن بضرب الأمثال للناس للعظة والذكر، وإيضاح مهام الرسل للتبشير والإنذار والتحذير من الإعراض عن آيات الله (٥٤ ـ ٥٧).

وختمت السورة بموضوعات ثلاثة: أولها: إعلان تبديد أعمال الكفار وضياع ثمرتها في الآخرة (١٠٠ ـ ١٠٦). وثانيها: تبشير المؤمنين الذين عملوا الصالحات بالنعيم الأبدي (١٠٧ ـ ١٠٨). وثالثها: أن علم الله تعالى لا يحده حدود ولا نهاية[١] (١٠٩ ـ ١١٠).

وكانت آخر آية في السورة وبعدما بين المولى عز وجل كمال كلامه، أمر تعالى محمداً ﷺ بالتواضع فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، أي: قل يا محمد لهم: ما أنا إلا بشر مثلكم في البشرية، ليس لي صفة الملَكية أو الألوهية، ولا علم لي إلا ما علمني الله، إلا أن الله تعالى أوحى إليَّ أنه لا إله إلا الله الواحد الأحد الصمد، فلا شريك له في ألوهيته، فمعبودكم الذي يجب أن تعبدوه هو معبود واحد لا شريك له: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ أي: فمن آمن بلقاء الله، وطمع في ثواب الله على طاعته، فليتقرب إليه بصالح الأعمال، وليخلص له العبادة، وليجتنب الشرك بعبادة الله أحداً من مخلوقاته، سواء أكان شركاً ظاهراً كعبادة الأوثان، أو ادعاء غير الله تعالى، أو النذر للمخلوقين، أو اعتقاد أن الخلق ينفعون أو يغيرون بما لا يقدر عليه إلا الله، أو صرف أنواع العبودية من خوف أو رجاء أو حب لغير الله مما لا ينبغي إلا لله، أم شركاً خفياً كفعل شيء رياء أو سمعة وشهرة[٢]، والرياء هو الشرك الأصغر، فقد قال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء، يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»[٣]. وقد جمعت الآية الكريمة شرطي قبول الأعمال: اتباع الرسول ﷺ وهو قوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾، والإخلاص لله وهو قوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

---

(١) التفسير المنير (١٦/ ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩).
(٢) التفسير المنير (١٦/ ٤٣).
(٣) مسند أحمد (٥/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩)، إسناده حسن.

إن هذه المعاني الكريمة والآيات العزيزة كان الحسن بن علي يقرؤها كل يوم بتمعُّن وتدبُّر ، فكانت لها تأثيرها على نفسه وفي حياته . كما كان للحسن بن علي رضي الله عنهما اهتمام بالسيرة النبوية الشريفة ، فقد كانت من ثقافة ذلك الجيل تعلم السيرة النبوية ، فقد قال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص : كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ يعدها علينا ويقول : هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها[١] . وقال علي بن الحسن : كنا نُعلم مغازي رسول الله كما نعلم السورة من القرآن[٢] .

وأما السنة النبوية ، فقد كان والده أمير المؤمنين علي أكثر الخلفاء الراشدين رواية لأحاديث رسول الله ﷺ ، وهذا راجع إلى تأخر وفاته عن بقية الخلفاء ، وكثرة الرواة عنه ، وانتشار طلبة العلم من التابعين الذين كانوا يكثرون السؤال ، ووقوع الأحاديث التي تقتضي البلاغ والرواية ، في أمور أخرى فنقلوا عنه ما بلغهم بأمانة ونزاهة ، وقد استفاد منه ابنه الحسن استفادة عظيمة .

أما مـن جده ﷺ فقد توفي ﷺ ، والحسن صغير كما هو معلوم ، فعقل عن رسول الله أحاديث وأموراً ذكرها منسوبة لرسول الله ﷺ قد بينتها فيما مضى .

وكان الحسن رضي الله عنه يحث أولاده على طلب العلم ، فقد دعا بنيه وبني أخيه فقال : يا بنيَّ وبني أخي إنكم صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار آخرين ، فتعلّموا العلم فمن لم يستطع منكم أن يرويه أو يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته[٣] ، وكان رضي الله عنه خطيباً مفوهاً ، فقد قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه للحسن ذات يوم : قم فاخطب الناس يا حسن . قال : إني أهابك أن أخطب وأنا أراك ، فتغيب عنه حيث يسمع كلامه ولا يراه ، فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه وتكلم[٤] ، ثم نزل فقال علي : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣٤] .

وقد ورث الحسن من جده ﷺ ووالده رضي الله عنه الخطابة والفصاحة والبلاغة وقوة البيان ، وقد ذكرت كتب التاريخ : أن علياً رضي الله عنه سأل ابنه ـ يعني : الحسن ـ عن أشياء من المُروءة ، فقال : يا بُنيّ ما السَّدادُ؟ قال : يا أبتي السَّدادُ دفع المنكر بالمعروف . قال : فما الشرف؟ قال : اصطناع العشيرة وحمل الجريرة . قال : فما المروءة؟ قال : العفاف وإصلاح المرءِ مالَه . قال : فما الدِّقَّةُ؟[٥] قال : النظر في اليسير ومنع الحقير[٦] . قال : فما اللُّؤْم؟ قال : إحراز المرءِ نفسه ،

---

(١) البداية والنهاية (٢/ ٢٤٢) .

(٢) المصدر السابق نفسه ، السيرة النبوية للصَّلاَّبي (١/ ٦) .

(٣) الطبقات (١/ ٢٩٢) ، إسناده حسن . تحقيق : السُّلمي .

(٤) المصدر السابق نفسه (١/ ٢٧٦) ، إسناده ضعيف مرسل .

(٥) الدقة : الحقارة . النهاية (٢/ ١٢٧) .

(٦) الحقير هنا : الشيء اليسير .

وبذله عِرْسه. قال: فما السماحة؟ قال: البذل في العسر واليسر. قال: فما الشُّحّ؟ قال: أن ترى ما في يديك شرفاً وما أنفقته تلفاً. قال: فما الإخاء؟ قال: الوفاء في الشدة والرخاء. قال: فما الجُبن؟ قال: الجرأة على الصديق والنّكول على العدو. قال: فما الغنيمة؟ قال: الرغبة في التقوى، والزهادة في الدنيا هي الغنيمة الباردة، قال: فما الحلم؟ قال: كظم الغيظ ومَلْكُ النفس. قال: فما الغنى؟ قال: رضا النفس بما قسم الله لها وإن قلَّ، فإنما الغنى غنى النفس. قال: فما الفقر؟ قال: شره النفس في كل شيء. قال: فما الذلُّ؟ قال: الفزع عند المصدوقة[١]. قال: فما الجرأة؟ قال: موافقة الأقران. قال: فما الكُلْفة؟ قال: كلامك فيما لا يَعْنِيك. قال: فما المجد؟ قال: أن تعطي في الغُرم وأن تعفو عن الجُرم. قال: فما العقل؟ قال: حفظ القلب كلَّ ما استرعيته. قال: فما الخُرقُ؟[٢] قال: معاداتك إمامك ورفعك عليه كلامك. قال: فما الثناء؟ قال: إتيان الجميل وترك القبيح. قال: فما الحزم؟ قال: طول الأناة والرفق بالولاة، والاحتراس من الناس بسوء الظن هو الحزم. قال: فما الشَّرف؟ قال: موافقة الإخوان، وحفظ الجيران. قال: فما السَّفَهُ؟ قال: اتباعُ الدُّناة، ومصاحبة الغُواة. قال: فما الغفلة؟ قال: تركُك المسجد وطاعتك المفسد. قال: فما الحرمان؟ قال: تركك حظَّك وقد عُرض عليك. قال: فما السَّيِّدُ؟ قال: الأحمق في المال، المتهاون بعرضه، يُشْتَمُ فلا يجيب، المتحزن بأمر العشيرة[٣] هو السيد.

ثم قال عليٌّ: يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أعود من العقل، ولا وحدة أوحش من العجب، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة، ولا عقل كالتدبير، ولا حسب كحسن الخلق، ولا ورع كالكفِّ، ولا عبادة كالتفكر، ولا إيمان كالحياء، ورأس الإيمان الصبر، وآفة الحديث الكذب، وآفة العلم النسيان، وآفة الحلم السفه، وآفة العبادة الفترة، وآفة الظُّرف الصَّلف، وآفة الشجاعة البغي، وآفة السماحة المن، وآفة الجمال الخيلاء، وآفة الحبِّ الفخر». ثم قال علي: يا بُنيَّ، لا تستخفَّنَّ برجل تراه أبداً؛ فإن كان أكبر منك فعُدَّ أنه أبوك، وإن كان مثلك فهو أخوك، وإن كان أصغر منك، فاحسب أنه ابنك. فهذا ما ساءل عليٌّ ابنه عن أشياء من المروءة.

قال القاضي أبو الفرج: ففي هذا الخبر من الحكمة وجزيل الفائدة ما ينتفع به من راعاه وحفظه ووعاه، وعمل به، وأدّب نفسه بالعمل عليه، وهذبها بالرجوع إليه، وتتوفر فائدته بالوقوف عنده، وفيما رواه أمير المؤمنين وأضعافه عن النبيِّ ﷺ ما لا غنى لكل لبيب عليم،

(١) المصدوقة: الحملة الصادقة ليس لها مكذوبة.
(٢) الخرق: الجهل والحمق.
(٣) المتحزن بأمر العشيرة: المهتم بأمرهم.

ومدرة[١] حكيم عن حفظه وتأمُّله، والمسعود من هُدي لتقبُّله، والمجدود[٢] من وفق لامتثاله وتقبله[٣].

وقد علق ابن كثير على هذا الأثر فقال: ولكنَّ هذا الأثر وما فيه من الحديث المرفوع ضعيف، ومثل هذه الألفاظ في عبارتها ما يدل على ما في بعضها من النّكارة، على أنه ليس بمحفوظ والله أعلم[٤]. وما دامت الأمور التي ذكرتها مع الكتاب والسنة لا تتعارض ولا تبنى عليها عقيدة أو عبادة وإنما تدعو إلى مكارم الأخلاق، فلا مانع من الاستئناس بها.

وقد سأل أمير المؤمنين علي ابنه الحسن: كم بين الإيمان واليقين؟ فقال الحسن رضي الله عنه: أربع أصابع. فقال أمير المؤمنين علي: وكيف؟ فقال الحسن: الإيمان: كل ما سمعته أذناك وصدقه قلبك، واليقين: ما رأته عيناك، فأيقن به قلبك، وليس بين العين والأذن إلا أربع أصابع[٥].

ومن أقواله: حسن السؤال نصف العلم[٦]، وسئل عن الصمت فقال: هو ستر العين، أو زين العرض، وفاعله في راحة، وجليسه في أمان[٧]، ومن علمه: أنه أوصى بتعلم اللغة العربية[٨]، وتأكيده على تعلم اللغة العربية تأكيد على ضرورة تطبيق القواعد العلمية في القراءة وخاصة قراءة الآيات القرآنية، لأن اللغة العربية هي اللغة التي أنزل الله بها القرآن كتابة ولفظاً، وخاطب بها شرائع دينه وفرائض ملته، وبها بلغ الرسول ﷺ رسالته وعلم بها سنته النبوية الشريفة المطهرة، وبها ألفت الكتب الدينية والكتب العلمية وكتب الحكمة. فلا بد للناشئ من تعلمها، وإلا كان جاهلاً بالدين منقوصاً في العلم، إضافة إلى ما تمتاز به هذه اللغة من الفصاحة والبيان، والطلاوة على اللسان، والحلاوة في الأسماع والآذان[٩]. ومن الأمور التي تؤكد تمكن الحسن بن علي من اللغة العربية، فقد كان يعد من فصحاء العرب، فقد قال عمرو بن العلاء: ما رأيت أفصح من الحسن بن علي رضي الله عنهما[١٠].

---

(١) المدرة: زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم.
(٢) المجدود: المحظوظ.
(٣) البداية والنهاية (١١/ ٢٠٢).
(٤) المصدر السابق نفسه؛ الطبراني الكبير، حديث موضوع.
(٥) التبيين في أنساب القرشيين، ص ١٢٧.
(٦) نور الأبصار للشبلنجي، ص ١٢٢؛ الحسن بن علي، رسالة ماجستير، ص ٣٨.
(٧) من أقوال الصحابة، ص ٦٧ نقلاً عن الحسن بن علي، رسالة ماجستير، ص ٣٨.
(٨) مفتاح السعادة، أحمد مصطفى (٢/ ٨٢)، نقلاً عن الحسن بن علي.
(٩) نصيحة الملوك، ص ٣٥٠، للماوردي.
(١٠) الكامل في التاريخ (٤/ ١٣٢).

وقد كان للحسن بن علي تلاميذ نجباء منهم: ابنه الحسن، والمسيب بن نجبة، وسويد ابن غفلة، والعلاء بن عبد الرحمن، والشعبي، وهبيرة بن يريم، والأصبغ بن نباته، وجابر ابن خالد، وأبو الحوراء، وعيسى بن مأمون بن زرارة ويقال: ابن المأموم، وأبو يحيى عمير بن سعيد النّخعي، وأبو مريم قيس الثقفي، وطحرب العجلي، وإسحاق بن يسار والد محمد بن إسحاق، وسفيان بن الليل، وعمر بن قيس الكوفيون(١). ويظهر غزارة علمه، ودقة فقهه في علم المصالح والمفاسد، ومعرفته العميقة بمقاصد الشريعة في تقديمه وحدة الأمة وحفظ الدماء على المصلحة الخاصة من ملك الدنيا عندما تنازل لمعاوية.

٢ ـ عبادته:

كان الحسن بن علي رضي الله عنهما من المجتهدين في العبادة، ومارس مفهوم العبادة الشامل في حياته، فقد رضع لبان العبادة مع ما رضعه من معدن النبوة، وتربية الزهراء التي جاءت إلى أبيها عليه الصلاة والسلام لتطلب خادماً، فدلها على ما هو أفضل من ذلك؛ ألا وهو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، وقال لها ولزوجها في الليل وهما في الفراش: «ألا تقومان تصليان؟» فأطل على الحياة في بيت الزهد والعبادة، والورع والتقى، والحلم والصبر، وانغمس في هذه المفاهيم والمثل والمبادئ حتى غدا مثالاً من مثلها، ومثالاً بها يضرب، يشهد له بذلك معاصروه من الصحابة الأبرار. ومن عاشره من الأخيار.

* **فقد كان الحسن بن علي رضي الله عنهما عابداً بمعرفة، مقبلاً على الله بيقين**، مدبراً عن الدنيا وشواغلها برضا واطمئنان، ولهذا كان إذا توضأ وفرغ من الوضوء تغير لونه، فقيل له في ذلك فقال: حق من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغير لونه(٢)، وقد ذكر ابن سعد قوله: ما رأيت أخوف من الحسن بن علي وعمر بن عبد العزيز؛ كأن النار لم تخلق إلا لهما(٣)، فكلما اقترب العبد من مولاه، وتعرف على أسمائه وصفاته، ونعوت كماله، ازدادت هيبته وإجلاله له وخوفه منه؛ فهو سبحانه وتعالى يداول الأيام بين الناس قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]. يقلب الدول، فيذهب بدولة، ويأتي بأخرى، والرسل من الملائكة ـ عليهم السلام ـ بين صاعد إليه بالأمر، ونازل من عنده به، وأوامره متعاقبة على تعاقب الآيات، نافذة بحسب إرادته، فما شاء كان كما يشاء في الوقت الذي يشاء على الوجه الذي يشاء من غير زيادة ولا نقصان، ولا تقدم ولا تأخر، وأمره وسلطانه نافذ في السماوات وأقطارها، وفي الأرض وما

(١) تاريخ دمشق (١٤/ ٥).
(٢) وفيات الأعيان (٢/ ٦٩).
(٣) الطبقات الكبرى (٥/ ٣٩٨).

عليها، وفي البحار، وفي الجو وفي سائر أجزاء العالم وذراته، يقلبها، ويصرفها ويحدث فيها ما يشاء[(١)]، قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]. فهو سبحانه لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماوات، ولا في قرار البحار، ولا تحت أطباق الجبال، قال تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فاستشعار عظمة الله وجلاله، ومعرفة أسمائه وصفاته تولد عند العبد خشية وخوفاً ومهابة من هذا الإله العظيم الذي يخضع له كل شيء[(٢)]: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩﴾ [الرعد: ١٥].

* **وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما** إذا صَلَّى الغَداةَ في مسجد رسول الله ﷺ يجلس في مصلَّاه يذكر الله حتى ترتفع الشمس، ويجلس إليه من يجلس من سادات الناس يتحدّثون عنده، ثم يقوم فيدخل على أمهات المؤمنين فيُسلِّم عليهن، وربما أتحفنه، ثم ينصرف إلى منزله[(٣)].

إن من السعداء الذين تصلِّي عليهم الملائكة، أولئك الذين يجلسون بعد أداء الصلاة في مصلَّاهم، ومما يدل على ذلك ما يلي: روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الملائكة تصلِّي على أحدكم ما دام في مصلَّاه الذي صلّى فيه، ما لم يحدث[(٤)]. اللهم اغفر له، اللهم ارحمه[(٥)]، وإن جلس ينتظر الصلاة صلّت عليه الملائكة، وصلاتهم عليه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه»[(٦)]. وروى الإمام أحمد عن عطاء ابن السائب قال: دخلت على أبي عبد الرحمن السلمي، وقد صلّى الفجر، وهو جالس، فقلت: لو قمت إلى فراشك كان أوطأ لك. فقال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلّى الفجر ثم جلس في مُصلّاه صلت عليه الملائكة، وصلاتهم عليه: اللهمَّ اغفر له، اللهم ارحمه. ومن ينتظر الصلاة صلّت عليه الملائكة، وصلاتهم عليه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه»[(٧)].

وقد سئل الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: هل المكوث في المنزل بعد صلاة الفجر لقراءة القرآن حتى تطلع الشمس، ثم يصلّي ركعتي الشروق، له نفس الأجر الذي يحصل بالمكوث في

(١) الإيمان أولاً فكيف نبدأ به، مجدي الهلالي.
(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٧٦.
(٣) البداية والنهاية (١١/ ١٩٣، ١٩٤).
(٤) أي: حدثاً حقيقياً، أي: ما لم يبطل وضوءه.
(٥) مسند أحمد، رقم ٨١٠٦، صححه أحمد شاكر.
(٦) المصدر السابق نفسه، رقم ١٢١٨، حسنه أحمد شاكر.
(٧) المصدر السابق نفسه (٢/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦)، حسّن إسناده أحمد شاكر.

المسجد؟ فأجاب: هذا العمل فيه خير كثير وأجر عظيم، لكن ظاهر الأحاديث الواردة في ذلك أنه لا يحصل له نفس الأجر الذي وعد به إلا من جلس في مصلّاه في المسجد، لكن لو صلّى في بيته صلاة الفجر لمرض أو خوف، ثم جلس في مصلّاه، يذكر الله أو يقرأ القرآن حتى ترتفع الشمس، ثم يصلي ركعتين؛ فإنه يحصل له ما ورد في الأحاديث، لكونه معذوراً حين صلّى في بيته، وهكذا المرأة إذا جلست في مصلّاها بعد صلاة الفجر تذكر الله أو تقرأ القرآن حتى ترتفع الشمس، ثم تصلي ركعتين، فإنه يحصل لها ذلك الأجر الذي جاءت به الأحاديث[١].

إن الحسن بن علي رضي الله عنهما يعلمنا أهمية الذكر في البكور، ويرغبنا في ترك النوم في ذلك الوقت من خلال سيرته الربانية، ولقد تحدث ابن القيم عن أهمية الذكر في البكور فقال: ومن المكروه عندهم: النوم بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، فإنه وقت غنيمة، وللسير في ذلك الوقت عند السالكين مزية عظيمة حتى لو ساروا طول ليلهم لم يسمحوا بالقعود ذلك الوقت حتى تطلع الشمس، فإنه أول النهار ومفتاحه، ووقت نزول الأرزاق، وحصول القسم، وحلول البركة، ومنه ينشأ النهار، وينسحب حكم جميعه على حكم تلك الحصة، فيجب أن يكون نومها كنوم المضطر[٢]، ولشرف هذا الوقت، ولأهميته في السير إلى الله، نجد الترغيب الشديد في إحيائه بالذكر، فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة»[٣]. قال ابن رجب: لما كان الحج من أفضل الأعمال والنفوس تتوق إليه لما وضع الله في القلوب من الحنين إلى ذلك البيت المعظم، وكان كثير من الناس يعجز عنه ولا سيما كل عام، شرع الله لعباده أعمالاً يبلغ أجرها أجر الحج، فيتعوض بذلك العاجزون في التطوع[٤].

ويقول الأستاذ البنا: أيها الأخ العزيز، أمامك كل يوم لحظة بالغداة، ولحظة بالعشي، ولحظة في السحر، تستطيع أن تسمو فيها كلها بروحك الطهور إلى الملأ الأعلى، فتظفر بخير الدنيا والآخرة وأمامك مواسم الطاعات، وأيام العبادات، وليالي القربات التي وجهك إليها كتابك الكريم، ورسولك العظيم، فاحرص أن تكون فيها من الذاكرين لا من الغافلين ومن العاملين لا من الخاملين، واغتنم الوقت، فالوقت كالسيف، ودع التسويف فلا أضرَّ منه[٥].

* **وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما** يقول إذا طلعت الشمس: سمع سامع بحمد الله

---

(١) مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة، ابن باز (١١/ ٤٠٣ـ ٤٠٤).
(٢) تهذيب مدارج السالكين، ص ٢٤٨.
(٣) سنن الترمذي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، رقم ٥٨٦.
(٤) لطائف المعارف، ص ٣٥١، البدر في الحث على صلاة الفجر، الدكتور عماد علي، ص ٨٦.
(٥) الرقائق، ص ١٨ نقلاً عن مجلة الدعوة العدد ٨ سنة ١٩٥١ م؛ الإيمان أولاً، ص ٢٤٨.

الأعظم لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، سمع سامع بحمد الله الأمجد لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير[١].

وقد لازم الحسن بن علي ما ثبت عن رسول الله ﷺ من أوراد وأذكار وأدعية، وكان يحث الناس على الصلوات في المساجد، وكان يقول: من أدمن الاختلاف إلى المساجد رزقه الله إحدى خصال: أخاً مستفاداً، ورحمة مستترة له، أو علماً مستطرفاً، أو كلمة تدل على هدى، أو يترك الذنوب خشية أو حياء[٢].

وكان رضي الله عنه من أهل القيام، فقد كان رضي الله عنه يأخذ نصيبه من القيام في أول الليل، وكان الحسين رضي الله عنه يأخذه من آخر الليل[٣]، فقيام الليل من الوسائل المهمة في إيقاظ الإيمان، جربها الصالحون فوجدوا لها أبلغ الأثر في إحياء القلوب، وقال ابن الحاج في المدخل: وفي قيام الليل من الفوائد جملة، فمنها: أنه يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق اليابس من الشجرة، ومنها: أنه ينور القلب، ومنها: أن موضعه تراه الملائكة من السماء يتراءى مثل الكوكب الدري لأهل الأرض، ونفحة من نفحات قيام الليل تعود على صاحبها بالبركات والأنوار والتحف التي يعجز عنها الوصف[٤]. إن قيام الليل شرف المؤمن كما قال رسول الله ﷺ: «شرف المؤمن صلاته بالليل، وعزه استغناؤه عما في أيدي الناس»[٥]، ومهما كثرت دعاوي المحبة طولب أصحابها بالدليل، وشهدت عليهم ساعات الليل، فالبينة على من ادعى، فأهل القيام هم الأشراف بين الناس، أما أهل النوم والغفلة ـ من أمثالنا ـ فقد فضحتهم تلك الساعات، فأسقطت ذكرهم، وأدنت شرفهم[٦]، ومن سيرة الحسن بن علي نتعلم أهمية قيام الليل، فبالليل يتم الغرس، غرس بذور الإخلاص والصدق، وعلى قدر غرسك سيكون الخير في قلبك، وكلما ازدادت مساحته، ازداد توالي الهدايا عليه من كل جانب: ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا﴾ [الأنفال: ٧٠].

إن قيام الليل من أهم صور الشكر التي كان يمارسها الحسن بن علي رضي الله عنهما، فشكر الله ـ عز وجل ـ على نعمه التي لا تعد ولا تحصى غاية من غايات العبودية، والشكر عمل، والعبد الشكور هو الذي يظهر عليه أثر النعمة، وأبلغ أثر للنعمة ينبغي أن يظهر على العبد هو زيادة الذل

(١) الطبقات (١/ ٢٩١)، تحقيق: السلمي، إسناده صحيح.
(٢) عيون الأخبار (٣/ ٥)؛ الحسن بن علي، ص ٢٧.
(٣) الزهد لابن حنبل، ص ١٧١؛ رهبان الليل (١/ ٤٠٣) للعفاني.
(٤) الإيمان أولاً، ص ١٧٢.
(٥) صحيح الجامع، رقم ٣٧٠١؛ السلسلة الصحيحة، رقم ١٩٠٣.
(٦) الإيمان أولاً، ص ١٧٣.

والانكسار والتعظيم لولي النعم[١]، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [الزمر: ٨ ـ ٩].

فالآيات الكريمة تتحدث عن صنفين من الناس، أنعم الله عليهما بنعمة: الأول مرَّ بتجربة شديدة، وكان في ضيق وهم فدعى الله بصدق ففرج همه، وكشف كربه، لكنه أعرض عن شكره، وعاد إلى غيِّه، أما الآخر فقد سار في طريق الشكر بطول القنوت بالليل، والتضرع لله ـ عز وجل ـ ويُعَقِّب القرآن على الحالتين بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، لا يستوي الذين يعلمون حق الشكر على النعم والذين لا يعلمون ذلك[٢]، قال الشاعر:

القانتون المخبتون لربهم ... الناطقون بأصدق الأقوال
يحيون ليلهم بطاعة ربهم ... بتلاوة وتضرع، وسؤال
وعيونهم تجري بفيض دموعهم ... مثل انهمال الوابل الهطّال
في الليل رهبان وعند جهادهم ... لعدوهم من أشجع الأبطال
بوجوههم أثر السجود لربهم ... وبها أشعة نوره المتلالي[٣]

* **وكان الحسن بن علي رضي الله عنه** كثير الحج، فقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ما ندمت على شيء فاتني في شبابي إلا أني لم أحج ماشياً، ولقد حج الحسن بن علي خمساً وعشرين حجة ماشياً، وإن النجائب لتُقاد معه، ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرات، حتى إنه يعطي الخف ويُمسك النعل[٤]، فهذا مثل من لزوم ما لا يلزم شرعاً يقوم به الحسن بن علي رضي الله عنهما، حيث لازم الحج ماشياً خمساً وعشرين حجَّة، وهذا يدل على فضيلة المشي في الحج، كما يؤيد ذلك ندم ابن عباس رضي الله عنهما على عدم قيامه بذلك أيام شبابه، ومداومة الحسن على ذلك على ما فيه من مشقة تدل على قوة إيمانه ورغبته الصادقة في المزيد من الأعمال الصالحة، والمقصود بالمشي من الحج من مكة إلى عرفة ثم من عرفة إلى مكة، وليس المقصود أن يحج الحاج ماشياً من بلده[٥]، ومن سيرة الحسن بن علي رضي الله عنهما نتعلم أهمية السياحة إلى البيت الحرام، كلما سمحت ظروفنا وتيسر حالنا، قال ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإن متابعة

(١) الإيمان أولاً، ص ١٧٤.
(٢) المصدر السابق نفسه، ص ١٧٥
(٣) رهبان الليل (١/ ٣٦٥).
(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٠).
(٥) التاريخ الإسلامي (١٩/ ٢٢١).

بينهما تنفي الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد»[١]، ولذلك حج الحسن ماشياً ونجائبه تقاد إلى جانبه خمساً وعشرين مرة في بعض الروايات[٢]، وقال: إني أستحيي من ربي عز وجل أن ألقاه ولم أمشِ إلى بيته[٣]، وكان رضي الله عنه كثير الصمت، متعبداً على منهج جده ﷺ.

٣ ـ زهده:

فهم الحسن رضي الله عنه من خلال معايشته للقرآن الكريم وملازمته لوالده أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ومن تفكره في هذه الحياة بأن الدنيا دار ابتلاء واختبار، فقد تربى على كتاب الله واستوعب الآيات التي تحدثت عن الدنيا وأخبرتنا بخستها وقلتها وانقطاعها وسرعة فنائها، وكان رضي الله عنه يقرأ كل يوم سورة الكهف ويمر على قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٥، ٤٦]؛ فهذا المثل يدل على حقارة الدنيا وقلة بقائها، ومصير ما فيها من النعيم والترف إلى الهلاك، ولما بيّن تعالى أن الدنيا سريعة الانقراض والزوال، بيّن أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا في عرف الناس، وكل ما كان من زينة الدنيا فهو سريع الانقضاء والانقراض، فيقبح بالعاقل الافتخار به أو الفرح بسببه[٤]؛ ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ أي: أن أعمال الخير وأفعال الطاعات، كالصلوات والصدقات، والجهاد في سبيل الله، ومساعدة الفقراء والأذكار أفضل ثواباً، وأعظم قربة عند الله، وأبقى أثراً، إذ ثوابها عائد على صاحبها، وخير أملاً حيث ينال صاحبها في الآخرة كل ما كان يؤمله في الدنيا[٥].

وتربى الحسن بن علي على منهج جده ﷺ الذي كان أعرف الخلق بالدنيا ومقدارها، إذ هو القائل ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء»[٦]، وقال ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليمِّ فلينظر بما ترجع»[٧]، وقال ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[٨]، وقد تأثر أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله

---

(١) الإيمان أولاً، ص ٢٤٩.
(٢) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٧٢).
(٣) المصدر السابق نفسه (١٤/ ٧١).
(٤) التفسير المنير (١٥/ ٢٥٩).
(٥) المصدر السابق نفسه (١٥/ ٢٦١).
(٦) سنن الترمذي رقم ٤١١٠ صحيح غريب.
(٧) مسلم رقم ٢٨٥٨.
(٨) المصدر السابق نفسه، رقم ٢٨٥٦.

عنه بالتربية القرآنية والنبوية، فكان من أصدق النَّماذج الإسلامية في الزهد، فقد ضرب لنا أروع الأمثلة في الزهد وإليك التفصيل:

إن حرص المرء على الشرف والملك أشد من حرصه على المال، كما أن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها، والرياسة على الناس، والعلو في الأرض أضرُّ على العبد من طلب المال، وضرره أعظم والزهد فيه أصعب، فإن المال يبذل في طلب الرياسة والشرف، والحرص على الشرف على قسمين:

أحدهما: طلب الشرف بالولاية السلطان والمال، وهذا خطر جدّاً، وهو في الغالب يمنع خير الآخرة وشرفها وكرامتها وعزّها. قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣]. وقلَّ من يحرص على رياسة الدنيا بطلب الولايات فَيُوَفَّقُ، بل يُوكَلُ إلى نفسه[١]، كما قال ﷺ لعبد الرحمن بن سمُرة رضي الله عنه: «يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكِلْت إليها، وإن أُعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها»[٢]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعمت المرضعة[٣]، وبئست الفاطمة[٤].

إن حبَّ المال والرياسة والحرص عليهما يفسد دين المرء، حتى لا يبقى منه إلا ما شاء الله، فقد قال ﷺ: «ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»[٥]. وأصل محبة المال والشرف حبُّ الدنيا، وأصل حبِّ الدنيا اتباع الهوى[٦]، قال وهب بن مُنبِّه: من اتباع الهوى الرغبة في الدنيا، ومن الرغبة فيها حبُّ المال والشرف، ومن حب المال والشرف استحلال المحارم[٧]. ولذلك قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٣٧ـ٤١].

كما أن النفس تحب الرفعة والعُلُوَّ على أبناء جنسها ومن هنا نشأ الكبرُ والحسد، ولكنَّ العاقل ينافس في العلو الدائم الباقي الذي فيه رضوان الله وقربه وجواره، ويرغب عن العلوِّ الفاني الزائل الذي يعقبه غضب الله وسخطه وانحطاط العبد وسفوله وبعده عن الله وطرده عنه، فهذا العلوُّ الثاني الذي يُذَمُّ وهو العتو والتكبر في الأرض بغير الحقِّ. وأما العلوُّ الأول والحرص عليه، فهو

(١) ما ذئبان جائعان لابن رجب، ص ٣٣.
(٢) البخاري، رقم ٦٦٢٢.
(٣) مثل ضربه للإمارة وما يصل إلى الرجل من المنافع فيها واللذات.
(٤) مثل ضربه للموت الذي يهدم عليه تلك اللذات ويقطع منافعها عنه، البخاري، رقم ٧١٤٨.
(٥) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، رقم ٣٢١٨، حسن صحيح.
(٦) شرح حديث: ما ذئبان جائعان، لابن رجب، ص ٧١.
(٧) المصدر السابق نفسه، ص ٧١.

محمود قال الله تعالى : ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين : ٢٦]. وقال الحسن : إذا رأيت الرَّجُل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة، وقال وهيب بن الورد: إن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل[١] . ففي درجات الآخرة الباقية يُشرعُ التنافس وطلب العلوِّ في منازلها والحرص على ذلك بالسَّعي في أسبابه، وأن لا يقنع الإنسان منها بالدون مع قدرته على العلوِّ،ـ وأما العلوُّ الفاني، المنقطع الذي يُعقب صاحبه غداً حسرة وندامة وذلة وهواناً وصغاراً فهو الذي يُنْشَرُ الزهد فيه والإعراض عنه[٢] .

وهذا الفقه العظيم والفهم العميق نتعلمه من سيرة الحسن بن علي رضي الله عنهما؛ فقد ترك الملك والسلطان رغبة فيما عنـد الله وحقناً لدماء المسلمين، فقد تركها وهو في قوة ومنعة، فقد قال: كانت جماجم العرب بيدي، يسالمون من سالمت، ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله[٣] . وقال في رواية أخرى : . . ولكن خشيت أن يجيء يوم القيامة سبعون ألفاً أو ثمانون ألفاً، أو أكثر أو أقلُّ، كلهم تنضح أوداجهم دماً، كلهم يستعدي الله فيم هُريق دمه[٤]؟! ، لقد بايع الحسن بن علي بعد وفاة علي تسعون ألفاً[٥] ، فزهد في الخلافة، فلم يُردها وسلّمها لمعاوية وقال: لا يهرق على يدي محجمة دم[٦] . وقال في رواية : ما أحببت أن ألي من أمة محمد مثقال حبة من خردل يهراق فيه محجمة من دم، قد علمت ما ينفعني ممّا يضرني، فالحقوا بطيَّتكم[٧] .

٤ ـ إنفاقه وكرمه وجوده :

من الأخلاق القرآنية والتي تتَّصف بها النفوس الكريمة التي تجسدت في شخصية الحسن بن علي رضي الله عنهما : خلق الكرم والجود، وكثرة الإنفاق في سبيل الله تعالى، وكان تنويه القرآن الكريم بأهل الكرم عظيماً، وقد كان هذا التنويه من أول القرآن الكريم، حيث يقول سبحانه في مستهلِّ ثاني سورة بعد البسملة : ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ثم وصفهم بقوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١ ـ ٥]، وقد تأثر أمير المؤمنين الحسن بالقيم القرآنية والنبوية، والتربية العملية في حضن أمير المؤمنين علي، وانعكس ذلك على نفسيته، وترك لنا آثاراً بارزة دالة على تأصل خلق الجود والكرم والإنفاق في شخصيته العظيمة، فقد كان على

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٧٢ .
(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٧٣ .
(٣) البداية والنهاية (١١/ ٢٠٦).
(٤) تاريخ دمشق (١٤/ ١٠٤).
(٥) المصدر السابق نفسه (١٤/ ٩٨).
(٦) المصدر السابق نفسه.
(٧) بطيتكم : طية الشيء ـ جهته ونواحيه، تاريخ دمشق (١٤/ ٨٩).

جانب عظيم من السخاء والجود، وكيف لا يكون كذلك وقد شبَّ وكبر في بيت أكرم الكرماء سيدنا رسول الله ﷺ الذي كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وقد تسلسلت إليه هذه الخلة الكريمة وتشربتها نفسه في طفولته، وأخبار كرمه وجوده أصبحت مضرب الأمثال، وقدوة العظماء من الرجال(١).

منها: قال محمد بن سيرين: ربما أجاز الحسن بن علي الرجل الواحد بمئة ألف(٢)، وقال سعيد بن عبد العزيز، سمع الحسنُ رجلاً إلى جانبه يدعو الله أن يملكه عشرة آلاف درهم، فقام إلى منزله فبعث إليه(٣)، وذكروا: أنه رأى غلاماً في حائط من حوائط المدينة يأكل من رغيف لقمة، ويطعم كلباً هناك لقمة، فقال له: ما حملك على هذا؟ فقال: إني أستحيي من أن آكل ولا أطعمه، فقال له الحسن: لا تبرح مكانك حتى آتيك، فذهب إلى سيده فاشتراه، واشترى الحائط الذي هو فيه، فأعتقه وملَّكه الحائط، فقال له الغلام: يا مولاي قد وهبت الحائط للذي وهبتني له(٤).

وقال أبو هارون العبدي: انطلقنا حجاجاً فدخلنا المدينة، فدخلنا على الحسن بن علي، فحدثناه بمسيرتنا، وحالنا، فلما خرجنا بعث إلى كل واحد منا بأربعمئة، فرجعنا، فأخبرناه بيسارنا، فقال: لا تردوا عليَّ معروفي، فلو كنت في غير هذه الحال لكان هذا لكم يسيراً، أما إني مزودكم، إن الله يباهي ملائكته بعباده يوم عرفة(٥)، فهذا الحسن بن علي رضي الله عنهما قد أعطى أولئك الحجاج ذلك المال مع ظهور يسارهم، فكيف الحال لو كانوا محتاجين، وحينما أظهروا له عدم حاجتهم لم يقبل منهم رد ذلك المال، وهذا دليل على قوة الدافع في نفسه نحو السخاء والجود، ولم ينس أن يزودهم بما هو خير من ذلك، حيث ذكّرهم بفضل يوم عرفة الذي يباهي الله تعالى به ملائكته عليهم السلام(٦).

وعن عبد الله بن عبيد الله بن عمير قال: قال ابن عباس عن الحسن بن علي: ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرات، حتى إنه يعطي الخف ويمسك النعل(٧). وهذا مثال عزيز في الكرم، حيث قسم الحسن بن علي رضي الله عنهما ماله قسمين ثلاث مرات، فكان يتصدق بنصف ماله، ولقد كان دقيقاً في محاسبته نفسه وكأنه يؤدي واجباً من الواجبات، حيث كان يعطي الخف ويمسك

---

(١) الدوحة النبوية الشريفة، ص ٨٤.
(٢) تهذيب الكمال (٦/ ٢٣٤).
(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٠).
(٤) البداية والنهاية (١١/ ١٩٦).
(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦١).
(٦) التاريخ الإسلامي (١٧/ ١٣٦).
(٧) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٠).

النعل مع أن أحدهما لا يغني عن الآخر ، وأنه في عمله هذا قد جعل من نفسه قدوة للمسلمين في أعمال الخير والإحسان[١] .

فقد كان رضي الله عنه من أسخى أهل زمانه[٢] ، وعدَّ رضي الله عنه من الأجواد[٣] ، ومن أخبار جوده : أن معاوية بن أبي سفيان بعث إليه بمئة ألف فقسمها بين جلسائه ، فأصاب كل واحد منهم عشرة آلاف[٤] ، ومن أخبار كرمه : أنه دخل على أسامة بن زيد وهو يجود بنفسه ويقول : واكرباه واحزناه ، فقال له الحسن : وما الذي أحزنك يا عمّ ، فقال له : أي ابن رسول الله عليَّ دين مقداره ستون ألف درهم ولا أتمكن من رده ، فقال الحسن رضي الله عنه : سأردها عنك ، فقال له أسامة : فك الله رهانك يا بن النبي ، إن الله أعلم حيث يجعل رسالته[٥] .

وكان الناس يشهدون للحسن رضي الله عنه بكرمه ، ودليل ذلك : أن إعرابياً قدم إلى المدينة يستعطي الناس ، فقيل له : عليك بالحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، أو عبد الله بن جعفر ، أو سعيد بن العاص ، فلقي سعيد بن العاص ، فأكرمه وأعطاه ما أراد[٦] .

ومن كرم الحسن رضي الله عنه : أنه قيل له : من أحسن الناس عيشاً؟ فقال : من أشرك الناس في عيشه ، وقيل له : من شر الناس؟ فقال : من لا يعيش في عيشه أحد[٧] . ولقد سئل الحسن بن علي رضي الله عنهما : لأي شيء نراك لا ترد سائلاً وإن كنت على فاقة ، فقال : إني لله سائلاً ، وفيه راغب ، وإن الله تعالى عودني عادة ، عودني أن يفيض نعمه عليّ ، وعودته أن أفيض نعمه على الناس ، فأخشى إن قطعت عادتي أن يمنعني عادته[٨] .

وكان الحسن رضي الله عنه في سخائه وإيثاره لا يميز بين غني وفقير ، أو صغير وكبير ، أو قريب أو بعيد؛ لأن النفس التي ترتاح للبذل والعطاء ، وجبلت على الكرم والسخاء لذتها في إسعاد الناس[٩] ابتغاء مرضاة الله وطلباً للمثوبة والأجر؛ تجد راحتها في ذلك . وكأن الشاعر حافظ إبراهيم كان يعني الحسن عندما قال :

إني لتطربني الخلالُ كريمةً ... طرب الغريب بأوبة وتلاق

(١) التاريخ الإسلامي (١٧/ ١٣٧) .
(٢) المحاسن والمساوئ ، ص ٥٥ ؛ الحسن بن علي ، ص ٣٢ .
(٣) الحسن بن علي ، رسالة ماجستير ، ص ٣٢ ، لم تنشر .
(٤) البداية والنهاية ، نقلاً عن الحسن بن علي ، ص ٣٢ .
(٥) المحاسن والمساوئ ، ص ٥٧ .
(٦) غاية المرام ، عز الدين القريشي (١/ ٩٥) .
(٧) تاريخ اليعقوبي (٢/ ٢٢٦ ، ٢٢٧).
(٨) نصيحة الملوك ، ص ٤٣٨ ، للماوردي .
(٩) الدوحة النبوية الشريفة ، ص ٨٤ .

ويهـــزُّنـــي ذكـــرُ المـــروءة والنـــدى ... بيـــن الشمـــائـــل هِـــزة المشتـــاق
فـــإذا رُزِقـــتَ خليقـــة محمـــودة ... فقـــد اصطفـــاك مقسِّـــم الأرزاق
فـــالنـــاس هـــذا حظـــه مـــال، وذا ... علـــم وذاك مكـــارم الأخـــلاق

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنه خطب الناس ثم قال: إن ابن أخيكم الحسن ابن علي قد جمع مالاً، وهو يريد أن يقسمه بينكم، فحضر الناس، فقام الحسن فقال: إنما جمعته للفقراء، فقام نصف الناس، ثم كان أول من أخذ منه الأشعث بن قيس(١).

ومن سيرة الحسن بن علي نتعلم: أن بداية انطلاق النفس إلى رضاء الله، وتخلُّصها من جواذب الأرض، وتطهيرها من الشح بدوام الإنفاق في سبيل الله حتى يصير سجية من سجاياها، فتزهد في المال ويخرج حبه من القلوب، فلا يفرح صاحبه بزيادته ولا يحزن على نقصانه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد: ٢٣].

كما أن للصدقة أثراً عظيماً في تزكية النفوس، فإن لها فوائد أخرى عظيمة في الدنيا والآخرة؛ منها:

*** فهي أفضل استثمار للمال:**

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فُلُوَّه حتى يكون مثل الجبل»(٢).

*** وهي حجاب من النار:**

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة استتري من النار ولو بشق تمرة، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان»(٣).

*** وهي ظل لصاحبها يوم القيامة:**

عن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل امرئ في ظل صدقته حتى يُقضى بين الناس»(٤).

---

(١) الطبقات (١/ ٢٧٨)، إسناده صحيح.
(٢) صحيح متفق عليه، والفلو: الفرس أول ما يولد.
(٣) صحيح الترغيب والترهيب للألباني، رقم ٨٥٥.
(٤) المصدر السابق نفسه، رقم ٨٢٢.

*** والصدقة تدفع العذاب وقد ترد الحقوق بين الناس :**

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار ، فإني رأيتكن أكثر أهل النار ، إنكن تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير»(١) . قال ابن حجر : وفي هذا الحديث : أن الصدقة تدفع العذاب ، وأنها تكفر الذنوب بين المخلوقين(٢) .

وأما في الدنيا ففوائدها كثيرة ومجزية ، وجاءت الأحاديث التي تؤيد تلك الفوائد ، فهي دواء للمرضى ، وتدفع البلاء ، وتيسر الأمور ، وتجلب الرزق ، وتقي مصارع السوء ، وتطفئ غضب الرب ، وتزيل أثر الذنوب(٣) .

إن للإنفاق في سبيل الله علاقة وثيقة بالسير إلى الله ؛ فهو وسيلة مؤثرة غاية التأثير ، كما أنه من الوسائل المحورية في إحياء القلب وإيقاظ الإيمان ، ولنا في جود وكرم وإنفاق الحسن بن علي أسوة وقدوة حسنة ؛ فإن الإنفاق في سبيل الله من أعظم أبواب الجنة ، وهو مفتوح للموسرين أكثر من غيرهم ، دخل من خلاله سادات الأمة الجنة ، مثل عثمان وعبد الرحمن بن عوف والحسن وغيرهم ، فعلى أغنياء المسلمين في العصر الحديث أن يقتحموا هذا الباب فيدعموا قضايا الإسلام العادلة ، ومشاريع الدعوة إليه بما يستطيعون ، فيكسبون رضا الله ودخول الجنة ، والمساهمة في نصرة دين الله وإغاثة المحتاجين ، ولا يبخلوا فيضيق الله عليهم .

٥ ـ حلمه :

كان بين الحسن بن علي ومروان بن الحكم كلام ، فأقبل عليه مروان فجعل يغلظ له ، والحسن ساكت ، فامتخط مروان بيمينه ، فقال الحسن رضي الله عنه : ويحك أما علمت أن اليمين للوجه والشمال للفرج ، أفّ لك ، فسكت مروان(٤) . وما سكوت الحسن رضي الله عنه ، إلا لما كان لحقِّ نفسه ، فلما خالف مروان السنة ، غضب لله وللسنة ، وأبان له الصواب فيها(٥) ، ولما مات رضي الله عنه ، بكى مروان بن الحكم في جنازته ، فقال له الحسين : أتبكيه وقد كنت تجرِّعه ما تجرِّعه؟! فقال : إني كنت أفعل ذلك إلى أحلم من هذا ، وأشار إلى الجبل(٦) .

وذكر ابن عائشة : أن رجلاً من أهل الشام ، قال : دخلت المدينة على ساكنها أفضل الصلاة

---

(١) متفق عليه .

(٢) فتح الباري (١/ ٥٣٦) .

(٣) الإيمان أولاً كيف نبدأ به ، ص ١٨٨ إلى ١٨٩ .

(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٠) .

(٥) الدوحة النبوية الشريفة ، ص ٨٧ .

(٦) تهذيب الكمال (٦/ ٢٣٥) .

والسلام، فرأيت رجلاً راكباً على بغلة، لم أرَ أحسن وجهاً ولا سمتاً، ولا ثوباً، ولا دابة منه، فمال قلبي إليه فسألت عنه، فقيل: هذا الحسن بن علي بن أبي طالب، فامتلأ قلبي بغضاً له، وحسدت علياً: أن يكون له ابن مثله، فصرت إليه، فقلت: أأنت ابن علي ابن أبي طالب؟ قال: أنا ابنه، قلت: فعل بك وبأبيك، أسبهما، فلما انقضى كلامي، قال لي: أحسبك غريباً، قلت: أجل، قال: مر بنا فإن احتجت إلى منزل أنزلناك، وإن احتجت إلى مال آسيناك، أو إلى حاجة عاوناك، قال: فانصرفت عنه، وما على الأرض أحب إليَّ منه، وما فكرت فيما صنع وصنعت إلا شكرته وخزيت نفسي[١].

وهذه المواقف الكريمة التي نتعلم منها الحلم من سيرة الحسن بن علي رضي الله عنهما، وكيفية كسب المخالفين، بالإحسان إليهم والترفق بهم والصبر على آذاهم ومحبة الخير لهم، وقد يغلب على كثير منهم الجهل وعدم معرفة الحقائق، تطبيق لقول الله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] واقتداء بجده ﷺ، فقد بلغ عليه الصلاة والسلام الذروة والغاية في حلمه وعفوه وضبط نفسه إزاء التخرصات والمفتريات التي نُسِبت إليه، إضافة إلى الإيذاء من مشركي العرب: كامرأة أبي لهب، وأبي جهل، وأبي بن خلف، وغيرهم من سفهاء مكة[٢]، ووصفت السيدة عائشة رضي الله عنها خُلُق رسول الله ﷺ فقالت: ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح[٣]، وعنها أيضاً قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيئاً من محارم الله فينتقم لله عز وجل[٤].

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من كظم غيظاً ـ وهو قادر على أن ينفذه[٥] دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يُخيَّر من أي الحور العين[٦] شاء[٧]». وفي صفة الحلم يقول الشاعر:

وفي الحلم ردع للسفيه عن الأذى ... وفي الخرق[٨] إغراء فلا تك أخرقا

---

(١) وفيات الأعيان (٢/ ٦٧، ٦٨).
(٢) الأخلاق بين الطبع والتطبع، فيصل الحاشدي، ص ١٣٩.
(٣) رواه الترمذي، رقم ٢٠١٦، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقم ١٦٤٠.
(٤) مسلم، رقم ٢٣٢٨.
(٥) ومنه العفو عند المقدرة.
(٦) الحور: نساء شديدات سواد العيون وبياضها.
(٧) سنن الترمذي، رقم ٤٧٧٧؛ حسّنه الألباني صحيح الجامع (٢/ ٦٥١٨).
(٨) الخرق: الجهل ضدُّ الرِّفق.

فتنـــــدم إذ لا تنفعنـــك نـــدامـــة كمـا نـــدم المغبـــون لمّـــا تفـرَّقـا[١]

٦ ـ تواضعه:

مرّ الحسن بن علي رضي الله عنهما على جماعة من الفقراء قد وضعوا على وجه الأرض كسيرات من الخبز كانوا قد التقطوها من الطريق، وهم يأكلون منها، فدعوه إلى مشاركتهم فأجابهم إلى ذلك وهو يقول: إن الله لا يحب المتكبرين. ولما فرغ من تناول الطعام دعاهم إلى ضيافته، فأطعمهم وكسَاهم وأغدق عليهم من إحسانه[٢]، ومن مواقف تواضعه، أنه مرّ على صبيان يتناولون الطعام، فدعوه لمشاركتهم، فأجابهم إلى ذلك ثم حملهم إلى منزله فمنحهم ببره ومعروفه، وقال: اليد لهم لأنهم لم يجدوا غير ما أطعموني، ونحن نجد مما أعطيناهم[٣]، فصفة التواضع من صفات عباد الرحمن، قال الله تعالى وتبارك: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، والتواضع علامة من علامات حب الله للعبد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]؛ فمن سيرة الحسن بن علي رضي الله عنهما نتعلم صفة التواضع، قال الشاعر:

تـواضـع تكـن كـالنجـم لاح[٤] لنـاظـر علـى صفحـات المـاء وهـو رفيـع
ولا تَـكُ كـالـدخـان يعلـو بنفسـه علـى طبقـات الجـو وهـو وضيـع[٥]

٧ ـ سيادته:

ولقد أعلن رسول الله ﷺ مكانة هذا الإمام وسيادته وجلالة قدره، على مرأى ومسمع من الناس في غير مرة، وقد تواترت الروايات بقوله ﷺ عن الحسن: «إن ابني هذا سيد». قال ابن عبد البر: وتواترت الآثار الصحاح عن النبي ﷺ: أنه قال في الحسن بن علي: «إن ابني هذا سيد، وعسى الله أن يبقيه حتى يصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[٦]، وجاء من حديث جابر بن عبد الله: قال رسول الله ﷺ: «إن ابني هذا ـ يعني: الحسن ـ سيِّد، وليصلحنَّ الله به بين فئتين من المسلمين»[٧]، وعن سعيد بن أبي سعيد قال: كنا مع أبي هريرة جلوساً، فجاء حسن بن علي بن أبي طالب فسلم علينا، فرددنا عليه، وأبو هريرة لا يعلم، فمضى، فقلنا: يا أبا هريرة هذا حسن

---

(١) الأخلاق بين الطبع والتطبع، ص ١٥١.
(٢) حياة الإمام الحسن بن علي (١/ ٢٩١).
(٣) صلاح الأمة في علو الهمة (٥/ ٤٣٧).
(٤) الأخلاق بين الطبع والتطبع، ص ١٢٨. لاح: ظهر وبرز.
(٥) المصدر السابق نفسه.
(٦) البخاري، فضائل الصحابة (٧/ ٩٤).
(٧) الطبراني في الكبير، رقم ٢٥٩٧.

بن علي قد سلم علينا، فقام فلحقه، فقال: يا سيدي، فقلت له: تقول يا سيدي؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه لسيد»[١]، وعن جابر بن عبد الله أنه قال: من سرَّه أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن بن علي[٢]، وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة[٣]».

وقد نقل إلينا خبر سيادة الحسن والحسين في الجنة جمع غفير من الصحابة، وما ذلك إلا لإعلان رسول الله ﷺ بذلك مرة بعد مرة، أو في محافل جامعة[٤]، وقد أثبتت الأيام ومرور الشهور والأعوام على رسوخ صفة السيادة في الحسن، وقد بلغت ذروتها في توفيق الله له في عقد الصلح مع معاوية، وجمع الأمة على كلمة سواء، فقد كان الحسن سيداً جليلاً، ويعلمنا الحسن بأن السيادة لا تكون بالقهر وسفك الدماء، أو إهدار الأموال والحرمات، بل السيادة بصيانتها وإزالة البغضاء والشحناء، فصلحه وحقنه لدماء المسلمين بلغ فيه ذروة السيادة التي لا يستطيعها من فكر بالقوة وهو يملك طرفاً منها، وقد صالح الحسن معاوية وحوله الألوف؛ فيهم من هو طامع مدسوس، ولكن فيهم الكثير من المخلصين الأوفياء، فما أراد أن تراق بسببه قطرة دم، أو يخدش مسلم في هذا السبيل، وإن الرئاسة للأقوام إن لم تكن لصيانتها وحياطتها وحفظها، وترقيتها، فهي نوع من الطاغوت الأعمى والتهور الأحمق، والمغامرة والمقامرة التي تجلب معها الدمار والخراب، والإذلال واليباب، وينتهي أصحابها إلى غضب الله، ولعنة التاريخ، وهل تدافع أمواج الدماء البشرية عبر العصور والقرون إلا من الحرص على الرئاسة والسلطان والتكالب على الدنيا[٥]؟!.

٨ ـ صفاته الخَلْقية:

كان الحسن بن علي رضي الله عنهما سيداً وسيماً جميلاً، أبيض اللون مشرباً بحمرة، أدعج العينين سهل الخدين، كث اللحية، كأن عنقه إبريق فضة، عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين، ليس بالطويل ولا بالقصير، من أحسن الناس وجهاً، جعد الشعر، حسن البدن[٦]، ومن بركات الله سبحانه وتعالى على الحسن: أنه كان أشبه الناس بجده ﷺ[٧].

---

(١) المستدرك (٣/ ١٦٩)، وقال الحاكم: صحيح، وأقرّه الذهبي.
(٢) صحيح ابن حبان (١٥/ ٤٢١، ٤٢٢)؛ مجمع الزوائد (٩/ ١٧٨).
(٣) مستدرك الحاكم (٣/ ١٦٦)، وقد صح هذا الحديث من أوجه كثيرة.
(٤) الدوحة النبوية الشريفة، ص ٨١.
(٥) المصدر السابق نفسه، ص ٩٤.
(٦) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٩)، أخبار الدول، ص ١٠٥.
(٧) الحسن بن علي، فتيخان كردي، ص ٢٤.

ثانياً ـ من حياة الحسن بن علي في المجتمع :

ترك لنا الحسن بن علي مواقف متميزة من حياته في المجتمع الإسلامي الراشدي، فقد كان حريصاً على تصحيح المفاهيم وقضاء حوائج الناس، ومخالطتهم بالحسنى، وإرشادهم بالمواعظ، والحكم النادرة، وغير ذلك. وإليك تفصيل ما أجملت :

١ ـ تفنيده لمعتقد الرجعة :

عن عمرو بن الأصمِّ، قلت للحسن : إن الشيعة تزعم أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة، قال : كذبوا والله، ما هؤلاء بالشيعة، لو علمنا أنه مبعوث ما زوَّجنا نساءه، ولا اقتسمنا ماله(١)، وكان أول من قال بالرجعة ابن سبأ، إلا أنه قال بأنه غاب وسيرجع ولم يصدق بموته، وكانت عقيدة الرجعة خاصة برجعة الإمام عند السبئية الكيسانية وغيرها، ولكنها صارت عند الاثني عشرية عامة للإمام وكثير من الناس، ويشير الآلوسي إلى أنَّ تحول مفهوم الرجعة عند الشيعة الرافضة من رجعة الإمام فقط إلى ذلك المعنى العام كان في القرن الثالث(٢)، وأما المفهوم العام لمبدأ الرجعة عند الاثني عشرية فهو يشمل ثلاثة أصناف :

* ـ الأئمة الاثني عشر، حيث يخرج المهدي من مخبئه، ويرجع من غيبته، وباقي الأئمة يحيون بعد موتهم ويرجعون لهذه الدنيا.

* ـ ولاة المسلمين الذين اغتصبوا الخلافة ـ في زعمهم الباطل ـ من أصحابها الشرعيين «الأئمة الاثني عشرية»، فيبعث خلفاء المسلمين وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان. . ومن قبورهم يرجعون لهذه الدنيا ـ كما يزعم الشيعة الإماميَّة ـ للاقتصاص منهم بأخذهم الخلافة من أهلها، فتجري عليهم عمليات التعذيب والقتل والصلب.

* ـ عامة الناس، ويخص منهم : من محض الإيمان محضاً، وهم الشيعة عموماً ـ على حد زعمهم ـ ولأن الإيمان خاص بالشيعة كما تتفق على ذلك رواياتهم وأقوال شيوخهم، ومن محض الكفر محضاً وهم كل الناس ما عدا المستضعفين(٣). ولهذا قالوا في تعريف الرجعة : إنها رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة(٤)، وعودتهم إلى الحياة بعد الموت في صورهم التي كانوا عليها(٥).

وقد خالف الشيعة الإماميَّة علماء أهل البيت ممن ساروا على الهدى والحق : كتاب الله وسنة رسوله في معتقد الرجعة، وعلى رأسهم الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وجعلوا

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٣).
(٢) روح المعاني (٥/ ٢٧)؛ ضحى الإسلام، أحمد أمين (٣/ ٢٣٧).
(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٠٥).
(٤) تفسير القمي (٢/ ٧٦)، وضع عنواناً في أعلى الصفحة : أعظم دليل على الرجعة.
(٥) أوائل المقالات، ص ٩٥.

الرجعة من أصول المذهب الشيعي الرافضي، فمن رواياتهم التي اختلقها الرواة الكذبة: ليس منا من لم يؤمن بكَرَّتِنا[١]، وقال ابن بابويه في الاعتقادات: واعتقادنا في الرجعة أنها حق[٢]، وقال المفيد: واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات[٣]، وقال الطبرسي والحر العاملي، وغيرهما من شيوخ الشيعة: بأنها موضع إجماع الشيعة الإمامية[٤]، وأنها من ضروريات مذهبهم، وأنهم: مأمورون بالإقرار بالتوحيد والنبوة والإمامة والقيامة[٥].

إن فكرة الرجعة عند الشيعة الإماميَّة بعد الموت مخالفة صريحة لنص القرآن الكريم، وباطلة بدلالة آيات عديدة من كتاب الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠]. فقوله سبحانه: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ صريح في نفي الرجعة مطلقاً[٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧ ـ ٢٨]. فهؤلاء جميعاً يسألون الرجوع عند الموت، وعند العرض على الجبار جلَّ في علاه، وعند رؤية النار يجابون، لما سبق من قضائه: أنهم لا يرجعون، ولذلك عد أهل العلم القول بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت من أشد مراحل الغلو في بدعة التشيع[٧].

وقد مرّ معنا موقف الحسن بن علي من رواية عمرو بن الأصمِّ، وقد جاء في مسند أحمد: أن عاصم بن ضمرة ـ وكان من أصحاب علي رضي الله عنه ـ قال للحسن بن علي: إن الشيعة يزعمون أن علياً يرجع. قال الحسن: كذب أولئك الكذابون، ولو علمنا ذلك ما تزوج نساؤه ولا قسمنا ميراثه[٨]، والقول بالرجعة بعد الموت على الدنيا لمجازاة المسيئين وإثابة المحسنين ينافي طبيعة هذه الدنيا، وأنها ليست دار جزاء، قال تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقد كان لابن سبأ اليهودي دور التأسيس لمبدأ الرجعة، إلا أنها رجعة خاصة بعلي، كما أنه ينفي وقوع الموت عليه أصلاً كحال الاثني عشرية مع مهديهم الذي يزعمون وجوده، وعقيدة

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٠٣).
(٢) الاعتقادات، ص ٩٠.
(٣) أوائل المقالات، ص ٥١.
(٤) مجمع البيان (٥/ ٥٢).
(٥) القاموس (٣/ ٢٨)؛ مجمع البحرين (٤/ ٣٣٤).
(٦) مختصر التحفة، ص ٢٠١.
(٧) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٢٤).
(٨) مسند أحمد (٢/ ٣١٢)، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

الرجعة عند الشيعة الإمامية خلاف ما علم من الدين بالضرورة من أنه لا حشر قبل يوم القيامة، وأن الله كلما توعد كافراً أو ظالماً إنما توعده بيوم القيامة، كما أنها خلاف الآيات والأحاديث المتواترة المصرحة بأنه لا رجوع إلى الدنيا قبل يوم القيامة[١]. هذا من حيث النقل، وأما من حيث العقل: فإن الله جعل الدنيا دار ابتلاء، وجعل الآخرة دار جزاء، فلماذا يرجعهم للدنيا ليحاسبهم فيها مع وجود الآخرة؟! علماً بأن عذاب الآخرة أعظم وأشد لمن انحرف عن دينه، ولم يحدث أن أرجع الله أحداً من الأموات ليحاسبه في الدنيا في تاريخ البشرية كلها.

٢ ـ قضاء حوائج الناس:

جاء رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما، فذكر له حاجته، فخرج معه لحاجته، فقال: أما إني قد كرهت أن أعنيك في حاجتي، ولقد بدأت بحسين فقال: لولا اعتكافي لخرجت معك. فقال الحسن: لقضاء حاجة أخ لي في الله أحبّ إليّ من اعتكاف شهر[٢]، وجاء في رواية أخرى: أنه ترك الطواف وخرج في حاجة إنسان له حاجة عند شخص معين[٣].

وجاء من كلام الحسن ـ وذكر بعض الكتّاب أنه من كلام الحسين رضي الله عنهما ـ: إن حوائج الناس إليكم، من نعم الله عليكم، فلا تملوا النعم فتحور[٤] نقماً، واعلموا أن المعروف مكسب حمداً ومعقب أجراً، فلو رأيتم المعروف رجلاً، رأيتموه حسناً جميلاً يسر الناظرين ويفوق العالمين، ولو رأيتم اللؤم، رأيتموه سمجاً[٥] مشوهاً، تنفر عنه القلوب والأبصار[٦].

وذكر صاحب كتاب الشهب اللامعة في السياسة النافعة: أن رجلاً رفع إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة فقال: قد قرأتها، حاجتك مقضية، فقيل له: يا بن بنت رسول الله ﷺ، لو نظرت إلى رقعته وراجعته على حسب ما فيها، فقال: أخاف أن أسأل عن ذل مقامه بين يدي حتى أقرأها[٧].

وهذه المواقف تدل على حسن أخلاقه وعظمتها، مع تواضع كبير، ولا نستغرب ذاك من سيدنا الحسن، فهو القائل: مكارم الأخلاق عشرة: صدق اللسان، وصدق البأس، وإعطاء

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٢٤).
(٢) تاريخ دمشق الكبير (١٤/ ٧٦).
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) فتحور: ترجع.
(٥) سمج: قبيح. لسان العرب (٢/ ١٩٧).
(٦) الشهب اللامعة في السياسة النافعة، ص ٤٤١.
(٧) الشهب اللامعة في السياسة النافعة، ص ٤٣٩.

السائل، وحسن الخلق، والمكافأة بالصنائع، وصلة الرحم، والترحم على الجار، ومعرفة الحق للصاحب، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء[١].

وأيضاً قوله: أشد من المصيبة سوء الخلق[٢].

وهذه المواقف الكريمة للحسن رضي الله عنه تطبيق لتوجيهات رسول الله ﷺ، فعن عبد الله بن دينار، عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ قال: قيل: يا رسول الله، من أحب الناس إلى الله؟ قال: «أنفعهم للناس. وإن أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مؤمن، تكشف عنه كرْباً، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأنْ أمشي مع أخي المسلم في حاجة، أحبُّ إليَّ مِنْ أن أعتكف شهرين في مسجد.. ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجة حتى يُثبتَها له، ثبَّت الله قدمه يوم تزل فيه الأقدام، وإنَّ سوء الخُلُقِ ليُفْسِدُ العمل، كما يفسد الخلُّ العسل»[٣]. وعن مسلمة بن مخلد: أن النبي ﷺ قال: «من ستر مسلماً في الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن نجّى مكروباً فك الله عنه كُربةً من كرب يوم القيامة، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»[٤].

٣ ـ زواجه من بنت طلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم:

عن شعيب بن يسار: أن الحسن بن علي أتى ابناً لطلحة بن عبيد الله[٥]، فقال: قد أتيتك لحاجة وليس لي مرد، قال: وما هي؟ قال: تزوجني أختك[٦]، قال: إن معاوية كتب إلي يخطبها على يزيد، قال: مالي مردٌّ إذ أتيتك فزوجها إياي، ثم قال: ادخل بأهلك، فبعث إليها بحلة ثم دخل بها، فبلغ ذلك معاوية، فكتب إلى مروان: أنْ خيّرها، فخيّرها فاختارت حسناً، فأقرّها ثم خلف عليها بعده حسين[٧].

٤ ـ زواجه من خولة بنت منظور:

عن ابن أبي مليكة، قال: تزوج الحسن بن علي خولة بنت منظور، فبات ليلة على سطح أجم[٨]، فشدت خمارها برجله والطرف الآخر بخلخالها، فقام من الليل فقال: ما هذا؟ قالت:

---

(١) من أقوال الصحابة، محمد خورشيد، ص ٦٨، الحسن بن علي، ص ٣١.
(٢) تاريخ اليعقوبي (٢/ ٢٢٧).
(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٩٠٦، وحسَّن الألباني إسنادهُ في الصحيح الجامع.
(٤) مصنف عبد الرزاق، رقم ١٨٩٣٦، حديث صحيح.
(٥) هو إسحاق بن طلحة.
(٦) هي أم إسحاق.
(٧) الطبقات، تحقيق: السُلمي (١/ ٢٩٢)، إسناده لا بأس به.
(٨) المصدر السابق نفسه (١/ ٣٠٧).

خفت أن تقوم من الليل بوسنك[١] فتسقط، فأكون أشأم سخلة[٢] على العرب، فأحبها، فأقام عندها سبعة أيام[٣]. فقال ابن عمر: لم نر أبا محمد منذ أيام، فانطلقوا بنا إليه، فأتوه، فقالت له خولة: أتحبسهم حتى نهيئ لهم غداءً؟ قال: نعم، قال ابن عمر: فابتدأ الحسن حديثاً ألهانا بالاستماع إعجاباً به حتى جاءنا الطعام[٤].

٥ ـ لا يرى أمهات المؤمنين:

كان الحسن والحسين لا يريان أمهات المؤمنين. فقال ابن عباس: إنَّ رؤيتهن حلال لهما، وعلق الذهبي فقال: الحل متيقن[٥]. وهذا يدل على شدة حيائه.

٦ ـ الغيرة في النسب النبوي:

دخل سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما السُّوق لحاجة يقضيها، فساوم صاحب دكان في سلعة، فأخبره بالسعر العام، ثم علم أنه الحسن بن علي رضي الله عنهما سبط رسول الله ﷺ، فنقص في السعر إجلالاً له وإكراماً، ولكن الحسن بن علي رضي الله عنهما لم يقبل منه ذلك، وترك الحاجة، وقال: إنني لا أرضى أن أستفيد من مكانتي من رسول الله في شيءٍ تافه[٦].

وهذا الحال كان مصاحباً لأهل البيت ممن ساروا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فهذا زين العابدين بن علي بن الحسين، يقول عنه جويرية بن أسماء ـ وهو من أخص خدمه: ما أكل علي بن الحسين بقرابته من رسول الله ﷺ درهماً قط[٧]، وكان إذا سافر كتم نفسه، فقيل له في ذلك، فقال: أنا أكره أن آخذ برسول الله ﷺ مالا أعطي به[٨]. وكذلك روي عن أبي الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم، فقد قيل: إنه كان إذا سافر كتم نفسه، فقيل له في ذلك، فقال: أنا أكره أن آخذ برسول الله ﷺ مالا أعطي به[٩]، فهؤلاء السادة من أهل البيت كانوا غيارَى أشد الغيرة في

---

(١) الوسن: قيل: النوم الثقيل، وقيل: أول النوم.

(٢) سخلة: السخلة: ولد الشاة من المعز والضأن ذكراً كان أو أنثى، ويطلق على المولود المحبب لوالديه، والمراد: أشأم امرأة.

(٣) المعلوم من السنة: أن الرجل إذا تزوج امرأة على زوجته فإنه يقيم عندها سبعة أيام متواصلة إذا كانت بكراً، وثلاثة أيام إذا كانت ثيباً، ثم يعود إلى القسم بينهن، وخولة عندما تزوجها الحسن لم تكن بكراً؛ حيث سبقه عليها محمد بن طلحة بن عبيد الله كما في جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص ٢٥٨، وحقها: ثلاث ليال لا سبعاً. وهذا ما يؤكد ضعف الرواية، فإن إسنادها ضعيف جداً، وهذه نكارة في المتن تؤكد الضعف.

(٤) الطبقات، تحقيق: السُّلمي (١/ ٣٠٧، ٣٠٨) إسناده ضعيف.

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٥).

(٦) المرتضى للندوي، ص ٢٢٨.

(٧) البداية والنهاية، نقلاً عن المرتضى للندوي، ص ٢٢٨.

(٨) وفيات الأعيان (٢/ ٤٣٤).

(٩) المصدر السابق نفسه.

الرحم التي كانت تصلهم برسول الله ﷺ، فما كانوا يستغلون هذه النسبة لمصالح دنيوية، شأن أبناء أسر الزعماء الدينيين في الديانات الأخرى، ممن ينالون تقديساً زائداً في كل حال، ويعاملون من أتباعهم كشخصيات تفوق البشر، وكانوا بعيدين عن كسب حطام الدنيا بأسمائهم، وبناء قصور الفخر على عظامهم واستغنائهم وعزّة نفوسهم، تصور سيرتهم وسلوكهم تصويراً يختلف تماماً عن سيرة الطبقة المحترفة بالدين من البراهمة والكهنة في الديانات والملل الأخرى، فإنها تعتبر ذات قدسية وعظمة عن طريق الولادة، فهي لا تحتاج لكسب المعاش وتحقيق حاجات الحياة إلى بذل شيء من الجُهد والسعي(١).

٧ ـ صلاته على الأشعث بن قيس:

مات الأشعث بن قيس بعد مقتل أمير المؤمنين علي بأربعين ليلة، وصلى عليه الحسن ابن علي(٢)، وهو زوج بنت الأشعث بن قيس(٣)، وقد ذهبت بعض الروايات الضعيفة إلى تورط الأشعث بن قيس في دم أمير المؤمنين، وهذا ليس عليه دليل، وذلك لأن الأشعث ابن قيس عند استعراض دوره في خلافة علي رضي الله عنه نجده مخلصاً وفياً، فهو أول من حارب أهل الشام أثناء القتال على الماء، وأظهر العداوة للخوارج منذ نشأتهم، فهو الذي أبلغ علياً رضي الله عنه: أن الخوارج يقولون: إن علياً تاب من خطيئته ورجع عن التحكيم، وقاتل علي الخوارج في النهروان، وقد حرص كل الحرص على أن يوطد علاقته بعلي وآل بيته، فزوج ابنته من الحسن بن علي رضي الله عنهما، وعندما أراد الحسن أن يبني بها قامت كندة وجعلت أرديتها بسطاً من بابه إلى باب الأشعث(٤)، وقد مات الأشعث بعد مقتل علي، وصلى عليه الحسن بن علي كما مرّ، ولم ينقل عن آل علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أنهم اتهموا الأشعث بهذه التهمة، أو كشفوا أحداً من آل الأشعث بهذا السبب، ويظل قتل علي عملاً من تدبير الخوارج، جاء في الأرجح ثأراً لقتلى النهروان(٥).

٨ ـ معاملته لمن يسيء إليه:

قدم رجل من المدينة وكان يبغض علياً، فقطع به فلم يكن له زاد ولا راحلة، فشكا ذلك إلى بعض أهل المدينة، فقال له: عليك بالحسن بن علي، فقال له الرجل: ما لقيت هذا إلاّ في حسن وأبي حسن؟ فقيل له: فإنك لا تجد خيراً إلا منه، فأتاه فشكا إليه، فأمر له بزاد وراحلة، فقال

---

(١) المرتضى للندوي، ص ٢٢٨.
(٢) الكامل في التاريخ (٣/ ٤٤٤).
(٣) تهذيب التهذيب (٢/ ٣٠٠).
(٤) تهذيب الكمال (٣/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤)؛ الطبقات (٦/ ٢٣).
(٥) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، بطاينة، ص ٥٢.

الرجل: الله أعلم حيث يجعل رسالته، فقيل للحسن: أتاك رجل يبغضك ويبغض أباك فأمرت له بزاد وراحلة، قال: أفلا أشتري عرضي منه بزاد وراحلة[١].

٩ ـ من أدبه في المجالس:

كان ذات يوم جالساً في مكان، فأراد الانصراف، فجاءه فقير فرحب به ولاطفه، وقال له: إنك جلست على حين قيام منا أفتأذن لي بالانصراف؟ قال: نعم يا بن بنت رسول الله ﷺ[٢].

١٠ ـ حسن خلقه بين الناس:

عن عمير بن إسحاق قال: ما تكلم عندي أحد كان أحبَّ إليَّ إذا تكلَّم ألا يسكت من الحسن ابن علي، وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة، فإنه كان بين الحسين بن علي وبين عمرو بن عثمان خصومة، فقال الحسن: ليس له عندنا إلا ما رَغِم أنفه. فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه قط[٣].

١١ ـ ملاعبته بالمداحي[٤]:

قال سليمان بن شديد: كنت ألاعب الحسن والحسين بالمداحي، فكنت إذا أصبت مدحاته فكان يقول لي: يحل لك أن تركب بضعة من رسول الله ﷺ! وإذا أصاب مدحاتي قال: أما تحمد ربك أن يركبك بضعة من رسول الله ﷺ[٥]؟!.

١٢ ـ بعده عن فضول الكلام:

كان الحسن بن علي أكثر دهره صامتاً، فإذا قال بذَّ القائلين، فالحسن بن علي يعلمنا الابتعاد عن فضول الكلام وهذا عن هدي النبي ﷺ، فقد قال: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»[٦]، وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[٧]، وجاء عنه: «من صمت نجا»[٨]، وسئل الرسول ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس

---

(١) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٧٦).

(٢) الطبقات (١/ ٢٨١)، تحقيق: السُّلمي، إسناده ضعيف، تاريخ الخلفاء، ص ٧٣.

(٣) البداية والنهاية (١١/ ١٩٨).

(٤) المداحي: هي أحجار أمثال القِرَصَة، كانوا يحفرون حفرة ويدحون فيها بتلك الأحجار، فإن وقع الحجر فيها غلب صاحبها، وإن لم يقع غُلب. وهي لعبة يلعب بها أهل مكة، وقد سئل ابن المسيب عن المراماة والمسابقة بها فقال: لا بأس به.

(٥) الطبقات، تحقيق: السُّلمي (١/ ٢٩٤).

(٦) السلسلة الصحيحة، رقم ٢٨٤١.

(٧) البخاري، رقم ٦١٣٦.

(٨) صحيح الجامع، رقم ٦٣٦٧.

النار؟ فقال: «الفم والفرج»[١]، وقد سأل معاذ النبي ﷺ عن العمل الذي يدخله الجنة ويباعده من النار، فأخبره برأسه وعموده وذروة سنامه ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كلِّه؟» قال: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: «كُفَّ عليك هذا». فقال: وإنّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يَكُبُّ الناس في النار على وجوههم ـ أو على مناخرهم ـ إلا حصائد ألسنتهم»[٢].

ويقول ابن عبيد: ما من الناس أحد يكون لسانه منه على بال إلا رأيت ذلك صلاحاً في سائر عمله[٣]، وكان ابن الكاتب يقول: إذا سكن الخوف في القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه[٤]، وقال الأوزاعي: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رسالة: أما بعد: فإنه من أكثر ذكر الموت رضي بالدنيا باليسير، ومن عدَّ كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما ينفعه، والسلام[٥] فالحسن بن علي كان يعد كلامه من عمله، ولذلك أكثر الصمت.

١٣ ـ إكرام الحسن بن علي أسامة بن زيد رضي الله عنهم:

عن حرملة ـ مولى أسامة ـ قال: أرسلني ابن زيد إلى عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال لي: إنه سيسألك ويقول لك: ما خلَّف صاحبك؟ فقل له: يقول لك: لو كنت في شدْق الأسد لأحببت أن أكون معك فيه، ولكن هذا أمر لم أَرَه، قال: فأتيت علياً فلم يعطني شيئاً، فذهبت إلى حسن وحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم ـ فأوقروا لي راحلتي[٦].

١٤ ـ الحسن بن علي واليهودي الفقير:

اغتسل الحسن رضي الله عنه وخرج من داره في بعض الأيام وعليه حلة فاخرة ووفرة ظاهرة ومحاسن سافرة، فعرض له في طريقه شخص من محاويج اليهود وعليه مسح من جلود، قد أنهكته العلة، وركبته القلة والذلة، وشمس الظهيرة قد شوت شواه وهو حامل جرة ماء على قفاه، فاستوقف الحسن رضي الله عنه وقال: يا بن بنت رسول الله، سؤال، قال: ما هو؟ قال: جدك يقول: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[٧]. وأنت مؤمن وأنا كافر. فما أرى الدنيا إلا جنة لك تتنعم بها، وما أراها إلا سجناً عليّ قد أهلكني ضرها وأجهدني فقرها، فلما سمع الحسن كلامه

---

(١) السلسلة الصحيحة، رقم ٦٦٩.
(٢) سنن الترمذي، وقال: حديث صحيح.
(٣) صفة الصفوة (٣/ ٣٧٢).
(٤) المصدر السابق نفسه (٤/ ٣٢٣).
(٥) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٣٣).
(٦) ذخائر العقبى، ص ٢٣٧.
(٧) مسلم وابن ماجه، رقم ٤١١٣.

قال له: يا هذا لو نظرت إلى ما أعد الله لي في الآخرة لعلمت أني في هذه الحالة بالنسبة إلى تلك في سجن، ولو نظرت إلى ما أعد الله لك في الآخرة من العذاب الأليم لرأيت أنك الآن في جنة واسعة[(١)]. لقد كان الحسن بن علي حاضر البديهة، فأجاب بجواب مقنع مفحم؛ حيث أوضح له: أن حالته التي يشكو منها إنما هي كالجنة بالنسبة إلى عذاب الآخرة الذي أعد للكافرين، وأن حالة الحسن التي ظنها نعيماً إنما هي كالسجن بالنسبة إلى نعيم الجنة الذي أعد للمتقين[(٢)].

١٥ ـ احترام وتقدير ابن عباس للحسن والحسين رضي الله عنهم:

قال مدرك أبو زياد: كنا في حيطان ابن عباس، فجاء ابن عباس وحسن وحسين فطافوا في البستان، فنظروا ثم جاؤوا إلى ساقية فجلسوا على شاطئها، فقال لي حسن: يا مُدرك أعندك غداء؟ قلت: قد خبزنا، قال: إئت به. قال: فجئته بخبز وشيء من ملح جريش وطاقتي بقل، فأكل ثم قال: يا مُدرك ما أطيب هذا؟ ثم أتى بغدائه، وكان كثير الطعام طيّبه ـ فقال: يا مُدرك اجمع لي غلمان البستان، قال: فقدم إليهم فأكلوا ولم يأكل، فقلت: ألا تأكل؟ فقال: ذاك أشهى عندي من هذا، ثم قاموا فتوضؤوا، ثم قدّمت دابة الحسن فأمسك له ابن عباس بالركاب وسوَّى عليه، ثم جيء بدابّة الحسين فأمسك له ابن عباس بالركاب وسوَّى عليه، فلما مضيا قلت: أنت أكبر منهما تمسك لهما وتسوّي عليهما؟ فقال: يا لُكع أتدري من هذان؟ هذان ابنا رسول الله ﷺ، هذا مما أنعم الله عليّ به أن أمسك لهما وأسوّي عليهما؟[(٣)].

وهذا الاحترام والتقدير من ابن عباس للحسن والحسين دليل على محبته لهما ومعرفة فضلهما، كما يدل على فضل ابن عباس فلا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهله. وقد كان أمير المؤمنين علي يعامل عمه العباس والد عبد الله معاملة قلّ نظيرها في الاحترام والتقدير؛ فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: اعتلَّ أبي العباس، فعاده عليٌّ، فوجدني أضبط رجليه، فأخذهما من يدي، وجلس موضعي وقال: أنا أحقُّ بعمِّي منك، إن كان الله عز وجل قد توفَّى رسول الله ﷺ وعمِّي حمزة وأخي جعفراً فقد أبقى لي العباس. عمُّ الرجل صِنْوُ أبيه، وبرُّه به كِبرِّه بأبيه، اللهُمَّ هب لعمِّي عافيتك، وارفع له درجته، واجعله عندك في علِّيِّين[(٤)].

١٦ ـ ثناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما على الحسن:

قال عبد الله بن عروة: رأيت عبد الله بن الزبير قعد إلى الحسن بن علي في غداة من الشتاء باردة، قال: فوالله ما قام حتى تفسّخ جبينه عرقاً، فغاظني ذلك، فقمت إليه فقلت: يا عم! قال:

(١) الحسن والحسين، محمد رشيد رضا، ص ٣٢.
(٢) الحسن والحسين رضي الله عنهما، ص ٣٣.
(٣) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٦٩).
(٤) ذخائر العُقبى، ص ٣٣٧.

ما تشاء؟ قال: قلت: رأيتك قعدت إلى الحسن بن علي، فأقمت إليه حتى تفسخ جبينك عرقاً، قال: يا بن أخي إنه ابن فاطمة، لا والله ما قامت النساء عن مثله(١).

١٧ ـ بين الحسن والحسين رضي الله عنهما:

ذكر ابن خلكان (بصيغة التمريض) وقيل: دار بين الحسن والحسين كلام فتقاطعا، فقيل للحسين: لو أتيت أخاك فهو أكبر منك سناً، فقال: فإن الفضل للمبتدئ وأنا أكره أن يكون لي الفضل على أخي، فبلغ ذلك الحسن فأتاه(٢).

١٨ ـ أكرم الناس أباً وأماً وجداً وجدة وخالًا وخالة وعماً وعمة:

قال معاوية ـ وعنده عمرو بن العاص وجماعة من الأشراف ـ: من أكرم الناس أباً وأماً، وجداً وجدّة، وخالاً وخالة، وعماً وعمّة؟ فقام النعمان بن العجلان الزُّرقاني، فأخذ بيد الحسن فقال: هذا أبوه علي، وأمه فاطمة، وجده رسول الله ﷺ، وجدته خديجة، وعمّه جعفر، وعمته أمّ هاني بنت أبي طالب، وخاله القاسم، وخالته زينب(٣).

١٩ ـ محبة الناس له ولأخيه الحسين، وازدحامهم عليهما في البيت الحرام:

قال أبو سعيد: رأيت الحسن والحسين صليا مع الإمام العصر، ثم أتيا الحجر فاستلماه، ثم طافا أسبوعاً وصليا ركعتين، فقال الناس: هذان ابنا بنت رسول الله ﷺ، قال: فحطمهما الناس حتى لم يستطيعا أن يمضيا، ومعهما رجل من الركانات، وأخذ الحسين بيد الركاني(٤)، وردّ الناس عن الحسن ـ وكان يجله، وما رأيتهما مرّا بالركن الذي يلي الحجر من جانب الحجر إلا استلماه، قال: قلت لأبي سعيد(٥): فلعله بقي عليهما بقية من أسبُوع قطعته الصلاة؟ قال: لا بل طافا أسبُوعاً تاماً(٦).

ثالثاً ـ من أقواله وخطبه ومواعظه التي حفظها عنه الناس:

١ ـ قال الحسن بن علي: هلاك الناس في ثلاث: الكبر والحرص والحسد، فالكبر هلاك الدين، وبه لُعن إبليس، والحرص عدو النفس، وبه أخرج آدم من الجنة، والحسد رائد السوء، ومنه قتل قابيل هابيل(٧).

---

(١) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٧٠).
(٢) وفيات الأعيان (٢/ ٦٩).
(٣) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٧٠).
(٤) كأنه منسوب إلى ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلب، الذي صارعه النبي ﷺ مرتين، كما في مادة ركن من القاموس وشرحه.
(٥) القائل: الراوي، وهو عمارة بن معاوية الدّهني.
(٦) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٦٩).
(٧) علموا أولادكم حب آل بيت النبي ﷺ، ص ٣١.

فهذه الأمراض القلبية حذر منها الحسن بن علي رضي الله عنهما ، وهي من أشد الأمراض علة وإليك بعض البيان :

أ ـ مرض الكبر : قول الحسن : فالكبر هلاك الدين وبه لُعن إبليس :

الكبر نقيض التواضع ، وهو استعظام النفس واستكبار حالة نفسه ، والنظر إلى الآخرين بعين الاحتقار ، وهو من عظيم الآفات ، وعنه تتشعَّب أكثر البليات ، يستوجب به من الله عز وجل سرعة العقوبة والغضب ؛ لأن الكبر لا يحق إلا لله عز وجل ، ولا يليق ولا يصلح لمن دونه ، إذ كل من سواه عبد مملوك ، وهو المليك الإله القادر ، فيستحق المتكبر أن يقصمه الله عز وجل ويحقره ويصغره ، إذ تعدى قدره ، وتعاطى ما لا يصلح لمخلوق(١) .

ـ علامات الكبر :

وللكبر علامات في الظاهر تدل عليه ، فمنها : حب التقدم على الناس ، وإظهار الترفُّع عليهم ، وحب التصدر في المجالس ، والتبختر في المشية ، والاستنكاف من أن يرد عليه كلامه وإن كان باطلاً ، والامتناع من قبوله ، والاستخفاف بضعفاء المسلمين ومساكينهم ، ومنها تزكيته لنفسه والثناء عليها ، والفخر بالآباء والتبجح بالنسب ، والتكبر بالمال والعلم ، والعمل والعبادة ، والجمال والقوة ، وكثرة الأتباع والأنصار والعشيرة ، ونحو ذلك(٢) .

*** الوقاية والعلاج من هذا المرض :**

* أن يُسائل المسلم نفسه ، وأن يراقب قلبه ، هل هو متكبر؟ هل يميل إلى التكبر؟ فإن وجد نفسه ميالاً إلى التواضع ، كارهاً التكبر وأهله ، فليحمد الله عز وجل على ما أنعم عليه وأفضل ، وإلا عاتب نفسه ، وحاسبها وجاهدها ، وعاقبها بكثرة الذكر والعبادة والصيام والطاعة ، وحرمانها من كثير من الراحة واللهو والرغبات المباحة حتى تعود إلى رشدها ، وتبتعد عن طريق غيها ، وتشفى من مرضها .

* وأن يضع المسلم نصب عينيه حقيقة هذا المرض ونتائجه في الدنيا والآخرة ، وحكمه في الشريعة ، وعقابه في الدنيا والآخرة ، ومن القرآن والسنة والواقع ، وقصص الصالحين وحياتهم ، فهذا القرآن الكريم يظهر أن الكبر من صفات الشيطان ، قال تعالى في إبليس اللعين : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٣٤] .

والمتكبر لا يحبه الله ، كما قال تعالى : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل : ٢٣] .

---

(١) منهج الإسلام في تزكية النفس ، ص ٣٤٢ .

(٢) المصدر السابق نفسه .

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

والخيلاء والفخر من أوصاف المتكبر، والمتكبر متعرض لأن يطبع الله على قلبه، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

فإن تكبر بالعلم والعبادة وهو أعظم آفات التكبر، فعليه أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم أكثر من غيرهم، وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل من العالم، وبالتكبر يعصي الله عز وجل عن علم فجنايته أفحش وخطره أعظم، وإن تكبر من جهة النسب، فليعلم أن هذا تعزز بكمال غيره، ثم يعلم أباه وجدّه، فإن أباه القريب نطفة قذرة، وأباه البعيد تراب، ومن اعتراه الكبر بالجمال، فلينظر إلى باطنه نظر العقلاء، ولا ينظر إلى ظاهره نظر البهائم، ومن اعتراه من جهة القوة، فليعلم أنه لو آلمه عرق عاد أعجز من عاجز، ومن تكبر بسبب الغنى فلينظر لمن هو أغنى منه: قارون وهامان وما حل بهما، من كل ذلك يجد نفسه أصغر من أن يتكبر، وما عليه إلا أن يتواضع فيرفعه الله ويعزه، ويعلو شأنه ويرضى الله عنه في الدنيا والآخرة، وأن يعتبر بالآخرين ممن ذكروا في القرآن الكريم أو السنة الشريفة، أو من قصص الأقدمين والحاضرين ممن تكبَّروا، فما كان مصيرهم ومآلهم وخزيهم في الدنيا والآخرة؟ يعتبر منهم فيقي نفسه من التكبر ويعالجها إن مرضت، وأن يصاحب المتواضعين من الصالحين لينتفع منهم ويكسب من أخلاقهم وأقوالهم وطريقة معاملتهم للآخرين، ويبتعد عن المتكبرين ولا يجالسهم، حتى لا يكسب منهم ما يضره في الدنيا والآخرة، أو يتأثَّر بهم فينساق في أهوائهم وضلالاتهم[1].

ب ـ الحرص: قول الحسن: والحرص عدو النفس وبه أُخرج آدم من الجنة:

قال رسول الله ﷺ: «ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»[2]، فهذا مثل عظيم جداً ضربه النبي ﷺ لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا، وأنَّ فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين باتا في الغنم قد غاب عنها رِعاؤها ليلاً، فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها، ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا قليل، فأخبر النبيُّ ﷺ أنَّ حرص المرء على المال والشرف إفساد لدينه ليس بأقلَّ من إفساد الذئبين لهذه الغنم، بل إما أن يكون مساوياً وإما أكثر. يشير إلى أنه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا إلا القليل، فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شرِّ الحرص على المال والشرف في الدنيا.

(١) منهج الإسلام في تزكية النفس، ص ٣٤٦.
(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، رقم ٣٢١٨، حسن صحيح.

ـ حال من حرص على جمع المال :

فأما الحرص على المال فهو على نوعين :

* **أحدهما : شدة محبة المال مع شدة طلبه من وجوهه المباحة ، والمبالغة في طلبه** ، والجدُّ في تحصيله واكتسابه من وجوهه مع الجهد والمشقة ، وقد ورد أن سبب الحديث كان وقوع بعض أفراد هذا النوع ، كما أخرجه الطبراني[١] من حديث عاصم بن عديّ رضي الله عنه قال : اشتريت مئة سهم من سهام خيبر ، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال : «ما ذئبان ضاريان ضَلاَّ في غنم أضاعها ربُّها بأفسد في طلب المسلم المال والشرف لدينه»[٢] . وقد علق ابن رجب ـ رحمه الله ـ على الحديث فقال : ولو لم يكن في الحرص على المال إلا تضييع العمر الشريف في الذي لا قيمة له ، وقد يُمكِّن صاحبه فيه اكتساب الدرجات العلى والنعيم المقيم ، فضيَّعه بالحرص في طلب رزق مضمون مقسوم لا يأتي منه إلا ما قُدِّر وقُسم ، ثمَّ لا ينتفع به ، بل يتركه لغيره ، ويرتحل عنه ، فيبقى حسابه عليه ونفعه لغيره ، فيجمع لمن لا يحمده ، ويقدم على مَنْ لا يعذره ، لكفاه بذلك ذماً للحرص ، فالحريص يضيع زمانه الشريف ، ويخاطر بنفسه التي لا قيمة لها في الأسفار وركوب الأخطار لجمع مال ينتفع به غيره ، كما قيل :

ومن ينفق الأيام في جمع ماله   مخافة فقر فالذي فعل الفقر[٣]

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله ، ولا تحسدنَّ أحداً على رزق الله ، ولا تلومنَّ أحداً على ما لم يؤتك الله ، فإنّ الرزق لا يسوقه حِرصُ حريصٍ ، ولا ترده كراهة كاره ، فإن الله بقسطه جعل الروح والفرح في اليقين والرِّضا . وجعل الهمَّ والحزن في الشك والسّخط[٤] .

وكان عبد الواحد بن زيد يحلف بالله لحرص المرء على الدنيا أخوف عليه عندي من أعْدَى أعدائه . وكان يقول : يا إخوتاه! لا تغبطوا حريصاً على ثروته وسعته في مكسب ولا مال ، وانظروا له بعين المقت له في اشتغاله اليوم بما يرديه غداً في المعاد ، ثمَّ يتكبَّر . وكان يقول : الحرص حرصان : حرص فاجع ، وحرص نافع ، فأما النافع فحرص المرء على طاعة الله ، وأما الحرص الفاجع ، فحرص المرء على الدنيا[٥] .

وكتب بعض الحكماء إلى أخ له كان حريصاً على الدنيا : أما بعد : فإنك أصبحت حريصاً على الدنيا تخدمها وهي تخرجُك من نفسها بالأعراض والأمراض والآفات والعلل ، كأنك لم تر حريصاً محروماً ولا زاهداً مرزوقاً . وقال بعض الحكماء : أطول الناس هماً الحسود ، وأهنؤهم

---

(١) الطبراني في الأوسط (١/ ٤٧٠)، رقم ٨٥٥ .

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، رقم ٣٢١٨، حسن صحيح .

(٣) ما ذئبان جائعان لابن رجب، ص ٢٣ .

(٤) المصدر السابق نفسه، ص ٢٦ .

(٥) ما ذئبان جائعان، ص ٢٦ .

عيشاً القنوع، وأصبرهم على الأذى الحريص، وأخفضهم عيشاً أرفضهم للدنيا، وأعظمهم ندامة العالم المفرِط[١]. قال الشاعر:

الحرص داء قد أضرَّ ... بمن ترى إلاَّ قليلا
كم من حريص طامع ... والحرص صيَّرهُ ذليلا[٢]

وقال الشاعر محمود الورَّاق:

ونازح الدار لا ينفك مغترباً ... عن الأحبة لا يدرون بالحال
بمشرق الأرض طوراً ثم مغربها ... لا يخطر الموت من حرص على بال
ولو قنعت أتاك الرزق في دعة ... إنَّ القنوع الغِنَى لا كثرة المال

وقال أيضاً:

أيها المتعب جهداً نفسه ... يطلب الدنيا حريصاً جاهدا
لا لك الدنيا ولا أنتَ لها ... فاجعلِ الهمينِ هماً واحدا[٣]

* **وأما النوع الثاني من الحرص على المال: أن يزيد على ما سبق ذكره في النوع الأول،** حتى يطلب المال من الوجوه المحرّمة ويمنع الحقوق الواجبة، فهذا من الشحِّ المذموم، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦]. وفي سنن أبي داود: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «اتقوا الشحَّ فإنَّ الشحَّ أهلك من كان قبلكم؛ أمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا»[٤].

وقال طائفة من العلماء: الشُّحُّ: هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحِبَهُ على أن يأخذ الأشياء من غير حِلِّها، ويمنعها حقوقها[٥]، والبخل: هو إمساك الإنسان ما في يده. والشّحُّ تناول ما ليس له ظلماً وعُدْواناً من مال أو غيره. حتى قيل: إنه رأس المعاصي كلِّها، وبهذا فسَّرَ ابن مسعود رضي الله عنه وغيره من السلف الشحَّ والبخل[٦]، وقد يستعمل الشُّح بمعنى البخل وبالعكس، ولكنَّ الأصل هو التفريق بينهما على ما ذكرناه، ومتى وصل الحرص على المال إلى هذه الدرجة نقص بذلك الدين والإيمان نقصاً بيِّناً، فإن منع الواجبات وتناول المحرمات ينقص بهما الدين والإيمان بلا ريب حتى لا يبقى منه إلا القليل[٧].

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٢٧.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) ما ذئبان جائعان لابن رجب، ص ٢٩.
(٤) سنن أبي داود (٢/ ٣٢٤)، رقم ١٦٩٨، صححه الألباني.
(٥) ما ذئبان جائعان ص ٣١.
(٦) المصدر السابق نفسه.
(٧) المصدر السابق نفسه.

وأما حرص المرء على الشرف فهو أشد إهلاكاً من الحرص على المال، فإن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها، والرياسة على الناس، والعُلُوِّ في الأرض، أضرُّ على العبد من طلب المال، وضرره أعظم، والزهد فيه أصعب، فإن المال يبذل في طلب الرياسة والشرف.

والحرص على الشرف. قسمين:

أحدهما: طلب الشرف بالولاية والسلطان والمال، وهذا خطر جِدَّاً، وهو في الغالب، يمنع خير الآخرة وشرفها وكرامتها وعزَّها، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣]، وقلَّ من يحرص على رياسة الدنيا بطلب الولايات فيُوفَّقُ، بل يُوكَلُ إلى نفسه، كما قال ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه: «يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وُكِلت إليها، وإن أُعطيتها من غير مسألة أُعنت عليها»[(١)]. واعلم أنَّ الحرص على الشرف يستلزم ضرراً عظيماً قبل وقوعه: في السّعي في أسبابه، وبعد وقوعه: بالحرص العظيم الذي يقع فيه صاحب الولاية من الظُّلم والتكبر، وغير ذلك من المفاسد[(٢)].

وأما القسم الثاني: طلب الشرف والعلوِّ على الناس بالأمور الدينية كالعلم والعمل والزهد، فهذا أفحش من الأول، وأقبح فساداً وخطراً، فإن العلم والعمل والزهد إنما يطلب به ما عند الله من الدرجات العُلى والنعيم المقيم، والقُرب منه، والزُّلفى لديه[(٣)].

*** علاج مرض الحرص:**

وأما طريقة العلاج من الحرص المذموم، فيكون بالزهد، وفيه أسباب عديدة؛ منها:

ـ نظر العبد إلى سوء عاقبة الشرف في الدنيا بالولاية والإمارة لمن لا يؤدي حقها في الآخرة.

ـ نظر العبد إلى عقوبة الظالمين والمتكبرين، ومن ينازع الله رداء الكبرياء.

ـ نظر العبد إلى ثواب المتواضعين لله في الدنيا بالرفعة في الآخرة، فإن من تواضع لله رفعه الله.

ـ وليس هو في قدرة العبد، ولكنه من فضل الله ورحمته ما يعوِّض الله عباده العارفين به الزاهدين فيما يغني المال والشرف، مما يعجِّلُهُ الله لهم في الدنيا من شرف التقوى وهيبة الخلق لهم في الظاهر، ومن حلاوة المعرفة والإيمان والطاعة في الباطن، وهي الحياة الطيبة التي وعدها الله لمن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، وهذه الحياة الطيبة لم يذقها الملوك في

---

(١) البخاري، رقم ٦٦٢٢.

(٢) ما ذئبان جائعان، ص ٣٥، ٤٣.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٤٧.

الدُّنيا ولا أهل الرياسات، والحرص على الشرف كما قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف. ومن رزقه الله ذلك اشتغل به عن طلب الشرف الزائل، والرياسة الفانية[١]، قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]. فالحسن بن علي رضي الله عنهما يحذرنا من الحرص المذموم، ولذلك قال: الحرص عدو النفس وبه أخرج آدم من الجنة[٢].

ج ـ الحسد: قال الحسن: والحسد رائد السوء، ومنه قَتَلَ قابيل هابيل:

الحسد نقيض الحب الذي هو تمني الخير للآخرين، فهو تمني زوال النعمة عن المحسود، وهو مرض مهلك مذموم وقبيح، أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بالاستعاذة من شر الحاسد، كما أمره بالاستعاذة من شر الشيطان، فقال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]، وقد قال ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تقاطعوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً»[٣].

وقال أنس: كنا يوماً جلوساً عند رسول الله ﷺ فقال: «يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة» قال: فطلع علينا رجل من الأنصار ينفض لحيته من وضوئه، قد علّق نعليه في يده الشمال، فسلم، فلما كان الغد قال ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل، وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له: إني لاحيت أبي، فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تأويني إليك حتى تمضي الثلاث فعلت، فقال: نعم، فبات عنده ثلاث ليال، فلم يره يقوم من الليل شيئاً، غير أنه إذا انقلب عن فراشه ذكر الله تعالى، ولم يقم إلا لصلاة الفجر، قال: غير أني ما سمعته يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث، وكدت أن أحتقر عمله، فقلت: يا عبد الله! لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هَجْر، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا، فأردت أن أعرف عملك، فلم أرك تعمل عملاً كثيراً، فما الذي بلغ بك ذاك؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت، فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد على أحد من المسلمين في نفسي غشاً ولا حسداً على خير أعطاه الله إياه. قال عبد الله: فقلت له: هي التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق[٤].

والحسد له أسباب كثيرة؛ منها: العداوة والبغضاء والعجب وحب الرياسة، وخبث النفس وبخلها، وغيرها من أمراض القلب الأخرى، فالحسد جامع الآفات والأمراض، وهو من أشدها مذهباً للدين والإيمان والحب والإخاء، وهو مفسدة وأي مفسدة، ويكثر الحسد بين أقوام تكثر

---

(١) ما ذئبان جائعان، ص ٧٥، ٧٦.
(٢) علموا أولادكم حب آل بيت النبي ﷺ، ص ١٣١.
(٣) البخاري، رقم ٦٠٦٥.
(٤) مسند أحمد (٣/ ١٦٦)، إسناده صحيح.

بينهم الأسباب التي ذكرناها، ويقع ذلك غالباً بين الأقران، والأمثال والإخوة وبني العم، وأصحاب المهن والأعمال، وبين العلماء والتجار، لأن سبب التحاسد توارد الأغراض على مقاصد يحصل فيها فيثور التنافر والتباغض، فأصل الحسد التزاحم على غرض واحد، ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا، والدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين[(١)].

*** علاج مرض الحسد:**

هناك عدة أدوية تقي وتعالج من مرض الحسد منها:

ـ العلم بأن مرض الحسد ضرر على الحاسد في الدين والدنيا، وأنه لا يضر المحسود في الدين ولا في الدنيا، وأن النعمة لا تزول عن المحسود بحسد الحاسد، فماذا يستفيد الحاسد من حسده إلا البغض والألم والحسرة والانفعال وذهاب الدين والدنيا؟! فكيف يريد الحاسد زوال نعمة أنعمها الله عز وجل على المحسود؟! فالله أحب أن ينعم على عبده، والحاسد يحب زوالها؛ فقد أحب ما كره الله، وكره ما أحب الله، وهذا داء مزيل للإيمان، لأن صاحبه لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير.

ـ التذكر الدائم لمساوئ هذا المرض في الدين والدنيا، وبغض الله عز وجل له وكراهية النبي ﷺ له، والنتيجة التي ينالها الحاسد في الدنيا والآخرة، كل ذلك يساعد على فهم حقيقة الحسد، والوقاية منه والبعد عنه وطلب العلاج.

ـ العبرة من الآيات والأحاديث والقصص وواقع الحاسدين، ونتائج حسدهم، كل ذلك يساعد على الوقاية والعلاج من هذا المرض الخطير.

ـ محاسبة النفس ومعاتبتها عند كل فكرة حسد تعرض عليه، ومحاولته كف نفسه عن المحسود، بل الثناء عليه، والدعاء له بالحفظ والزيادة، ولا مانع من أن يتمنى لنفسه مثل ذلك دون حسد الآخرين.

ـ الرضا بعطاء الله ومنحه، والقناعة بذلك، والإيمان بأن الرزق والعطاء والفضل من الله يؤتيه من يشاء وكيفما يشاء، ولا أحد يستطيع أن يزيل نعمة أنعمها الله على عبد من عباده، وأنه لا ينال عطاء الله إلا بفضل الله وإرادته، ولا يملك العبد إلا الرضا والدعاء والالتجاء، فلِمَ لا يقف العبد على الباب الذي يجلب الخير؟ ولِمَ يبتعد عن المرض الذي يجلب الشر؟[(٢)] فالحسن بن علي رضي الله عنه يحذرنا من الحسد ولذلك قال: والحسد رائد السوء، ومنه قتل قابيل هابيل[(٣)]، عندما حسد أخاه على تقبل الله منه، ولم يتقبل منه هو.

---

(١) منهج الإسلام في تزكية النفس، ص ٣٤٠.

(٢) منهج الإسلام في تزكية النفس، ص ٢٤١.

(٣) علموا أولادكم محبة آل بيت النبي ﷺ، ص٣١.

٢ ـ مقام الرضا بين الحسن وأبي ذر: قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّدُ: قيل للحسن بن عليٍّ: إن أبا ذرٍّ يقول: الفقر أحبُّ إليَّ من الغنى، والسّقم أحبُّ إليَّ من الصحة، فقال: رحم الله أبا ذرٍّ، أما أنا فأقول: من اتّكل على حسن اختيار الله له لم يتمنَّ أن يكون في غير الحالة التي اختارها الله له، وهذا حد الوقوف على الرِّضا بما تصرَّف به القضاء(١).

إن الحسن بن علي رضي الله عنه في حديثه هذا يصف لنا شيئاً من أعمال القلوب، وهذا دليل على معرفته بهذا العمل العزيز، فالرضا من أعمال القلوب، نظير الجهاد من أعمال الجوارح، فإنَّ كل واحد منهما ذروة سنام الإيمان(٢).

فالرضا ثمرة من ثمار المحبة ـ لله عز وجل ـ، وهو أعلى مقامات المقرّبين، وحقيقته غامضة على الأكثرين. وهو باب الله الأعظم، ومستراح العارفين، وجنة الدنيا، فجدير بمن نصح نفسه أن تشتد رغبته فيه، وأن لا يستبدل بغيره منه. ورضا الله على العبد أكبر من الجنة وما فيها، لأن الرضا صفة الله، والجنة خلقه، قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]، بعد قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]. وهذا الرضا جزاء من رضاهم عنه في الدنيا، ولما كان هذا الجزاء أفضل الجزاء، كان سببُه أفضل الأعمال، والسخط باب الهمِّ والغمِّ وشتات القلب، وكَسْف البال، وسُوء الحال، والظنِّ بالله خلاف ما هو أهله، والرضا يخلّصه من ذلك كلّه، ويفتح له باب جنة الدنيا قبل جنة الآخرة، فالرضا يوجب له الطمأنينة وبَرد القلب وسكونه وقراره، والسُّخط يُوجب اضطراب قلبه، وريبته وانزعاجه، وعدم قراره، والسُّخط يوجب تلون العبد، وعدم ثباته مع الله، فإنه لا يرضى إلاَّ بما يلائم طبعه ونفسه، والمقادير تجري دائماً بما يلائمه وما لا يلائمه، وكلّما جرى عليها منه ما لا يلائمه أسخطه، فلا تثبت له قدم على العبودية، فإذا رضي عن ربه في جميع الحالات استقرت قدمه في مقام العبودية، فلا يُزيل التلوُّن عن العبد شيء مثل الرضا.

والرضا يفرِّغ القلب لله، والسُّخط يُفرِّغ القلب من الله، فإنّ من ملأ قلبه من الرضا، ملأ الله صدره غنىً وأمناً وقناعة، وفرّغ قلبه لمحبّته والإنابة إليه والتوكل عليه، ومن فاته حظُّه من الرضا امتلأ قلبه بضدّ ذلك واشتغل عمّا فيه سعادته وفلاحه، وبداية الرضا مكتسبة للعبد وهي من جملة المقامات، ونهايته من جملة الأحوال وليست مكتسبة، فأوَّله مقام، ونهايته حال، وقد مدح الله أهله وأثنى عليهم وندبهم إليه، فدلّ ذلك على أنّه مقدور لهم.

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ١٩٩).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٢١٤).

وقد قال رسول الله ﷺ : «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً»[١]، وقال رسول الله ﷺ : «من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله رباً، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً. غفر الله له ما تقدم من ذنوبه»[٢].

قال ابن القيم: وهذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدين، وإليهما ينتهي. وقد تضمّنا الرضا بربوبيته سبحانه وألوهيته، والرضا برسوله، والانقياد له، والرضا بدينه، والتسليم له. ومن اجتمعت له هذه الأربعة، فهو الصديق حقّاً، وهي سهلة بالدعوى واللسان، وهي من أصعب الأمور عند الحقيقة والامتحان، ولاسيما إذا جاء ما يخالف هوى النفس ومرادها، من ذلك تبيّن أن الرضا كان لسانه به ناطقاً، فهو على لسانه لا على حاله.

ـ **فالرضا بإلٰهيته**: يضمن الرضا بمحبته وحده، وخوفه، ورجائه، والإنابة إليه، والتبتُّل إليه، وانجذاب قوى الإرادة والحبّ كلها إليه، فعل الراضي بمحبوبه كلّ الرضا، وذلك يتضمّن عبادته والإخلاص له.

ـ **والرضا بربوبيّته**: يتضمّن الرضا بتدبيره لعبده، ويتضمّن إفراده بالتوكل عليه، والاستعانة به، والثقة به، والاعتماد عليه، وأن يكون راضياً بكل ما يفعل به، فالأول: يتضمن رضاه بما يؤمر به، والثاني: يتضمّن رضاه بما يُقدَّر عليه.

ـ **وأما الرضا بنبيّه رسولاً**: فيتضمن كمال الانقياد له، والتسليم المطلق إليه؛ بحيث يكون أولى به من نفسه، وأن يكون متميزاً بمكانته عن غيره من البشر فلا يشاركه أحدٌ مكانته ولا خصوصيته، فلا يتلقّى الهدى إلا من مواقع كلماته، ولا يحاكم إلا إليه، ولا يحكّم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره البتة، ولا في شيء من أسماء الربّ وصفاته وأفعاله، ولا في شيء من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته، ولا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه، ولا يرضى في ذلك بحكم غيره، ولا يرضى إلا بحكمه، فإن عجز عنه كان تحكيمه غيرَه من باب غذاء المضطر إذا لم يجد ما يعينُهُ إلا من الميتة والدم، وأحسن أحواله: أن يكون من باب التراب، الذي إنما يُتيمَّم به عند العجز عن استعمال الماء الطهور.

وأما الرضا بدينه: فإذا قال، أو حكم، أو أمر، أو نهى: رضي كل الرضا، ولم يبق في قلبه حرج من حكمه، وسَلَّم له تسليماً، ولو كان مخالفاً لمراد نفسه أو هواها أو قوْل مُقلِّده وشيخه وطائفته[٣]..

---

(١) مسلم، رقم ٤٣ (١/ ٦٢).

(٢) مسلم، رقم ٣٨٦ (١/ ٢٩٠).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ١٧٢ ـ ١٧٣)؛ صلاح الأمة في علو الهمّة (٤/ ٤٩١ ، ٤٩٢).

وقال: . . فإن الرضا آخر التوكّل، فمن رسخ قدمه في التوكل والتسليم والتفويض حصل له الرضا ولابدّ، ولكن لعزَّته وعدم إجابة أكثر النفوس له، وصعوبته عليها ـ لم يُوجبه الله على خلقه، رحمة بهم، وتخفيفاً عنهم، لكن ندبهم إليه، وأثنى على أهله، وأخبر أن ثوابه رضاه عنهم، الذي هو أعظم وأكبر وأجل من الجنان وما فيها، فمن رضي عن ربِّه رضي الله عنه، بل رضا العبد عن الله من نتائج رضا الله عنه، فهو محفوف بنوعين من رضاه عن عبده: رضا قلبه، أوجب له أن يرضى عنه، ورضاً بعده وهو ثمرة رضاه عنه، ولذلك كان الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العارفين، وحياة المحبّين، ونعيم العابدين، وقُرّة عيون المشتاقين.

ـ كيف تحقق الرضا؟:

إن من أعظم أسباب حصول الرضا: أن يلزم ما جعل الله رضاه فيه، فإنه يوصله إلى مقام الرضا ولابد. قيل ليحيى بن معاذ: متى يبلغ العبد مقام الرضا؟ فقال: إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يُعامل به ربَّه، فيقول: إن أعطيتني قبلت، وإن منعتني رضيت، وإن تركتني عبدت، وإن دعوتني أجبت.

وقال الجنيد: الرضا هو صحة العلم الواصل إلى القلب، فإذا باشر القلب حقيقة العلم، أدّاه إلى الرضا، وليس «الرضا والمحبة» كالرجاء والخوف، فإنّ الرضا والمحبة حالان من أحوال أهل الجنة، لا يفارقان المتلبِّس بهما في الدنيا، ولا في البرزخ، ولا في الآخرة، بخلاف الخوف والرجاء، فإنهما يفارقان أهل الجنة بحصول ما كانوا يرجونه، وأمْنهم مما كانوا يخافونه، وإن كان رجاؤهم لما ينالون من كرامته دائماً، لكنّه ليس رجاءً مشوباً بشكٍّ، بل هو رجاء واثق بوعد صادق، من حبيب قادر، فهذا لون ورجاؤهم في الدنيا لون. وقال ابن عطاء: الرضا سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد أنَّه اختار له الأفضل، فيرضى به[(١)].

وقال بعض العارفين: من يتوكل على الله، ويرضى بقدر الله، فقد أقام الإيمان، وفرغ يديه ورجليه لكسب الخير، وأقام الأخلاق الصالحة التي تُصلح للعبد أمره، والرضا يفتح باب حُسن الخلق مع الله تعالى ومع الناس، فإن حسن الخلق من الرضا، وسوء الخلق من السخط، وحسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم، وسوء الخلق يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، والرضا يُثمر سرور القلب بالمقدور في جميع الأمور، وطيب النفس وسكونها في كل حال. . ولهذا سمَّى بعض العارفين الرضا: حسن الخلق مع الله، فإنه يوجب ترك الاعتراض عليه في ملكه، وحذف فضول الكلام التي تقدح في حسن خُلقه[(٢)].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٧٤ ـ ١٧٥).
(٢) صلاح الأمة (٤/ ٥١٢)، نقلاً عن مدارج السالكين.

قال الشاعر:

العبد ذو ضجر والرب ذو قدر والدهر ذو دول والرزق مقسوم
والخير أجمع في ما اختار خالقنا وفي اختيار سواه اللَّوْمُ والشُّومُ

وقال الشاعر:

إذا ارتحل الكرام إليك يوماً ليلتمسوك حالاً بعد حال
فإنَّ رحالنا حطت لترضى بحلمك عن حلول وارتحال
أنخنا في فنائك يا إلٰهي إليك مُعَرَّضين بلا اعتلال
فسُسْنَا كيف شئت ولا تكلنا إلى تدبيرنا يا ذا المعالي[1]

فهذه بعض المعاني في مقام الرضا توضح قول أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنهما عندما قال: من اتكل على حسن اختيار الله له، لم يتمنَّ أن يكون في غير الحالة التي اختار الله له، وهذا حد الوقوف على الرضا بما تصرَّف به القضاء[2].

٣ ـ قال أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنهما: إني أخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيني، وكان عظيم ما عظَّمه في عيني صِغرُ الدنيا في عينه، كان خارجاً عن سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد، وكان خارجاً من سلطان فرجه، فلا يستخف له عقله ولا رأيه، وكان خارجاً من سلطان الجهلة، فلا يمد يداً إلا على ثقة المنفعة، كان لا يسخط ولا يتبرم، كان إذا جامع العلماء يكون على أن يسمع أحرص منه على أن يتكلم، وكان إذا غُلِب على الكلام لم يُغلَب على الصمت، كان أكثر دهره صامتاً، فإذا قال بذَّ القائلين، كان لا يشارك في دعوى، ولا يدخل في مراء، ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضياً يقول ما لا يفعل، ويفعل ما لا يقول تفضلاً وتكرماً، كان لا يغفل عن إخوانه، ولا يستخصّ بشيء دونهم، كان لا يلوم أحداً فيما يقع العُذر بمثله، كان إذا ابتدأه أمران لا يَرى أيهما أقرب إلى الحقِّ، نظر فيما هو أقرب إلى هواه فخالفه[3].

ففي هذا الأثر ترشيد وتوضيح وتعليم للناس نحو صفات كريمة وأخلاق حميدة، وهذا منهج سلوكي رفيع ينبغي أن نربي عليه أنفسنا وأبناءنا حتى يتحول إلى واقع ملموس في الحياة. ونستفيد من ذلك الأثر دروساً وعبراً منها:

أ ـ قول الحسن رضي الله عنه: وكان عظيم ما عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه[4]: ولا تصغر الدنيا إلا في عين من عرف حقائق الأمور، واستقر عنده التصور الصحيح عن الله والحياة والكون

---

(١) صلاح الأمة في علو الهمّة (٤/ ٥٢٩).
(٢) البداية والنهاية (١١/ ١٩٩).
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) المصدر السابق نفسه.

والجنة والنار، والقضاء والقدر، واستوعب بعمق فقه القدوم على الله تعالى فعمل للباقي وترفع عن الفاني، وأيقن أن الدنيا دار اختبار وابتلاء، وعليه فإنها مزرعة للآخرة، ولذلك تحرّر من سيطرة الدنيا بزخارفها، وزينتها، وبريقها، وخضع وانقاد وأسلم نفسه لربه ظاهراً وباطناً، وكان وصل إلى حقائق استقرت في قلبه ساعدته على الزهد في هذه الدنيا. ومن هذه الحقائق:

* اليقين التام بأننا في هذه الدنيا أشبه بالغرباء أو عابري سبيل، كما قال النبي ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل»(١).

* إن هذه الدنيا لا وزن لها ولا قيمة عند رب العزة، إلا ما كان منها طاعة لله تبارك وتعالى، إذ يقول النبي ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»(٢)، وقال ﷺ: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، أو عالماً أو متعلماً»(٣).

* إن عمرها قد قارب على الانتهاء، إذ يقول ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» بالسبّابة والوسطى(٤). وتبدأ قيامة الإنسان بموته، والعمر قصير، فإذا استثنينا منه فترة الطفولة والنوم والكدر فكم يصفى لنا منه.

* إن الآخرة هي الباقية، وهي دار القرار، كما قال مؤمن آل فرعون: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ۝٣٩ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [غافر: ٣٩ ـ ٤٠]، فإذا استقرت هذه الحقائق في قلب الأخ المسلم تصغر الدنيا في عينه.

ب ـ قول الحسن رضي الله عنه: كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد(٥)، ففي هذا التوجيه دعوة إلى ترك فضول الطعام، لأنه داع إلى أنواع كثيرة من الشر، فإنه يحرك الجوارح إلى المعاصي، ويثقلها عن الطاعات؛ وحسبك بهذين شراً، فكم من معصية جلبها الشبع وفضول الطعام، وكم من طاعة حال دونها، فمن وُقي شر بطنه فقد وقي شراً عظيماً، والشيطان أعظم ما يتحكم من الإنسان إذا ملأ بطنه من الطعام(٦)، ولذلك حذرنا ربنا سبحانه من اتباع وساوسه ومكائده التي تؤدي إلى طغيان شهوة البطن وعدم الاكتفاء بالحلال، فقال تعالى: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾** [البقرة: ١٦٨].

---

(١) الترمذي، كتاب الزهد، رقم ٢٣٣٣، وهو حديث صحيح.
(٢) الترمذي، كتاب الزهد، رقم ٢٣٢٠.
(٣) المصدر السابق نفسه، رقم ٢٣٢٢، وقال: حسن غريب.
(٤) مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ١٣٢ ـ ١٣٥.
(٥) البداية والنهاية (١١/ ١٩٩).
(٦) جهاد النفس، علي الدهامي، ص ٩٣.

كما أرشد سبحانه إلى الاعتدال في الطعام والشراب لئلا يؤدي ذلك إلى تسلط شهوة البطن وانحرافها، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. فالأمور التي تدل على تسلط شهوة البطن: أن يُكثر صاحبها من الطعام والشراب فوق الحاجة، ويبالغ في الشبع ويفرط فيه، وقد أشار النبي ﷺ إلى أخطار هذا الإسراف وضرره على الجسد والنفس، وذلك فيما رواه الترمذي عن مقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»(١).

وفي هذا الحديث النبوي بيان للمنهج السوي الذي ينبغي التمسك به في الإقلال من الطعام والشراب، وعدم الإسراف في شهوة البطن؛ لأن هذا الإسراف يؤدي إلى الشر الكبير، وليس المقصود بالشر هنا ما يتعلق بأمراض المعدة فحسب، وإنما المقصود أيضاً الشر الذي يصيب النفس حينما تعتاد الشرهَ في الطعام والشراب، وشدة التعلق بهما، فيتحول الطعام من وسيلة للغذاء وتقوية البدن إلى غاية وهدف يسعى صاحبه من أجله، ويصبح ذلك السعي شغله الشاغل حتى تصبح همته مصروفة إليه، فمهما شبعت بطنه لا تشبع نفسه، لأن شهوة البطن أضحت عنده مقياس السعادة(٢)، فطغيان شهوة البطن لا يعني كثرة الأكل فحسب؛ لأن كثرة الأكل عرض ظاهري لهذا المرض، وإنما حقيقة المرض في شَرَه النفس وماديّتها وتحول الطعام من وسيلة إلى غاية حتى يصبح الإنسان كالبهائم التي تسيِّرها شهواتها، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

وقد روى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «الكافر يأكل في سبعة أمعاء، والمؤمن يأكل في معى واحد»(٣).

ومعنى هذا الحديث: أن من شأن المؤمنين التقليل من الأكل للاشتغال بأسباب العبادة، والكافر بخلاف ذلك كله؛ لأنه تابع لشهوة نفسه مسترسل فيها غير خائف من تبعات الحرام، وإن أكل قليلاً فليس ذلك لزهده في الدنيا، وإنما لمراعاة الصحة ورياضة الجسم، فهو لشدة حرصه على الدنيا وتمسكه بها كأنه يأكل في سبعة أمعاء، كما تقول: فلان يأكل الدنيا أكلاً، وأما المؤمن فإنه يأكل في معى واحد، فالرسول ﷺ يضرب المثل في هذا الحديث للمؤمن وزهده في الدنيا وللكافر وحرصه عليها(٤).

---

(١) الترمذي، كتاب الزهد، رقم ٣٨٠، حديث حسن صحيح.
(٢) أمراض النفس، د. أنس كرزون، ص ١٠٩.
(٣) مسلم، رقم ٢٠٦٠.
(٤) فتح الباري شرح البخاري (٩/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩).

وقد ذكر النووي ـ رحمه الله ـ توجيهاً آخر لهذا الحديث فقال: قيل: المراد بالسبعة سبع صفات: الحرص، والشره، وطول الأمل، والطمع، وسوء الطبع، والحسد، والسمن[١].

وقد قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: والمفسد له من ذلك نوعان: **أحدهما**: ما يفسده لعينه وذاته كالمحرمات، **والثاني**: ما يفسده بقدرِهِ وتعدي حده؛ كالإسراف في الحلال والشبع المفرط، فإنه يثقله عن الطاعات، ويشغله بمزاولة مؤنة البطنة ومحاولتها حتى يظفر بها، فإذا ظفر بها شغله بمزاولة تصرفها ووقاية ضررها، والتأذي بثقلها، وقوى عليه مواد الشهوة، وطرق مجاري الشيطان ووسعها، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فالصوم يضيق مجاريه ويسد عليه طرقه، والشبع يطرقها ويوسعها، ومن أكل كثيراً شرب كثيراً فنام كثيراً فخسر كثيراً[٢].

ج ـ قول الحسن رضي الله عنه: وكان خارجاً من سلطان فرجه، فلا يستخف له عقله ولا رأيه[٣]، فالحسن رضي الله عنه يدعو إلى التحكم في شهوة الفرج، ولا يكون إشباعاً إلا بما شرَع المولى عز وجل، لأن طغيانها يترتب عليه نتائج خطيرة، كقسوة القلب وضعف الإيمان، فكلما تمادت شهوة الفرج في الطغيان ازداد القلب قسوة وظلمة ووحشة، ابتداء من النظر إلى ما حرم الله، ثم الاختلاط بين الجنسين وما يتبعه من ترَجُّل النساء وتخنث الرجال، وما ينتج عنه من تهوين أمر الفاحشة والتمهيد لها حتى يقع فيها، وعندها يتمكن المرض من القلب، وتبتعد عنه حقيقة الإيمان، ومصداق ذلك قول رسول الله ﷺ: «لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»[٤]. قال البخاري ـ رحمه الله ـ عند روايته لهذا الحديث: أي لا يكون هذا مؤمناً تاماً، ولا يكون له نور الإيمان.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا زنى العبد خرج منه الإيمان، فكان فوق رأسه كالظُّلة، فإذا أخرج من ذلك العمل رجع إليه الإيمان»[٥]. فأصحاب الكبائر ينزع منهم نـور الإيمان، ويضعف تعظيم الرب سبحانه من قلوبهم، إذ لو استشعر من أتى الكبائر مثل الزنى أو السرقة أو شرب الخمر وغير ذلك، فلا بد أن يذهب ما في قلبه من تلك الخشية والخشوع والنور، وإن بقي أصل التصديق في قلبه، وهذا من الإيمان الذي ينزع منه عند فعل الكبيرة[٦].

ومن نتائج طغيان شهوة الفرج: كثرة الوقوع في المعاصي، فالمعصية ولو كانت صغيرة تمهِّد

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤ / ٢٣).
(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩).
(٣) البداية والنهاية (١١/ ١٩٩).
(٤) البخاري، كتاب الحدود (٨/ ١٣)؛ مسلم، رقم ٥٧.
(٥) صححه الحاكم في المستدرك (١/ ٢٢) ووافقه الذهبي.
(٦) كتاب الإيمان، لابن تيمية، ص ٢٩.

الطريق لأختها حتى تتابع المعاصي، ويهون أمرها، ولا يدرك صاحبها خطرها، فالنظرة تؤدي إلى الفكرة، ثم يتولد الخاطر في القلب وتتحرك الشهوة، وقد يؤدي ذلك إلى العزم على اقتراف الفاحشة، فإن تيسرت أسبابها وقع فيها، ولهذا كانت النظرة مقدمة من مقدمات الزنى، وباباً من الأبواب الموصلة إليه.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنى، مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخُطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه»[١]، وهكذا تتدرج المعاصي في تسربها إلى قلب العبد وتأثيرها عليه، حتى لا يبالي بها ولا يقدر على مفارقتها ويطلب ما هو أكثر منها[٢].

وفي ذلك يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: إن المعاصي تزرع أمثالها، ويولد بعضها بعضاً حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج منها.. حتى تصير هيئات راسخة وصفات لازمة وملكات ثابتة، ولو عطل المجرم المعصية وأقبل على الطاعة لضاقت عليه نفسه، وضاق صدره حتى يعاودها، حتى إن كثيراً من الفسَّاق ليواقع المعصية من غير لذة يجدها، ولا داعية إليها إلا لما يجده من الألم بمفارقتها[٣].

ومن نتائج طغيان شهوة الفرج: ذهاب الحياء، فإذا اعتاد العبد على مقارفة الآثام نتيجة لطغيان شهوته، سيصل إلى حال لا يبالي فيه باطلاع الناس على أفعاله القبيحة، بل إن كثيراً من هؤلاء يخبرون الناس بما يفعلونه ويتباهون به؛ لأنهم انسلخوا من الحياء[٤].

وهكذا نجد أن التهاون في وقاية شهوة الفرج من الانحراف ولو كان يسيراً، سيؤدي شيئاً فشيئاً إلى ما هو أخطر، وحتى لا يقع المرء فريسة طغيان الشهوة التي يصعب التخلص من شرورها، وتؤدي في النهاية إلى طمس قلب صاحبها وانسلاخه من الأخلاق الفاضلة، بالإضافة إلى ما يصيبه من الأمراض النفسية والجسدية[٥]، فقد شرع الإسلام تدابير وقائية تقي من طغيان شهوة الفرج؛ منها:

*** غض البصر وستر العورة:**

لأن الطريق الذي تنفذ منه سهام الشهوة إلى القلب هو البصر، ولذلك أمر الله عباده بغضِّ

---

(١) مسلم، رقم ٢٦٥٧.
(٢) أمراض النفس، ص ١٢١.
(٣) الجواب الكافي، ص ٥٩ ـ ٦٠.
(٤) أمراض النفس، ص ١٢٢.
(٥) المصدر السابق نفسه، ص ١٢٣.

البصر عمّا حرّم عليهم، وستر عوراتهم عمن لا يحل لهم، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]، وقال رسول الله ﷺ: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد»[١].

يقول ابن القيم ـ رحمه الله: قد جعل الله سبحانه العين مرآة القلب، فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق بصره أطلق شهوته[٢]. ويقول أيضاً: النظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرميّة، فإن لم تقتله جرحته، وهي بمنزلة الشرارة من النار تُرمى في الحشيش اليابس، فإن لم تُحرقه كلَّه أحرقت بعضه، وقد قيل:

كل الحوادث مبداها من النظر ... ومعظم النار من مُستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها ... فتك السهام بلا قوس ولا وَتر
والمرء ما دام ذا عين يُقلِّبها ... في أعين الغيد موقوف على الخطر
يَسُرُّ مقلته ما ضرّ مهجته ... لا مرحباً بسرور عاد بالضرر[٣]

*** تحريم الاختلاط والأمر بحجاب النساء:**

وقد ورد في بيان ذلك آيات قرآنية وأحاديث نبوية عديدة، ومنها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ١٥٣].

وروى البخاري ومسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والدخول على النساء». فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت»[٤]. والحمو: أخو الزوج، وما أشبهه من أقارب الزوج كابن الأخ والعم وابنه ونحوهم ممن ليس بمحرم، وقوله ﷺ: الحمو الموت. معناه: أن الخوف منه أكثر من غيره لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة من غير أن ينكر عليه بخلاف الأجنبي[٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يخلونَّ رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم»[٦]. كما ورد التشديد والوعيد في أحاديث عديدة من

---

(١) مسلم، رقم ٣٣٨.
(٢) روضة المحبين، ص ١٠٩.
(٣) المرجع السابق نفسه، ص ١١٤.
(٤) مسلم، رقم ٢١٧٢.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٥٣).
(٦) مسلم، رقم ١٣٤١.

تشبه الرجال بالنساء، وتشبه النساء بالرجال في اللبس والحركة، لما في ذلك من إثارة الشهوات وانحرافها، روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»(١).

***ـ الترغيب في الصيام لتسكين الشهوة:**

إذا لم يتيسر الزواج ولم يجد المرء المقدرة عليه لسبب من الأسباب؛ فعليه أن يقي نفسه من تسلط الشهوة، وذلك بالمبادرة إلى الصيام لما فيه من تسكين الشهوة وتخفيف وطأتها، وقد ورد في الإرشاد إلى ذلك الحديث الذي رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»(٢)، أي: أن الصوم يقطع الشهوة، ويُلحق بذلك التقليل من الأغذية المحركة للشهوة لكي يكسر من حدتها ويضعف تأثيرها، فإذا لم يحرص المرء على هذه التدابير الوقائية ولم يلتزم بها، فإن سهام الشهوة وسمومها لا بد أن تنفذ إلى القلب ما دام على أهبة الاستعداد لقبول هذا الانحراف، وعندها سيتمادى في مرضه، وتتمادى الشهوة في طغيانها يوماً بعد يوم حتى يقع صاحبه في حمأة الرذيلة(٣)، فقول الحسن بن علي رضي الله عنهما: كان خارجاً من سلطان فرجه، فلا يستخفُّ له عقله ولا رأيه(٤)، دعوة صريحة إلى كبح طغيان شهوة الفرج.

د ـ قول الحسن بن علي رضي الله عنهما: كان إذا جامع العلماء يكون على أن يسمع أحرص منه أن يتكلم(٥): وفي هذا احترام للعلماء وتقديرهم والاستفادة منهم، فتوقيرهم واحترامهم من السنة، يقول رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا، ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر، ويعرف لعالمنا حقه»(٦).

لقد كان سلف هذه الأمة يحترمون علماءهم احتراماً كبيراً، ويتأدبون معهم، ولقد أكثر أهل العلم من الكلام عن أسلوب التعامل مع العالم في مجلسه، وأسلوب الحديث معه مما هو مذكور بتوسع في كتب آداب العالم والمتعلم، ومن أجمع ما رُوي في ذلك ما قاله علي ابن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: إن من حق العالم ألاّ تكثر عليه السؤال، ولا تعنته في الجواب، وأن لا تُلِحَّ عليه

---

(١) البخاري، كتاب اللباس (٧/ ٥٥).
(٢) مسلم، رقم ٤٠٠.
(٣) أمراض النفس، ص ١٢٦.
(٤) البداية والنهاية (١١/ ١٩٩).
(٥) المصدر السابق نفسه.
(٦) سنن الترمذي، رقم ١٩٨٦؛ صححه ابن حبان، رقم ١٩١٣.

إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفشينّ له سراً، ولا تغتابن عنده أحداً، وإن زلَّ قبلت معذرته، وعليك أن توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله، ولا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته[١]. وقال: من حق العالم عليك إن أتيته: أن تسلِّم عليه خاصة، وعلى القوم عامة، وتجلس قدامه، ولا تشر بيديك، ولا تغمز بعينيك، ولا تقل: قال فلان خلاف قولك، ولا تأخذ بثوبه، ولا تلح عليه في السؤال؛ فإنه بمنزلة النخلة المرطبة لا يزال يسقط عليك منها شيء[٢].

وقال عبد الرحمن بن مهدي ـ رحمه الله ـ: كان الرجل من أهل العلم إذا لقي من هو فوقه في العلم فهو يوم غنيمة، سأله وتعلم منه، وإذا لقي من هو دونه في العلم علَّمه وتواضع له، وإذا لقي من هو قرينه في العلم ذاكره ودارسه[٣].

ولقد ضرب السلف الصالح أبلغ المثل في الحرص على الطلب، والسعي في الأخذ عن أهل العلم والاستماع إليهم، واحترامهم وتقديرهم؛ تشهد لذلك قصصهم التي ساقها الخطيب البغدادي وغيره في هذا المجال.

هـ ـ قول الحسن بن علي رضي الله عنهما: كان أكثر دهره صامتاً، فإذا قال بذَّ القائلين، كان لا يشارك في دعوى، ولا يدخل في مراء[٤]: فالحسن بن علي رضي الله عنهما يدعو إلى التقليل من الكلام، ومنابذة المراء، وفي الحديث: «إذا أصبح العبد فإن الأعضاء كُلها تُكفِّرُ اللسان، تقول: اتَّق الله فينا، فإنما نحن بك، فإذا استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»[٥].

وقد كان السلف يحاسب أحدهم نفسه في كلامه، لأن اللسان أيسر حركات الجوارح وهي أضرُّها على العبد، وكان الصديق رضي الله عنه يمسك بلسانه ويقول: هذا أوردني الموارد[٦]، والكلام أسيركَ، فإذا أخرج من فيك صرت أنت أسيره، والله عند لسان كل قائل: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وفي اللسان آفتان عظيمتان؛ إن خلص من إحداهما لم يخلص من الأخرى: آفة الكلام، وآفة السكوت، وقد يكون كل منهما أعظم إثماً من الأخرى في وقتها، فالساكت عن الحق شيطان أخرس، عاصٍ لله، مراء، مداهن؛ إذا لم يخف على نفسه، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق،

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٢٩).
(٢) المصدر السابق نفسه (١/ ١٤٦).
(٣) المحدث الفاصل للرامهرمزي، ص ٢٠٦؛ قواعد في التعامل مع العلماء، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص ٨٦.
(٤) البداية والنهاية (١١/ ١٩٩).
(٥) الترمذي، رقم ٢٤٠٧، حسنه الألباني في الصحيح الجامع (١/ ٥١٣٦).
(٦) جهاد النفس، ص ٧٦.

عاصٍ لله، وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته؛ فهم بين هذين النوعين، وأهل الوسط ـ وهم أهل الصراط المستقيم ـ كفُّوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة، فلا ترى أحدهم يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة، فضلاً عن أن تضره في آخرته، وإن العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها عليه كلَّها، ويأتي بسيئات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله وما اتَّصل به[١]، فليس الكلام مأموراً به على الإطلاق، ولا السكوت كذلك، بل لا بد من الكلام بالخير والسكوت عن الشر، وكان السلف كثيراً ما يمدحون الصمت عن الشر، وعما لا يعني لشدته على النفس، ولذلك يقع فيه الناس كثيراً، فكانوا يعالجون أنفسهم، ويجاهدونها على السكوت عما لا يعنيهم[٢].

قال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ: لا حج، ولا رباط، ولا جهاد أشد من حبس اللسان. وقال: سجن اللسان سجن المؤمن، ولو أصبحت يهمك لسانك، أصبحت في غم شديد[٣].

و ـ قول الحسن بن علي رضي الله عنهما: كان إذا ابتدأه أمران[٤] لا يرى أيهما أقرب إلى الحقِّ، نظر فيما هو أقرب إلى هواه فخالفه:

فالحسن رضي الله عنه، يحث على مخالفة الهوى، والهوى: ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع[٥]، ويعتبر الهوى من الأسباب التي لأجلها خالفت كثير من الأمم أنبياءها، فاستكبروا ولم يقبلوا الحق والهدى والنور الذي جاءتهم به أنبياؤهم، عليهم السلام. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ١٠]، كما أن الله تعالى أمر نبيه داود عليه السلام بمخالفة الهوى، قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

ويقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: ونفس الهوى ـ وهو الحب والبغض الذي في النفس ـ لا يلام عليه، فإن ذلك قد لا يملك، وإنما يلام على اتباعه[٦]، وقال في موضع آخر: ومجرد الحب والبغض هوى، لكن المحرم اتباع حبّه وبغضه بغير هدى من الله[٧].

إن العلاج الناجع والبلسم الشافي لمن ابتلي بشيء من الهوى، إلزام النفس بالكتاب والسنة،

(١) الداء والدواء لابن القيم، ص ٣٧٩.
(٢) جهاد النفس، ص ٧٧.
(٣) جامع العلوم والحكم.
(٤) البداية والنهاية (١١/ ١٩٩).
(٥) التعريفات للجرجاني، ص ٢٥٧.
(٦) الفتاوى (٢٨/ ١٣١).
(٧) المصدر السابق نفسه (٢٨/ ١٣٣).

واتباع منهج السلف الصالح، وتربية النفس باستمرار على التقوى والخشية من الله تعالى، واتهام النفس ومحاسبتها دائماً فيما يصدر منها، وعدم الاغترار بأهوائها وتزييناتها وخداعها، والإكثار من استشارة أهل العلم والإيمان واستجلاء آرائهم حول ما يريد أن يقوله ويفعله، وكذلك ترويض النفس على استنصاح الآخرين وتقبُّل الآراء الصحيحة الصائبة وإن كانت مخالفة لما في النفس، وتعويدها على التريث وعدم الاستعجال في إصدار الأحكام وإمضاء الأعمال، والحذر من ردود الأفعال التي قد يكون فيها إفراط وتفريط وغلو أو تقصير، وجهل وبغي وعدوان، وإكثار المرء من الدعاء والتضرع إلى الله تعالى بأن يجنبه اتباع الهوى ومضلات الفتن، ويسأله تعالى أن يوفقه لقول كلمة الحق في الغضب والرضا، ويكثر الدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ لأمته: «وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب»[(١)]. وقوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء»[(٢)].

٤ ـ **قال الحسن رضي الله عنه: يجوز أن يظن السوء بمن علم السوء منه، وبدت عليه أدلته، وليس ينبغي أن يظن به السوء بمجرد الظن، فإن الظن يكذب كثيراً**[(٣)]: ومفهوم هذه الحكمة الحسنية: أن المؤمن الكيس الفطن يجوز له ظن السوء بمن علم من أحواله، وتصرفاته، وسلوكه ومواقفه وأقواله ما يشير إلى السوء به، فإن الإنسان يظهر بعض ما في نفسه على صفحات وجهه وفلتات لسانه، وبعض مواقفه، وهذا الظن لا يبنى عليه عقاب أو جزاء على الشخص المشكوك فيه بطبيعة الحال، ولكن المقصد من قول الحسن رضي الله عنه الاحتراز والحذر والحيطة من أمثال هؤلاء، حتى لا يقع الإنسان المسلم في مصائب وويلات بسبب حسن الظن بأمثال هؤلاء، ومن عاشر الناس علم خطورة الثقة فيمن له سوابق من سوء الظن وقرائن تدل على ذلك، وأما مجرد ظن السوء بالمسلم بلا دلائل ولا قرائن قوية فلا ينبغي للمسلم، فقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]. قال بعض العلماء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾. هو: أن تظنَّ بأهل الخير سوءاً، فأمّا أهل السوء والفسوق فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر لنا[(٤)]، وقال رسول الله ﷺ: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث»[(٥)].

وعد ابن حجر سوء الظن بالمسلم من الكبائر الباطنة حيث قال: . . وذلك أنّ من حكم بشرٍّ على غيره بمجرد الظن حمله الشيطان على احتقاره، وعدم القيام بحقوقه، والتّواني في إكرامه،

(١) النسائي، كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر (٣/ ٥٥)، صححه الألباني.
(٢) سنن الترمذي وصححه الألباني، كما في صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٨٣).
(٣) الشهب اللامعة في السياسة النافعة للمالقي، ص ١٧٣.
(٤) الأخلاق بين الطبع والتطبع، ص ٢٤٣.
(٥) البخاري، رقم ٥١٤٣، مسلم، رقم ٢٥٦٣.

وإطالة اللسان في عرضه، وكل هذا مهلكات، وكل من رأيته يسيء الظَّنَّ بالناس، طالباً لإظهار معايبهم ـ فاعلم أنّ ذلك لخبث باطنه وسوء طويّته، فإن المؤمن يطلب المعاذير لسلامة باطنه، والمنافق يطلب العيوب لخُبث باطنه(١).

فهذه إطلالة موجزة على قول الحسن بن علي رضي الله عنه: يجوز أن يظن السوء بمن علم السوء منه، وبدت عليه أدلته، وليس ينبغي أن يظن به السوء بمجرد الظن، فإن الظن يكذب(٢) كثيراً.

٥ ـ قول الحسن بن علي رضي الله عنهما: والله ما تشاور قوم قط إلا هداهم الله لأفضل ما يحضرهم(٣): فالحسن رضي الله عنه يحث الناس ويوصيهم بضرورة التشاور فيما بينهم في جميع أمورهم، وقد مارس الرعيل الأول الشورى وتعلمها من هدي الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، وقد شاور الحسن أخاه الحسين وابن عمه عبد الله بن جعفر وغيرهم من قادة دولته في الصلح مع معاوية رضي الله عنهم كما سيأتي بيانه، وتعتبر الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، ومن لا يستشير أهل العلم والدين ـ من الأحكام ـ فعزله واجب، هذا ما لا خلاف فيـه(٤).

وقال الجصاص الحنفي ـ رحمه الله ـ في تفسيره بأحكام القرآن معقباً على قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]: وهذا يدل على جلالة موقع الشورى لذكرها مع الإيمان، وإقامة الصلاة، ويدل على أننا مأمورون بها(٥). قال الطاهر بن عاشور: مجموع كلام الجصاص يدل على أن مذهب أبي حنيفة وجوبها(٦).

وقال النووي ـ رحمه الله ـ: واختلف أصحابنا هل كانت الشورى واجبة على رسول الله ﷺ أم كانت سنة في حقه كما في حقنا؟ والصحيح عندهم وجوبها، وهو المختار، قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، والمختار الذي عليه جمهور الفقهاء ومحققو الأصول: أن الأمر للوجوب(٧).

وقال ابن تيمية رحمه الله: لا غنى لولي الأمر عن المشاورة؛ فإن الله تعالى أمر بها نبيه ﷺ، فقال

(١) الزواجر، ص ١١٤.
(٢) الشهب اللامعة في السياسة النافعة، ص ١٧٣.
(٣) تهذيب الرياسة، وترتيب السياسة للقلعي، ص ١٨٣.
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٣٧٩).
(٥) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٣٨٦).
(٦) التحرير والتنوير (٤/ ١٤٩).
(٧) شرح النووي على مسلم (٤/ ٧٦).

تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

إن الشورى من قواعد النظام الإسلامي التي تساهم في إقامة المجتمع المسلم، وقد شرع نظام الشورى لحكم بالغة ومقاصد عظيمة، ولما فيها من المصالح الكبيرة، والفوائد الجليلة التي تعود على الأمة والدولة والمجتمع بالخير والبركة ومن ذلك:

ـ الشورى نوع من الحوار المفتوح، ومن أحسن الأساليب لتوعية الرأي العام وتنويره، وتعزيز عوامل الحب والثقة بين الحاكم والمحكومين، والقائد والمقودين، والرئيس والمرؤوسين، وهو خير أسلوب في الحكم لعزل الشكوك، ونفي الهواجس، وإزالة الأوهام، ووقف الإشاعات التي تنمو عادة في ظل الاستبداد، وتنشر في عتمة الغوغائية.

ـ تقضي مبادئ الإسلام بأن يشعر كل فرد أن له دوراً في حياة المجتمع والجماعة، والشورى تتيح الفرصة أمام كل فرد لكي يقدم ما يستطيع من جهود وأفكار وآراء ومهارات لخير المجتمع، كما تتيح الفرصة أمام كل فرد ليعبر عن رأيه في الشؤون العامة.

ـ إن الشورى تمنح الدفء العاطفي، والتماسك الفكري لأفراد الأمة، وفيها إشعار الفرد بقيمته الذاتية، وقيمته الفكرية، وقيمته الإنسانية، وتدفع أفراد المجتمع نحو الاجتهاد والإبداع والرضا، وتتفجر الطاقات وتنكشف المواهب المغمورة في الأمة.

ـ إن الشورى تساهم في علاج ضروب الكبت الضاغطة، وكوامن الأحقاد الدفينة، وتطيح بكثير من الكظوم الخفية، تدفع رعايا الدولة للعطاء والحرص على ترسيخ النظام، وصدق الولاء.

ـ وفي نظام الشورى تذكير للأمة بأنها هي صاحبة السلطان، وتذكير لرئيس الدولة بأنه وكيل عنها في مباشرة الحكم والسلطان.

ـ وفي المشاورة امتثال لأمر الله بها، واقتداء برسول الله ﷺ وهذه المزية أرجح المزايا المتقدمة، وهذا أهم العوامل في نجاح نظام الشورى[(١)]. فالحسن بن علي رضي الله عنهما يحث الناس على الاهتمام بالشورى وممارستها وتطبيقها، ولذلك قال: والله ما تشاور قوم قط إلا هداهم الله لأفضل ما يحضرهم[(٢)].

٦ ـ قال الحسن بن علي رضي الله عنهما في بعض مواعظه للمسلمين: يا بن آدم عفَّ عن محارم الله تكن عابداً، وارض بما قسم الله لك تكن غنياً، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً،

---

(١) الشورى بين الأصالة والمعاصرة لعز الدين التميمي، ص ٣٣، ٣٤.

(٢) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، ص ١٨٣.

وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلاً. إنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيراً، ويبنون مشيداً، ويأملون بعيداً، أصبح جمعهم بوراً وعملهم غروراً ومساكنهم قبوراً. يا بن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك، فجد بما في يدك لما بين يديك فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع[١]، وتلا هذه الآية: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

أ ـ وهذا شرح موجز لهذه الخطبة الحسنية يا بن آدم عفَّ عن محارم الله تكن عابداً[٢]: فهذا توجيه من الحسن بن علي يحثُّ فيه الناس على الابتعاد عن المحرمات، ويعتبر الحسن بن علي من ترك المحرمات فهو العابد، فالوقوع في المحرمات توقع الإنسان في الغفلة وتعرضه لسخط الله وعقابه وغضبه، كما أن الوقوع في المحرمات والغفلة عن طاعة الله سببان لمفاسد كثيرة وأضرار بليغة في الدنيا والآخرة، يقول ابن القيم: قلة التوفيق، وفساد الرأي، وخفاء الحق، وفساد القلب، وخمول الذكر، وإضاعة الوقت، ومضرة الخلق، والوحشة بين العبد وبين ربه، ومنع إجابة الدعاء، وقسوة القلب، ومحق البركة في الرزق والعمر، وحرمان العلم، ولباس الذل، وإهانة العدو، وضيق الصدر، والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب، ويضيِّعون الوقت، وطول الهم والغم، وضنك المعيشة، وكسف البال، كل هذه الأشياء تتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله كما يتولد الزرع من الماء، والإحراق من النار، وأضداد هذه تتولد من الطاعة[٣]، فالبعد عن المحرمات طريق للطاعات، فيصبح المسلم عابداً، ولذلك قال الحسن: عف عن محارم الله تكن عابداً[٤].

ب ـ وارضَ بما قسم الله لك تكن غنياً[٥]:

يتحدث الحسن رضي الله عنه عن الرضا بما كتبه الله على العبد، وأن الرضا يؤدي إلى الغنى بالله سبحانه وتعالى، والرضا عن الله سبحانه وتعالى معناه: أن لا يكره العبد ما يجري به قضاء الله تعالى[٦]. وأعلاه: سرور القلب، وسكينة النفس إلى قضاء الله وقدره خيره وشره، والإيمان بالقضاء والقدر أحد الأركان الستة، حلوه ومره، وهذا القسم من الرضا من أجل الأخلاق الإيمانية لأنه: آخذ بزمام مقامات الدين كلها، إذ هو روحها وحياتها، فإنه روح التوكل وحقيقته،

---

(١) نور الأبصار، الشبلنجي، ص ١٢١؛ الحسن بن علي، ص ٢٨.
(٢) المصدر السابق نفسه، ص ١٢١.
(٣) الفوائد، ص ٣٢.
(٤) الحسن بن علي، ص ٢٨؛ نور الأبصار، ص ١٢١.
(٥) المصدر السابق نفسه، ص ٢٨.
(٦) المفردات للراغب، ص ١٩٧.

وروح اليقين، وروح المحبـة، ودليل صحة محبة المحب، وروح الشكر ودليله[١]، وهو أيضاً يفتح باب حسن الخلق مـع الله تعالى ومع الناس، فإن حسن الخلق من الرضا، وسوء الخلق من السخط، بل إن بعض العلماء عرف الرضا بحسن الخلق مع الله، قال: لأنه يوجب ترك الاعتراض عليه في ملكه، وحذف فضول الكلام الذي يقدح في حسن خلقه . . . فلا يسمى شيئاً قط قضاه الله تعالى وقدَّره باسم مذموم، إذا لم يذمه الله تعالى، لأنه ينافي الرضا[٢].

ولذلك كان هذا النوع من الرضا محل عناية القرآن الكريم في التحدث عنه بآيات كثيرة يقول فيـها عز وجل: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، مما يدل على أنه من أعلى مقامات الإيمان لما يعنيه من كمال الخُلق مع الخالق جلَّ وعلا، لكل ما يقضيه الله عز وجل في خلقه وكونه وتشريعه، فيقبله العبد بكل سرور واطمئنان وانشراح نفس، فلا يجد في نفسه حرجاً ممّا قضاه الله تعالى له من خير أو شر ـ بل يرضى بمُر القضاء الذي قدره له ـ، ولا على ما قضاه في الكون من تدبير وخلق وفناء بداية، لما يعلمه من حكمته سبحانه في تدبيره الملكوت كله، ولا على ما شرعه لعباده من تشريع على ألسنة رسله، وفي محكم كتابه، لأنه كله هو الحق والهدى ـ فصاحب هذا الخلق يتلقى كل ذلك بالمحبة والسرور على مراد الله الذي قضاه في كل ذلك، لعلمه أن الله عز وجل حكيم في فعله وتدبيره وقضائه، ودود مع عباده لا يفعل لهم إلا محض الخير مهما بدا لأنفسهم خلافه[٣].

وقد كان جدّ الحسن ﷺ القدوة المثلى والأسوة الحسنة، فقد بيَّن لنا ﷺ كيف كان رضاه عن الله تعالى فيما يبتليه به في الحياة من متاعب في النفس أو المال أو البنين أو الأقارب؟ فكان ﷺ على ذلك النحو من الرضا كمالاً وتماماً، سواء فيما ناله من الأذية في نفسه من جراء دعوته إلى الله تعالى في مكة أو في الطائف أو في المدينة، ولقد بلغت به الأذيّة أن جرت عليه عدة محاولات اغتيال فلم تفلح، فلم يزد على تقرير المحاولين ما أرادوه، ثم العفو عنهم، وأما رضاه بما كان عليه من القلة في المال، فلم تعرف البشرية رضاً مثله، حيث بلغ به في حاله ذاك، أن جعل يدعو الله تعالى ويقول: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً»[٤]، وأما في فقد الأولاد فلما مات خال الحسن ولد النبي ﷺ الرضيع إبراهيم عليه السلام عن ثمانية عشر شهراً، وقد رزق به على الكِبَر وبعد موت أبنائه الذكور من قبل، لم يتزعزع رضاه عليه الصلاة والسلام لقضاء الله وقدره، بل أعلن رضاه بذلك، وقال فيما رواه عنه أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: «إن العين تدمع، والقلب

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢١٨).
(٢) المصدر السابق نفسه (٢/ ٢٢٠).
(٣) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (١/ ٩٦).
(٤) البخاري، الرقائق، رقم ١٠٥٥.

يحزن، ولا نقول إلا بما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[١].

وأما أقاربه ﷺ فقد صُرعوا حوله بين يديه في الدفاع عنه وعن دعوته، فلم يتبرم لذلك، بل جاء أنه قال في حق عمه أسد الله وأسد رسوله: حمزة بن عبد المطلب[٢] رضي الله عنه ـ الذي استشهد بأحد، ومُثِّلَ به أيّما تمثيل: فنظر إلى منظر لم ينظر إلى منظر أوجع للقلب منه، نظر إليه، وقد مُثِّل به، فما زاد على أن قال: رحمة الله عليك، إن كنت ما علمتك إلا وَصُولاً للرحم، فعولاً للخيرات، والله لولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أتركك حتى يحشرك الله في بطون السباع[٣].

ومع ما كان عليه ﷺ من كمال الرضا عن الله تعالى في كل أحواله، فقد كان دائب الدعاء أن يرزقه الله تعالى المزيد من الرضا والثبات الدائم عليه[٤]، فكان من دعائه ﷺ: «... وأسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، وأعوذ بك من ضراء مضرة، وفتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»[٥].

ولم تقتصر أقواله ﷺ في الرضا على ما كان يعبِّر به عن نفسه من ذلك الخلق العظيم، بل كذلك كان ينوه بهذا الخلق العظيم، ويبين ما له من عظيم الأجر والثواب عند الله، ليحض أمته عليه، وذلك كما في قوله ﷺ: «من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله رباً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وبالإسلام ديناً، غفر له ذنبه»[٦]. ويلاحظ هنا كيف ربط النبي ﷺ هذا الدعاء بأمر يتكرر يومياً خمس مرات، ليصبح هذا الدعاء ومضمونه شيئاً راسخاً في نفس المؤمنين والمؤمنات، وقوله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً»[٧]. فقد بيَّن في هذين الحديثين عظيم خلق الرضا عن الله تعالى، حيث أبان أن هذا الخلق سبب لمغفرة الذنوب، وشهد له في الحديث الآخر أنه مما يوجد حلاوة الإيمان، وذلك لأن صاحب هذا الخلق يعلم أنه ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن تدبير الله تعالى له خير من تدبيره لنفسه، فيعيش قرير العين في هذه الحياة في السراء والضراء، يحمد الله تعالى على الخير وغيره، لأن ذلك كله

---

(١) مسلم، رقم ٢٣١٥.

(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٩٢) عزاه ابن كثير إلى البزار، وقال عنه بعد إيراده له بسنده: هذا إسناد فيه ضعف؛ وذكره بنحوه ابن هشام في سيرته (٣/ ١٧١) عن ابن إسحاق مرسلاً.

(٤) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (١/ ١٠٠).

(٥) سنن النسائي، في السهو (٣/ ٥٥) من حديث عمار بن ياسر إسناده حسن.

(٦) مسلم، رقم ٣٨٦.

(٧) المصدر السابق نفسه، رقم ٢٧٥٨.

فعل الله تعالى وتصرفه في ملكه، وأي راحة للمرء أكثر من أن يعيش في هذه الحياة على هذا النحو؟[١].

فالحسن بن علي رضي الله عنهما حثّ على هذا الخلق بلسان الحال ولسان المقال، فقد قال: وارضَ بما قسم الله لك تكن غنياً[٢].

ج ـ قوله: وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً[٣]:

فالحسن رضي الله عنه يحث المسلمين على حسن الجوار، فحق الجار على جاره من أعظم الحقوق، قال تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال النبي ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[٤] وذلك لشدة الوصية به وتأكيدها، ومن حقوق الجوار وآدابه في الإسلام أمور منها:

ـ عدم إيذائه بأي شيء من قول أو عمل: فقد قال ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره[٥]. فيجب على الإنسان أن يكف أذاه عن جاره، وسواء كان بالقول، أو بالفعل، أو بالإشارة، فأذية الجار محرمة على كل حال.

ـ الإحسان إليه دائماً: وبكل صورة ممكنة، كما قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً، أو ليسكت»[٦]. ونظراً للأهمية الكبرى التي يعطيها الإسلام للجار ربط الرسول ﷺ بين صدق الإيمان بالله واليوم الآخر والإحسان للجار، ولو طبقنا هذا التوجيه النبوي مع جيراننا في مجتمعاتنا لتحولت هذه المجتمعات إلى مجتمعات متعاونة ومتكاتفة، ولعاش أهلها حياة طيبة.

ـ تحمّل أذى الجار والصبر عليه: وكما قيل: ليس حسن الجوار بكفِّ الأذى عن الجار، ولكن بتحمل أذاه. فينبغي للمسلم أن يصبر على أذى جاره، وأن يتحمله، وأن يقابله بالإحسان. فإنه بهذا يغلق الباب أمام نزغ الشيطان.

ـ مواساته بالطعام ولا سيما إذا كان فقيراً: قال ﷺ: «ليس المؤمن بالذي يشبع وجاره جائع

(١) أخلاق النبي في القرآن والسنة (١/ ١٠١).
(٢) الحسن بن علي، ص ٢٨؛ نور الأبصار، ص ١٢١.
(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٢٨.
(٤) البخاري، رقم ٦٠١٥.
(٥) البخاري، رقم ٦٠١٨.
(٦) مسلم، رقم ٤٨.

إلى جنبه»[١]، وقال ﷺ: «إذا طبخ أحدكم قدراً فليكثر مرقها، ثم ليناول جاره منها»[٢]، وقال ﷺ: «يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»[٣]. فينبغي لكل مسلم أن يتنبه إلى هذا الأدب الرفيع، وألا يهمله، فإن له أثراً عظيماً على الجار، وهو دليل على اتصاف المجتمع المسلم بالتراحم، والتعاطف، والتكافل بين أفراده[٤]، ويفهم من الحديث الحرص على سد احتياجات الجار ما أمكن من ملابس وأدوية وغيرها.

ـ مشاركته الفرح والحزن: فإذا كان عند جاره مناسبة سارّة فينبغي له أن يذهب إليه، وأن يشاركه ويقاسمه فرحه، ما لم يكن فيه معصية، وإذا حلّت به نازلة فينبغي له أن يحضره، وأن يشاركه ويقاسمه حـزنه، ويواسيه بالكلمة الصالحة، ويشد من أزره. وكل هذا من حق المسلم أصلاً على أخيه المسلم، والجار أولى بهذه الحقوق من غيره.

ـ أن يعرض عليه البيت قبل غيره إذا أراد التحوّل عنه: فإذا أراد أن ينتقل من داره فليعرضها على جاره قبل غيره، فقد يرغب في شرائها، وكذلك أي أرض أو عقار، وقد قال ﷺ: «من كانت له أرض فأراد بيعها فليعرضها على جاره»[٥]. وهذا أطيب لخاطره ولقلبه، وإذا فرط الناس في هذا الأمر فإنهم يفتحون باباً للمشاحنات والمنازعات والعداوات، فالله المستعان.

ـ ألا يمنع جاره من غرس خشبة في جداره: إذا احتاج الجار إلى ذلك، فينبغي أن يسمح له بغرس هذه الخشبة، ولا يمنعه من الانتفاع بها، فقد قال ﷺ: «لا يمنع جار جاره أن يغرس خشبة في جداره»[٦]. ثم قال أبو هريرة: ما لي أراكم عنها معرضين؟ والله لأرمين بها بين أكتافكم. أي: لأصرحن ولأحدثن بها بينكم مهما ساءكم ذلك وأوجعكم[٧]. ويفهم من الحديث كل مساعدة يحتاجها الجار، ولا يترتب عليها ضرر لجاره، فالإسلام يحثّ على تقديمها.

ـ تعظيم حرمة الجار وعدم خيانته: لا بإفشاء سره، ولا بهتك عرضه، ولا بالفجور بأهله، فإنه من أقبح الكبائر، قال ﷺ لما سئل: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك». قيل: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»[٨]، بل ينبغي أن يحفظه في نفسه وماله

---

(١) المستدرك (٤/ ١٦٧)؛ السلسلة الصحيحة، رقم ١٤٨.
(٢) مجمع الفوائد (٨/ ١٦٥)؛ صحيح الجامع للألباني، رقم ٦٧٦.
(٣) مسلم، رقم ١٠٣٠.
(٤) موسوعة الآداب الإسلامية (١ / ٢٩٩).
(٥) سنن ابن ماجه، رقم ٢٤٩٣؛ صحيح ابن ماجه، رقم ٢٠٢٢.
(٦) البخاري، رقم ٢٤٦٣.
(٧) موسوعة الآداب الإسلامية (١/ ٣٠١).
(٨) مسلم، رقم ٨٦.

وعرضه، حتى يأمنه جاره، فقد قال ﷺ: «والله لا يؤمن ـ ثلاثاً ـ: الذي لا يأمن جاره بوائقه»[(١)]. أي: غدره وخيانته[(٢)]. ولذلك كان الحسن بن علي رضي الله عنهما يوصي الناس في مواعظه وخطبه بحسن الجوار، والإحسان إلى الجار، فقد قال: وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً[(٣)].

د ـ **قوله: وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلًا**: فالحسن رضي الله عنه يحث المسلمين على إنصاف الناس ومصاحبتهم بالعدل وعدم ظلمهم، فالإنصاف خصلة شريفة، وخلة كريمة، يدل على نفس مطمئنة، وأفق واسع، ونظر في العواقب بعيد، ويعرف بأنه: استيفاء الحقوق لأربابها[(٤)]، واستخراجها بالأيدي العادلة، والسياسة الفاضلة[(٥)]، وقال ابن القيم في إنصاف الناس: أن تؤدي حقوقهم، وألا تطالبهم بما ليس لك، وألا تحملهم فوق وسعهم، وأن تعاملهم بما تحب أن يعاملوك به، وأن تعوضهم ممّا تحب أن يعوضوك منه، وأن تحكم لهم أو عليهم بما تحكم به لنفسك أو عليها[(٦)]. الإنصاف والعدل توءمان نتيجتهما عُلُوُّ الهمَّة، وبراءة الذِّمَّة باكتساب الفضائل، واجتناب الرَّذائل[(٧)].

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالإنصاف، ونهى أن يحملنا بغضنا للكُفَّار على عدم الإنصاف، فقال عزّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]. قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: فنهى أن يحمل المؤمنين بغضهم للكفار على ألاَّ يعدلوا، فكيف إذا كان البغض لفاسق، أو مبتدع، أو متأوِّل من أهل الإيمان؟ فهو أولى أن يجب عليه ألاَّ يحمله ذلك على ألاَّ يعدل مع مؤمن، وإن كان ظالماً له[(٨)]. وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: أي: لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل، فإن العدل واجب على كلِّ أحد في كل أحد في كل حال، وقال لبعض السلف: ما عاملت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه[(٩)].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾

---

(١) البخاري، رقم ٦٠١٦.
(٢) موسوعة الآداب الإسلامية (١/ ٣٠١).
(٣) الحسن بن علي، ص ٢٨؛ نور الأبصار، ص ١٢١.
(٤) أرباب: أصحاب، مفرده رب.
(٥) الأخلاق بين الطبع والتطبع، ص ٢٢٨.
(٦) زاد المعاد (٢/ ٤٠٧) بتصرف.
(٧) التَّوفيق على مهَّمات التعريف للمناوي، ص ٦٤.
(٨) الاستقامة (١/ ٣٨).
(٩) تفسير ابن كثير (٢/ ٧).

[المائدة: ٢]. قال أبو عبيدة والفراء: أي لا يكسبنكم بغض قوم أن تعتدوا[(١)] الحق إلى الباطل، والعدل إلى الظلم[(٢)] فما أجمل أن يتحلّى المرء بالإنصاف، فهو من صفات الربانيين الذين لا يرجون إلا الحق[(٣)].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

وتعرَّ من ثوبين من يلبسهما يلقَ الردى بمذمّة وهوان[(٤)]
ثوب من الجهل المركب فوقه ثوب التعصب بئست الثوبان
وتحلَّ بالإنصاف أفخر حلة زينت بها الأعطاف والكتفان[(٥)]

وقال المتنبي:

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم

ومن إنصاف العباد إنصافهم في الأموال والمعاملات، والحجج والمقالات، وقد عاب الله سبحانه وتعالى الذين يبخسون الناس أشياءهم، وأوعدهم بالخسارة والهلاك، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١ ـ ٣]. قال ابن سعدي ـ رحمه الله ـ: دلت الآية الكريمة على أن الإنسان كما يأخذ من الناس الذي له، يجب عليه أن يعطيهم كل ما لهم من الأموال والمعاملات، بل يدخل في عموم هذه الحجج والمقالات، فإنه كما أن المتناظرين قد جرت العادة أن كل واحد منهما يحرص على ما له من الحجج، فيجب عليه ـ أيضاً ـ أن يبين ما لخصمه من الحجج التي لا يعلمها، وأن ينظر في أدلة خصمه كما ينظر في أدلته هو، وفي هذا الموضع يعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه[(٦)]، وتواضعه من كبره، وعقله من سفهه[(٧)]. فما أجمل قول الحسن بن علي رضي الله عنهما: وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلاً[(٨)].

هـ ـ قول الحسن رضي الله عنه: إنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيراً ويبنون مشيداً، ويأملون بعيداً، أصبح جمعهم بوراً وعملهم غروراً ومساكنهم قبوراً، يا بن آدم إنك لم تزل في

---

(١) تعتدوا: تتجاوزوا.
(٢) تفسير القرطبي (٦/ ٤٥).
(٣) الأخلاق بين الطبع والتطبع، ص ٢٢٩.
(٤) الهوان: الخزي والعار.
(٥) الأعطاف: جمع عطف، وهو الجانب.
(٦) الاعتساف: أشد الظلم.
(٧) تفسير ابن سعدي، ص ٩١٥.
(٨) الحسن بن علي، ص ٢٨.

هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك، فجد بما في يدك لما بين يديك، فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع، وتلا هذه الآية ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

فالحسن رضي الله عنه يصف صنفاً من الناس منغمساً في الدنيا وزينتها، مشغولاً بالجمع والبناء، ومصاباً بمرض طول الأمل، فهذا حال أغلب الناس إلا من رحم ربي، فإذا الموت يأتي بغتة، فلم ينتفعوا بما جمعوا، فأصبحت أعمالهم ضائعة، ومساكنهم خالية، فالحسن بن علي رضي الله عنه يحذّر الناس من الاغترار بهذه الدنيا، ويحثّهم على الزهد فيها، وإنما ينشأ الزهد لليقين بالتفاوت بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧]. والقرآن يربِّي المؤمن على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، وقد بيَّن الله سبحانه وتعالى أن الكفار هم الذين يغترون بزينة الدنيا وزخرفها، فقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢].

وقد بيَّن القرآن الكريم في كثير من المواضع: أن الدنيا حقيرة لا يجب أن تشغل المرء عن طلب الآخرة، منها قوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ١ـ٨]، أي: أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها(١).

وروى الإمام أحمد، عن عبد الله بن الشخير قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: «﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ يقول ابن آدم: مالي مالي، وما لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت، فأمضيت؟»(٢). وقال رسول الله ﷺ: «يقول العبد: مالي مالي، وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو تصدق فأمضى، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس»(٣)، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يتبع الميت ثلاث، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله»(٤)، وعن

---

(١) معنى الزهد والمقالات وصفة الزاهدين لأبي سعيد البعري، ص ٩.

(٢) مسلم، رقم ٢٩٥٨.

(٣) المصدر السابق نفسه، رقم ٢٩٥٩.

(٤) البخاري، رقم ٦٥١٤.

أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يهرم ابن آدم وتبقى معه اثنتان: الحرص والأمل»[١]، وقال الأحنف بن قيس لما رأى في يد رجل درهماً: لمن هذا الدرهم؟ فقال الرجل: لي، فقال: إنما هو لك إذا أنفقته في أجر، أو ابتغاء شكر، ثم أنشد الأحنف متمثلاً قول الشاعر:

أنت للمال إذا أمسكته فإذا أنفقته فالمال لك[٢]

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ أي: ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك، ما إذا قابلتم به نعمة من شكره وعبادته[٣]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣١ ـ ١٣٢].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: لا تنظر إلى هؤلاء المترفين وأشباههم ونظرائهم وما هم فيه من النعيم، فإنما هو زهرة زائلة ونعمة حائلة لنختبرهم بذلك، وقليل من عبادي الشكور، وقال مجاهد: ﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ يعني: الأغنياء، فقد آتاك الله خيراً مما آتاهم. ولهذا قال: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾، فكان ﷺ أزهد الناس في الدنيا مع القدرة عليها إذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا في عباد الله، ولم يدخر لنفسه شيئاً، قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح الله لكم من زهرة الدنيا» قالوا: وما زهرة الدنيا يا رسول الله؟ قال: «بركات الأرض»[٤]. وقال قتادة والسدي: (زهرة الحياة) يعني: زينة الحياة الدنيا. وقال قتادة: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنبتليهم. وقوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ أي: استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة، واصبر أنت على فعلها، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]. وقوله: ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ يعني: إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب. كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣]، ولهذا قال: ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾.

وقال الثوري: لا نسألك رزقاً: أي لا نكلفك الطلب. وقال ثابت: وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة[٥]. وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كانت الدنيا همه؛ فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة»[٦]. وقوله:

---

(١) مسلم، رقم ١٠٤٧.
(٢) معنى الزهد والمقالات وصفة الزاهدين، ص ١٠.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) البخاري، رقم ٦٤٢٧.
(٥) معنى الزهد والمقالات وصفة الزاهدين، ص ١١.
(٦) سنن ابن ماجه، رقم ٤١٠٥؛ وصححه الألباني، صحيح الجامع، ٦٥١٠.

﴿ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ أي: وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة؛ وهي الجنة لمن اتقى.. انتهى(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: اضطجع رسول الله ﷺ على حصير، فأثر في جنبه، فلما استيقظ جعلت أمسح عنه، فقلت: يا رسول الله، ألا آذنتنا فبسطنا شيئاً يقيك منه، فتنام عليه، فقال: «ما لي وللدنيا، ما أنا والدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف، فقال تحت شجرة، ثم تركها»(٢).

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم سائرين على نهج النبي ﷺ؛ فقد كانوا أزهد الناس وأرغبهم في الآخرة، فنظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية، وإلى الآخرة أنها باقية، فتزودوا من الدنيا زاد الراكب، ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم، فعلموا أنهم سينظرون إليها بقلوبهم وأعينهم، ولمَّا علموا أنهم سيرتحلون منها بأبدانهم تعبوا قليلاً، وتنعموا كثيراً، كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم، فأحبوا ما أحبَّ لهم، وكرهوا ما كره لهم.

قال ابن مسعود رضي الله عنه للتابعين: لأنتم أكثر عملاً من أصحاب رسول الله ﷺ، ولكنهم كانوا خيراً منكم، كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة. فكان في التابعين من هو أكثر قياماً وصياماً وعبادة من الصحابة رضي الله عنهم، ولكن الصحابة رضي الله عنهم سبقوا بأحوالهم الإيمانية من الزهد واليقين، وصدق التوكل على الله عز وجل، ولا شك في أن الصحابة رضي الله عنهم تعلموا الزهد من رسول الله ﷺ، فقد كان النبي ﷺ يمر عليه الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاث أهلة في شهرين، ولا يُوقد في بيت من أبياته نار(٣).

وأما قول الحسن بن علي رضي الله عنهما: فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع وتلا هذه الآية: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [البقرة: ١٩٧]. ففيها دعوة للتقوى، والالتزام بها، والتقوى: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله، والمطلوب من العبد أن يتعلق قلبه بالله وحده محبة له، وإخلاصاً له في عبادته، ورغبة فيما عنده من نعيم أعده للمتقين، فخوفاً من سخطه وعقابه وعذابه.

وللتقوى ثمار يحتاج إليها كل مسلم، **منها**: المخرج من كل ضيق، والرزق من حيث لا يحتسب العبد، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٤].

ومنها: تيسير العلم النافع، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ومنها: إطلاق نور البصيرة، قال تعالى: ﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩].

---

(١) ففروا إلى الله، ص ٦٢، لأبي ذر القلموني بتصرف.

(٢) سنن الترمذي، رقم ٢٣٧٧؛ وصححه الألباني صحيح الجامع، رقم ٥٦٦٨.

(٣) البخاري، رقم ٦٥٦٧؛ مسلم، رقم ٢٩٧٢.

ومنها: محبة الله عز وجل ومحبة ملائكته والقبول في الأرض، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «إذا أحب الله العبد قال لجبريل: قد أحببت فلاناً فأحبه. فيحبه جبريل عليه السلام، ثم ينادي في أهل السماء، إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»(١).

ومنها: نصرة الله عز وجل وتأييده وتسديده، وهي المعية المقصودة بقول الله عز وجل: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]؛ فهذه المعية هي معية التأييد والنصرة والتسديد، وهي معية الله عز وجل لأنبيائه وأوليائه، ومعيته للمتقين والصابرين، وهي تقتضي التأييد والحفظ والإعانة، كما قال تعالى لموسى عليه السلام وهارون: ﴿لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وأما المعية العامة مثال قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٠٨]. والمعية العامة تستوجب من العبد الحذر والخوف ومراقبة الله عز وجل.

ومنها: البركات من السماء والأرض، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

ومنها: البشرى في الحياة الدنيا، وهي الرؤيا الصالحة وثناء الخلق ومحبتهم، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤]، والبشرى في الحياة: ما بشر الله المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه، وعن النبي ﷺ: «الرؤيا الصالحة من الله»(٢). وعنه ﷺ: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات». قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة»(٣). وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله ﷺ: الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس، فقال: «تلك عاجل بشرى المؤمن»(٤). وقد رأينا من الموفقين ثناء الناس على أعمالهم في الدنيا.

ومنها: الحفظ من كيد الأعداء ومكرهم، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠]. يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى، والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة لهم إلا به، وهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن(٥).

---

(١) مسلم، كتاب البر والصلة، رقم ٦٩٣٧.

(٢) البخاري، كتاب الرؤيا، رقم ٦٩٨٦.

(٣) البخاري، رقم ٦٩٩٠.

(٤) مسلم، (٤/ ٢٠٣٤).

(٥) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٢٩).

ومنها: حفظ الذرية الضعاف بعناية الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩]. وفي الآية إشارة إلى إرشاد المسلمين الذين يخشون ترك ذرية ضعاف بالتقوى في سائر شؤونهم حتى يُحفظ أبناؤهم، ويدخلون تحت حفظ الله وعنايته، ويكون في إشعارها تهديد بضياع أولادهم إن فقدوا تقوى الله، وإشارة إلى أن تقوى الأصول تحفظ الفروع، وأن الرجال الصالحين يحفظون في ذريتهم الضعاف كما في الآية: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]. فإن الغلامين حفظا ببركة أبيهما في أنفسهما ومالهما(١).

ومنها: سبب قبول الأعمال التي بها سعادة العباد في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

ومنها: سبب النجاة من عذاب الدنيا، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [فصلت: ١٧ ـ ١٨].

ومنها: تكفير السيئات وهو سبب النجاة من النار، وعظم الأجر، وهو سبب الفوز بدرجة الجنة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

ومنها: ميراث الجنة، فهم أحق الناس بها وأهلها، بل ما أعد الله الجنة إلا لأصحاب هذه الرتبة العلية والجوهرة البهية. قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣]. فهم الورثة الشرعيون لجنة الله عز وجل، وهم لا يذهبون إلى الجنة سيراً على أقدامهم، بل يحشرون إليها ركباناً مع أن الله عز وجل يقرِّب إليهم الجنة، تحية لهم ودفعاً لمشقتهم، كما قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥].

فالحسن رضي الله عنه يحث المسلمين على التقوى حرصاً منه على أن ينال المسلمين هذه الثمار في الدنيا والآخرة، ولذلك قال: فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع، وتلا هذه الآية: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾(٢) [البقرة: ١٩٧].

* * *

(١) محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٤٧).

(٢) الحسن بن علي، ص ٢٨؛ نور الأبصار، ص ١٢١.

المبحث الثالث
من أهم الشخصيات في خلافة الحسن بن علي

كانت الظروف التي أعقبت وفاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه صعبة ومعقدة، إذ لا زالت الحرب قائمة مع معاوية بن أبي سفيان، وفي هذه الظروف بايع أهل الكوفة الحسن بن علي رضي الله عنهما بالخلافة عام ٤٠ هـ/ ٦٦٠م، ولذلك لم يكن لدى الحسن رضي الله عنه متسع من الوقت لإجراء تغييرات إدارية، أو تغيير الولاة، فأقر عمال أبيه على ولاياتهم، عدا الكوفة، فقد ولى عليها المغيرة بن نوفل[١] بعد ما سار إلى معاوية بدلاً من واليها السابق هاني بن النخعي[٢].

أما على المدائن، فقد استمر سعد بن مسعود الثقفي عاملاً عليها[٣]، وقد كان عاملاً للخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ذات المدينة[٤]، وقد استبقاه الحسن إبان خلافته واستمر يشغل منصبه الإداري إلى نهاية عهد الحسن بن علي رضي الله عنهما وتنازله لمعاوية.

أما على البصرة فقد جاء في بعض الروايات، بأن عبد الله بن عباس كان والياً عليها من قبل الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبقي عليها لغاية عقد الصلح مع معاوية بن أبي سفيان، ثم خرج من البصرة معتزلاً السياسة قاصداً مكة المكرمة[٥]، متفرغاً للعلم والتعليم.

أما ولاية فارس فقد كانت لزياد بن أبي سفيان[٦]، وكان علي رضي الله عنه قد بعثه إلى فارس لتأديب بعض المتمردين فيها، فظفر بهم وتمكن من القضاء عليهم[٧]، ثم ولاه رضي الله عنه بعد ذلك على فارس فاستمرت ولايته لغاية عقد الصلح مع معاوية[٨].

كما أبقى الحسن رضي الله عنه العمال أنفسهم الذين كانوا يعملون لوالده الخليفة علي ابن أبي

(١) التبيين في أنساب القرشيين، ص ٨٠-٨١.
(٢) تاريخ خليفة بن خياط، نقلاً عن الحسن بن علي، فتيخان، ص ٨٥.
(٣) أنساب الأشراف (٥/ ٢١٤)؛ نهاية الأرب (٢/ ٢٦٦).
(٤) التاريخ الكبير للبخاري (٤/ ٥٠).
(٥) الحلة السيراء للقضاعي نقلاً عن الحسن بن علي، ص ٨٦.
(٦) الحسن بن علي، ص ٨٦.
(٧) المصدر السابق نفسه.
(٨) مروج الذهب (٣/ ١٥)؛ الحسن بن علي، ص ٨٦.

طالب رضي الله عنه، فقد استبقى عبيد الله بن أبي رافع كاتباً[١]، وكذلك استبقى شريح بن الحارث قاضي الكوفة[٢]، وأبقى معقل بن قيس الرياحي على الشرطة[٣]، وكانت من أهم شخصيات عهد خلافته، شقيقه الحسين بن علي رضي الله عنهما، وهذا سنفرد له كتاباً خاصاً به بإذن الله تعالى، ومن أهم شخصيات عهده أيضاً: قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي، وعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، وقد رأيت أن أترجم للشخصيات الثلاثة الأخيرة.

أولًا ـ قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه :

هو قيس بن سعد بن عبادة بن دُليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب، الأمير المجاهد، أبو عبد الله سيِّد الخزرج وابن سيِّدهم، أبي ثابت، الأنصاري الخزرجي الساعدي، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه[٤]، كان من فضلاء الصحابة وأحد دهاة العرب وكرمائهم، وكان من ذوي الرأي الصائب والمكيدة في الحرب، مع النجدة والشجاعة، وكان شريف قومه غير مدافع، ومن بيت سيادتهم[٥].

له عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ، منها: عن ابن أبي ليلى قال: كان سهل بن حُنيف، وقيس ابن سعد قاعدين بالقادسية، فمرت بهما جنازة فقاما، فقيل: إنَّما هو من أهل الأرض، فقالا: إنّ رسول الله ﷺ مرّت به جنازة فقام، فقيل: إنما هي جنازة يهودي، فقال: «أليست نفساً»[٦]. وفي هذا الحديث تكريم الإنسان من حيث هو إنسان.

وعن أبي عمّار، عن قيس بن سعد قال: أمرنا النبي ﷺ أن نصوم عاشوراء قبل أن ينزل صيام رمضان، فلمّا نزل صيام رمضان لم يأمرنا ولم ينهنا، ونحن نفعله[٧].

وعن محمد بن شرحبيل، عن قيس بن سعد قال: أتانا رسول ﷺ فوضعنا له ماء فاغتسل، ثم أتيناه بملحفة ورسية، فالتحف بها، فكأني أنظر إلى أثر الورس على عُكنه[٨].

روى عنه أنس، وثعلبة بن أبي مالك، وأبو ميسرة، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعروة[٩]،

(١) محاضرة الأبرار، لابن العربي (١/ ٦٦)؛ الحسن بن علي، ص ٨٧.
(٢) مختصر التاريخ لابن الكمازروني، ص ٨٠.
(٣) نهاية الأرب (٥/ ٢٢٣).
(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٠٢).
(٥) أسد الغابة (٤/ ٤٥٠).
(٦) البخاري، رقم ١٣١٢.
(٧) مسند أحمد (٣/ ٤٢٢).
(٨) العكن: جمع عكنة، وهي الطي في البطن من السمن، تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٧١).
(٩) الإصابة (٥/ ٣٦١).

وعبد الله بن مالك الجيشاني، وأبو عمّار الهمداني، وميمون بن أبي شبيب، وعريب بن حُميد الهمداني، والوليد بن عبَدَة وآخرون(١)، وقد حدّث قيس بن سعد بالكوفة والشام ومصر(٢).

كان قيس ضخماً حسناً طويلاً، إذا ركب الحمار خطت رجلاه الأرض(٣)، وكانت أمُّه بنت عمِّ أبيه، واسمها: فكيهة بنت عبيد بن دُليم(٤)، وكان موقعه من رسول الله ﷺ، كصاحب الشرطة من الأمير، وحمل لواءه ﷺ في بعض الغزوات، واستعمله على الصدقة(٥)، وشهد مع رسول الله ﷺ المشاهد(٦)، وشارك في بعض السرايا منها:

١) ـ سرية أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى سيف البحر:

تعتبر سرية أبي عبيدة رضي الله عنه إلى سيف البحر، استمراراً لسياسة النبي ﷺ العسكرية، لإضعاف قريش ومحاصرتها اقتصادياً على المدى الطويل، فقد بعث ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في ثلاثمئة راكب قِبَل الساحل ليرصدوا عيراً لقريش، وعندما كانوا ببعض الطريق فني الزاد، فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع، فكان قدر مزود تمر يقوتهم منه كل يوم قليلاً، حتى كان أخيراً نصيب الواحد منهم تمرة واحدة، وقد أدرك الجنود صعوبة الموقف فتقبلوا هذا الإجراء بصدور رحبة دون تذمّر أو ضجر، بل إنهم ساهموا في خطة قائدهم التقشُّفية، فصاروا يحاولون الإبقاء على التمرة أكبر وقت ممكن(٧)، يقول جابر رضي الله عنه أحد أفراد هذه السرية: كنا نمصها كما يمص الصبي، ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل(٨)، وقد سأل وهب بن كيسان جابراً رضي الله عنه: ما تغني تمرة؟ فقال: لقد وجدنا فقدها حين فنيت(٩)، وقد اضطر ذلك الجيش إلى أكل ورق الشجر، قال جابر رضي الله عنه: وكنا نضرب بعصينا الخبط(١٠)، ثم نبله بالماء فنأكله(١١)، فسمي ذلك الجيش جيش الخبط(١٢)، وقد أثر هذا الموقف في قيس بن سعد بن

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٠٢).
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) الإصابة (٥/ ٣٦٠).
(٤) المصدر السابق نفسه.
(٥) البداية والنهاية (١١/ ٣٥٤).
(٦) الإصابة (٥/ ٣٦٠، ٣٦١).
(٧) السرايا والبعوث النبوية، ص ١١٨.
(٨) شرح النووي على مسلم (١٣/ ٨٤).
(٩) فتح الباري (٨/ ٧٧).
(١٠) الخبط: ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها، واسم الورق الساقط خبط.
(١١) شرح النووي (١٣/ ٨٤).
(١٢) فتح الباري (٨/ ٧٨).

عبادة رضي الله عنهما وكان أحد جنود هذه السرية، فنحر للجيش ثلاث جزائر[(١)]، ثم نحر ثلاث جزائر، ثم نحر ثلاث جزائر، ثم إن أبا عبيدة نهاه[(٢)].

وقد جاء ما فعله قيس بن سعد من كرم وجود مفصلاً في تاريخ ابن عساكر، فعن داود بن قيس، وإبراهيم بن محمد الأنصاري وخارجة بن الحارث، قالوا: بعث ﷺ أبا عبيدة في سرية فيها المهاجرون والأنصار، ثلاثمئة رجل إلى ساحل البحر، إلى حين، فأصابهم جوع شديد، فقال قيس بن سعد أمن يشتري مني تمراً بجزر، يوفيني الجزر هاهنا وأوفيه التمر بالمدينة، . . . فوجد رجلاً من جهينة فقال قيس: بعني جزراً أوفيك أوسقة من تمر بالمدينة، قال الجهني: والله ما أعرفك، فمن أنت؟ قال: أنا ابن سعد بن عبادة بن دليم، قال الجهني: ما أعرفني بنسبك، وذكر كلاماً، فابتاع منه خمس جزائز كلَّ جزور بوسق من تمر، فشرط عليه البدوي تمر دخرة مصلبة من تمر آل دُليم، يقول قيس: نعم، قال: فأشهد له نفراً من الأنصار، ومعهم نفر من المهاجرين، قال قيس: أشهد من تحبّ، فكان فيمن أشهد عمر بن الخطاب، قال عمر: ما أشهد، هذا يدين ولا مال له، إنما المال لأبيه، قال الجهني[(٣)]: والله ما كان سعد ليُخني بابنه في أوسقة من تمر، وأرى وجهاً حسناً وفعالاً شريفاً. . . وأخذ قيس الجزر فنحرها لهم في مواطن ثلاثة كل يوم جزوراً، فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره، وقال: تريد أن تخفر ذمّتك ولا مال لك[(٤)].

وجاء في رواية أخرى: . . . . . . أقبل أبو عبيدة ومعه عمر، فقال: عزمت عليك أن لا تنحر؛ أتريد أن تخفر ذمتك؟ قال قيس: يا أبا عبيدة، أترى أبا ثابت يقضي ديون الناس ويحمل الكل، ويطعم في المجاعة لا يقضي عني أوسقة من تمر لقوم مجاهدين في سبيل الله، فكاد أبو عبيدة أن يلين له، وجعل عمر يقول: اعزم، فعزم عليه وأبى أن ينحر، وبقيت جزوران، فقدم بهما قيس المدينة ظهراً يتعاقبون عليهما، وبلغ سعداً فقال: ما صنعت في مجاعة القوم؟ قال: نحرت، قال: أصبت، قال: ثم ماذا؟ قال: نحرت، قال: أصبت، قال: ثم ماذا؟ قال: نحرت، قال: أصبت، قال: ثم ماذا؟ قال: نُهيتُ، قال: من نهاك؟ قال: أبو عبيدة أميري، قال: وثم؟ قال: زعم أنه لا مال لي، وأن المال لأبيك، فقلت: أبي يقضي عن الأباعد، ويحمل الكلَّ، ويطعم الطعام في المجاعة ولا يصنع هذا بي، قال: فلك أربع حوائط أدناها حائط منه تجذّ خمسين[(٥)] وسقاً، وقدم البدوي مع قيس فأوفاه أوسقته وحمله وكساه.

---

(١) جمع جزور، والجزور: البعير، أو خاص بالناقة.
(٢) فتح الباري (٨/ ٧٨).
(٣) أي: يسلمه ويخفر ذمته.
(٤) تاريخ ابن عساكر (٥٢/ ٢٨٠).
(٥) تاريخ ابن عساكر (٥٢/ ٢٨٠).

وجاء في رواية: أن الأعرابي قال: والله ما مثل أبيك ضيعت ولا تركت بغير مال، فأبوك سيد من سادات قومك، نهاني الأمير أن أبيعه، فقلت: لم؟ قال: لا مال له، فلما انتسب عرفته وتقدمت، لما أعرف أنك تسمو إلى معالي الأخلاق وجسيمها، وإنك غير مدبر، ولا معرفة لديك، فأعطى ابنه يومئذ أموالاً عظاماً[(١)].

وفي هذه القصة قيم ودروس وعبر كثيرة، منها:

أ ـ ضرورة الصبر لأصحاب الدعوة؛ لأنهم سيمرون بمشاق عظيمة.

ب ـ أهمية تربية الأبناء على الكرم والمروءة ومكارم الأخلاق، وهذا واضح في تربية سعد لابنه قيس، وإعطائه الأموال العظيمة تشجيعاً له للمضي في طريق المرءوة والكرم.

ج ـ أهمية وجود المال الصالح للعبد الصالح، فلو لم يكن لسعد مال كثير لم يستطع قيس المساهمة في حل أزمة المجاعة.

د ـ وكان قيس بن سعد رضي الله عنهما يقول: اللهم هب لي حمداً ومجداً، لا مجداً إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال، اللهم لا يصلحني إلا القليل[(٢)].

٢) ـ في فتح مكة:

دخل رسول الله ﷺ مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام[(٣)]، وهو واضع رأسه تواضعاً لله، حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إن ذقنه ليكاد يمس واسطة الرحل، ودخل وهو يقرأ سورة الفتح[(٤)]، مستشعراً بنعمة الفتح وغفران الذنوب، وإفاضة النصر العزيز[(٥)]، وعندما دخل مكة فاتحاً ـ وهي قلب جزيرة العرب ومركزها الروحي والسياسي ـ رفع كل شعار من شعائر العدل والمساواة، والتواضع والخضوع، فأردف أسامة بن زيد[(٦)]، وهو ابن مولى رسول الله ﷺ ولم يردف أحداً من أبناء بني هاشم وأبناء أشراف قريش وهم كثير، وكان ذلك صبح يوم الجمعة لعشرين ليلة خلت من رمضان، سنة ثمان من الهجرة[(٧)]، وقد حرص النبي ﷺ على تأمين الجبهة الداخلية في مكة عند دخوله يوم الفتح، ولذلك عندما بلغه مقولة سعد بن عبادة لأبي سفيان اليوم يوم الملحمة، اليوم نستحل الكعبة، قال ﷺ: «هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه

---

(١) المصدر السابق نفسه.
(٢) تاريخ ابن عساكر (٥٢/ ٢٨٤).
(٣) مسلم، رقم ١٣٥٨.
(٤) البخاري، رقم ٤٢٨١، كتاب المغازي.
(٥) صورة وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص ٣٩٦.
(٦) البخاري، رقم ٤٢٨٩.
(٧) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص ٣٣٧.

الكعبة»[١]، وأخذ الراية من سعد بن عبادة وسلمها لابنه قيس بن سعد، وبهذا التصرف الحكيم حال دون أي احتمال لمعركة جانبية هم في غنىً عنها، وفي نفس الوقت لم يُثره، ولا أثار الأنصار، فهو لم يأخذ الراية من أنصاري ويسلمها لمهاجر، أو أنصاري آخر بل أخذها من أنصاري وسلمها لابنه، ومن طبيعة البشر أن لا يرضى الإنسان بأن يكون أحد أفضل منه إلا ابنه[٢]، وفي هذه الحادثة تظهر حكمة النبي ﷺ في كيفية تصحيح الخطأ، وأسلوبه في التعامل مع النفوس، فلم يترك خطأ سعد يمر وفي نفس الوقت راعى نفسيته، فصحح خطأ سعد وأعطى الراية ابنه.

٣) ـ في عهد الصديق رضي الله عنه:

كانت أواصر النسب بين الصديق وقيس بن سعد بن عبادة من القوة بمكان، فقد تزوج قيس رضي الله عنه قريبة بنت أبي قحافة أخت أبي بكر الصِّديق[٣]، وقد ذكر ابن عبد البر خبراً حكم عليه بالصحة حيث قال: . . . توفي ـ سعد بن عبادة ـ عن حمل لم يعلم به، فلما وُلد ـ وقد كان سعد رضي الله عنهما قسم ماله في حين خروجه من المدينة بين أولاده فكلّم أبو بكر وعمر رضي الله عنه في ذلك قيساً، وسألاه أن ينقض ما صنع سعد من تلك القِسمة، فقال: نصيبي للمولود، ولا أغيّر ما صنع أبي ولا أنقصه ـ خبر صحيح من رواية الثقات[٤].

وهذا الخبر الصحيح يبين بطلان الرواية الباطلة التي تنسب لسيد الأنصار العمل على شق عصا المسلمين، والتنكر لكل ما قدمه من نصرة وجهاد وإيثار للمهاجرين والطعن بإسلامه من خلال ما ينسب إلى سعد بن عبادة من قول: لا أبايعكم حتى أرميكم بما في كنانتي، وأخضب سنان رمحي، وأضرب سيفي، فكان لا يصلي بصلاتهم، ولا يجمع بجماعتهم، ولا يقضي بقضائهم، ولا يفيض بإفاضتهم، حتى هلك أبو بكر[٥].

فقد استغلت هذه الرواية الباطلة للطعن بوحدة المهاجرين والأنصار وصدق أخوتهم، فالراوي صاحب هوى وهو إخباري تالف لا يوثق به[٦]؛ ولا سيما في المسائل الخلافية، وهو لوط بن يحيى أبو مخنف متروك، ولم يعتد بأبي مخنف ويعتبر بروايته ويعتمد عليها سوى الشيعة؛ فقد كان من أعظم مؤرخي الشيعة على قول ابن القمي[٧]، وزعمت رواية أخرى في غاية

---

(١) البخاري، كتاب المغازي، (٥/ ١٠٨) رقم ٤٢٨٠.
(٢) قيادة الرسول السياسية والعسكرية، ص ١٩٦.
(٣) البداية والنهاية (١١/ ٣٥٥).
(٤) الاستيعاب (٣/ ١٢٨٩).
(٥) تاريخ الطبري (٤/ ٤٢) لا يفيض بإفاضتهم: أي في الحج.
(٦) ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٣/ ٢٩٩٢).
(٧) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري: د. يحيى اليحيى، ص ٤٥، ٤٦.

الضعف بأن سعداً عاش حتى عهد عمر، حيث قالت: . . فلما ولي عمر، لقيه فقال: إيه يا سعد: فقال: إيه يا عمر، فقال عمر: أنت صاحب ما أنت صاحبه؟ قال: نعم. وقد أفضى إليك هذا الأمر، وكان صاحبُك والله أحبَّ إلينا منك، وقد أصبحت كارهاً لجوارك. قال: من كره ذلك تحول عنه. فلم يلبث إلا قليلاً حتى انتقل إلى الشام. فمات بحوران[١].

إن الرواية الصحيحة تبين بأن سعد بن عبادة مات في خلافة الصديق كما مرّ معنا، كما أن سعد بن عبادة رضي الله عنه بايع أبا بكر بالخلافة في أعقاب النقاش الذي دار في سقيفة بني ساعدة، إذ إنه نزل عن مقامه الأول في دعوى الإمارة وبايع للصديق بالخلافة، وكان ابن عمه بشير بن سعد الأنصاري أول من بايع الصديق رضي الله عنه في اجتماع السقيفة، ولم يثبت النقل الصحيح أية أزمات، لا بسيطة ولا خطيرة، ولم يثبت أي انقسام أو فرق لكل منها مرشح يطمع في الخلافة كما زعم بعض كتاب التاريخ، ولكن الأخوة الإسلامية ظلت كما هي، بل ازدادت توثقاً كما يثبت ذلك النقل الصحيح، ولم يثبت النقل الصحيح تآمراً حدث بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة لاحتكار الحكم بعد وفاة رسول الله[٢] ﷺ. فهم كانوا أخشى لله وأتقى أن يفعلوا ذلك[٣].

وقد حاول بعض الكتّاب من المؤرخين من أصحاب الأهواء أن يجعلوا من السيد الكبير الشريف: أبي قيس الأنصاريّ الخزرجي الساعدي المدني، النقيب سيد الخزرج[٤] سعد ابن عبادة رضي الله عنه؛ منافساً للمهاجرين يسعى للخلافة بالشر، ويدير لها المؤامرات، ويستعمل في الوصول إليها كل أساليب التفرقة بين المسلمين. هذا الرجل ـ الذي هو والد قيس ـ إذا راجعنا تاريخه وتتبعنا مسلكه، وجدنا مواقفه مع الرسول ﷺ تجعله من الصفوة الأخيار الذين لم تكن الدنيا أكبر همهم، ولا مبلغ علمهم، فهو النقيب في بيعة العقبة الثانية، حتى لجأت قريش إلى تعقبه قرب مكة، وربطوا يديه إلى عنقه وأدخلوه مكة أسيراً، حتى أنقذه منهم جبير بن مطعم بن عدي؛ حيث كان يجيرهم في المدينة، وهو من الذين شهدوا بدراً[٥]، وحظي بمقام أهل بدر ومنزلتهم عند الله، وكان من بيت جود وكرم، وشهد له بذلك رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يعتمد عليه ـ بعد الله ـ وعلى سعد بن معاذ كما في غزوة الخندق عندما استشارهم في إعطاء ثلث ثمار المدينة لعيينة بن حصن الفزاري، فكان رد سعد بن عبادة يدل على عمق الإيمان وكمال[٦] التضحية؛ فمواقف سعد مشهورة ومعلومة.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٧٧)، إسنادها في غاية الضعف لأن الواقدي متروك، ومحمد بن صالح التمار صدوق يخطئ، والزبير بن منذر مستور.
(٢) استخلاف أبي بكر ـ جمال عبد الهادي، ص ٥٠، ٥١، ٥٣.
(٣) أبو بكر الصديق، للصلاَّبي، ص ١٤٤.
(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧٠).
(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٥٩٤).
(٦) الخلافة والخلفاء الراشدون، سالم البهنساوي، ص ٤٨.

فهذا الصحابي الجليل صاحب الماضي المجيد في خدمة الإسلام والصحبة الصادقة لرسول الله لا يثبت ولا يعقل أنه كان يريد أن يحيي العصبية الجاهلية في مؤتمر السقيفة؛ لكي يحصل في غمار هذه الفرقة على منصب الخلافة، كما أنه لم يثبت ولم يصح ما ورد في بعض المراجع من أنه ـ بعد بيعة أبي بكر ـ كان لا يصلي بصلاتهم ولا يفيض في الحج بإفاضتهم(١)، كأنما انفصل سعد بن عبادة رضي الله عنه عن جماعة المسلمين(٢)، فهذا باطل ومحض افتراء، فقد ثبت من خلال الروايات الصحيحة أن سعداً بايع أبا بكر، فعندما تكلم أبو بكر يوم السقيفة، فذكر فضل الأنصار وقال: ولقد علمتم أن رسول الله قال: «لو سلك الناس وادياً، وسلكت الأنصار وادياً أو شعباً؛ لسلكت وادي الأنصار، أو شعب الأنصار»(٣). ثمّ ذكر سعد بن عبادة بقول فصل وحجة لا ترد فقال: ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: «قريش ولاة هذا الأمر، فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم». قال سعد: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء(٤)، فتتابع القوم على البيعة وبايع سعد(٥).

وبهذا تثبت بيعة سعد بن عبادة، وبها يتحقق إجماع الأنصار على بيعة الخليفة أبي بكر، ولا يعود أي معنى للترويج لرواية باطلة، بل سيكون ذلك مناقضاً للواقع واتهاماً خطيراً، أن ينسب لسيد الأنصار العمل على شق عصا المسلمين، والتنكر لكل ما قدمه من نصرة وجهاد، وإيثار للمهاجرين، والطعن بإسلامه من خلال ما ينسب إليه من قول ثبت بطلانه، وقد بينا أن إسناده في غاية الضعف، وأما متنه فهو يناقض سيرة سعد بن عبادة! وما في عنقه من بيعة على السمع والطاعة، ولما روي عنه من فضائل(٦).

هذا وقد كان لسعد وصية أوصى بها ابنه جاء فيها: يا بني أوصيك بوصيّة فاحفظها، فإن أنت ضيعتها فأنت لغيرها من الإمرة أضيع، إذا توضّأت فأتم الوضوء، ثم صل صلاة امرئ مودّع ترىٰ أنك لا تعود، وأظهر اليأس من الناس، فإنه غنى، وإيّاك وطلب الحوائج إليهم فإنه فقر حاضر، وإيَّاك وكل شيء يعتذر منه(٧).

٤) ـ في عهد علي رضي الله عنه:

استشهد عثمان رضي الله عنه، وعلى مصر محمد بن أبي حذيفة مغتصباً للولاية فيها، ولم

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٤٩.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) البخاري، كتاب التمني، رقم ٧٢٤٤.
(٤) السلسلة الصحيحة، رقم ١١٥٦؛ مسند أحمد، رقم ١٨.
(٥) الأنصار في العصر الراشدي، ص ١٠٢، تاريخ الطبري (٣/ ٢٢٣).
(٦) المصدر السابق نفسه، ص ١٠٢، ١٠٣.
(٧) تاريخ ابن عساكر (٢٢/ ١٨١).

يقرّه عثمان عليها، وبعد وفاة عثمان أقره علي على مصر فترة من الوقت لم تطل، حيث وجه معاوية جيشاً إلى نواحي مصر، فظفر بمحمد بن أبي حذيفة فقبض عليه ثم سجن وقتل(١)، وقد ذكر أن علياً لم يعين محمد بن أبي حذيفة على مصر، وإنما تركه على حاله، حتى إذا قتل عين عليٌّ قيس بن سعد الأنصاري على ولاية مصر(٢)، فقال له: سر إلى مصر وليتكها، واخرج إلى رحلك واجمع إليه ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند، فإن ذلك أرعب لعدوك وأعز لوليك، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله، فأحسن إلى المحسن واشتد على المريب، وارفق بالعامة والخاصة، فإن الرفق يمن(٣).

وقد ظهر ذكاء قيس وحسن تصرفه في العديد من المواقف؛ فإنه حين توجه إلى مصر كان فيها مجموعة ممن غضبوا لمقتل عثمان، ومجموعة ممن اشتركوا في قتله ولقد لقيته خيل من مصر قبل دخوله إليها فقالوا: من أنت؟ قال: من فألة(٤) عثمان، فأنا أطلب من أوى إليه فانتصر به لله، قالوا: من أنت؟ قال: قيس بن سعد، قالوا: امضِ، فمضى حتى دخل مصر، وهذا الموقف الذي لقيس هو الذي مكنه من دخول مصر، ثم أعلن بعد ذلك أنه أمير، وربما لو أنه أعلن لهؤلاء الأجناد أنه أمير لمنعوه من دخول مصر أصلاً، كما حدث لمن وجهه علي إلى الشام فمنعته أجناد الشام من دخولها حينما علموا أنه قد بعث أميراً على الشام(٥).

وحينما وصل قيس بن سعد إلى الفسطاط صعد المنبر وخطب في أهل مصر، وقرأ عليهم كتاباً من علي بن أبي طالب رضي الله عنه وطلب البيعة لعلي(٦)، وهنا انقسم أهل مصر إلى فريقين؛ فريق دخل في بيعة علي وبايعوا قيساً، وفريق توقف واعتزل، وكان قيس ابن سعد حكيماً مع الذين بايعوا والذين امتنعوا، حيث لم يجبرهم على البيعة وكف عنهم وتركهم في حالهم(٧)، ولم يكتف بذلك بل إنه بعث لهؤلاء أعطياتهم في مكان اعتزالهم، ووفد عليه قوم منهم فأكرمهم وأحسن إليهم(٨)، فساعدت تلك المعاملة الطيبة على تجنب الصدام بهم، وبالتالي ساعدته على هدوء الأوضاع بمصر، حتى استطاع قيس أن ينظم الأمور فيها، فوزع الأمراء ونظم أمور الخراج

---

(١) ولاة مصر للكندي، ص ٤٢، ٤٣؛ الولاية على البلدان (٢/ ٩).
(٢) ولاة مصر، ص ٤٤؛ النجوم الزاهرة (١/ ٩٤).
(٣) الكامل في التاريخ (٢/ ٣٥٤).
(٤) الفألة: الجماعة المنهزمون، لسان العرب (١١/ ٥٣١).
(٥) الولاية على البلدان (٢/ ١٠)، نقلاً عن نهاية الأرب في تاريخ العرب للنويري.
(٦) تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٣٩).
(٧) ولاة مصر، ص ٤٤.
(٨) المصدر السابق نفسه.

وعيَّن رجالات على الشرطة[١]، وبذلك استطاع أن يرتب ولاية مصر، وأن يسترضي جميع الأطراف فيها[٢].

وأصبح قيس بن سعد في هذا الموقع يشكل ثقلاً سياسياً وخطراً عسكرياً على معاوية ابن أبي سفيان في الشام، ونظراً لقرب مصر من الشام ولترتيب قيس لها وتنظيمها، وما اشتهر عن قيس من حزم ودهاء، وخوف معاوية من حركات عسكرية مناوئة له تخرج من مصر، ولذلك فإنه أخذ يراسل قيس بن سعد في مصر مهدداً له، وفي الوقت نفسه يحاول إغراءه بالانضمام إليه، وكانت إجابات قيس على تلك الرسائل إجابات ذكية بحيث لم يستطع معاوية أن يفهم موقف قيس وما ينوي عمله، وقد تعددت بينهما الرسائل[٣].

وقد انتشرت الروايات الشيعية من الرسائل بين معاوية وقيس بن سعد التي ذكرها أبو مخنف في كتب التاريخ، وهي باطلة لا تصح، فقد انفرد بها هذا الرافضي التالف الذي ضعفه رجال الجرح والتعديل، بها وفي متن تلك الرواية الساقطة غرائب؛ من أبرزها ما يلي:

أ ـ خطاب علي إلى أهل مصر مع قيس بن سعد وفيه: ثم ولي بعدهما والٍ، فأحدث أحداثاً، فوجدت عليه الأمة مقالاً فقالوا، ثم نقموا عليه فغيروا، وهذا يعني أن الذين قاموا على عثمان رضي الله عنه، رجال الأمة، وأن الأمة قد غيرت هذا المنكر بقتل عثمان، وعلي رضي الله عنه بريءٌ من هذا القول، وهو يعلم أن الذين قتلوا عثمان هم أوباش الناس، وأن قتله ظلم وفجور، وأقواله تدل على ذلك، ومنها ما رواه ابن عساكر: أن محمد ابن الحنفية قال: ما سمعت علياً ذاكراً عثمان بسوء قط[٤].

ب ـ وأخرج الحاكم وابن عساكر أن علياً رضي الله عنه قال: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان وأنكرت نفسي، وجاؤوني للبيعة فقلت: والله إني لأستحيي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال له رسول الله ﷺ: «ألا أستحيي ممن تستحيي منه الملائكة»، وإني لأستحيي من الله أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد، فانصرفوا فلما دفن رجع الناس يسألونني البيعة، فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعت، فلما قالوا: أمير المؤمنين؛ فكأنما صدع قلبي وانسكب[٥] بعبرة، وقد أرسل الحسن

---

(١) الولاية على البلدان (٢/ ١١)؛ النجوم الزاهرة (١/ ٩٨).
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) الكامل (٢/ ٣٥٥)؛ الولاية على البلدان (٢/ ١١).
(٤) تاريخ ابن عساكر، ترجمة عثمان، ص ٣٩٥.
(٥) المستدرك (٢/ ٣٥٥)، صحيح على شرط الشيخين.

والحسين رضي الله عنهما للدفاع عن عثمان رضي الله عنه، وأقواله في هذا المعنى كثيرة[١]، وقد جمعتها في كتابي (تيسير الكريم المنان في سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان)[٢].

جـ ـ قول قيس بن سعد: أيها الناس إنا قد بايعنا خير ما نعلم بعد نبينا ﷺ، وهذا مردود، إذ إن الثابت تفضيل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، على بقية الصحابة على علي رضي الله عنه، كما صح عن علي نفسه: أنه صرح بذلك، وهذا لا يشك فيه أحد في ذلك الزمان من الصحابة وغيرهم، وعليه فلا يصح نسبة هذا الكلام لقيس بن سعد رضي الله عنه ولا لغيره من الصحابة، ولم يشتهر هذا إلا عند الشيعة الروافض المتأخرين[٣]، قال ابن تيمية: الشيعة المتقدمون كلهم متفقون على تفضيل أبي بكر وعمر[٤].

والأدلة في تفضيل أبي بكر وعمر كثيرة، منها ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ، فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان[٥]، والأحاديث في ذلك كثيرة[٦]، ومشهورة، وحقيقة الأمر كما مر معنا في الروايات الصحيحة السابقة أن معاوية طلب من أمير المؤمنين تسليمه قتلة عثمان ولم يتهم أمير المؤمنين علياً به.

د ـ رسالة معاوية إلى قيس بن سعد: وإشارته فيها إلى كون علي طرفاً في قتل عثمان، وهذا لا يصح صدوره من معاوية، ذلك أن الأمر واضح فيه براءة علي رضي الله عنه كما في الفقرة السابقة، وهذا لا يجهله معاوية رضي الله عنه فضلاً أن يُقِرَّه لقيس بن سعد رضي الله عنهما، وهذا محمد بن سيرين من كبار التابعين ومن الذين عاصروا ذلك المجتمع يقول: لقد قتل عثمان وما أعلم أحداً يتهم علياً في قتله[٧]، ويقول أيضاً: لقد قتل عثمان يوم قتل وإن الدار يومئذ لغاصة، فيهم عبد الله بن عمر، وفيهم الحسن بن علي في عنقه السيف، ولكن عثمان عزم عليهم أن لا يقاتلوا[٨]، وأخرج ابن أبي شيبة بسند رجاله ثقات عن محمد بن الحنفية أن علياً قال: لعن الله قتلة عثمان في السهل والجبل والبر والبحر[٩]، والنصوص الصحيحة في هذا المعنى كثيرة جداً[١٠]،

(١) مرويات أبي مخنف، د. يحيى اليحيى، ص ٢١١.
(٢) عثمان بن عفان للصَّلاَّبي، ص ٤٠٧، ٤٠٩.
(٣) مرويات أبي مخنف، ص ٢١١.
(٤) منهاج السنة (١/ ١١١).
(٥) البخاري، رقم ٣٦٩٧.
(٦) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص ٢١٢.
(٧) تاريخ ابن عساكر، ترجمة عثمان ص ٣٩٥؛ مرويات أبي مخنف، ص ٢١٢.
(٨) المصدر السابق نفسه، ص ٣٥٠.
(٩) المصنف (١٥/ ٢٦٨).
(١٠) تاريخ ابن عساكر ترجمة عثمان، ص ٣٩٥.

مما يؤكد اشتهار كراهية علي رضي الله عنه لقتل عثمان[١] .

هـ ـ وأما ما أورده من اتهام معاوية للأنصار في دم عثمان، فهذا لا يصح من معاوية، وهو يعلم أن الذي قام بالدفاع جميعاً هم الأنصار، فقد أخرج ابن سعد بسند صحيح : أن زيد بن ثابت رضي الله عنه جاء إلى عثمان رضي الله عنه وهو محصور فقال : هذه الأنصار بالباب يقولون : إن شئت كنا أنصار الله مرتين، قال : فقال عثمان : أما القتال فلا[٢] .

و ـ ما ذكره من اختلاق معاوية كتاباً على لسان قيس بن سعد، فهذا من الكذب الذي لا يعقل صدوره من معاوية، ذلك أن العرب كانوا يعدون الكذب من أقبح الصفات التي يتنزه عنها الرجال الكرام، وهذه قصة أبي سفيان وهو يومئذ على الشرك فيما أخرجه البخاري في قصة سؤال هرقل عن رسول الله ﷺ ، يقول أبو سفيان : فوالله لولا الحياء من أن يؤثروا علي كذباً لكذبت عنه[٣] ، فهذه منزلة الكذب عند العرب، وعند المسلمين أشد وأخزى، ولا يقول قائل : هذه خدعة، والحرب خدعة، فإن الخدعة ليس معناها الكذب، كما هو معلوم من كلام العرب، ومعاوية رضي الله عنه أحذق من أن يفعل هذا[٤] .

ز ـ رواية هذه الكتب الكثيرة بين قيس ومعاوية وعلي رضي الله عنهم بهذا التسلسل وبهذه الدقة تدخل الشك والريبة على القارئ لجهالة المطلع والناقل لها .

يقول الدكتور يحيى اليحيى : إن ولاية قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما على مصر من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أمر مجمع عليه[٥] ، وكل من ترجم لقيس لم يذكر هذه التفاصيل[٦] ، أي التي ذكرها أبو مخنف في روايته ـ وحتى مؤرخو مصر المعتبرون لم يذكروا ذلك[٧] ، هذا وقد نقل رواية أبي مخنف من الطبري بعد حذف واختصار كل من : ابن الأثير، وابن كثير، وابن خلدون، وابن تغري بردي[٨] ، وقد أخرج الكندي أيضاً عن عبد الكريم الحارث قال : لما ثقل مكان قيس على معاوية كتب إلى بعض بني أمية بالمدينة : أن جزى الله قيس بن سعد خيراً، واكتموا ذلك، فإني أخاف أن يعزله علي إن بلغه ما بينه وبين شيعتنا، حتى بلغ علياً فقال من معه من رؤساء أهل العراق وأهل المدينة : بدّل قيس وتحوّل، فقال علي : ويحكم إنه لم

---

(١) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص ٢١٣ .
(٢) الطبقات (٣/ ٧٠)، سنده صحيح .
(٣) البخاري، رقم ٧ .
(٤) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص ٢١٤ .
(٥) تاريخ خليفة، ص ٢٠١ ؛ فتوح مصر، ص ٢٧٤ ؛ سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢) .
(٦) طبقات ابن سعد (٦/ ٥٢)؛ تاريخ بغداد (١/ ١٧٧)؛ سير أعلام النبلاء (٣/ ١٠٢) .
(٧) النجوم الزاهرة (١/ ٩٧)؛ البداية والنهاية (٧/ ٢٥١) .
(٨) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص ٢١٠ .

يفعل، فدعوني، قالوا: لتعزلنه فإنه قد بدّل، فلم يزالوا به حتى كتب إليه: إني قد احتجت إلى قربك، فاستخلف على عملك واقدم[١]، وقد رجح هذه الرواية الدكتور اليحيى في كتابه القيم (مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري) قال:

- إنها من رواية مصري ثقة، وهو أعلم بقطره من غيره.

- أخرجها مؤرخ مصري.

- خلوّها من الغرائب.

- متنها مما يتفق مع سيرة أولئك الرجال.

- بينت تردّد علي في عزل قيس حتى ألح عليه الناس، فاستبقاه عنده، وهكذا القائد لا يفرط بالقيادات الحاذقة وقت المحن[٢].

هذا وقد تدخل بعض الناس للإفساد بين علي وقيس بن سعد لكي يعزله، وفي نهاية المطاف طلب بعض مستشاري علي منه أن يعزل قيساً، وصدقوا تلك الإشاعات التي قيلت فيه، وألحوا في عزله، فكتب إليه علي: إني قد احتجت إلى قربك فاستخلف على عملك واقدم[٣]. كان هذا الكتاب بمثابة عزل لقيس عن ولاية مصر، وقد عين علي مكانه الأشتر النخعي[٤]،على أكثر الأقوال، وقد التقى علي بالأشتر قبل سفره إلى مصر، فحدثه حديث أهل مصر وخبره خبر أهلها، وقال: ليس لها غيرك، اخرج رحمك الله فإني إن لم أوصك اكتفيت برأيك، واستعن بالله على ما أهمّك فاخلط الشدة باللين، وارفق ما كان الرفق أبلغ، واعزم بالشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة[٥].

قد توجه الأشتر إلى مصر ومعه رهط من أصحابه، إلا أنه حينما وصل إلى أطراف بحر القلزم ـ البحر الأحمر ـ مات قبل أن يدخل مصر، وقد قيل: إنه سقي شربة مسمومة من عسل فمات منها، وقد اتهم أناس من أهل الخراج أنهم سموه بتحريض من معاوية[٦]، والتهمة الموجهة إلى معاوية في قتل الأشتر بالسم لا تثبت من طريق صحيح، واستبعد ذلك ابن كثير[٧]، وابن خلدون[٨]،

---

(١) ولاة مصر، ص ٤٥ ـ ٤٦، وفيها المدائني، وهو صدوق، وبقية رجالها ثقات، إلا أنها مرسلة.
(٢) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص ٢١٠.
(٣) ولاة مصر، ص ٤٥ ـ ٤٦.
(٤) فتوح البلدان، ص ٢٢٩، الولاية على البلدان (٢/ ١٢).
(٥) النجوم الزاهرة (١/ ١٠٣).
(٦) المصدر السابق نفسه (١/ ١٠٤)؛ سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤).
(٧) البداية والنهاية (٨/ ٣٠٣).
(٨) تاريخ ابن خلدون (٤/ ١١٢).

وسار على نهجهم الدكتور يحيى اليحيى[١]، وملت إلى هذا القول.

هذا وقد مات الأشتر قبل أن يباشر عمله في مصر، ومع ذلك فإن المصادر تتحدث عنه كأحد ولاة مصر لعلي بن أبي طالب، وقد ولي بعده على مصر محمد بن أبي بكر[٢]، وقد سبق لمحمد بن أبي بكر: أن عاش في مصر في عهد عثمان، وتدل الروايات على أن محمد بن أبي بكر قد وصل إلى مصر قبل أن يغادرها الوالي الأول قيس بن سعد، وقد دارت محاورة بين قيس بن سعد ومحمد بن أبي بكر، قدم فيها قيس عدة نصائح لمحمد، خصوصاً فيما يتعلق بالناس الغاضبين لمقتل عثمان، والذين لم يبايعوا علياً بعده، وقد قال قيس: يا أبا القاسم إنك قد جئت من عند أمير المؤمنين، وليس عزله إياي بمانعي أن أنصح لك وله، وأنا من أمركم هذا على بصيرة، ودع هؤلاء القوم ومن انضم إليهم ـ يقصد الذين لم يبايعوا علياً ولا غيره ـ على ما هم عليه، فإن أتوك، فاقبلهم، وإن تخلفوا عنك فلا تطلبهم، وأنزل الناس على قدر منازلهم، وإن استطعت أن تعود المرضى وتشهد الجنائز فافعل، فإن هذا لا ينقصك[٣]. ثم رجع قيس إلى المدينة، وبعدها التحق بأمير المؤمنين علي رضي الله عنه بالكوفة، وشهد معه معركة صفين وهو القائل يومها:

هذا اللواء الذي كُنا نحفُّ به ... مع النبي وجبريل لنا مدد
ما ضرّ من كانت الأنصار[٤] عيبته ... أن لا يكون له من غيرهم أحد
قوم إذا حاربوا طالت أكُفُّهُمُ ... بالمشرفية حتى يفتح البلد[٥]

وبقي مع أمير المؤمنين علي حتى قتل. فصار مع الحسن وسار في مقدمته إلى معاوية، فلما بايع الحسن معاوية ـ وسيأتي تفصيلها بإذن الله ـ دخل قيس في بيعة معاوية، وعاد إلى المدينة[٦]، وأقبل على العبادة[٧].

٥) ـ قول قيس: إنا لا نعود في شيء أعطيناه[٨]:

عن موسى بن أبي عيسى: أن رجلاً استقرض من قيس بن سعد بن عبادة ثلاثين ألفاً، فلما ردَّها عليه أبى أن يقبلها وقال: إنا لا نعود في شيء أعطيناه[٩].

---

(١) مرويات أبي مخنف، ص ٢٢٤.
(٢) النجوم الزاهرة (١/ ١٠٦).
(٣) تاريخ ابن عساكر (٢٢/ ١٨١).
(٤) عيبة الرجل: موضع سره.
(٥) المشرفية: سيوف منسوبة إلى المشارف، وهي قرى من أرض اليمن.
(٦) أسد الغابة (٤/ ٤٥٢).
(٧) الاستيعاب (٣/ ١٢٩٠).
(٨) المصدر السابق نفسه (٣/ ١٢٩١).
(٩) المصدر السابق نفسه.

٦) ـ قول قيس: لقد سألتِ فأحسنتِ[(١)]:

جاءت عجوز قيس بن سعد بن عبادة قد كان يعرفها، فقال لها: كيف أنت؟ فقالت: أحمد الله إليك ما في بيتي فأرة تدبّ، فقال: لقد سألتِ فأحسنتِ، لأملأن عليك بيتك فأراً، فأمر لها بدقيق كثير، وزيت وما يحتاج إليه معها، وانصرفت[(٢)] وقد ذكرها ابن عبد البر وقال: مشهورة صحيحة[(٣)].

٧) حال الرجل الذي تمنى قيس أن يعمل مثله[(٤)]:

قال قيس بن سعد: تمنّيت أن أكون في حال رجل رأيته، أقبلنا من الشام، فإذا نحن بخباء، فقلنا: لو نزلنا هاهنا، فإذا امرأة في الخباء، فلم نلبث أن جاء رجل بذودٍ له، فقال لامرأته: من هؤلاء؟ فقالت: قوم نزلوا بك، فجاء بناقة فضرب عرقوبيها ثم قال: دونكم، وقال: يا هؤلاء انحروها، قال: فنحرناها فأصبنا من أطايبها، فلما كان من الغد جاءنا بأخرى، فضرب عرقوبيها، وقال: يا هؤلاء انحروها، قال: فنحرناها، فقلنا: اللحم عندنا كما هو، قال: إنّا لا نطعم أضيافنا الغابّ، قال: فقلت لأصحابي: إن هذا الرجل إن أقمنا عنده لم يبق عنده بعير، فارتحلوا بنا، وقلت لقيّمي: اجمع ما عندك، قال: ليس إلا أربعمئة درهم، قلت: هاتها، وهات كسوتي، فجمعناها فقلت: بادروه، فدفعناه إلى امرأته، ثم سرنا، فلم نلبث أن رأينا شخصاً، فقلت: ما هذا؟ قالوا: لا ندري، فدنا، فإذا رجل على فرس يجرّ رمحه، فإذا صاحبنا، فقلت: وا سوأتاه استقل والله ما أعطيناه، قال: فدنا، فقال: دونكم متاعكم، فخذوه، فقلت: والله ما كان إلاّ ما رأيت، ولقد جمعنا ما كان عندنا، قال: إنيّ والله لم أذهب حيث تذهبون، فخذوه، قلنا: فلا نأخذه، قال: والله لأميلنّ عليكم برمحي ما بقي منكم رجل أو تأخذونه، قال: فأخذناه فولّى، وقال: إنّا لا نبيع القِرَى[(٥)] ـ أي: الضيافة.

٨) هل أسخى الناس قيس بن سعد، أم عبد الله بن جعفر، أم عرابة الأوسي؟:

امترى ثلاثة في الأجواد، فقال رجل: أسخى الناس عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وقال آخر: أسخى الناس في عصرنا هذا قيس بن سعد بن عبادة، وقال الثالث: أسخى الناس عرابة الأوسي، فتلاحوا وأفرطوا وكثر ضجيجهم في ذلك بفناء الكعبة، فقال لهم رجل: قد أكثرتم، فلا عليكم، يمضي كل منكم إلى صاحبه، يسأله حتى ينظر ما يعطيه، ونحكم على العيان، فقام صاحب عبد الله بن جعفر، فصادفه وقد وضع رجله في غرز راحلته، يريد ضيعة له، فقال له:

---

(١) تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٨٦).
(٢) تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٨٦).
(٣) الاستيعاب (٣/ ١٢٩٢).
(٤) تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٨٥).
(٥) المصدر السابق نفسه.

يا بن عم رسول الله ﷺ. قال: قل ما تشاء، قال: ابن سبيل ومنقطع به، قال: فأخرج رجله من الغرز وقال: ضع رجلك واستوِ على الناقة، وخذ ما في الحقيبة، ولا تحد عن السيف، فإنه من سيوف علي بن أبي طالب، وامض لشأنك قال: فجاء بالناقة والحقيبة فيها مطارف خزّ، وفيها أربعة آلاف دينار، وأعظمها وأجلها خطراً السيف.

ومضى صاحب قيس بن سعد بن عبادة فلم يصادفه وعاد، فقالت له الجارية: هو نائم فما حاجتك إليه؟ قال: ابن سبيل ومنقطع به، قالت: فحاجتك أيسر من إيقاظه، هذا كيس فيه سبعمئة دينار، ما في دار قيس مال في هذا اليوم غيره، وامض إلى معاطن الإبل إلى مولانا بغلامينا، فخذ راحلة مرحّلة، وما يصلحها، وعبداً، وامض لشأنك، فقيل: إن قيساً انتبه من رقدته، فخبرته المولاة بما صنعت، فأعتقها، وقال لها: ألا نبهتني فكنت أزيده من عروض ما في منزلنا، فلعل ما أعطيته لم يقع بحيث ما أراد.

ومضى صاحب عرابة الأوسي إليه فألفاه وقد خرج من منزله يريد الصلاة، وهو متوكّى، على عبدين، وقد كُفّ بصره فقال: يا عرابة، قال: قل ما تشاء، قال: ابن سبيل ومنقطع به، قال: فخلّى عن العبدين، ثم صفّق بيده اليمنى على اليسرى، ثم قال: أوه والله ما أصبحت ولا أمسي وقد تركت الحقوق لعرابة من مال، ولكن خذهما فهما حرّان، وإن شئت فأعتق، وإن شئت فخذ، وأقبل يلتمس الحائط بيده، قال: فأخذهما وجاء بهما.

قال: فحكم الناس على ابن جعفر قد جاد بمالٍ عظيم، وإن ذلك ليس بمستنكر له إلا أن السيف أجلّها، وأن قيساً أحد الأجواد حكّم مملوكة في ماله بغير علمه، واستحسانه ما فعلته وعتقه لها، وما تكلم به، وأجمعوا على أن أسخى الثلاثة عرابة الأوسي لأنه جهد من مُقلّ[(١)]، ومن قيم ذلك العصر الواضحة المعالم التنافس في الكرم والجود وفعل الخير.

٩) ـ خبر منسوب إلى قيس لا يصح إثباته:

بعث قيصر إلى معاوية بن أبي سفيان: أن ابعث إليّ سراويل أطول رجل من العرب، فقال لقيس بن سعد: ما أظننا إلاّ قد احتجنا إلى سراويلك، قال: فقام فتنحّى فجاء بها فألقاها إلى معاوية، فقال معاوية: رحمك الله، ما أردت إلى هذا؟ ألا ذهبت إلى منزلك ثم بعثت بها إلينا؟ فقال قيس:

أردت بها كي يعلم الناس أنّها ... سراويل قيس والوفود شهود
وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه ... سراويل عادي نمته ثمود
وإني من الحيّ اليماني لسيدٌ ... وما الناس إلاّ سيد ومسود

---

(١) تاريخ دمشق (٥٢/٢٨٦).

فكدهم بمثلي إن مثلي عليهم شديد وخلقي في الرجال مديد

قال: فأمر معاوية أطول رجل في الجيش فوضعها على أنفه فوقعت بالأرض، قال: فدعا معاوية بسراويل، فلما جيء بها قال له قيس: نحِّ عنك ثيابك هذه، فقال معاوية:

أما قريش فأقوام مسرولة واليثربيون أصحاب التبابين

فقال قيس:

تلك اليهود التي يعني ببلدتنا كما قريش هم أهل السخاخين(١)

وجاء في رواية أخرى: أن قيصر كتب إلى معاوية: إنِّي قد وجهت إليك رجلين: أحدهما أقوى رجل ببلادي، والآخر أطول رجل في أرضي، وقد كانت الملوك تتجارى في مثل هذا، وتتحاجى به، فأخرج إليهما ممن في سلطانك من يقاوم كلّ واحد منهما، فإن غلب صاحباك حملت إليك من المال وأسارى المسلمين كذا وكذا، وإن غلب صاحباي هادنتني ثلاث سنين، فلما ورد كتاب قيصر على معاوية أهمّه وشاور فيه أصحابه، فقيل له: أما الأيد فادع لمناهضته إما محمد ابن الحنفية وإما عبد الله بن الزبير، فقال: فأحضر محمد بن علي والأيد الرومي حاضر، فأخبره بما دعاه له، فقال محمد للرومي: ما تشاء؟ فقال: يجلس كلّ واحد منا ويدفع يده على صاحبه، فمن قلع صاحبه من موضعه أو رفعه عن مكانه فقد فلح عليه، ومن عجز عن ذلك وقهره صاحبه قضي بالغلبة له، فقال محمد: هذا لك، فاختر أينا يبدأ بالجلوس، فقال له: اجلس أنت، فجلس وأعطاه يديه، فجعل يمارسه ويجتهد في إزالته عن موضعه فلم يتحرك محمد، وظهر عجز الرومي لمن حضر، فقال له محمد: اجلس الآن، فجلس وأخذ بيده فما لبث أن اقتلعه ورفعه في الهواء ثم ألقاه على الأرض، فسرّ معاوية وحاضروه من المسلمين. وقال معاوية لقيس بن سعد والرومي الطوال: تطاولا، فقال قيس: أنا أخلع سراويلي ويلبسها هذا العلج، فإن ما بيننا يبين بذلك، ثم خلع سراويله، وألقاها إلى الرومي فلبسها، فبلغت ثدييه وانسحب بعضها في الأرض، فاستبشر الناس بذلك، وجاءت الأنصار إلى قيس فقالت له: تبذَّلت بين يدي معاوية، ولو كنت مضيت إلى منزلك وبعثت بالسراويل إليه؟! فقال:

أردت لكيما يعلم الناس أنها سراويل قيس والوفود شهود

وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه سراويل عاديّ نمته وثمود

وإني من القوم اليمانين سيّدٌ وما الناس إلا سيّد ومسود

وفضلني في الناس أصلي ووالدي وباع به أعلو الرجال مديد(٢)

(١) تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٩٣ _ ٢٩٤).

(٢) تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٩٤).

قال أبو عمر بن عبد البر حافظ الأندلس الشهير: خَبرُه في السراويل عند معاوية كذِب وزور مختلق ليس لها إسناد، لا يشبه أخلاق قيس، ولا سيرته في نفسه ونزاهته، وهي حكايةٌ مفتعلة وشعر مزوَّر[١].

١٠) ـ دهاة العرب حين ثارت الفتنة:

كان قيس بن سعد بن عبادة من ذوي الرأي من الناس، قال ابن شهاب: وكان يعدّون دهاة العرب حين ثارت الفتنة خمسة رهط، يقال لهم: ذوو رأي العرب في مكيدتهم: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وقيس بن سعد، والمغيرة بن شعبة، ومن المهاجرين: عبد الله بن بُديل الخُزاعي، وكان قيس وابن بديل مع علي رضي الله عنه، وكان المغيرة معتزلاً بالطائف وأرضها حتى حكم الحكمان واجتمعوا بأذرح[٢]، وكان قيس يقول: لولا الإسلام لمكرت مكراً لا تطيقه العرب[٣].

١١) ـ لوددنا أن نشتري لقيس لحية بأموالنا[٤]:

ذكر الزبير بن بكار: أن قيس بن عبادة، وعبد الله بن الزبير، وشريحاً القاضي، لم يكن في وجوههم شعرة ولا شيء من لحية، وذكر غير الزبير أن الأنصار كانت تقول: لوددنا أن نشتري لقيس بن سعد لحية بأموالنا. وكان مع ذلك جميلاً رضي الله عنه[٥].

١٢) ـ قول قيس: لم ترين قلّ عوّادي؟

باع قيس بن سعد مالاً من معاوية بتسعين ألفاً، فأمر منادياً، في أهل المدينة، من أراد القرض فليأتِ منزل سعد، فأقرض أربعين أو خمسين وأجاز الباقي، وكتب على من أقرضه صكّاً، فمرض مرضاً قلَّ عوّاده، فقال لزوجته قريبة بنت أبي قحافة أخت أبي بكر: يا قريبة لم ترين قلّ عوّادي؟ قالت: للذي لك عليهم من الدين، فأرسل إلى كلّ رجل بصكّه[٦]. وجاء في رواية... فمرض واستبطأ عوَّاده، فقيل له: إنهم يستحيون من أجل دينك، فأمر منادياً ينادي: من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو له، فأتاه الناس حتى هدموا درجة كانوا يصعدون عليها إليه[٧].

---

(١) الاستيعاب (٣/ ١٢٩٣).
(٢) تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٨٨).
(٣) المصدر السابق نفسه (٥٢/ ٢٨٧).
(٤) الاستيعاب (٣/ ١٢٩٢).
(٥) المصدر السابق نفسه (٣/ ١٢٩٢).
(٦) تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٨٤).
(٧) الاستيعاب (٣/ ١٢٩٣).

١٣) ـ قيس بن سعد يطعم الناس في أسفاره:

كان قيس بن سعد يطعم الناس في أسفاره مع النبي ﷺ، وكانت له صحفة يدار بها حيث دار، وكان إذا أنفذ ما معه يستدين، قال: وكان ينادي في كل يوم: هلمُّوا إلى اللحم، والثريد[١].

١٤) ـ خبر لا يصح بين قيس ومعاوية رضي الله عنهما:

قال معاوية لقيس بن سعد: إنما أنت حبر من أحبار يهود، إن ظهرنا عليك قتلناك، وإن ظهرت علينا نزعناك، فقال: إنما أنت وأبوك صنمان من أصنام الجاهلية، دخلتما في الإسلام كُرهاً وخرجتما منه طوعاً[٢]، قال الذهبي: هذا منقطع، والمنقطع من أنواع الضعيف.

١٥) ـ وفاة قيس بن سعد رضي الله عنهما:

مات في أواخر خلافة معاوية، وذهب إلى ذلك خليفة بن خياط[٣]، والذهبي[٤]، وقال ابن حبان مات سنة ٨٥ هـ في خلافة عبد الملك[٥]، ووافق ابن حجر خليفة والذهبي[٦]. وقال ابن عبد البر: .. لزم قيس المدينة، وأقبل على العبادة حتى مات بها سنة ستين هجرية، وقيل: سنة تسع وخمسين في آخر خلافة معاوية، وكان رجلاً طوالاً سُناطاً[٧].

ثانياً ـ عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، أبو محمد:

هو عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ[٨]، وأمه أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهِزم بن رُوَيْبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة[٩]، وأخو عبد الله، وكثير، والفضل، وقُثَم، ومعبد، وتمّام[١٠].

١) ـ أولاده وزوجاته:

وُلد لعبيد الله بن العباس: محمد وبه كان يكنى، وأمه الفرعة[١١] بنت قطن بن الحارث بن

---

(١) تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٨٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ١١١).

(٣) الإصابة (٥/ ٣٦١).

(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ١١٢).

(٥) الإصابة (٥/ ٣٦١).

(٦) المصدر السابق نفسه.

(٧) السناط: بالكسر، وبالضم: لا لحية له أصلاً، أو الخفيف العارض. أو لحيته في الذقن، وما بالعارضين شيء.

(٨) الطبقات، تحقيق: السُّلمي (١/ ٢١٤)؛ سير أعلام النبلاء (٣/ ٥١٢).

(٩) الطبقات، تحقيق: السُّلمي (١/ ٢١٢).

(١٠) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥١٣).

(١١) المصدر السابق نفسه.

حزن بن بُجير بن الهُزم بن هلال بن عامر . والعباس[١]، والعالية، تزوجها علي ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، فولدت له محمد بن علي، وفي ولده الخلافة من بني العباس وميمونة، وأمهم عائشة بنت عبد الله من مذجح[٢]، ولبابة، وأم محمد، وأمها عمرة بنت عَرْيب الحميري[٣]، وعبد الرحمن وقثم، وأمهما أم حكيم بنت قارظ بن خالد الكنانية[٤]، وعبد الله وجعفر وأمّ كلثوم وعمرة وأم العباس، وأمهم أم ولد[٥].

٢) ـ عمره ورؤيته لرسول الله ﷺ :

كان عبيد الله بن العباس أصغر سناً من عبد الله بن العباس بسنة[٦]، فكان رسول الله ﷺ قبض وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وقد رأى النبي ﷺ وسمع منه[٧]، وقيل : له رؤية، وله حديث عن النبي ﷺ في سنن النسائي : أن الغميصاء أو الرميصاء أتت النبي ﷺ تشتكي زوجها أنه لا يصل إليها، فلم يلبث أن جاء زوجها، فقال : يا رسول الله هي كاذبة، وهو يصل إليها، ولكنها تريد أن ترجع إلى زوجها الأول فقال رسول الله ﷺ : «ليس ذلك حتى تذوقي عسيلته»[٨]. وأورده أحمد من طريق هشيم لنفس الإسناد، ورجاله ثقات، إلا أنه ليس بصريح بأن عبيد الله شهد القصة[٩]، وأورده الهيثمي في المجمع[١٠] مختصراً عن عبيد الله والفضل ابني العباس، وقال : رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح[١١]، وقال الذهبي عن حديثه في سنن النسائي : حكمه بأنه مرسل[١٢]. وحدّث عنه : ابنه عبد الله، وعطاء، وابن سيرين، وسليمان بن يسار، وغيرهم، وكان أميراً، شريفاً، جواداً، مُمدَّحاً[١٣].

---

(١) الطبقات، تحقيق : السُّلمي (١/ ٢١٢).
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) المصدر السابق نفسه (١/ ٢١٣).
(٤) المصدر السابق نفسه.
(٥) نسب قريش، ص ٣١؛ الطبقات (١/ ٢١٤).
(٦) الاستيعاب (٣/ ١٠٠٩).
(٧) الطبقات، تحقيق : السُّلمي (١/ ٢١٤).
(٨) سنن النسائي (٦/ ١٤٨)، وقد تحرف في المطبوع من عبيد الله إلى عبد الله.
(٩) مسند أحمد (١/ ٢١٤)، رجاله ثقات إلا أنه ليس بصريح بأن عبيد الله شهد القصة.
(١٠) المجمع (٤/ ٣٤٠) رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح.
(١١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥١٣).
(١٢) المصدر السابق نفسه.
(١٣) المصدر السابق نفسه.

أ ـ كان رسول الله ﷺ يصف عبد الله وعبيد الله وكثيراً بني العباس :

عن عبد الله بن الحارث قال: كان رسول الله ﷺ يصفُّ عبد الله وعبيد الله، وكثيراً بني العباس، ثم يقول: «من سبق إليَّ فله كذا». فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره فيقبِّلهم ويلزمهم[(١)].

ب ـ كان عبيد الله أحب إلى العباس من قثم :

قال عبد الله بن جعفر: لو رأيتني وقُثماً وعبيد الله بن العباس ونحن صبيان نلعب، إذ مرَّ النبيُّ ﷺ على دابة فقال: «ارفعوا إليَّ هذا»، فحملني أمامه. وقال لقُثَم: ارفعوا إليَّ هذا، فحمله وراءه، قال: وكان عبيد الله أحبَّ إلى العباس من قُثَم، فما استحيا من عمه أن حمل قثماً وترك عبيد الله[(٢)].

٣) ـ استعمال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عبيد الله على اليمن :

استعمل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عبيد الله بن العباس على اليمن، وأمَّره على الموسم، فحجّ بالناس سنة ست وثلاثين وسنة سبع وثلاثين، فلما كان سنة ثمان وثلاثين بعثه أيضاً على الموسم، وبعث معاوية في ذلك العام يزيد بن شجرة الرّهاوي ليقيم الحج، فاجتمعا فسأل كل واحد منهما صاحبه أن يُسلم له، فأبى، واصطلحا على أن يصلّي بالناس شيبة بن عثمان، وفي هذا الخبر اختلاف بين أهل السير، منهم من جعله لقُثم ابن العباس، وقال خليفة: في عام أربعين بعث معاوية بُسر بن أرطأة العامري إلى اليمن، وعليها عبيد الله بن العباس، فلم يزل عليها حتى قتل علي رضي الله عنه[(٣)].

٤) ـ بسر بن أرطأة وحقيقة قصة مقتل ولدي عبيد الله :

تذكر بعض كتب التاريخ بأن عبد الرحمن وقثم ابني عبيد الله بن العباس قتلهما بسر بن أرطأة باليمن، وقتل أيضاً بعض أنصار علي رضي الله عنهم هناك ثم رجع على الشام، وكان أمير المؤمنين قد وجه جارية بن قدامة السعدي، قيل: ففعل مثلما فعل بسر، وقتل بعض محبي عثمان في اليمن[(٤)] قال ابن كثير: وهذا الخبر مشهور عند أهل السير، وفي صحته عندي نظر[(٥)].

ولا شك أن قتل الأبرياء لم يحصل في تلك المرحلة حتى في أيام البصرة وصفين عندما قامت

(١) مسند أحمد (١/ ٤٥٩)، رقم ١٨٣٦.

(٢) تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٥٣)؛ الطبقات، تحقيق: السّلمي (٢/ ١٤)، إسناده حسن.

(٣) الاستيعاب (٣/ ١٠٠٩).

(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٥٥).

(٥) البداية والنهاية (٧/ ٣٣٤).

الحرب بين الطرفين، فكيف يقتل الأطفال والأبرياء في مرحلة الهدنة، لذلك لا يمكن قبول هذه الأعراف المناقضة لأعراف المسلمين وقيمهم ودينهم[١].

كما أن رواية قتل بسر بن أرطأة للطفلين، ذكرها ابن سعد من طريق الواقدي وهو متروك، وذكره الطبري في تاريخه[٢]، ذكر عن زياد البكائي عن عوانة قال: أرسل معاوية . . وهذا إسناد منقطع على ما في عوانة بن الحكم الأخباري من كلام[٣]، وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب[٤] قصة قتله لابن عبيد الله بن عباس من طريق هشام الكلبي عن أبي مخنف وهما متروكان[٥]، فأما هشام بن محمد بن السائب الكلبي، اتفقوا على غلوه في التشيع، قال الإمام أحمد: من يحدث عنه؟! ما ظننت أحداً يحدث عنه وقال الدارقطني: متروك[٦]. وقال ابن حبان: كان غالياً في التشيع[٧]، وقال ابن عساكر: رافضي ليس بثقة[٨]، وقال الذهبي: الرافضي النسابة[٩]، وأما أبو مخنف، لوط بن يحيى، قال عنه ابن عدي: شيعي محترق، صاحب أخبارهم[١٠]، وعده ابن تيمية في الشيعة وقال عنه: متروك كذاب[١١]، ولم يذكر قتل بسر لشيعة علي باليمن أو الحجاز المؤرخ الثقة خليفة بن خياط في تاريخه[١٢]، وطبقاته[١٣]، وإنما ذكر خبر بعث معاوية له للاستيلاء على اليمن والحجاز، وكذلك البخاري في الكبير[١٤]، والحاكم في المستدرك[١٥]، ولا يصح أبداً قتل بسر بن أرطأة العامري لابني عبيد الله باليمن، ويرى أهل الشام بأن بسر بن أرطأة سمع من النبي ﷺ.

وهو أحد الذين بعثهم عمر بن الخطاب مدداً إلى عمرو بن العاص لفتح مصر، على اختلاف

---

(١) الإنصاف، د. حامد، ص ٥٧٥.
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ١٣٩)؛ الطبقات، تحقيق: السُّلمي (١/ ٢١٣).
(٣) الطبقات، تحقيق: السُّلمي (١/ ٢١٣).
(٤) الاستيعاب (١/ ٨٩).
(٥) الطبقات، تحقيق: السُّلمي (١/ ٢١٣).
(٦) المجروحين لابن حبان (٣/ ٩١)؛ تذكرة الحفاظ (١/ ٣٤٣).
(٧) المجروحين (٣/ ٩١).
(٨) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠٢).
(٩) تذكرة الحفاظ (١/ ٣٤٣).
(١٠) الكامل في ضعفاء الرجال (٦/ ٢١١٠).
(١١) منهاج السنة (٥/ ٨٢).
(١٢) تاريخ خليفة، ص ١٩٨.
(١٣) طبقات ابن خياط، ص ٢٧.
(١٤) التاريخ الكبير في البخاري (٢/ ١٢٣).
(١٥) المستدرك (٠٣/ ٥٩١).

فيه، فيمن ذكره فيهم، قال: كانوا أربعة: الزبير، وعمير بن وهب، وخارجة ابن حذافة، وبسر بن أرطأة، والأكثرون يقولون: الزبير، والمقداد، وعمير بن وهب، وخارجة بن حذافة، وهو أولى بالصواب[١].

ولبسر بن أرطأة عن النبي ﷺ حديثان:

أحدهما: «لا تقطع الأيدي في المغازي»[٢].

والثاني: في الدعاء: أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدُّنيا وعذاب الآخرة»[٣].

وأمام البحث النزيه لا يصح مقتل ولدي عبيد الله بن العباس على يدي بسر بن أرطأة العامري، وما ترويه كتب التاريخ والأدب في الشعر المنسوب إلى عائشة بنت عبد الله والدة الطفلين من شعر ليس له أساس من الصحة، حيث زعموا أنها قالت:

هـامـن أحسـن بـابنـيّ اللـذيـن همـا ... كـالـدُّرتيـن تشظَّـى عنهمـا الصَّـدَف
هـامـن أحسـن بـابنـيَّ اللـذيـن همـا ... سمعـي وعقلـي فقلبـي اليـوم مُختطـف
حـدّثـتُ بسـراً ومـا صـدّقـتُ مـا زعمـوا ... مـن ميْلِهـم ومـن الإثـم الـذي اقتـرفـوا
أنحـى علـى ودجـي ابنـي مـرهفـة ... مشحـوذة وكـذاك الإثـم يُقتَـرفُ

فزعموا أنها وسوست، فكانت تقف في الموسم تنشد هذا الشعر، وتهيم على وجهها[٤]. وكذلك الشعر المنسوب لعبيد الله بن العباس ـ ليس له أساس من الصحة، فقد ذكر المؤرخون بأنه دخل على معاوية في خلافته، وبعد حديث أنشأ عبيد الله بن عباس يقول:

يـابـن صخـر وابـن حـربٍ تبيّـن ... مـن تقيسـون بعبـد المطلـب
مـن إذا رأت قـريـش وجهـه ... عظَّمـوا المـرء وخـرّوا للـركـب
صـاحـب الفيـل وسـاقـي زمـزم ... ثمّـت الفـديـة رأس فـي العـرب
وهـدى آخـرنـا آخـركـم ... فيـه الملـك لكـم أجـرى الحقـب
إن بُسـراً قتـل ابنـيَّ ومـا ... بيـن بُسـر وبنـي فهـر نسـب
فـاقتـل العبـدَ بفـرخـي هـاشـم ... إنّ هـذا مـن بـواء العجـب
أجعـل الفضـة فينـا ذهبـاً ... ونضـار القـوم فينـا كـالغـرب
لا يقـرّ العيـن إلاّ قتـل مـن ... سبّـب القتـل وللقتـل سبـب

---

(١) الاستيعاب (١/ ٨٨).
(٢) مسند أحمد (٤/ ١٨١)، الحديث الصحيح.
(٣) مسند أحمد (٤/ ١٨١)، سنده حسن.
(٤) الاستيعاب (١/ ٨٩).

ذاك مــا ذاك ابــن حــرب إنــه قُطــب الشّــر وللشــرّ قطــب[١]

وزعموا أن معاوية رضي الله عنه رد عليه في أبيات منها :

إن بُســراً قتــل ابنيــك علــى غيــر جُــرم قــاطعــاً منــك النّسـب
أنــزل الله ببســر بــأســه وعلــى بُسـر مــن الله الغضــب
أضـرب العبـد علـى يـافـوخـه ضـربـة تـذهـب منـه مـا ذهـب
فـي مقيـل الـدهـر مـن ضعـف بـه ليـس هـذا مـن منـاف بعجـب[٢]

٥) ـ قول عبيد الله : والله لهو أسخى منا وأجود ، وإنما أعطيناه بعض ما نملك وجاد هو علينا وآثرنا على مهجة نفسه وولده[٣] :

خرج عبيد الله بن العباس في سفر له ، ومعه مولى له ، حتى إذا كان في بعض الطريق رفع لهما بيت أعرابي ، قال : فقال لمولاه : لو أنّا مضينا فنزلنا بهذا البيت وبتنا به؟ قال : فمضى ، وكان عبيد الله رجلاً جميلاً جهيراً ، فلما رآه الأعرابي أعظمه وقال لامرأته : لقد نزل بنا رجل شريف ، وأنزله الأعرابي ، ثم إن الأعرابي ، أتى امرأته فقال : هل من عشاء لضيفنا هذا؟ فقالت : لا ، إلا هذه السُّوَيمة[٤] التي حياة ابنتك من لبنها . قال : لا بد من ذبحها : قالت : أفتقتل ابنتك؟ قال : وإن ! قال : ثم إنه أخذ الشاة والشفرة وجعل يقول :

يــا جــارتــي لا تــوقظــي البُنَيَّــه إن تــوقظيهــا تنتحــب عَلَيَّــه
وتنــزع الشَّفــرة مــن يــديَّــه[٥]

ثم ذبح الشاة ، وهيّأ منها طعاماً ، ثم أتى به عبيد الله ومولاه ، فعشاهما وعبيد الله يسمع كلام الأعرابي لامرأته ومحاورتهما ، فلما أصبح عبيد الله قال لمولاه : هل معك شيء؟ قال : نعم ، خمسمئة دينار فضلت من نفقتنا . قال : ادفعها إلى الأعرابي . قال : سبحان الله ! أتعطيه خمسمئة دينار وإنما ذبح لك شاة ثمنها خمسة دراهم؟ قال : ويحك ! والله لهو أسخى منّا وأجود ، إنما أعطيناه بعض ما نملك ، وجاد هو علينا وآثرنا على مهجة نفسه وولده . قال : فبلغ ذلك معاوية ، فقال : لله درُّ عبيد الله ! من أي بيضة خرج؟ ومن أي عش درج؟ ![٦] وجاء في رواية : عبيد الله معلم الجود ، وهو والله كما قال الحطيئة :

(١) تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٥٤ ، ٣٥٥) .
(٢) المصدر السابق نفسه (٣٩/ ٣٥٥) .
(٣) أسد الغابة (٣/ ٥٤٣) .
(٤) السويمة : تصغير سائمة .
(٥) أسد الغابة (٣/ ٥٤٣) .
(٦) المصدر السابق نفسه .

أولئـك قـوم إن بنـوا أحسنـوا البنـى وإن عـاهـدوا أوفـوا وإن عقـدوا شـدوا
وإن كـانـت النُّعمـى عليهـم جـزوا بهـا وإن أنعمـوا لا كـدّروُهـا ولا كـدُّوا[١]

٦) ـ بين عبد الله بن جعفر والحسن بن علي وعبيد الله بن العباس رضي الله عنهم:

قال أبو الزناد: قيل: أي هؤلاء الثلاثة أسخى: عبد الله بن جعفر، أو الحسن بن علي، أو عبيد الله بن العباس؟ فقال: ما رأينا أحداً أعطى الجزيل من الحسن، وما رأينا أحداً أعطى الجزيل وغير الجزيل من عبد الله بن جعفر، وما مررنا بأبيات عبيد الله بن العباس في ساعة قط إلا رأينا عنده قوتاً رطباً، قال: وكان ينحر كل يوم جزوراً في مجزرته، وبه سميت مجزرة ابن عباس، قال: فقلت الجزُر حتى بلغت خمسة عشر ديناراً وعشرين ديناراً، فعاتبه عبد الله بن جعفر على ذلك وقال لا يقوم لهذا مال، فقال: والله لا أدع ذلك أبداً[٢].

٧) ـ ضيوف جاؤوا لبيت عبيد الله بدون موعد:

أراد رجل بالمدينة أن يسوء عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، ويضارّ به، فجعل يأتي وجوه أهل المدينة، فيقول: قال لكم عبيد الله بن العباس: تغدّوا عندي، فجاء الناس حتى ملؤوا عليه الدار، وعبيد الله غافل، فقال: ما شأن الناس؟ قال: جاءهم رسولك أن يتغدّوا عندك، فعلم ما أريد به، فأمر بالباب فأغلق، وأرسل إلى السوق في أنواع الفاكهة، وذكر الأُترجّ[٣]، والعسل والموز فشغلهم، وأمر بالأطعمة فطبخت وشُويت، فلم يفرغوا من الفاكهة حتى أتوا بالطعام حتى صدروا عنه. فقال عبيد الله: أموجود هذا كلّما شئت؟ فقالوا: نعم: قال: ما أبالي من أتاني[٤].

٨) ـ امرأة أصيبت في بيتها:

قدمت امرأة إلى البصرة في سنة شهباء ومعها ابنان لها، فلم يأت عليها الحول حتى دفنتهما فقعدت بين قبريهما فقالت:

فللـهِ عيـنـاي اللـّـذان نـراهمـا قـريبيـن منّـي والمـزار بعيـد
همـا تـركـا عينـيّ لا مـاء فيهمـا وشكّـا سـواد القلـب، فهـو عميـد
مقيمـان بـالبيـداء لا يبـرحـانهـا ولا يسـألان الـرّكـب: أيـن يـريـد؟

فقيل لها: لو أتيت عبيد الله بن العباس فقصصت عليه القصة، فأتته، فقالت له: يا بن عم رسول الله ﷺ إني أصبحت لا عند قريب يحميني، ولا عند عشيرة تؤويني، وإني سألت عن

(١) تاريخ دمشق (٢٩/ ٣٦٠).
(٢) تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٥٧)، الطبقات (٢/ ٢٣)، إسناده ضعيف.
(٣) الأترج: شجر يعلو، ذكي الرائحة، حامض كالليمون الكبار.
(٤) تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٥٧).

المرجى سببه، المأمول نائله، المعطى سائله، فأُرشدت إليك، فاعمل بي واحدة من ثلاث: إما أن تقيم أودي، أو تحسن صلتي، أو تردَّ بي إلى أهلي، فقال عبيد الله: كلّ يفعل بك[١].

٩) ـ الجمال والفقه والسخاء في دار العباس:

ذكر أبو العباس أحمد الطبري المكي في كتابه في تراجم آل بيت رسول الله ﷺ (ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى): . . . وكان يقال: من أراد الجمال والفقه والسخاء فليأت دار العباس، الجمال للفضل، والفقه لعبد الله، والسخاء لعبيد الله[٢].

١٠) ـ خيري الدنيا والآخرة في دار ابن عباس:

من أراد الدنيا والآخرة فعليه بدار العباس بن عبد المطلب:

دخل أعرابي دار العباس بن عبد المطلب وفي جانبها عبد الله بن عباس لا يرجع في شيء يُسأل عنه، وفي الجانب الآخر عبيد الله بن العباس يطعم كل من دخل، فقال الأعرابي: من أراد الدنيا والآخرة فعليه بدار العباس بن عبد المطلب، هذا يفتي ويفقّه الناس، وهذا يُطعم الطعام[٣]، وعن مصعب بن عبد الله، قال: قال بعض أهل العلم: كان عبد الله يوسعهم علماً، وكان عبيد الله يوسعهم طعاماً[٤] وكان عبيد الله يتجر[٥].

١١) ـ حكيم المعضلات وتيار الفرات:

كان عبد الله بن عباس يسُمّى حكيم المعضلات، وكان عبيد الله يسمى تيار الفرات، وكان يطعم كل يوم، فقال له أبوه: يا بُنيّ مالك تغدّي ولا تعشي؟ إذا غدّيت فعشِّ، فقال عبيد الله لغلام له: يا بُنيّ انحر غدوة وانحر عشية[٦].

١٢) ـ ما قيل في جوده من شعر:

كان معاوية يقول: إن عبيد الله بن عباس علّم قريشاً الجود، وكان عبيد الله أجود العرب، وقد قال فيه شاعر من قريش:

وعلّمها عبيد الله ما لم ... تكن تأتيه من شيم الكرام
وورثها مكارم ثابتات ... نفى عنها بها لوم اللئام

---

(١) المصدر السابق نفسه (٣٩/٣٥٨).
(٢) ذخائر العقبى، ص ٣٩٤.
(٣) تاريخ دمشق (٣٩/٣٥٦).
(٤) المصدر السابق نفسه.
(٥) الإصابة (٤/ ٣٣١).
(٦) تاريخ دمشق (٣٩/٣٥٦)، الإصابة (٤/ ٣٣١).

وصيـــة هـــاشـــم وبنـــي أبيـــه   قُصـــي والهمـــام بـــن الهمـــام[(١)]

١٣) ـ صيامه يوم عرفة :

عن عبد الله بن عباس : أنه دعا أخاه عبيد الله يوم عرفة إلى طعام، فقال : إني صائم . فقال : إنكم أئمة يُقتدى بكم ، قد رأيت رسول الله ﷺ دعا بحلاب في هذا اليوم فشرب[(٢)] .

١٤) ـ طلبه للعلم :

قيل لعبيد الله بن العباس : لم تطلب العلم؟ قال : إذا نشطت فهو لذّتي ، وإذا اغتممت فسلوتي[(٣)] .

١٥) ـ إحسانه لعجوز وأولادها الثلاثة :

مرّ عبيد الله بن العباس بقرب عجوز لها أولاد ، فأكرمتهم وأحسنت وفادتهم ، فأراد عبيد الله أن يصلح من شأنهم ويحسن إليهم ، فلما اجتمعوا عند عبيد الله أدناهم من مجلسه ، وقال : إنّي لم أبعث إليكم ولا إلى أمكم لما تكرهون ، قالوا : فما بعد هذا؟ قال : أحب أن أصلح من أمركم ، وألمّ من شعثكم ، قالوا : إنّ هذا قلّ ما يكون إلاّ عن سؤال أو مكافأة لفعل قديم ، قال : ما هو لشيء من ذلك ، ولكن جاورتكم في هذه الليلة ، وخطر ببالي أن أضع بعض مالي فيما يُحب الله عز وجل ، قالوا : يا هذا ، إن الذي يحب الله لا يحب لنا إن كنا في خفضٍ من العيش ، وكفاف من الرزق ، فإن كنت هذا أردت فوجهه نحو من يستحقّه ، وإن كنت أردت النوال مبتدئاً لم يتقدمه سؤال فمعروفك مشكور ، وبرّك مقبول ، فأمر لهم عبيد الله بعشرة الآف درهم ، وعشرين ناقة ، وحوّل أثقاله إلى البغال والدوابّ ، وقال : ما ظننت أن في العرب والعجم من يشبه هذه العجوز وهؤلاء الفتيان . فقالت العجوز لفتيانها : ليقل كل واحد منكم شيئاً من الشعر في هذا الشريف ، ولعلّي أن أعينكم فقال الكبير :

شهـــدتُ عليـــك بطيـــب الكـــلام   وطيـــب الفعـــال وطيـــب الخبـــر

وقال الأوسط :

تبـــرّعـــت بـــالجـــود قبـــل الســـؤال   فعـــال كـــريـــم عظيـــم الخطـــر

وقال الأصغر :

وحـــقّ لمـــن كـــان ذا فعْلـــهُ   بـــأن يستـــرقَّ رقـــاب البشـــر

وقالت العجوز :

---

(١) المصدر السابق نفسه (٣٩/ ٣٥٥) .

(٢) الإصابة (٤/ ٣٣١)، سنده صحيح .

(٣) الإصابة (٤/ ٣٣٢) ، تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٦٤) .

فعمّــــرك الله مـــن مـــاجـــد وُوُقيـــت سُـــوء الـــرّدى والحـــدر[١]

١٦)ـ وفاته:

اختلف في تحديد سنة وفاته على عدة أقوال: قال البخاري[٢] والفسوي[٣]: مات زمن معاوية[٤]، وقال خليفة[٥]: وغيره سنة ثمان وخمسين[٦]، وقال أبو عبيد، وأبو حسان الزّيادي: مات سنة سبع وثمانين[٧]، وقيل توفي أيام يزيد، وهو الأكثر، وكان موته بالمدينة، وقيل: باليمن، والأول أصح[٨]، ولنا في وفاة إخوة عبيد الله عبرة وذكرى لأصحاب القلوب الحية، فعبد الله بن عباس، دفن بالطائف، واستشهد معبد بإفريقية، واستشهد قثم بسمرقند[٩]، وعبيد الله بالمدينة، وكلهم أبناء أب واحد وأم واحدة، قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

ثالثاً ـ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي رضي الله عنهما:

هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، السيد العالم، أبو جعفر القرشي الهاشميُّ، الحبشي المولد، المدني الدار، الجواد بن الجواد ذي الجناحين[١٠]، وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية أخت ميمونة بنت الحارث لأمها، ولدت عبد الله بن جعفر بالحبشة وهو أول من ولد لها من المسلمين[١١]، وولدت هناك: محمداً وعوناً[١٢]، ثم ولد للنجاشي بعدما ولدت أسماء ابنها عبد الله بأيام ابنٌ، فأرسل إلى جعفر: ما سميت ابنك؟ قال: عبد الله. فسمّى النجاشي ابنه عبد الله، وأخذته أسماء بنت عميس، فأرضعته حتى فطمته بلبن عبد الله بن جعفر، ونزلت أسماء بذلك عندهم منزلة، فكان من أسلم من الحبشة يأتي أسماء بعد فيخبرها

(١) الإصابة (٤/ ٣٣٢)، تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٦٤).
(٢) البخاري في تاريخه الصغير، ص ٧٣.
(٣) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٢٢).
(٤) تاريخ الإسلام، حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠ هـ، ص ١٤٧.
(٥) في تاريخه، ص ٢٢٥.
(٦) تاريخ الإسلام، حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠ هـ، ص ١٤٧.
(٧) المصدر السابق نفسه.
(٨) أسد الغابة (٣/ ٥٤٤).
(٩) تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٥٠).
(١٠) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥٦).
(١١) الإصابة (٤/ ٣٦).
(١٢) الطبقات، للسُّلمي (٢/ ٧).

خبرهم[١]، وقد تزوجت أسماء بعد استشهاد جعفر، أبا بكر الصديق، فولدت محمداً، ثم تزوجها علي فولدت له يحيى[٢]، فيكون عبد الله بن جعفر أخا محمد بن أبي بكر الصديق، ويحيى بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم لأمهم[٣]، ويعتبر عبد الله بن جعفر آخر من رأى النبي ﷺ من بني هاشم وفاة[٤].

١) ـ أولاده وأزواجه:

ولد لعبد الله بن جعفر: جعفر الأكبر وبه كان يكنى، وأمه الأُمِّيّة، وتكنى أم عمرو بنت خراش العبسية[٥]، وعلي وعون الأكبر، ومحمد وعباس، وأم كلثوم وأمهم زينب بنت علي بن أبي طالب، وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ[٦]، وحسين دَرجَ، وعون وعون الأصغر قتل مع الحسين بن علي لا بقية له[٧]، وأمهما جمانة بنت المسيب بن نجبة بن ربيعة بن عوف من بني فزارة[٨]، وأبو بكر وعبيد الله، ومحمد، وأمهم الخوصاء بنت خَصَفة بن ثقف بن عابدين بن عدي بن الحارث بن تيم الله بن ثعلبة بن بكر بن وائل[٩]، وصالح لا بقية له. ويحيى وهارون لا بقية لهما، وموسى لا بقية له، وجعفر وأم أبيها وأم محمد، وأمهم ليلى بنت مسعود بن خالد، وحميد والحسن لأم ولد، وجعفر، وأبا سعيد، وأمهما أم الحسن بنت كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة[١٠]، ومعاوية وإسحاق وقثم لا بقية له، وأم عون لأمهات أولاد شتى[١١].

٢) ـ مجيء جعفر بن أبي طالب بأسرته من الحبشة إلى المدينة:

قدم جعفر بن أبي طالب وصحبه من مهاجري الحبشة على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر، ومعه زوجته أسماء وأولاده عبد الله، وعون ومحمد، وفرح لقدومه رسول الله ﷺ فرحاً عظيماً، وكان رسول الله ﷺ قد أرسل في طلبهم من النجاشي: عمرو بن أمية الضمري، فحملهم في سفينتين

---

(١) الطبقات، للسُّلمي (٢/ ٧).
(٢) الإصابة (٤/ ٣٧).
(٣) أسد الغابة (٣/ ١٩٩).
(٤) البداية والنهاية (١٢/ ٣٠٠).
(٥) الطبقات الكبرى (٢/ ٦) تحقيق السُّلمي.
(٦) المصدر السابق نفسه.
(٧) المصدر السابق نفسه.
(٨) المصدر السابق نفسه.
(٩) المصدر السابق نفسه.
(١٠) المصدر السابق نفسه.
(١١) المصدر السابق نفسه.

ووافق قدومهم عليه يوم فتح خيبر، وقد رافق جعفر في قدومه أبو موسى الأشعري ومن بصحبته من الأشعريين، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم أحدهم أبو بردة، والآخر أبو رهم، إما قال: في بضع، وإما قال: في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي، فركبنا السفينة، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب، فأقمنا جميعاً، فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر[١].

٣) ـ لكم أنتم أهل السفينة هجرتان:

فعن أبي موسى: . . . كان أناس يقولون لنا سبقناكم بالهجرة، ودخلت أسماء بنت عميس على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة ـ وكانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر ـ فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها، فقال حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت أسماء: ابنة عميس. قال عمر: الحبشية هذه؟ البحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم! قال عمر: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله منكم، فغضبت وقالت: كلا والله، كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم. وكنا في أرض البعداء البغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسول الله، وايم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه، فلما جاءت النبي ﷺ قالت: كذا وكذا. قال: ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم ـ أهل السفينة ـ هجرتان[٢]، فأخذت أسماء والدة عبد الله بن جعفر هذا الوسام ووزعته على جميع أعضاء الوفد حيث كانوا[٣]، كما قالت: يأتوني أرسالاً يسألونني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في نفوسهم مما قال لهم النبي ﷺ[٤]، وقد أشركهم النبي ﷺ مغانم خيبر بعد أن استأذن من الصحابة رضي الله عنهم الذين شاركوا في فتحها[٥].

٤) ـ استشهد جعفر بن أبي طالب في مؤتة:

عن يحيى بن أبي يعلى، قال: سمعت عبد الله بن جعفر يقول: أنا أحفظ حين دخل رسول الله ﷺ على أمي فنعى لها أبي، فأنظر إليه وهو يمسح على رأسي ورأس أخي، وعيناه تُهْرقان الدموع حتى تقطر لحيته، ثم قال: «اللهمّ إن جعفراً قد قدم إلى أحسن الثواب، فاخلُفْه في ذريته بأحسن ما خلفت أحداً من عبادك في ذريته»، ثم قال: يا أسماء! ألا أبشرك؟ قالت: بلى بأبي أنت وأمي،

---

(١) البخاري، كتاب المغازي، رقم ٤٢٣٠، ٤٢٣١، معين السيرة، ص ٢٥٣.
(٢) البخاري، كتاب المغازي، رقم ٤٢٣١.
(٣) فقه السيرة للغضبان، ص ٥٣٥.
(٤) مسلم، رقم ٢٥٠٢، ٢٥٠٣.
(٥) الصراع مع اليهود لأبي فارس (٣/ ٩٦).

قال: إن الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة. قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فأعْلم الناس بذلك، فقام رسول الله ﷺ وأخذ بيدي يمسح رأسي حتى رقا على المنبر، وأجلسني أمامه على الدرجة السفلى، والحزن يعرف عليه، فتكلم فقال: «... ألا إن جعفراً قد استشهد، وقد جُعل له جناحان يطير بهما في الجنة». ثم نزل رسول الله ﷺ فدخل بيته وأدخلني معه، وأمر بطعام فصنع لأهلي، وأرسل إلى أخي فتغدينا عنده والله غداء طيباً مباركاً، عَمَدتْ سَلْمَى خادِمُه إلى شعير فطحنته ثم نسّفته[1]، ثم أنضجته.. فتغديت أنا وأخي معه[2].

٥) ـ لا تبكوا أخي بعد اليوم:

قال عبد الله بن جعفر: إن النبي ﷺ أتاهم بعدما أخبرهم بقتل جعفر بعد ثلاثة، فقال: لا تبكوا أخي بعد اليوم، ثم قال: إئتوني ببني أخي، فجيء بنا كأننا أفرخ، فقال: ادعوا لي الحلاق فأمره، فحلق رؤوسنا، ثم قال: «أما محمد فشبه عمِّنا أبي طالب، وأما عبد الله؛ فشبه خَلقي وخُلُقي»، ثم أخذ بيدي، فأشالها. ثم قال: «اللهم اخلف جعفراً في أهله، وبارك لعبد الله في صفقته» قال: فجاءت أُمُّنا، فذكرت يُتمنا. فقال: العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟![3].

معنى العيلة: الفقر.

٦) ـ حمل النبي ﷺ له على دابته:

عن عبد الله بن جعفر قال: كان النبي ﷺ إذا قدم من سفر تُلُقِّي بالصبيان من أهل بيته، قال: وإنَّه قدم من سفر فُسبِقَ بي إليه، قال: فحملني بين يديه. قال: ثم أُتي بأحد ابني فاطمة ـ إما حسن وإما حسين ـ فأردفه خلفه. قال: فدخلنا المدينة ثلاثة على الدابة[4].

٧) ـ دعاء النبي ﷺ له:

عن عمرو بن حريث: أن رسول الله ﷺ مرّ بعبد الله بن جعفر وهو يلعب مع الغلمان أو الصِّبيان فقال: «اللهمّ بارك لعبد الله في بيعته أو في صفقته»[5]، وعن عبد الله بن جعفر: أن رسول الله ﷺ مسح على رأسه ثلاثاً كلَّما مسح قال: «اللهمّ اخلف جعفراً في ولده»[6].

٨) ـ ذكر بيعته للنبي ﷺ:

عن هشام بن عروة، عن أبيه عبد الله بن الزُّبير وعبد الله بن جعفر بايعا النبي ﷺ وهما ابنا سبع

---

(١) نسفته: نَقَّت الجيد من الرديء، لسان العرب (٩/ ٣٢٨).
(٢) الطبقات، تحقيق: السُّلمي (٢/ ٨)، إسناده ضعيف جداً، وله شواهد.
(٣) مسند أحمد (١/ ٢٤) من طريق وهب بن جرير، عن أبيه بهذا الإسناد وهو قوي.
(٤) مسلم، رقم ٢٤٢٨.
(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥٨)؛ مجمع الزوائد (٩/ ٢٨٦)، رجالهما ثقات.
(٦) مسند أحمد (١/ ٢٠٤) من طريق وهب بن جرير عن أبيه بهذا الإسناد، وهو قوي.

سنين، وأن رسول الله ﷺ لما رآهما تبسَّم وبسط يده فبايعهما[١]، والصحيح أن عبد الله بن الزبير ولد عام الهجرة[٢].

٩) ـ تفقد رسول الله ﷺ لأبناء جعفر:

قال جابر بن عبد الله: إن النبي ﷺ قال لأسماء بنت عميس: «ما شأن أجسام بني أخي ضارعة أتصيبهم حاجة؟» قالت: لا، ولكن تسرع إليهم العين[٣]، أفأرقيهم؟ قال: «وبماذا؟» فعَرضَتْ عليه، فقال: «أرقيهم»[٤] ومعنى ضارعة: الضارع: النحيف الضاوي الجسم.

١٠) ـ علمتني أسماء شيئاً أمرها رسول الله ﷺ أن تقول عند الكرب:

عن عبد الله بن جعفر، قال: علمتني أمي أسماء بنت عميس شيئاً أمرها رسول الله ﷺ أن تقول عند الكرب: «الله الله ربي لا أشرك به شيئاً»[٥].

١١) ـ شكوى الجمل لرسول الله ﷺ:

عن عبد الله بن جعفر قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه، فأسر إليَّ حديثاً لا أحدث به أحداً أبداً، وكان رسول الله ﷺ أحب ما استتر به في حاجته هدفاً[٦]، أو حائش[٧] نخل. زاد يزيد بن هارون في هذا الحديث بهذا الإسناد: فدخل يوماً حائطاً من حيطان الأنصار ـ يعني: النبي ﷺ ـ فإذا جمل قد أتاه فجرجر[٨] وذرفت عيناه، فمسح رسول الله ﷺ سَرَاتَه[٩]، وذفْرَاه[١٠]، فسكن، فقال رسول ﷺ: «من صاحب هذا الجمل؟»، فجاء فتى من الأنصار فقال: هو لي يا رسول الله. قال: «أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملّكَكَها الله، إنه شكا إليّ أنك تُجيعُهُ وتُدْئبُه»[١١].

هذا وكان عمره عشر سنين عند موت النبي ﷺ[١٢]، وقد ثبتت صحبته لرسول الله، وروى عن النبي ﷺ أحاديث، وروى عن أمه أسماء بنت عميس، وعمّه علي بن أبي طالب، وروى عنه

---

(١) المستدرك (٣/ ٥٦٦ ـ ٥٦٧)، في سنده إسماعيل بن عياش ضعيف عن غير أهل بلده.
(٢) الإصابة (٤/ ٣٨).
(٣) ما يصيب المرء إذا نظر إليه عدو أو حسود، فأثرت فيه فمرض بسببها.
(٤) الرقية: العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك.
(٥) الطبقات، تحقيق: السلمي (٢/ ١١)، إسناده ضعيف.
(٦) الهدف: كل بناء مرتفع مشرف.
(٧) الحائش: النخل الملتف المجتمع.
(٨) الجرجرة: صوت البعير عند الفجر، النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٥٥).
(٩) سراته: أي ظهره.
(١٠) وذِفرَاه: ذفر البعير: أصل أذنيه، النهاية في غريب الحديث (١/ ١٦١).
(١١) تدئبه: تكده وتتعبه. الطبقات، تحقيق السلمي (٢/ ١٣، ١٤) إسناده صحيح.
(١٢) الإصابة (٤/ ٣٧).

بنوه، إسماعيل، وإسحاق، ومعاوية، ومحمد بن علي بن الحسين، والقاسم بن محمد، وعروة بن الزبير، وسعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مُليكة، وعبد الله بن شدّاد بن الهاد، والشعبي، وعباس بن سهل بن سعد، ومورّق العجْلي، وخالد بن سارة، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي رافع الفِهْمي[١].

١٢) ـ سلام ابن عمر على عبد الله بن جعفر:

قال الشعبي: كان ابن عمر إذا سلّم على عبد الله بن جعفر، قال: السلام عليك يا بن ذي الجناحين[٢].

١٣) ـ حرص أمير المؤمنين علي على تعليم عبد الله بن جعفر:

عن عبد الله بن شداد: أن علياً قال لعبد الله بن جعفر ـ رضي الله عنه: ألا أعلمك كلمات لم أعلمهن حسناً ولا حسيناً، إذا سألت الله مسألة فأردت أن تنجح[٣]، فقل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له العلي العظيم، لا إله إلا هو وحده لا شريك له الحليم الكريم[٤]. وقد صاحب عبد الله بن جعفر عمّه علياً رضي الله عنهم، وكان أحد أمرائه يوم صفين[٥].

رابعاً ـ من أخبار كرمه وجوده:

كان عبد الله بن جعفر جواداً، ظريفاً، حليماً، عفيفاً، سخياً يسمّى بحر الجود[٦]، وكان يقال له قطب السخاء[٧]، ويقال: إنه لم يكن في الإسلام أسخى منه ـ أي: في عصره ـ ويقولون: إن أجود العرب في الإسلام عشرة، فأجواد أهل الحجاز: عبد الله بن جعفر، وعبيد الله بن عباس بن عبد المطلب، وسعيد بن العاص، وأجود أهل الكوفة: عتاب بن ورقاء أحد بني رباح بن يربوع، وأسماء بن خارجة بن حصن الفزاري، وعكرمة ابن ربعي الفياض أحد بني تيم الله بن ثعلبة، وأجواد أهل البصرة: عمرو بن عبيد بن معمر، وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي، ثم أحد بني مليح وهو طلحة الطلحات، وعبيد الله ابن أبي بكرة، وأجواد أهل الشام: خالد بن عبد الله بن خالد بن أسد بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس، وليس في هؤلاء كلهم أجود من عبد الله بن جعفر، ولم يكن مسلم يبلغ مبلغه في الجود، وعوتب في ذلك فقال: إن الله عوّدني عادة،

---

(١) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٦٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥٩)، أخرجه البخاري (٧/ ٦٢).
(٣) تنجح: نجح فلان وأنجح، إذا أصاب طلبته وأنجحت حاجته.
(٤) الطبقات، للسُّلمي (٢/ ١٦)، إسناده صحيح.
(٥) الإصابة (٤/ ٣٧).
(٦) الاستيعاب (٣/ ٨٨١).
(٧) الإصابة (٤/ ٣٧).

وعودت الناس عادة، فأنا أخاف إن قطعتها قطعت عني[١]، وعن علي بن حسين عن الحسين رضي الله عنه قال: علمنا عبد الله بن جعفر السخاء[٢]، وهذا من تواضع الحسين رضي الله عنه، وإلا فله ولأخيه الحسن القدح المعلّى في الجود والكرم والإنفاق، وإليك بعض أخبار جود عبد الله ابن جعفر في الكرم والجود.

١ ـ ما عندنا ما نصلك ولكن عليك با بن جعفر:

ذكر أن أعرابياً وقف في الموسم على مروان بالمدينة، فسأله فقال: ما عندنا ما نصِلُك، ولكن عليك بابن جعفر، فأتاه الأعرابي فإذا ثَقَلُه قد سار، وراحلة بالباب عليها متاعُه وسيف معلق، فخرج عبد الله، فأنشأ الأعرابي يقول:

أبو جعفر من أهل بيت نبوة ... صلاتهم للمسلمين طهور
أبا جعفر ضنّ الأمير بماله ... وأنت على ما في يديك أمير
أبا جعفر يا بن الشهيد الذي له ... جناحان في أعلى الجنان يطير
أبا جعفر ما مثلك اليوم أرتجي ... فلا تتركني بالفلاة أدور[٣]

فقال: يا أعرابي سار الثّقل، فعليك الراحلة بما عليها، وإياك أن تُخدع عن السيف، فإني أخذته بألف دينار[٤].

٢ ـ وهل أعطيناه إلا ما يبلى ويفنى، وأعطانا مدحاً يُرْوى وثناء يبقى:

مدحه نُصيب ـ أحد الشعراء ـ فأعطاه إبلاً وخيلاً وثياباً ودنانير ودراهم، فقيل له: تُعطي لهذا الأسود مثل هذا؟ فقال: إن كان أسود فَشعْرهُ أبيض، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال، وهل أعطيناه إلا ما يبلى ويفنى، وأعطانا مدحاً يروى وثناءً يبقى، وقد قيل: إن هذا الخبر إنما جرى لعبد الله بن جعفر مع عبيد الله بن قيس الرقيات[٥] ومن شعره في عبد الله بن جعفر:

وما كنت إلا كالأغر بن جعفر ... رأى المال لا يبقى فأبقى له ذكرا[٦]

ومن شعره أيضاً في عبد الله بن جعفر:

نفدت بي الشهباء نحو ابن جعفر ... سواء عليها ليلُها ونهارُها
يزور امرءاً قد يعلم الله أنه ... تجود له كفٌّ قليل غرارُها

---

(١) الاستيعاب (٣/ ٢٨٨، ٨٨٢).
(٢) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٨٧).
(٣) تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات (٦١ ـ ٨٠ ص ٣١).
(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥٩).
(٥) الاستيعاب (٣/ ٨٨٢)، وقد ذكر أن اسمه عبد الله.
(٦) الإصابة (٤/ ٣٨).

فوالله لولا أن تزور ابن جعفر لكان قليلاً في دمشق قرارها
أتيتك أثني بالذي أنت أهله عليك كما أثنى على الروض جارُها
ذكرتك إذ فاض الفرات بأرضنا وجلّل أعلا الرّقّتين بحارُها
فإن متّ لم يوصل صديق ولم تقم طريقٌ من المعروف أنت منارها[(١)]

وقال مصعب بن عبد الله: قال عبد الملك بن مروان: أي ويحك يا بن قيس أما اتقيت حين تقول في ابن جعفر:

أتت رجلاً قد يعلم الله أنه يجود له كفّ قليل غرارها

ألا قلت: قد يعلم الناس، ولم تقل: قد يعلم الله، قال له ابن قيس: قد والله علمه الله وعلمته، وعلمه الناس[(٢)].

وقال الشماخ بن ضرار يمدح عبد الله بن جعفر:

إنك يا بن جعفر نعم الفتى ونعم مأوى طارق إذا أتى
وَرُبَّ ضيف طرق الحيَّ سُرى صادف زاداً وحديثاً ما اشتهى[(٣)]

وجاء أعرابي إلى عبد الله بن جعفر وهو محموم، فأنشأ يقول:

كم لوعةٍ للندى وكم قلق للجود والمكرماتِ من قلقكْ
ألبسك الله منه عافيةً في نومك المعتري وفي أرقِكْ
أخرج من جسمك السُّقام كما أخرج ذمّ الفِعال من عنقك

فأمر له بمئة ألف دينار[(٤)].

وذات يوم كان عبد الله بن جعفر في سفر له فمرّ بفتيان يوقدون تحت قدر لهم فقام إليه أحدهم فقال:

أقول له حين ألفيته عليك السلام أبا جعفر

فوقف وقال: وعليك السلام ورحمة الله، فقال:

وهذي ثيابي قد أخلقت وقد عفّني زمن منكر

قال: فهذي ثيابي مكانها، وعليه جبّة خزٍّ ويعينك على زمنك، فقال:

فأنت كريم بني هاشم وفي البيت منها الذي يذكر

---

(١) المصدر السابق نفسه.
(٢) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٨٥).
(٣) الإصابة (٤/ ٣٩).
(٤) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٩٤).

قال : يا بن أخي ، ذاك رسول الله ﷺ[١] .

وكتب رجل إلى عبد الله بن جعفر رقعة فجعلها في ثني الوسادة التي يتكئ عليها ، فقلب عبد الله الوسادة ، فنظر بالرقعة ، فقرأها فردها في موضعها ، وجعل مكانها كيساً فيه خمسة آلاف دينار ، فجاء الرجل فدخل عليه ، فقال : اقلب المرفقة فانظر ما تحتها فخذه ، فأخذ الرجل الكيس وخرج وأنشأ يقول :

زاد معروفك عندي عظماً ... أنه عندك مستور حقير
تتناساه كأن لم تأته ... وهو عند الله مشهور كبير[٢]

٣ ـ ديون الزبير بين عبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر :

أسلف عبد الله بن جعفر الزبير ألف ألف ، فلما توفي ، قال ابن الزبير لعبد الله بن جعفر : إني وجدت في كتب أبي أنّ له عليك ألف ألف دِرهم ، قال : هو صادق ، فاقبضها إذا شئت ، ثم لقيه بعد فقال : إنما وهمت عليك ، المال لك عليه ، قال : فهو له ، قال : لا أريد ذلك[٣] . قال الذهبي : هذه الحكاية من أبلغ ما بلغنا في الجُود[٤] ، وجاء في رواية ابن عساكر عندما قال عبد الله بن الزبير لعبد الله بن جعفر : لا أريد ذاك ، قال ابن جعفر : فاختر إن شئت فهو له ، وإن كرهت ذلك فلك فيه نظرة ما شئت ، فإن لم تُرد ذلك فبعني من ماله ما شئت ، قال : أبيعك ، ولكني أقوِّم ، فقوّم الأموال ثم أتاه فقال : أحب أن لا يحضرني وإيّاك أحد ، فقال له ابن جعفر : يحضرنا الحسن والحسين فيشهدان لك ، قال ما أحب أن يحضرنا أحد ، قال : انطلق فمضى معه ، فأعطاه خراباً وسباخاً لا عمارة له ، وقوّمه عليه حتى إذا فرغ قال عبد الله لغلامه : ألقِ لي في هذا الموضع مصلّى ، فألقى له في أغلظ موضع من تلك المواضع مصلّى ، فصلّى ركعتين وسجد ، فأطال السجود يدعو ، فلما قضى ما أراد من الدعاء قال لغلامه : أحفر في موضع سجودي ، فحفر ، فإذا عين ، فملأ نبطها فقال له ابن الزبير : أقلني ، قال : أما دعائي وإجابة الله إياي فلا أقيلك فصار ما أخذ منه أعمر مما في يدي ابن الزبير[٥] .

٤ ـ لئن والله وُعِدنا نعيم الآخرة ، فقد عجلتَ نعيم الدنيا[٦] :

عن محمد بن عبيد الله بن أبي مليكة ، عن أبيه ، عن جده ، قال : دخل ابن عمّار ـ وهو يومئذ

---

(١) المصدر السابق نفسه (٢٩/ ١٩٩) .
(٢) المصدر السابق نفسه (٢٩/ ١٨٩) .
(٣) تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٦١/ ٨٠ ، ص ٤٣١) .
(٤) المصدر السابق نفسه ، ص ٤٣١ .
(٥) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٨٧) .
(٦) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٦١) .

فقيـه أهل الحجـاز ـ على نخـاس يعترض منـه جاريـة ، فعرض عليـه جارية بأكثر مما كان معه من الثمن ، وكانت حسنـة الوجـه جداً ، فعلِقَ بها ، وأخذه أمر عظيم ، ورآه النخَّاس فتباعد عليـه في الثمن ، واستُهْتِرِ بذكرها فمشى إليـه عطاء وطاوس ومجاهد يعذلونه ، فكان جوابه أن قال :

يلـومنـي فيـكِ أقـوام أجـالِسُهـم ... فمـا أبـالـي أطـار اللـوم أو وقعـا

قال : فبلغ خبره عبد الله بن جعفر ، فبعث إلى مولى الجارية ، فاشتراها منه بأربعين ألف درهم ، وأمر قيّمة جواريه أن تزينها وتحليها ففعلت ، وقدم المدينة ، فجاءه الناس يسلّمون عليه ، وجاءه جلة أهل الحجاز فقال : مالي لا أرى ابن أبي عمار زائراً؟ فأخبر الشيخ ، فأتاه ، فلما أراد أن ينهض استجلسه فقال له ابن جعفر : ما فعل حبُّك فلانة ، قال : في اللحم والدم والمُخّ والعصب والعظم ، فقال له : أتعرفها إن رأيتها؟ قال جعلت فداك ، هي مصورة في نُصب عيني عند كل خطرة وفكرة ، قال : والله ما نظرت إليها منذ ملكتها ، يا جارية أخرجيها ، فأخرجت ترفل في الحُلي والحلل فقال : هي هذه؟ فأنشأ يقول :

هـي التـي هـام قلبـي مـن تـذكّـرهـا ... والنفـس مشغـولـة أيضـاً بـذكـراهـا

قال : فشأنك بها ، فخذها ، فبارك الله لك فيها ، قال : جعلت فداك ، لقد تفضّلت بشيء ما كان يتفضل به إلا الله ـ على حدِّ زعمها ـ فلما ولّى بها قال : يا غلام احمل معها مئة ألف درهم ، كي لا يهتمّ بها ، ولا تغتم به ، فبكى ابن عمّار ـ سروراً ، ثم قال : الله يعلم حيث يجعل رسالاته ، والله جعلت فداك ، لئن كان الله وعدنا نعيم الآخرة ، لقد عَجَّلت نعيم الدنيا[(١)] .

٥ ـ ما غلبنا بالسخاء إلا الشيخ العُذري :

عن بُديح مولى عبد الله بن جعفر قال : خرجت مع عبد الله بن جعفر في بعض أسفاره ، فنزلنا إلى جانب خباء من شَعْر ، قال : وإذا صاحب الخباء رجل من بني عذرة ، قال : فبينا نحن كذلك ، إذا نحن بأعرابي قد أقبل يسوق ناقة ، حتى وقفت علينا ثم قال : أي قوم أبغوني شفرة ، فناولناه الشفرة ، فوجأ في لُبتها وقال : شأنكم بها ، قال : وأقمنا اليوم الثاني ، وإذا نحن بالشيخ العُذري ، يسوق ناقة أخرى ، فقال : أي قوم أبغوني شفرة ، قال : فقلنا : إنّ عندنا من اللحم ، قال : فقال : أبحضرتي تأكلون الغاب[(٢)] ، ناولني الشفرة ، فوجأ في لُبَتها ، ثم قال : شأنكم بها ، وبقينا اليوم الثالث ، فإذا نحن بالعُذري يسوق أخرى حتى وقف علينا ، فقال : أيْ قوم أبغوني شفرة ، قال : فقلنا : إن معنا من اللحم ما ترى ، قال : أبحضرتي تأكلون الغاب ، إني لأحسبكم قوماً لئاماً ، ناولوني الشفرة ، فوجأ في لبَّتها ثم قال : شأنكم بها ، قال : وأخذنا في الرحيل ، فقال ابن جعفر لجارية : ما معك؟ قال : رزمة ثياب وأربعمئة دينار ، قال : اذهب بها إلى الشيخ العُذري ، قال :

---

(١) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٩٥) .

(٢) أغب اللحم : أنتن ؛ كغبّ ، وأغب القوم : جاءهم يوماً وترك يوماً كغب عنهم .

فذهب بها، فإذا جارية في الخباء، فقال: يا هذه خذي هدية ابن جعفر، قالت: إنا قوم لا نقبل على قرى[١] أجراً، قال فجاء إلى ابن جعفر، فأخبره، فقال: عُد إليها فإن هي قبلت، وإلا فارم بها على باب الخيمة، فعادوها فقالت: اذهب عنا بارك الله فيك، فإنا قوم لا نقبل على قرانا أجراً، فوالله لئن جاء شيخي فرآك هاهنا لتلقينّ منه أذى، قال: فرمى بالرزمة والصّرة على باب الخباء، ثم ارتحلنا فما سِرنا إلا قليلاً حتى إذا نحن بشخص يرفعه السراب مرة ويضعه أخرى، فلما دنا منا إذا نحن بالشيخ العذري ومعه الصرة والرزمة، فرمى بذلك إلينا ثم ولّى مدبراً، فجعلنا ننظر في قفاه هل يلتفت، فهيهات قال: فكان ابن جعفر يقول: ما غلبنا بالسّخاء إلا الشيخ العُذْري[٢].

٦ ـ ما سمعت بأعجب من هذا:

خرج عبد الله بن جعفر حاجاً، حتى إذا كان ببعض الطريق تقدم ثقله على راحلة له، فانتهى إلى أعرابية جالسة على باب الخيمة، فنزل عن راحلته ينتظر أصحابه، فلما رأته قد نزل، قامت إليه، فقالت: إلي بوَّأك الله مساكن الأبرار، قال: فأُعجب بمنطقها، فتحول إلى باب الخيمة، فألقت إليه وسادة من أدم، فجلس عليها، ثم قامت على عُنَيزة لها في كسر الخيمة، فما شعر حتى قدمت منها عضواً، فجعل ينهش، وأقبل أصحابه فلما رأوه نزلوا، فأتتهم بالذي بقي عندها من العنز، فطعموا وأخرجوا سُفَرهم، فقال عبد الله: ما بنا إلى طعامكم حاجة سائر اليوم، فلما أراد أن يرتحل دعا مولاه الذي كان يلي نفقته فقال: هل معك من نفقتنا شيء؟ قال: نعم، قال: وكم هو؟ قال: ألف دينار، قال: أعطِها خمسمئة واحتبس لنفقتك باقيها، قال: فدفعه إليها، فأبت أن تقبل، فلم يزل عبد الله يكلّمها وهي تقول: أي والله أكره عذل بعلي[٣]، فطلب إليها عبد الله حتى قبلت، فودّعها وارتحل هو وأصحابه، فلم يلبث أن استقبله أعرابي يسوق إبلاً له، فقال عبد الله: ما أراه إلاّ المحذور، فلو انطلق بعضكم فعلم لنا علمه ثم لحِقَنا، فانطلق بعض أصحابه راجعاً متنكراً حتى نزل قريباً منه، فلما أبصرت المرأة الأعرابي مقبلاً قامت إليه تَفَدّاه وتقول: بأبي أنت وأمي:

توسَّمته لما رأيت مهابة	عليه فقلت: المرء من آل هاشم
وإلا فمن آل المرار فإنهم	ملوكُ ملوكٍ من ملوك أعاظم
فقمت إلى عَنْزٍ بقية أعنز	فأذبحها فعلَ امرئ غير نادم[٤]
يعوّضني منها غناهُ ولم يكن	يساوي لُحَيم العنز خمس دراهم

فأظهرت له الدنانير، وقَصّت عليه القصة، فقال: بئس لعمرو الله معقل الأضياف، كنتِ،

(١) قِرى: ضيافة.
(٢) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٩٠).
(٣) البعل: الزوج.
(٤) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٩٢).

أبعتِ معروفك بما أرى من الأحجار؟ قالت: إني والله قد كرهت ذلك، وخفت العذْل، قال: وهذه؛ لم تخافي العار، وخفت العَذْل؟ كيف أخذ الركبُ؟ فأشارت إلى الطريق، قال: وهذا يعني: الرجل الذي أرسله عبد الله، فقال: أسرجي لي فرسي، قالت: تصنع ماذا ؟ قال: ألحقُ القوم، فإن سلموا لي معروفي وإلا حاربتهم، قالت: أنشدك الله أن تفعل فتسوءهم، فأقبل عليها ضرباً، وقال: ركنت إلى إمحاق المعروف؟ قال: وركب فرسه، وأخذ رمحه، فجعل الرجل صاحب عبد الله يسير معه ويقول له: ما أراك تدرك القوم، فقال: والله لآتينهم ولو بلغوا كذا وكذا، فلما رأى الرجل أنه غير منتهٍ، قال: على رِسْلك، أُدرك لك القوم وأخبرهم خبرك، فتقدم الرجل، فأخبر ابن جعفر، وقصّ عليه القصة، فقال: عبد الله: قد كانت حذرة من المشؤوم، فقال: فرهِقَهم، فسلّم عليه ابن جعفر وأخبره بحسن صنيع المرأة، فقال: والله ما رأيت ذلك بتمامه، فلم يزل يكلمه، وسأله، فأبى الأعرابي إلاّ ردّها، فلما رأى عبد الله ذلك قال: لننظر ما عنده، ما نحبّ أن يرجع إلينا شيء قد أمضيناه، قال فقام من بين يديه، فتنحى، فصلّى ركعتين ثم قام فركب فرسه، وأخرج قوسه ونبله، فقال له عبد الله: ما هاتان الركعتان؟ قال: استخرت فيها ربي عز وجل في محاربتكم، وقال: فعلى ما عزم لك من ذلك؟ قال: عزم لي عليه رشداً أو تُرْجعون أحجاركم وتسلمون لنا معروفنا، فقال له عبد الله: نفعل، فأمر بالدنانير فقُبضت، فولّى الأعرابي منصرفاً، فقال له عبد الله: ألا نزودك طعاماً؟ قال: الحيّ قريب فهل من حاجة؟ قال: نعم، قال: وما هي؟ قال: المرأة تخبرها بسوء فعلك، فاستضحك الأعرابي، وولّى منصرفاً، فقدم عبد الله بن جعفر بعد ذلك على يزيد بن معاوية، فحدَّثه حديث الأعرابي، فقال يزيد: ما سمعت بأعجب من[(١)] هذا.

٧ ـ إن الله لا يحب المسرفين:

جاءت امرأة إلى عبد الله بن جعفر بدجاجة مسموطة في مِكْتَلٍ فقالت: بأبي أنت، هذه الدجاجة كانت مثل بُنيَّتي آكل من بيضها وتُؤنسني، فآليت أن لا أدفنها إلا في أكرم موضع أقدر عليه، ولا والله ما في الأرض موضع أكرم من بطنك، قال: خذوها منها، واحملوا إليها من الحنطة كذا، ومن التمر كذا، وأعطوها من الدّراهم كذا، فعدّد شيئاً، فلما رأت ذاك قالت: بأبي، إن الله لا يحب المسرفين[(٢)].

٨ ـ كساد سلعة مجلوبة إلى سوق المدينة:

جلب رجل من أهل البصرة سكراً إلى المدينة، فكسد عليه، فذكر لعبد الله، فأمر قهرمانه[(٣)]،

---

(١) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٩٣).

(٢) تاريخ الإسلام (٦١/ ٨٠)، ص ٤٣ ـ ٤٣٢.

(٣) القهرمان: كلمة فارسية، وهو كالخازن والحافظ لما تحت يده.

أن يشتريه فيدعو الناس فَيُنهبهُم[١] إياه[٢]، وفي رواية قالوا للرجل : إئت عبد الله بن جعفر ، فأتاه فاشتراه منه بده داورده، وقال : من شاء أخذ، فقال الرجل : آخذ معهم؟ قال : خذ[٣] .

٩ ـ إنفاقه مالًا وصله من يزيد بن معاوية :

وجَّه يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن جعفر مالاً جليلاً هدية ، ففرَّقه في أهل المدينة ، ولم يُدخل منزله منه شيئاً، وفي ذلك يقول عبيد الله بن قيس الرقيّات :

وما كنت إلا كالأغرِّ ابن جعفر ... رأى المال لا يبقى فأبقى له ذكرا[٤]

وعندما وفد عبد الله بن جعفر على يزيد، أمر له بألفي ألف[٥]، وعلق الذهبي فقال : ما ذاك بكثير ، جائزة ملك الدنيا لمن هو أولى بالخلافة منه[٦] .

١٠ ـ دعاء أعرابي لعبد الله بن جعفر رضي الله عنهما :

قال أعرابي لعبد الله بن جعفر : لا ابتلاك الله ببلاء يعجز عنه صبرك، وأنعم الله عليك نعمة يعجز عنها شكرك[٧] .

١١ ـ ذاك مالي جدت به :

رُئي عبد الله بن جعفر (يماكس) في درهم ، فقيل له : تماكس في درهم وأنت تجود من المال بكذا أو كذا؟ فقال : ذاك مالي جُدْتُ به ، وهذا عقلي بخلت به[٨] .

١٢ ـ هذا رجل أراد أن يبخل الناس ، أمطر المعروف مطراً :

ذكر بعض أهل العلم ، أن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أنشد :

إنّ الصنيعة لا تكون ضيعةً ... حتى يُصاب بها طريق المقنَع

فقال محمد بن عبد الله المهراني : هذا رجل أراد أن يبخل الناس ، أمطر المعروف مطراً، فإن صادفتَ موضعاً فذاك ما أردتَ ، إلاَّ رجع إليك[٩] .

١٣ ـ إنما الجوادُ الذي يُبدئ المعروف :

قال عبد الله بن جعفر ذي الجَناحين : ليس الجواد الذي يعطي بعد المسألة ، لأن الذي يبذل

(١) ينهبهم إياه : أي يعطيه لهم نُهْبى بدون ثمن .
(٢) الطبقات، للسُّلمي (٢/ ١٩) .
(٣) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٩٣) .
(٤) الإصابة (٤/ ٣٨) .
(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥٧) .
(٦) المصدر السابق نفسه .
(٧) تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٠١) .
(٨) المصدر السابق نفسه (٢٩/ ٢٠١)، والمماكسة : هي محاولة تنزيل السعر من البائع .
(٩) تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٠١) .

السائل من وجهه وكلامه أفضل مما يبذل من نائله، وإنما الجواد الذي يُبدئ المعروف[(١)].

١٤ ـ إنا لا نأخذ على المعروف ثمناً:

أن دُهْقاناً من أهل السَّواد كلَّم ابن جعفر في أن يكلم أمير المؤمنين علياً في حاجة، فكلّمه فيها، فقضاها له، فبعث إليه الدُّهقان أربعين ألفاً، فقالوا: أرسل الدُّهقان الذي كلّمت له، فقال للرسول: قل له: إنّا أهل بيت لا نبيع المعروف[(٢)]، وفي رواية: .. إنا لا نأخذ على المعروف ثمناً[(٣)].

١٥ ـ هو والناس في ماله شركاء:

قيل لمعاوية بن عبد الله بن جعفر: ما بلغ من كرم عبد الله بن جعفر؟ قال: كان ليس له ما دون الناس، هو والناس في ماله شركاء، كان من سأله أعطاه، ومن استمنحه شيئاً منحه، لا يرى أنه يقتصر فيقتصر، ولا يرى أنه يحتاج فيدخر[(٤)].

خامساً ـ من أخبار عبد الله بن جعفر مع معاوية:

كان عبد الله بن جعفر يفِدُ على معاوية، وعلى عبد الملك، وكان كبير الشأن كريماً، جواداً، يصلح للإمامة[(٥)]، وكانت علاقته بمعاوية متميزة وقوية، حتى إنه سمّى أحد أولاده بمعاوية.

وعن أبان بن تغلب، قال: ذكر لنا أن عبد الله بن جعفر قدم على معاوية وكانت له وفادة في كل سنة، يُعطيه ألف ألف درهم، ويقضي له مئة حاجة[(٦)]، وقد ذكرت كتب الأدب والتاريخ روايات بين معاوية، وابن جعفر لا تثبت ولا تصح وهي كثيرة:

منها: ما قال يحيى بن سعيد بن دينار: بينما عبد الله بن جعفر ذات ليلة عند معاوية بالخضراء[(٧)]، بدمشق، إذ ورد على معاوية كتاب غَمّه من حسين بن علي، فضرب به الأرض، ثم قال: من يعذرني من ابن أبي تراب، والله لهممت أن أفعل به وأفعل. قال: فجعل عبد الله بن جعفر يجيبه بنحو مما يشتهي ويداريه حتى قام، فانصرف، قال: وكانت بينهما خوخة، فلما صار على منزله دعا برواحله فقعد عليها وخرج من ساعته متوجهاً إلى المدينة، قال: ودخل معاوية

---

(١) المصدر السابق نفسه (٢٩/ ٢٠٠).
(٢) المصدر السابق نفسه (٢٩/ ١٨٦).
(٣) المصدر السابق نفسه (٢٩/ ١٨٧).
(٤) المصدر السابق نفسه (٢٩/ ١٩٨).
(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥٨).
(٦) المصدر السابق نفسه (٣/ ٤٥٩).
(٧) قصر معاوية بدمشق.

على امرأته[١] بنت قرظة مغتماً، فقال: ماذا صنعت الليلة بابن جعفر، فحشت عليه وأسمعته في ابن عمه ما يكره، وحال ابن جعفر حاله وحبه لنا ومودته إيانا. فقالت: بئس والله ما صنعت، ما أقبح ما أتيت إليه؛ فبات ليلته مغتماً يتذكر صنيعه به ولا يأخذه النوم حتى أسحر، فقام فتوضأ وقال: والله لا ينبّهه من فراشه غيري، فمشى إليه، فدخل فإذا ليس فيه أحد، فسأل عنه فقيل له: رحل إلى المدينة ساعة خرج من عندك، فبعث في إثره، وقال: أدركوه فردوه ولو دخل منزله، فلحقوه فردوه إليه، فجعل معاوية يعتذر إليه منه تلك الليلة، وقال: قد أقطعتك ووهبت لك كل شيء[٢]، مررت به في مسيرك، قال: وقد كان، بإبل وغنم كثيرة لمعاوية فأمر بها فقبضها وذهب ما كان في نفسه[٣].

هذا الخبر لا يصح؛ لأن إسناده ضعيف منقطع، فيحيى بن سعيد بن دينار السعدي، شيخ للواقدي، مجهول[٤]، فهذا الأثر على سبيل المثال لا الحصر.

وتذكر كتب التاريخ والأدب مساجلات شعرية بين معاوية وعبد الله بن جعفر:

منها: عن يونس بن ميسرة بن حليس يقول: بلغ معاوية أن عبد الله بن جعفر أصابه خفقٌ وجهد هذا أو نحوه، فكتب إليه ببيتين من شعر:

لمال المرء يصلحه فيغني ... مفاقره أعفّ من القنُوع
يسد به نوائب تعتريه ... من الأيام كالنَّهر الشروع

وكتب إليه يأمره بالقصد ويرغبه فيه، وينهاه عن السَّفر ويعيبه عليه، قال: فأجابه عبد الله بن جعفر:

سلي الطارق المعتر يا أم خالد ... إذا ما أتاني بين ناري ومَجْزري
أأبسط وجهي أنه أول القِرى ... وأبذل معروفي بهم دون مُنكَري
وقد أشتري عرضي بمالي وما عسى ... أخوك إذا ما ضيّع العِرض يشتري
يؤدي إلى الليل إتيان ماجدٍ ... كريم ومالي سارح مال مقتر

فأعجب معاوية ما كتب إليه، وبعث بأربعين ألف دينار عوناً له على دينه[٥].

سادساً ـ ابن جعفر وسماع الغناء:

نسبت كثير من كتب التاريخ والأدب إلى عبد الله بن جعفر سماعه للغناء، وانشغاله

(١) هي فاختة بنت قرظة بنت عمرو بن نوفل بن عبد مناف.
(٢) المراد: كل شيء نملكه.
(٣) الطبقات (٢/ ١٩، ٢٠) تحقيق: السّلمي، إسناده ضعيف منقطع.
(٤) المصدر السابق نفسه (٢/ ١٩).
(٥) تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٠٠).

بالجواري ؛ وهذا لا يصح ، ولا يثبت ، وإنما جاءت روايات ضعيفة ، فقد ذكر ابن عساكر رواية مطولة ، عن جماعة من مشايخ قريش من أهل المدينة قالوا ، وذكر فيها قصة المغنية عمّارة ، وأنه كان يجد بها وجداً شديداً[١] ، وذكر ابن كثير القصة بصيغة قيل[٢] ، وقال أبو عمر بن عبد البر : ويقال : . . . . وكان لا يرى بسماع الغناء بأساً[٣] ، وأما الذهبي فلم يذكر في تقريره أي إسناد يعتمد عليه[٤] ، فهذه أقوال لا سنام لها ولا خطام ، وبعضها مشكوك في أصله ، وعليه لا يمكنني التسليم بأن عبد الله بن جعفر كان يستمع لغناء الجواري وكان له معهن قصص من الحب والغرام ، كما تزعم الروايات .

سادساً ـ وفاته :

توفي عبد الله بن جعفر سنة ثمانين ، وهو عام الجُحَاف[٥] نسبة إلى السيل الجحاف بمكة ، لأنّه جحف على كل شيء مرّ به ، وحمل الحجّاج من بطن مكة والجمال بما عليها ، والرجال والنساء لا يستطيع أحد أن ينُقِذهم منه ، وبلغ الماء إلى الحجون[٦] ، وغرق خلق كثير ، وقيل : إنَّه ارتفع حتى كاد أن يُغطي البيت[٧] ، وقيل : إنه توفي سنة أربع أو خمس وثمانين ، وهو ابن ثمانين سنة ، ورجح ابن عبد البر وفاته عام ٨٠ هـ ، وصلّى عليه أبان بن عثمان وهو يومئذ أمير المدينة[٨] ، في عهد عبد الملك بن مروان ، وقد وضع على قبره بيتين من الشعر جاء فيها :

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه ... لقاؤك لا يُرجى وأنت قريب
تزيد بلىً في كل يوم وليلة ... وتُنسى كما تُبلى وأنت حبيب[٩]

* * *

---

(١) المصدر السابق نفسه (٢٩/ ١٩٥) .
(٢) البداية والنهاية (١٢/ ٣٠١) .
(٣) الاستيعاب (٣/ ٨٨١) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٦٢) .
(٥) نسبة إلى سيل الجحاف . الطبقات ، تحقيق : السُّلمي (٢/ ٢٥) .
(٦) الحجون : جبل بأعلى مكة . معجم البلدان (٢/ ٢١٥) .
(٧) البداية والنهاية (١٢/ ٢٩٦) .
(٨) الاستيعاب (٣/ ٨٨١) .
(٩) تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٠٠) .

المبحث الرابع
صلح الحسن بن علي مع معاوية رضي الله عنهم

بويع الحسن رضي الله عنه بيعة عامة، وبايعه الأمراء الذين كانوا مع والده، وكل الناس الذين بايعوا لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وباشر سلطته كخليفة، فرتب العمال وأمّر الأمراء وجند الجنود وفرق العطايا، وزاد المقاتلة في العطاء مئة مئة فاكتسب بذلك رضاءهم[١]، وكان في وسعه أن يخوض حرباً لا هوادة فيها ضد معاوية، وكانت شخصيته الفذة من الناحية السياسة والعسكرية والأخلاقية، والدينية تساعد على ذلك، مع وجود عوامل أخرى، كوجود قيس بن سعد بن عبادة، وحاتم بن عدي الطائي وغيرهم من قادة المسلمين الذين لهم من القدرات القيادية الشيء الكثير، إلا أن الحسن بن علي، مال إلى السلم والصلح لحقن الدماء، وتوحيد الأمة، ورغبة فيما عند الله وزهده في الملك وغير ذلك من الأسباب التي سيأتي بيانها وتفصيلها.

وقد قاد الحسن بن علي مشروع الإصلاح الذي توّج بوحدة الأمة، وظل زمام الموقف في جانبه وبيده ويد أنصاره، وكانت جبهته العسكرية قوية كما جاء في رواية البخاري وقد عبر عن ذلك عمرو بن العاص عندما قال: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها[٢]، وقال الحسن بن علي: كانت جماجم العرب بيدي تحارب من حاربت وتسالم من سالمت[٣].

ولو لم يكن الحسن مرهوب الجانب لما احتاج معاوية رضي الله عنه إلى أن يفاوضه ويوافق على ما طلب من الشروط والضمانات، ولكان عرف ضعف جانب الحسن وانحلال قوته عن طريق عيونه، ولدخل الكوفة من غير أن يكلف نفسه مفاوضة أحد أو ينزل على شروطه، ومطالبه، وتفوُّق جانب معاوية على الحسن لا مِرَاء فيه، فهل صالح الحسن معاوية لهذا السبب؟[٤].

قال ابن تيمية في منهاج السنة:

فقد كان بمقدور الحسن أن يقاتل معاوية بمن كان معه وإن كان أقل ممن كان مع معاوية،

(١) تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، ص ٦٧، مقاتل الطالبيين، ص ٥٥.
(٢) البخاري، كتاب الصلح، ٢٧٠٤.
(٣) المستدرك (٣/ ١٧٠)، صحيح على شرط الشيخين.
(٤) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، بطاينة، ص ٦٠، ٦١.

صنيع الذين قاتلوا خصومهم على قلةٍ من كان معهم من الأعوان والأنصار، ولكن الحسن كان ذا خلق يجنح إلى السلم وكراهة الفتنة ونبذ الفرقة، جعل الله به رأب الصدع، وجمع الكلمة[(١)] .

وكان رضي الله عنه يملك رؤية إصلاحية واضحة المعالم، خضعت لمراحل، وبواعث، وتغلب على العوائق، وكتبت فيها شروط، وترتبت عليها نتائج، وأصبح هذا الصلح من مفاخر الحسن بن علي رضي الله عنهما على مر العصور وتوالي الأزمان، حتى قال الدكتور خالد الغيث حفظه الله : كان الحسن رضوان الله عليه في صلحه مع معاوية رضي الله عنه، وحقنه لدماء المسلمين، كعثمان في جمعه للقرآن، وكأبي بكر في الردة[(٢)]، ولا أدل على ذلك في كون هذا الفعل من الحسن يعد علماً من أعلام النبوة، والحجة في ذلك ما أخرجه البخاري من طريق أبي بكرة رضي الله عنه قال : رأيت النبي ﷺ على المنبر، والحسن بن علي على جنبه، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول : «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[(٣)] . إن صلح الحسن مع معاوية رضي الله عنه من الأحداث العظام في تاريخ الأمة الإسلامية .

وقد أسهم في تبوُّءِ هذا الحدث لهذه المنزلة عدة أسباب منها :

١ ـ كونه علماً من أعلام النبوة .

٢ ـ إن من ثمار هذا الصلح حقن دماء المسلمين وجمع كلمتهم على إمام واحد بعد سنوات من الفرقة .

٣ ـ كون الحسن رضي الله عنه أول خليفة يتنازل عن منصبه ويخلع نفسه طواعية، وبدون أي ضغوط، ومن مركز قوة لا من مركز ضعف، من أجل إصلاح ذات بين المسلمين .

٤ ـ كون الحسن رضي الله عنه آخر خلفاء مرحلة النبوة .

من هذه الأسباب وغيرها امتلأت كتب العقيدة والسنة والتاريخ والأدب وغيرها من المصادر بأخبار صلح الحسن مع معاوية رضي الله عنهما، والقارئ لتلك المصادر بما فيها تاريخ الطبري ـ يلاحظ كثرة روايات الصلح وتضاربها مع بعضها، واختلاط ضعيفها بصحيحها، وتشابه بعض أحداثها، يضاف إلى ذلك عدم مراعاة المصادر للترتيب الزمني لوقوع الحدث، مع أن التسلسل الزمني لمجريات الصلح يعد بالغ الأهمية لفهم الحدث[(٤)] .

ولقد قام الأخ الكريم الدكتور خالد الغيث بجهد كبير في دراسة تلك المصادر واستخراج

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٥٣٦)، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص ٦١ .

(٢) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، خالد الغيث، ص ١٣٤ .

(٣) البخاري، رقم ٧١٠٩ .

(٤) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص ١٢٥ .

الروايات الصحيحة منها، واعتمدها في ترتيب أحداث الصلح ترتيباً زمنياً، كما استفاد من بعض الروايات الضعيفة المتوافقة مع الروايات الصحيحة ـ وفقاً للمنهج الذي بينه في رسالته المعروفة، بمرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري من أجل استكمال تفاصيل الحدث[١]، ولقد استفدت من ذلك الجهد الرائع، والترتيب المبدع، والتسلسل الجميل لمجريات الصلح.

أولًا ـ أهم مراحل الصلح:

المرحلة الأولى:

دعوة الرسول ﷺ للحسن بأن يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، فتلك الدعوة المباركة التي دفعت الحسن رضي الله عنه إلى الإقدام على الصلح بكل ثقة وتصميم[٢]، فقد قال ﷺ: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[٣]، فلم تكن نبوءة رسول الله ﷺ عن الحسن بن علي أنه سيصلح الله به بين فئتين من المسلمين مجرد إنباء يسمعه الحسن والمسلمون ويصدقونه كالنبوءات النبوية الأخرى، بل كانت الكلمة الموجهة الرائدة للحسن بن علي رضي الله عنهما في اتجاهاته وتصرفاته ومنهج حياته، لا بدّ أنها حلّت في قرارة نفسه، واستولت على مشاعره، وامتزجت بلحمه ودمه، واعتبرها كوصيّة من الرسول ﷺ ـ وهو نبيه وجدُّه ـ يتكلم بهذه الكلمات رأى السرور في أسارير وجهه، والبريق في عينيه ﷺ، فتمسك بها كهدف من أهداف حياته، وكالمثل الأعلى له في مستقبله.

وقد ظهرت آثار هذه النبوءة في جميع حركاته وسكناته، حتى في الحديث مع والده الكبير الذي يحبه حبّ الأبناء البَرَرَة للآباء العِظام الذين خصهم الله بمواهب ومناقب، قلّما يشاركهم فيها أفراد الأمة، وكان من أعرف الناس بها بحُكم البنوّة والصحبة، ويجلّه إجلال العارفين والمعجبين، وقد أشار على أبيه عليّ بن أبي طالب بعد مقتل عثمان أن يعتزل الناس إلى حيث شاء من الأرض، حتى تثوب إلى العرب عوازب أحلامها، وقال له: لو كنت في جُحر ضَبّ لاستخرجوك منها فبايعوك دون أن تعرض نفسك لهم، ولما عزم عليٌّ على قتال أهل الشام، وعزم على التجهّز، وخرج من المدينة وهو عازم على أن يقاتل بمن أطاعه من عصاه، جاء إليه الحسن بن علي وقال: يا أبتِ دع هذا؛ فإن فيه سفك دماء المسلمين ووقوع الاختلاف بينهم[٤].

ولكنّ علياً لم يقبل ما أشار به الحسن، ولم يكن ليترك الناس في فتنة دون أن يؤدي ما يدين لله به من أمر بمعروف ونهي عن منكر، وردّ الأمر إلى نصابه، والحقّ إلى أصحابه ولكُلٍّ وجهة هو

(١) المصدر السابق نفسه.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) البخاري، رقم ٧١٠٩.
(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠)؛ نقلاً عن المرتضى للندوي، ص ١٩٨.

مولّيها[١]، وكان علي رضي الله عنه مصيباً في رأيه، وقد ظهرت المعجزة النبوية، وبلغت ذروتها بتربية الحسن بن علي التربية الإسلامية الربانية، من كون هذا الإمام الفذّ سيداً جليلاً.

وليست السيادة بالقهر وسفك الدماء، أو إهدار الأموال والحرمات، بل السيادة بصيانتها وإزالة البغضاء والشحناء، فصلحه وحقنه لدماء المسلمين بلغ فيه ذروة السيادة، التي لا يستطيعها من فكر بالقوة وهو يملك طرفاً منها، وقد صالح الحسن معاوية وحوله الألوف فيهم من هو طامع مدسوس، ولكن فيهم الكثير الكثير من المخلصين الأوفياء، فما أراد أن تراق بسببه قطرة دم، أو يخدش مسلم في هذا السبيل، وإن الرئاسة للأقوام إن لم تكن لصيانتها، وحياطتها وحفظها، وترقيتها فهي نوع من الطاغوت الأعمى والتهور الأحمق، والمغامرة والمقامرة التي تجلب معها الدمار والخراب، والإذلال والسباب وينتهي أصحابها إلى غضب الله، ولعنة التاريخ، وهل تَدافَع أمواج الدماء البشرية عبر العصور والقرون إلا من الحرص على الرئاسة والسلطان والتكالب على الدنيا[٢]؟!!.

لقد كان الحسن زاهداً في الدنيا والملك والرئاسة، ولو أرادها لأدار الحرب الطحون سنين وسنين، ولكنه كان ينظر إلى الدار الآخرة، ويريد حفظ دماء أمة محمد ﷺ، قال الحسن البصري: فلما ولي الحسن ما أهريق في سببه محجمة دم[٣]. وكان يعلنها صريحة ويفتخر بذلك ويعتز بتنفيذه للوصية النبوية، وسلوكه مسلك التربية الإيمانية[٤]، فقد أصلح الله بالحسن بين أهل العراق والأمة كلها، فجعل النبي ﷺ الإصلاح من فضائل الحسن، مع أن الحسن نزل عن الأمر وسلم الأمر إلى معاوية، فلو كان القتال هو المأمور به دون ترك الخلافة ومصالحة معاوية لم يمدحه النبي ﷺ على ترك ما أمر به وفعل ما لم يؤمر به، ولا مدحه على ترك الأولى وفعل الأدنى، فعلم أن الذي فعله الحسن هو الذي كان يحبه الله ورسوله لا القتال[٥].

المرحلة الثانية:

شرط البيعة الذي وضعه الحسن رضي الله عنه أساساً لقبوله مبايعة أهل العراق له، ذلك الشرط الذي نص على أنهم يسالمون من يسالم ويحاربون من يحارب[٦]، فعن ميمون بن مهران، قال: إن الحسن بن علي بن أبي طالب بايع أهل العراق بعد علي على بيعتين، بايعهم على الإمرة،

---

(١) المرتضى للندوي، ص ١٩٨.
(٢) الدوحة النبوية الشريفة، ص ٩٤.
(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٤٤٣)؛ الدوحة النبوية الشريفة، ص ٩٥.
(٤) الدوحة النبوية الشريفة، ص ٩٥.
(٥) الفتاوي (٢٨/ ٣٠٠).
(٦) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص ١٥٦.

وبايعهم على أن يدخلوا فيما دخل فيه ويرضوا بما رضي به[١]، وفي رواية أخرى، من طريق خالد بن مُصرَّب، قال: سمعت الحسن بن علي يقول: والله لا أبايعكم إلا على ما أقول لكم، قالوا: ما هو؟ قال: تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت[٢]، ويستفاد من الروايتين ابتداء الحسن رضي الله عنه في تبييته لنية الصلح قبل استخلافه، وذلك تحقيقاً منه لنبوة المصطفى[٣]، وأدخل الحسن رضي الله عنه بشرطه في عقلية العراقيين بأن خيار السلم قابل للنقاش والأخذ والعطاء، وليس فيه تقديم إرادة السّلم على الحرب، فهو يشتمل عليهما معاً، وإن كان يوحي بالسلم، وهذا دليل على عبقريته وحسن قيادته، ومعرفته بالأمور، كما أنه رضي الله عنه تقدم للخلافة لما كانت مصلحة الإسلام والمسلمين في ذلك.

المرحلة الثالثة:

وقوع المحاولة الأولى لاغتيال الحسن رضي الله عنه بعد أن كشف عن نيته في الصلح مع معاوية رضي الله عنه، وهذه المحاولة يبدو أنها قد جرت بعد استخلافه بقليل، وهو ما أشارت إليه الروايات التالية: ما أخرجه ابن سعد في طبقاته من طريق أبي جميلة[٤]: أن الحسن بن علي لما استخلف حين قتل علي، فبينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجر ـ وزعم حصين بن عبد الرحمن السلمي أنه بلغه أن الذي طعنه رجل من بني أسد ـ وحسن ساجد، قال حصين: وعمي أدرك ذلك، قال: فيزعمون أن الطعنة وقعت في وركه، فمرض منها أشهراً ثم برئ، فقعد على المنبر فقال: يا أهل العراق اتقوا الله فينا، فإنا أمراؤكم وضيفانكم، أهل البيت الذين قال الله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. قال: فما زال يقول ذلك حتى ما رؤي أحد من أهل المسجد إلا وهو يخن[٥] بكاء[٦].

وما أخرجه ابن سعد في طبقاته من طريق هلال بن يساف[٧]، قال: سمعت الحسن بن علي وهو يخطب وهو يقول: يا أهل الكوفة، اتقوا الله فينا فإنا أمراؤكم وإنا أضيافكم، ونحن أهل البيت الذين قال الله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ قال: فما رأيت يوماً قط أكثر باكياً من يومئذ[٨].

---

(١) الطبقات، تحقيق: السُّلمي (١/ ٣١٦، ٣١٧)، إسناده حسن.
(٢) المصدر السابق نفسه (١/ ٣٨٦، ٣٨٧)، إسناده صحيح.
(٣) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص ١١١.
(٤) ميسرة بن يعقوب، أبو جميلة الطهوي الكوفي، ذكره ابن حبان في ثقاته (٥/ ٤٢٧).
(٥) الخنين: البكاء في الأنف، القاموس المحيط، ص ١٥٤١.
(٦) الطبقات، تحقيق: السُّلمي (١/ ٣٢٣).
(٧) هلال بن يساف الأشجعي، أخرج له البخاري حديثه معلقاً، ومسلم، والأربعة: التقريب، ص ٥٧٦.
(٨) الطبقات، تحقيق: السُّلمي (١/ ٣٨١)، إسناده صحيح.

المرحلة الرابعة:

خروج الحسن رضي الله عنه بجيش العراق من الكوفة إلى المدائن، وإرساله للقوة الضاربة من الجيش وهي شرطة الخميس إلى مسكن بقيادة قيس بن سعد بن عبادة[١]، وقد أشار ابن سعد في طبقاته إلى ذلك في الرواية التي أخرجها من طريق الشعبي، قال: بايع أهل العراق بعد علي بن أبي طالب الحسن بن علي، ثم قالوا له: سر إلى هؤلاء القوم الذين عصوا الله ورسوله؛ ارتكبوا العظيم وابتزوا[٢] الناس أمورهم، فإنا نرجو أن يمكن الله منهم، فسار الحسن إلى أهل الشام، وجعل على مقدمته قيس بن سعد بن عبادة في اثني عشر ألفاً، وكانوا يسمون شرطة الخميس[٣].

من خلال الرواية السابقة يتضح أن أهل العراق هم الذين دفعوا الحسن رضي الله عنه إلى الخروج لقتال أهل الشام من غير رغبة منه، وهذا الأمر قد أشار إليه ابن كثير رحمه الله بقوله: ولم يكن في نية الحسن أن يقاتل أحداً، ولكن غلبوه على رأيه، فاجتمعوا اجتماعاً عظيماً لم يُسمع بمثله، فأمّر الحسن بن علي، قيس بن سعد بن عبادة، على المقدمة في اثنى عشر ألفاً بين يديه، وسار هو بالجيوش في أثره قاصداً بلاد الشام، فلما اجتاز بالمدائن نزلها وقدّم المقدمة بين يديه[٤]، وقد أظهر الحسن حنكة كبيرة دلت على سعة أفقه ودهائه وبصيرته، عندما لم يشأ أن يواجه أهل العراق من البداية بميله إلى مصالحة معاوية وتسليمه الأمر؛ لأنه يعرف خفتهم وتهورهم، فأراد أن يقيم من مسلكهم الدليل على صدق نظرته فيهم، وعلى سلامة ما اتجه إليه، فوافقهم على المسير لحرب معاوية وعبأ جيشه[٥]، وكان خروج الحسن بن علي من الكوفة إلى المدائن على ما رجحه الدكتور خالد الغيث في شهر صفر من السنة التالية وهي سنة ٤١هـ[٦].

المرحلة الخامسة:

خرج معاوية رضي الله عنه من الشام وتوجه إلى العراق بعد أن وصل خبر خروج الحسن من الكوفة إلى المدائن بجيوشه، يقول ابن سعد في طبقاته: وأقبل معاوية في أهل الشام يريد الحسن حتى نزل جسر منبح[٧]. ثم أضاف قائلاً: فأقبل من جسر منبح إلى مسكن في خمسة أيام وقد دخل يوم السادس[٨]، وقد تأخر خروج معاوية وكان ذلك بعد سماعه لخروج الحسن بجيوشه،

---

(١) المصدر السابق نفسه (١/ ٣٢١).

(٢) الابتزاز: أخذ الشيء بجفاء وقهر.

(٣) الطبقات، تحقيق: السُّلمي (١/ ٣١٩ ـ ٣٢١)، إسناده لا بأس به.

(٤) البداية والنهاية (١١/ ١٣٢).

(٥) العالم الإسلامي في العصر الأموي، د. عبد الشافي محمد، ص ١٠١.

(٦) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص ١٣٠.

(٧) جسر منبح: قرية في الجزيرة الفراتية، الطبقات، السّلمي (١/ ٣٢١).

(٨) الطبقات، تحقيق: السُّلمي (١/ ٣٢٣).

وكان معاوية قد أصيب إصابة بليغة من جراء محاولة الاغتيال التي تعرض لها من قبل الخارجي البرك بن عبد الله التميمي، حين خرج لصلاة الفجر، وهي المحاولة التي نفذت في نفس فجر اليوم الذي اغتيل فيه علي رضي الله عنه، وهو فجر يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان سنة ٤٠ هـ على الصحيح المشهور من الأقوال[١].

وقد أشار الخلاَّل إلى شدة إصابة معاوية رضي الله عنه في الرواية التي أخرجها من طريق جندب قال: كنا مع سعد بن أبي وقاص في ركب فنزل سعد ونزلت واغتنمت نزوله قال: فجعلت أمشي إلى جانبه، فحمدت الله وأثنيت عليه وقلت: إن معاوية طعن طعناً بيِّناً لا أراها إلا قاتلته، وإن الناس[٢] قاتلون بقية أصحاب الشورى، وبقية أصحاب رسول الله ﷺ، فأنشدك الله إن وليت شيئاً من أمرهم، أو تشق عصاهم وأن تفرق جمعهم، أو تدعوهم إلى أمر مهلكة. فحمد سعد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد؛ فو الله لا أشق عصاهم ولا أُفَرِّق جمعهم، ولا أَدْعُهُم إلى أمر هلكة حتى يأتوني بسيف يقول: يا سعد هذا مؤمن فدعه، وهذا كافر فاقتله[٣].

وبينما الحسن في المدائن، إذ نادى منادٍ من أهل العراق إن قيساً قد قتل، فسرت الفوضى في الجيش، وعادت إلى أهل العراق طبيعتهم في عدم الثبات، فاعتدوا على سرادق الحسن ونهبوا متاعه حتى إنهم نازعوه بساطاً كان تحته، وطعنوه وجرحوه، وهنا حدثت حادثة لها دلالة كبيرة؛ فقد كان والي المدائن من قبل علي: سعد بن مسعود الثقفي، فأتاه ابن أخيه المختار بن أبي عبيد ابن مسعود، وكان شاباً، فقال له: هل لك في الغنى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: توثق الحسن، وتستأمن به إلى معاوية، فقال له عمه: عليك لعنة الله، أثب على ابن بنت رسول الله ﷺ، فأوثقه بئس الرجل أنت[٤]، فلما رأى الحسن صنع أصحابه أيقن أنه لا فائدة منهم، ولا نصر يُرجى على أيديهم، وهذه كانت قناعته من البداية[٥]، فدفعه ذلك إلى قطع خطوات أوسع والاقتراب أكثر من الصلح.

المرحلة السادسة:

تبادل الرسل بين الحسن ومعاوية، ووقوع الصلح بينهما رضوان الله عليهما، فقد سجل الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه تلك اللحظات الحرجة من تاريخ الأمة المسلمة حين التقى الجمعان، جمع أهل الشام وجمع أهل العراق، وذلك في الرواية التي أخرجها من طريق الحسن

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ١٣١).

(٢) يقصد الخوارج.

(٣) السنة للخلال، تحقيق: د. الزهراني، ص ٤٧٤، ٤٧٥، إسناده صحيح.

(٤) تاريخ الطبري (٥/ ١٥٩)، نقلاً عن العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص ١٠١.

(٥) العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص ١٠١.

البصري ، قال : استقبل ـ والله ـ الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال ، فقال عمرو بن العاص : إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها ، فقال له معاوية ـ وكان والله خير الرجلين ـ : أي عمرو ، وإن قتل هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء ، من لي بأمور الناس ، مَنْ لي بنسائهم ، من لي بضيعتهم؟[(١)] فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس ـ عبد الرحمن بن سمرة ، وعبد الله ابن عامر بن كريز ؛ فقال : اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه ، وقولا له ، واطلبا إليه . فأتياه ، فدخلا عليه ، فتكلما ، وقالا له ، وطلبا إليه .

فقال لهما الحسن بن علي : إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال[(٢)] ، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها قالا : فإنه يعرض عليك كذا وكذا ، ويطلب إليك ويسألك قال : فمن لي بهذا؟[(٣)] قالا : نحن لك به[(٤)] ، فما سألهما شيئاً إلا قالا : نحن لك به ، فصالحه فقال الحسن ، أي البصري : ولقد سمعت أبا بكرة يقول : رأيت رسول الله ﷺ على المنبر ـ والحسن ابن علي إلى جنبه ـ وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ، ويقول : إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين[(٥)] ، وقد تحدث ابن حجر رحمه الله عن الفوائد المستنبطة من رواية الصلح فقال :

١) ـ وفي هذه القصة من الفوائد علم من أعلام النبوة .

٢) ـ ومنقبة للحسن بن علي ، فإنه ترك الملك لا لقلة ، ولا لذلة ، ولا لعلة ، بل لرغبته فيما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمين ، فراعى مصلحة الدين ومصلحة الأمة .

٣) ـ وفيها رد على الخوارج الذين كانوا يكفرون علياً ومن معه ، ومعاوية ومن معه ، بشهادة النبي ﷺ بالطائفتين بأنهم من المسلمين .

٤) ـ وفيها فضيلة الإصلاح بين الناس ، ولا سيما في حقن دماء المسلمين .

٥) ـ ودلالة على رأفة معاوية بالرعية ، وشفقته على المسلمين ، وقوة نظره في تدبير الملك ، ونظره في العواقب .

---

(١) قال ابن حجر رحمه الله : يشير ـ يقصد معاوية ـ إلى أن رجال العسكرين معظم من في الإقليمين ، فإذا قتلوا ضاع أمر الناس وفسد حالهم بعدهم وذراريهم ، والمراد بقوله : ضيعتهم ؛ الأطفال والضعفاء سمّوا بما يؤول إليه أمرهم ، لأنهم إذا تركوا ضاعوا لعدم استغلالهم بأمر المعاش .

(٢) أي : فرقنا منه في حياة علي وبعده ما رأينا في ذلك صلاحه ، فنبه على ذلك خشية أن يرجع عليه بما تصرف فيه . الفتح (١٣/ ٦٩ ، ٧٠) .

(٣) أي : من يضمن لي الوفاء من معاوية . الفتح (١٣/ ٧٠) .

(٤) أي : نحن نضمن ، لأن معاوية كان فوض لهما ذلك الفتح (١٣/ ٧٠) .

(٥) البخاري ، رقم ٧١٠٩ .

٦) ـ وفيه ولاية المفضول الخلافة مع وجود الأفضل؛ لأن الحسن ومعاوية ولي كل منهما الخلافة، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد في الحياة وهما بدريان.

٧) ـ وفيه جواز خلع الخليفة نفسه، إذا رأى في ذلك صلاحاً للمسلمين، والنزول عن الوظائف الدينية والدنيوية بالمال، وجواز أخذ المال على ذلك وإعطائه، بعد استيفاء شرائطه، بأن يكون المنزول له أولى من النازل، وأن يكون المبذول من مال الباذل؛ فإن كان في ولاية عامة وكان المبذول من بيت المال اشترط أن تكون المصلحة في ذلك عامة(١).

كما أخرج ابن سعد رحمه الله رواية لا تقل أهمية عن رواية البخاري في الصلح، وتعد مكملة لها، وهي من طريق عمرو بن دينار(٢): إن معاوية كان يعلم أن الحسن أكره الناس للفتنة؛ فلما توفي علي بعث إلى الحسن، فأصلح الذي بينه وبينه سراً، وأعطاه معاوية عهداً إن حدث به حدث والحسن حي ليُسَمِّيَنَّه(٣)، وليجعلن هذا الأمر إليه، فلما توثق منه الحسن، قال ابن جعفر(٤): والله إني لجالس عند الحسن إذ أخذت لأقوم فجذب بثوبي وقال: اقعد يا هَناه(٥)، واجلس، فجلست قال: إني قد رأيت رأياً وأحب أن تتابعني عليه، قال: قلت: ما هو؟ قال: قد رأيت أن أعمد إلى المدينة فأنزلها وأخلي بين معاوية، وبين هذا الحديث، فقد طالت الفتنة، وسقطت فيها الدماء، وقطعت فيها الأرحام، وقطعت السبل، وعُطِّلت الفروج ـ يعني الثغور ـ فقال ابن جعفر: جزاك الله عن أمة محمد، فأنا معك على هذا الحديث، فقال الحسن: ادع لي الحسين، فبعث إلى الحسين فأتاه فقال: يا أخي قد رأيت رأياً وإني أحب أن تتابعني عليه.

قال: ما هو؟ قال: فقصّ عليه الذي قال لابن جعفر، قال الحسين: أعيذك بالله أن تكذب علياً في قبره وتصدق معاوية. قال الحسن: والله ما أردت أمراً قط إلا خالفتني إلى غيره، والله لقد هممت أن أقذفك في بيت فأطينه عليك حتى أقضي أمري. قال: فلما رأى الحسين غضبه قال: أنت أكبر ولد علي، وأنت خليفته، وأمرنا لأمرك تبع، فافعل ما بدا لك(٦)، ويلاحظ على روايتي

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٧١، ٧٢).

(٢) عمرو بن دينار المكي الجمحي مولاهم، ثقة ثبت، من الطبقة الرابعة مات ١٢٦ هـ، أخرج له الستة. التقريب، ص ٤٢١.

(٣) أي: يرشحه للخلافة من بعده، وعندما نتعرض لشروط الصلح، بإذن الله، سوف نبين أن الأمر الذي استقر هو أن يكون بعد وفاة معاوية شورى بين المسلمين.

(٤) أي: عبد الله بن جعفر.

(٥) يا هَناه: يا رجل.

(٦) الطبقات، تحقيق: السُّلمي (١/ ٣٣٠، ٣٣١).

البخاري وابن سعد اتفاقهما على أن معاوية رضي الله عنه كان صاحب المبادرة في الاتصال بالحسن رضي الله عنه وعرض الصلح عليه[١].

*** مَنِ المبادر إلى الصلح الحسن أم معاوية؟**

وهنا قد يسأل سائل: من المبادر إلى الصلح، أهو الحسن رضي الله عنه ـ الذي ورد حديث الرسول في الصلح بحقه، والذي كاد أن يقتل في المحاولة الأولى لاغتياله بسبب شرط البيعة الذي اشترطه على أهل العراق، والذي يفهم منه عزمه على صلح معاوية ـ أم معاوية رضي الله عنه؟

وجواب ذلك: أن الرغبة في الصلح كانت موجودة لدى الطرفين، فقد سعى الحسن رضي الله عنه إلى الصلح، وخطط له منذ اللحظات الأولى لمبايعته، ثم جاء معاوية فأكمل ما بدأه الحسن، فكان عمل كل واحد منهما مكملاً للآخر رضوان الله عليهم أجمعين[٢]، والقدح المعلَّى في السعي في نجاح الصلح للحسن.

المرحلة السابعة:

*** محاولة أخرى لاغتيال الحسن رضي الله عنه:**

بعد نجاح مفاوضات الصلح بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما، شرع الحسن رضي الله عنه في تهيئة نفوس أتباعه على تقبل الصلح الذي تم، فقام فيهم خطيباً ليبين لهم ما تم بينه وبين معاوية، وفيما هو يخطب هجم عليه بعض عسكره محاولين قتله، لكن الله سبحانه وتعالى أنجاه كما أنجاه من قبل، وقد أورد البلاذري خطبة الحسن التي ألقاها في أتباعه، ومحاولة قتله رضي الله عنه فقال:

إني أرجو الله أن أكون أنصح خلقه لخلقه، وما أنا محتمل على أحد ضغينة، ولا حقداً، ولا مريداً به غائلة، ولا سوءاً، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، ألا وإني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردوا علي، غفر الله لي ولكم.

فنظر بعض الناس إلى بعض وقالوا: عزم والله على صلح معاوية، وضعف وخار، وشدوا على فسطاطه، فدخلوه، انتزعوا مصلاه من تحته، وانتهبوا ثيابه، ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي جعال الأزدي، فنزع مطرفه[٣] عن عاتقه، فبقي متقلداً سيفه فَدُهِش ثم رجع ذِهْنُهُ، فركب فرسه، وأطاف به الناس، فبعضهم يعجزه ويضعفه، وبعضهم ينحي أولئك منه، ويمنعهم منه.

---

(١) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص ١٣٨.

(٢) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص ١٤١.

(٣) مطرفه: أي: رداءه. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ١٠٧٥.

وانطلق رجل من بني أسد بن خزيمة من بني نضر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد، يقال له: الجراح بن سنان[١]، وكان يرى رأي الخوارج ـ على مظلم ساباط[٢]، فقعد له فيه ينتظره، فلما مر الحسن دنا من دابته فأخذ بلجامها، ثم أخرج معولاً[٣]، وكان معه وقال: أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل، وطعنه بالمعول في أصل فخذه، فشق في فخذه شقاً كاد يصل إلى العظم، وضرب الحسن وجهه، ثم اعتنقا وخرا إلى الأرض، ووثب عبد الله بن الخضل الطائي[٤]، فنزع المعول من يد الجراح، وأخذ ظبيان بن عمارة التميمي[٥]، بأنفه فقطعه، وضرب بيده إلى قطعة آجرة فشدخ بها وجهه ورأسه حتى مات، وحُمل الحسن إلى المدائن. . . ثم إن سعد بن مسعود أتى الحسن بطبيب، وقام عليه حتى برِئ وحوله إلى أبيض المدائن[٦][٧].

وقد يعترض بشأن خطبة الحسن رضي الله عنه، وأنها وردت عند البلاذري وأبي حنيفة الدينوري قبل صلح الحسن ومعاوية رضي الله عنه.

وجواب ذلك: أن ما ورد في رواية البخاري من وصف لجيش الحسن، يفيد قوة جيش الحسن وتماسكه مما يعني أن جيش العراق قد قابل جيش الشام وهو في أحسن حالاته المادية والمعنوية، وحيث إن جيش أهل العراق قد اضطرب حاله بعد خطبة الحسن فإن هذا يعني انتفاء مقابلة جيش العراق لجيش الشام بعد الخطبة، لذا فإن الأقرب للواقع أن خطبة الحسن في معسكره كانت بعد التقاء الجيشين العراقي والشامي، وبعد وقوع الصلح بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما[٨]، هذا بالإضافة إلى أن خطبة الحسن هذه كانت مدخلاً وتمهيداً منه رضي الله عنه لإخبار أتباعه بالصلح الذي تم بينه وبين معاوية وهذا ما تبينه الروايات التالية:

ما أخرجه ابن سعد من طريق رياح بن الحارث[٩]: إن الحسن بن علي قام بعد وفاة علي رضي

(١) الجراح بن سنان الأسدي له سابقة في الشر، حيث كان من الذين بهتوا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. وسعوا في عزله في الكوفة أيام خلافة عمر، فدعا عليهم سعد، فكان له من سوء الخاتمة نصيب، الطبري (٤/ ١٤١).

(٢) ساباط المدائن: موضع على الضفة الغربية لنهر دجلة، ومظلم: موضع هناك، معجم البلدان (٣/ ١٦٦)(٥/ ١٥٢).

(٣) معولاً: حديده ينقر بها الصخر، القاموس المحيط، ص ١٣٤٠.

(٤) عبد الله بن الخضل الطائي، قائد التوابين الذين طالبوا بدم الحسين ٦٥ هـ.

(٥) ظبيان بن عمارة، يروي عن علي من تابعي أهل الكوفة.

(٦) يسمى القصر الأبيض، يقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة، الروض المعطار، ص ٩.

(٧) أنساب الأشراف للبلاذري، مخطوطة نقلاً عن مرويات خلافة معاوية، ص ١٤٢.

(٨) مرويات خلافة معاوية رضي الله عنه، ص ١٤٢.

(٩) رياح بن الحارث: ثقة، التقريب، ص ٢١١.

الله عنه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن كل ما هو آت قريب، وإن أمر الله واقع، وإن كره الناس، وإني والله ما أحببت أن ألي من أمر أمة محمد ما يزن مثقال حبة من خردل يهراق فيه محجمة من دم، قد علمت ما يضرني مما ينفعني، فالحقوا بطيتكم[(١)(٢)]، وقد يقول قائل: إن هذه الرواية قد قيلت في الكوفة، وليست في المدائن، والجواب على ذلك: أن أحمد بن حنبل أخرج الرواية نفسها من طريق رياح بن الحارث وبإسناد صحيح[(٣)]، وفيها: أن الناس اجتمعوا إلى الحسن بن علي بالمدائن[(٤)] . . ثم ذكر بقية رواية ابن سعد، وحيث إن هذه الخطبة قد قيلت في المدائن فإن الأرجح أنها قيلت بعد صلح الحسن مع معاوية رضي الله عنهما ـ حيث يرد بشأنها ما ورد بشأن خطبة الحسن التي عند البلاذري ـ بل لعلها كانت جزءاً من خطبة الحسن التي أوردها البلاذري، وأسفرت عن اضطراب معسكر الحسن.

وقد بقيت الإشارة إلى موقف الحسن رضي الله عنه تجاه ما حصل له في معسكره، وهو ما أخرجه ابن سعد من طريق هلال بن خباب[(٥)]، قال: جمع الحسن بن علي رؤوس أصحابه في قصر المدائن، فقال: يا أهل العراق، لو لم تذهل نفسي[(٦)]، عنكم إلا لثلاث خصال لذهلت: مقتلكم أبي، ومطعنكم بغلتي، وانتهابكم ثقلي، أو قال: ردائي عن عاتقي، وإنكم قد بايعتموني أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت، وإني قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا ، قال: ثم نزل فدخل القصر[(٧)].

١) ـ موقف شرطة الخميس من الصلح:

أما موقف شرطة الخميس ـ وهم مقدمة جيش العراق إلى مسكن ـ من الصلح، فقد أخرج الحاكم عن أبي الغَريف[(٨)]، قال: كنا في مقدمة جيش الحسن بن علي اثني عشر ألفاً، تقطر أسيافنا من الحدة على قتال أهل الشام، وعلينا أبو العمَّرطة[(٩)]، فلما أتانا صلح الحسن بن علي ومعاوية كأنّما كسرت ظهورنا من الحرد[(١٠)] والغيظ، فلما قدم الحسن بن علي على الكوفة، قام

---

(١) بطيتكم: أي بوجهتكم، لسان العرب (١٥/ ٢).
(٢) الطبقات، تحقيق: السلمي (١/ ٣١٧).
(٣) فضائل الصحابة (٢/ ٧٧٣).
(٤) المصدر السابق نفسه، إسناده صحيح.
(٥) هلال بن خباب العبدي، صدوق، التقريب: ٥٧٥.
(٦) تذهل نفسي: تسلو نفسي، لسان العرب (١١/ ٢٥٩).
(٧) الطبقات، تحقيق: السُّلمي (١/ ٣٢٤).
(٨) عبيد الله بن خليفه الهمداني المرادي، صدوق، رمي بالتشيع، التقريب: ٣٧٠.
(٩) اسمه عمير بن يزيد الكندي، شارك في حركة حجر بن عدي سنة ٥١ هـ، تاريخ الطبري (٥/ ٢٥٩)، مرويات معاوية، ص ١٤٦.
(١٠) الحَرَد: الغضب. القاموس المحيط، ص ٣٥٣.

إليه رجل منا يكنى أبا عامر سفيان بن الليل[١]، فقال: السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال الحسن: لا تقل ذلك يا أبا عامر، لم أذلَّ المؤمنين، ولكني كرهت أن أقتلهم في طلب الملك[٢]، ويبدو أن أبا العمّرطة كان أميراً على مجموعة من جيش الخميس في المقدمة، وكان فيهم أبو الغريف، لأنه من الثابت أن جيش الخميس كان عليه قيس بن سعد رضي الله عنه، كما أن الروايات الصحيحة لا تذكر أي وجود لعبيد الله بن العباس على جيش الخميس، مما يثير الشك حول وجود عبيد الله بن العباس في العراق في هذه الفترة[٣]، ولا يلتفت إلى الروايات الساقطة والموضوعة التي تزعم أن عبيد الله خان الحسن مقابل رشاوى مالية من معاوية.

أما قيس بن سعد فقد تردد في الدخول في الصلح، واعتزل بما أطاعه ثم شرح الله صدره، ودخل في الصلح وبايع معاوية رضوان الله عليهم أجمعين، وفي الروايات التالية بيان موقف قيس حين جاءه خبر الصلح، أخرج ابن حجر من طريق حبيب بن أبي ثابت[٤]، أنه قال: .. فبعث الحسن بالبيعة إلى معاوية، فكتب بذلك الحسن إلى قيس بن سعد، فقال قيس بن سعد في أصحابه فقال: يا أيها الناس، أتاكم أمران، لابد لكم من أحدهما: دخول في الفتنة، أو قتل مع غير إمام، فقال الناس: ما هذا؟ فقال: الحسن بن علي، قد أعطى البيعة معاوية، فرجع الناس، فبايعوا معاوية[٥].

تشير الرواية السابقة إلى دخول قسم كبير من شرطة الخميس في الصلح فور سماعهم نبأ وقوع الصلح بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما، ولكنها لا تذكر دخول قائدهم قيس ابن سعد في الصلح، وقد أشار ابن كثير رحمه الله إلى ذلك بقوله: وبعث الحسن بن علي إلى أمير المقدمة قيس بن سعد: أن يسمع ويطيع، فأبى قيس بن سعد قبول ذلك، وخرج من طاعتهما جميعاً، واعتزل بمن أطاعه، ثم راجع الأمر، فبايع معاوية[٦]، كما تحدث ابن أبي شيبة عن موقف قيس بن سعد رضي الله عنه ـ ومن تابعه من شرطة الخميس ـ من الصلح، فقال: عن هشام بن عروة عن أبيه، قال: كان قيس بن سعد بن عبادة مع الحسن ابن علي رضي الله عنه على مقدمته، ومعه خمسة آلاف قد حلقوا رؤوسهم بعدما مات علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وتبايعوا على الموت، فلما دخل الحسن في بيعة معاوية أبى قيس أن يدخل، وقال لأصحابه: ما شئتم، إن شئتم جالدت بكم حتى يموت الأعجل منا، وإن شئتم أخذت لكم أماناً، فقالوا: خذ لنا أماناً،

(١) من الذين شاركوا المختار الثقفي في الطلب بدم الحسين ٦٦ هـ.
(٢) المستدرك (٣/ ١٧٥).
(٣) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص ١١٤.
(٤) حبيب بن أبي ثابت بن دينار الأسدي: التقريب ١٥٠.
(٥) المطالب العالية (٤/ ٣١٧ ـ ٣١٩)، هذا الإسناد صحيح.
(٦) البداية والنهاية (٨/ ١٦).

فأخذ لهم كذا وكذا، وألا يعاقبوا بشيء، وأنه رجل منهم، ولم يأخذ لنفسه خاصة شيئاً فلما ارتحل نحو المدينة ومضى بأصحابه جعل ينحر لهم كل يوم جزوراً حتى بلغ[(١)]، وفي الرواية السابقة ـ على ما فيها من تقديم وتأخير في تسلسل الأحداث ـ إشارة لعدد الذين تابعوا قيساً من المجموع الكلي لتعداد شرطة الخميس الذي هو اثنا عشر ألفاً[(٢)].

٢) ـ مواقف أمراء علي رضي الله عنه من الصلح:

اتسمت مواقف أمراء علي رضي الله عنه من الصلح بالتباين والتفاوت، حيث قبله بعضهم وكرهه بعضهم الآخر، وفيما يلي تبيان لتلك المواقف:

أ ـ موقف القبول والاستحسان، ويأتي في مقدمة هؤلاء عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

ب ـ موقف الرفض ثم القبول، ويأتي في مقدمة هؤلاء قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما، وزياد بن أبيه.

ج ـ وهناك فريق ثالث دخل في الصلح وهو كاره له، هؤلاء ينقسمون إلى قسمين:

- قسم يرى أن الصلح ملزم له في ظل حياة الحسن رضي الله عنه فقط، ويمثل هؤلاء حجر ابن عدي رضي الله عنه.
- قسم يرى أن الصلح ملزم له في ظل حياة الحسن ومعاوية رضي الله عنهما، أو الآخر موت منهما، ويمثل هؤلاء الحسين بن علي رضي الله عنهما.

المرحلة الثامنة:

تنازل الحسن بن علي عن الخلافة، وتسليمه الأمر إلى معاوية رضوان الله عليهم أجمعين: بعد أن أنجى الله سبحانه وتعالى الحسن بن علي من الفتنة التي وقعت في معسكره، ترك المدائن وسار إلى الكوفة، وقد تحدث البلاذري عن مسير الحسن إلى الكوفة فقال: قالوا: ولما أراد الحسن المسير من المدائن إلى الكوفة، حين جاءه ابن عامر[(٣)]، وابن سمرة[(٤)]، بكتاب الصلح، وقد أعطاه فيه معاوية ما أراد، خطب فقال في خطبته: وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً، وسار إلى الكوفة[(٥)]، بعد ذلك سار معاوية رضي الله عنه من مسكن إلى النخيلة[(٦)]، وفي

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ١٦).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٤٧٢).
(٣) هو عبد الله بن عامر رضي الله عنه.
(٤) هو عبد الرحمن بن سمرة.
(٥) أنساب الأشراف، مخطوط ٤٤٧، نقلاً عن مرويات معاوية، ص ١٥٠.
(٦) النخيلة موضع قرب الكوفة على سمت الشام، معجم البلدان (٥/ ٢٧٨).

ذلك يقول البلاذري: قالوا: وشخص معاوية من مسكن إلى الكوفة ونزل بين النخيلة ودار الرزق[١].

ثم خرج الحسن رضي الله عنه من الكوفة إلى النخيلة ليقابل معاوية رضي الله عنه ويسلم الأمر له، فعن مجالد[٢]، عن الشعبي[٣]، قال: شهدت الحسن بن علي رضي الله عنه بالنخيلة حين صالحه معاوية رضي الله عنه، فقال معاوية: إذا كان ذا فقم فكلم وأخبر الناس أنك قد سلمت هذا الأمر لي، وربما قال معاوية: أخبر الناس بهذا الأمر الذي تركته لي، فقام فخطب على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ـ قال الشعبي: وأنا أسمع ـ ثم قال: أما بعد فإن أكيس الكيس[٤] التُّقى، وإن أحمق الحمق الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما كان حقاً لي تركته لمعاوية إرادة صلاح هذه الأمة وحقن دمائهم، أو يكون حقاً كان لامرئ كان أحق به مني ففعلت ذلك ﴿وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾[٥] [الأنبياء: ١١١].

كما أخرج هذه الرواية ابن سعد[٦]، والحاكم[٧]، وأبو نعيم الأصفهاني[٨]، والبيهقي[٩]، وابن عبد البر[١٠]، كلهم بنحو رواية الطبراني من طريق الشعبي، كذلك أخرج رواية البيعة أحمد بن حنبل من طريق أنس بن سيرين، قال: قال الحسن بن علي يوم كلم معاوية: ما بين جابلص وجابلق[١١] رجل جده نبي غيري، وإني رأيت أن أصلح بين أمة محمد ﷺ، وكنت أحقهم بذاك، ألا إنا قد بايعنا معاوية ولا أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين[١٢].

وجاء في رواية ابن سعد من طريق عمرو بن دينار، وفيها: . . فقام الحسن فقال: أيها الناس، إني كنت أكره الناس لأول هذا الحديث، وأنا أصلحت آخره لذي حق أديت إليه حقه أحق به مني، أو حق جدت به لصلاح أمة محمد، وإن الله قد ولاك يا معاوية هذا الحديث لخير يعلمه

---

(١) أنساب الأشراف نقلاً عن معاوية، ص ١٥٠.

(٢) مجالد بن سعيد الهمداني، فيه كلام.

(٣) عامر الشعبي ثقة.

(٤) أكيس: أعقل، والكيس العقل لسان العرب (١٦/ ٢٠١).

(٥) المعجم الكبير (٣/ ٢٦) إسناده حسن.

(٦) الطبقات، تحقيق: السُّلمي (١/ ٣٢٩).

(٧) المستدرك (٣/ ١٧٥).

(٨) حلية الأولياء (٢/ ٣٧).

(٩) دلائل النبوة (٦/ ٤٤٤).

(١٠) الاستيعاب (١/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩).

(١١) جابلص وجابلق: مدينتان، إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب.

(١٢) فضائل الصحابة (٢/ ٧٦٩)، إسناده صحيح.

عندك أو لشر يعلمه فيك ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ثم نزل. وأما الرواية التي تشير أن عمرو بن العاص وأبا الأعور السُّلمي قالوا لمعاوية لما بايع الحسن بن علي معاوية قالوا له: لو أمرت الحسن فصعد المنبر فتكلم؛ عيي[١] عن المنطق فيزهد فيه الناس، فقال معاوية: لا تفعلوا؛ فوالله لقد رأيت رسول الله ﷺ يمصُّ لسانه وشفته، ولن يَعْيَ لسان مصه النبي ﷺ أو شفتين، فأبوا على معاوية، فصعد الحسن المنبر فحمد الله وأثنى عليه.. فهذه رواية باطلة من حيث الإسناد والمتن، فإسنادها ضعيف ومتنها منكر[٢] وليس معاوية بمن يجهل القدرات البلاغية والخطابية للحسن.

وجاء في رواية البلاذري أن الحسن دخل بقيس على معاوية ليبايعه، فعن جرير بن حازم، قال سمعت محمد بن سيرين يقول: لما بايع الحسن معاوية، ركب الحسن إليه إلى عسكره، وأردف قيس بن سعد بن عبادة خلفه، فلما دخلا المعسكر، قال الناس: جاء قيس، جاء قيس، فلما دخلا على معاوية، بايعه الحسن، ثم قال لقيس: بايع. فقال قيس بيده: هكذا. وجعلها في حجره ولم يرفعها إلى معاوية، ومعاوية على السرير، فبرك معاوية على ركبتيه، ومدّ يده حتى مسح على يد قيس، وهي في حجره قال ـ جرير بن حازم ـ: وحكى لنا محمد بن سيرين صنيعه، وجعل يضحك، وكان قيس رجلاً جسيماً[٣].

وبتنازل الحسن بن علي عن الخلافة ومبايعته معاوية رضوان الله عليهم أجمعين تنتهي بذلك فترة خلافة النبوة وهي ثلاثون سنة، والحجة في ذلك قول الرسول ﷺ: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك، أو ملكه من يشاء»[٤]، وقال ﷺ: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك»[٥]. وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقال: وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ، فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة لسيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وسلم وتسليماً[٦]، وبذلك يكون الحسن بن علي رضي الله عنه خامس الخلفاء الراشدين[٧].

---

(١) عيي: العِيُّ: خلاف البيان، وعيي في المنطق عيا: أي حصِر في الكلام، فلم يستطع البيان. لسان العرب (٥/ ١١٢ـ١١٣).

(٢) الطبقات، تحقيق السلمي (١/ ٣٢٥)، إسناده ضعيف ومتنه منكر.

(٣) أنساب الأشراف نقلاً عن مرويات خلافة معاوية، ص ١٥٤، إسناده صحيح.

(٤) سنن أبي داود مع شرح عون المعبود (١٢/ ٢٥٩)؛ صحيح سنن أبي داود الألباني (٣/ ٨٧٩).

(٥) سنن الترمذي مع شرحها تحفة الأحوذي (٦/ ٣٩٥ـ٣٩٧)، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٦) البداية والنهاية (٨/ ٦).

(٧) مآثر الإنافة (١/ ١٠٥)؛ مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص ١٥٥.

ـ أهم أسباب ودوافع الصلح:

كانت هناك عوامل وأسباب متعددة ساهمت في دفع أمير المؤمنين الحسن للصلح مع معاوية رضي الله عنهما؛ فمنها:

أولًا ـ الرغبة فيما عند الله وإرادة صلاح هذه الأمة:

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما؛ رداً على نفير الحضرمي عندما قال له: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة. فقال: كانت جماجم العرب بيدي، يسالمون من سالمت، ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله(١).

وقال في خطبته التي تنازل فيها لمعاوية: . . . إما كان حقاً لي تركته لمعاوية إرادة صلاح هذه الأمة(٢)، إن استحضار الحسن رضي الله عنه إرادة وجه الله تعالى وتقديم ذلك، والحرص على إصلاح ذات البين من أسباب الصلح ودوافعه عند الحسن بن علي رضي الله عنهما، فمكانة الصلح في الإسلام عظيمة، وهو من أجل الأخلاق الاجتماعية، إذ به يرفع الخلاف وينهي المنازعة التي تنشأ بين المتعاملين مادياً أو اجتماعياً، ويعود بسببه الوُدُّ والإخاء بين المتنازعين، لكونه يرضي طرفي النزاع ويقطع دابر الخصام، ولذلك كان الصلح من أسمى المطالب الشرعية لتتحقق به الأخوة التي ينشدها لهم ويصفهم بها، كما في قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، وهي الأخوة التي يذهبها الخلاف والتنازع فيما بينهم(٣)، ولذلك اعتنى القرآن الكريم بالصلح كثيراً، أمراً به، وترغيباً فيه، وتنويهاً به وبأهله وإليك البيان.

١) ـ الأمر بالإصلاح:

ففي مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

وقوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩ ـ ١٠].

فترى أن الله تعالى أمر عباده بأن يصلحوا ذات بينهم لما بينهم من الإخاء، كما صرح به في آية الحجرات حيث قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إذ بيَّنت هذه الآية عليَّة الأمر بالإصلاح بين المؤمنين بصيغة القصر، المفيدة لحصر حالهم في حال الأخوة، مبالغة في تقرير

(١) البداية والنهاية (١١/ ٢٠٦).
(٢) المعجم الكبير للطبراني (٣/ ٢٦) إسناده حسن.
(٣) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (٢/ ٩٦٩).

هذا الحكم بين المسلمين، لما بينهم من انتساب إلى أصل واحد وهو الإيمان الذي هو منشؤه البقاء الأبدي في الجنات، فأشارت جملة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، إلى وجوب الإصلاح بين المؤمنين، . . .

ومن هذه الأوامر القرآنية يُعلم أن الإصلاح بين الناس ليس من نافلة القول، بل هو تكليف إلٰهي للقادرين عليه، حتى لا تفسد أواصر الأخوة الإيمانية بين المؤمنين، وهو مع ذلك من التعاون على البر والتقوى، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللّذيْن أمر الله تعالى بهما في غير ما آية، ومعلوم أن هذين من الواجبات الشرعية التكليفية على المؤمنين في علاقتهم الاجتماعية، فكل هذه الأمور تحتِّم على المسلم القيام بالإصلاح بين المسلمين بل وبين الناس عامّه، ولتستقر الحياة الاجتماعية عامرة بالود والإخاء(١)، كانت هذه الأوامر دافعة للحسن بن علي رضي الله عنهما للسعي في الإصلاح.

٢) ـ الترغيب في القيام بالإصلاح:

ولقد رتب الله تعالى على القيام به فضلاً كبيراً وأجراً عظيماً، يناله القائم بذلك ابتغاء مرضات الله تعالى، كما قال الله جل شأنه: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]. ووعد القائمين به مغفرة ورحمة، كما يفيده قول الله جل ذكره: ﴿وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٢٩] فإن في هذه الآية إشارة إلى مغفرة الله ورحمته للمصلحين، كما أذن به ختم الآية بصفتي المغفرة والرحمة لله سبحانه وتعالى(٢)، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨٢]، فإن فيها من الإشارة إلى مغفرته ورحمته سبحانه للمصلح ما في سابقتها، بدلالة نفي الإثم، وتذييلها بصفتي المغفرة والرحمة، وهي إشارة جليَّة(٣)، وقد وصف سبحانه نفسه بقوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

٣) ـ التنويه بالصلح والقائمين عليه:

وتكرار هذا الوعد يدل على علو شأن الإصلاح بين الناس عند الله تعالى، ولذلك أجزل للقائم به تلك المثوبة الكريمة والأجر العظيم، وقد دلّ على ذلك أيضاً تنويه الله تعالى به بمثل قوله سبحانه: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]، فإن وصفه بالخيرية دليل على علو منزلته عند الله تعالى، وذلك لما له من عظيم الأثر في إصلاح ذات البين بين الناس، الذي طالما تشوف الشارع الحكيم

---

(١) المصدر السابق نفسه (٢/ ٩٧١).
(٢) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (٢/ ٩٧١).
(٣) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (٢/ ٩٧١).

إليه في المجتمعات الإنسانية، ولما له من دلالة على كريم أخلاق القائم به أو الراضي عنه، ولهذا كان من أبرز أخلاق الرسل عليهم الصلاة والسلام، كما قال الله تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، كما قال على لسان موسى وهو يخاطب أخاه هارون عليهما السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢] إلى غير ذلك من الآيات، والإصلاح في مثل هاتين الآيتين عام فيشمل الإصلاح في الدين والدنيا، ومنه الإصلاح بين الناس عند حدوث المقتضى لذلك من نزاع ونحوه ممَّا لا يخلو منه مجتمع من المجتمعات البشرية[١].

فهذا المقصد القرآني الكريم، كان دافعاً للحسن بن علي في الصلح، وقد تتبع خطوات جده ﷺ في الحرص على الصلح، فقد كان النبي ﷺ يجهد نفسه في الإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فقد حدث ذات يوم أن أهل قباء اقتتلوا[٢]، حتى تراموا بالحجارة، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «اذهبوا بنا نصلح بينهم»[٣]، فانظر كيف أن النبي ﷺ لم يتوانَ عن الذهاب للإصلاح بين المسلمين حينما بدر الشقاق بينهم ليَحسِم الخلاف، ويعيد الوئام قبل أن يستفحل الأمر ويتسع الخرق على الراقع[٤].

ولأهمية الصلح بين الناس وفضله أجاز الإسلام الكذب فيه إذا كان القصد من ذلك الإصلاح بين المتخاصمين، فقد قال ﷺ: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً»[٥]، وقال رسول الله ﷺ: «لا يحل الكذب إلا في ثلاث: الرجل يحدث امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس»[٦]، وما ذلك إلا لعظم خطر الخلاف بين المسلمين وفساد ذات بينهم كما بينه ﷺ: «إياكم وسوء ذات البين فإنها الحالقة»[٧] أي: الخصلة التي من شأنها أن تحلق، أراد أنها خصلة سوء تذهب الدين كما تذهب الموسى الشعر[٨].

ولقد بين عليه الصلاة والسلام ما للصلح من أجر عظيم بقوله: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات

(١) المصدر السابق نفسه.
(٢) أي: فعلوا فعلاً يودي بهم إلى القتل من مضاربة بالأيدي والعصي.
(٣) البخاري، كتاب الصلح، رقم ٢٦٩٠.
(٤) أخلاق النبي ﷺ في ضوء القرآن والسنة (٢/ ٩٧٩).
(٥) البخاري، كتاب الأدب، رقم ٤٩٠٠.
(٦) سنن أبي داود مع عون المعبود (١٣/ ٢٦٣)، رقم ٤٩٠٠.
(٧) سنن الترمذي، رقم ٢٥٠٨، قال عنه الترمذي: صحيح غريب من هذا الوجه.
(٨) جامع الأصول لابن الأثير (٦/ ٦٦٨).

البين هي الحالقة»[١]، ولذلك كان من أمله الكبير ورجائه العظيم في نسله المبارك الحسن السِّبط ـ رضي الله عنه ـ أن يصلح الله به فساد ذات البين الذي أعلمه الله بحدوثه في أمته بعد وفاته، فمن حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى، ويقول: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[٢]، فرغبة الحسن بن علي رضي الله عنهما في الأجر والمثوبة وإرادته للإصلاح دفعته لهذا الصلح المبارك.

ثانياً ـ إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين:

إن دعوة الرسول ﷺ بأن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين دفعت الحسن إلى التخطيط والاستعداد النفسي للصلح، والتغلب على العوائق التي في الطريق، فقد كان هذا الحديث الكلمة الموجهة الرائدة للحسن في اتجاهاته وتصرفاته ومنهج حياته، فقد حلت في قرارة نفسه، واستولت على مشاعره وأحاسيسه، واختلطت بلحمه ودمه، ومن خلال هذا التوجيه واستيعابه وفهمه له بنى مشروعه الإصلاحي، وقسم مراحله، وكان متيقناً من نتائجه، فالحديث النبوي كان دافعاً أساسياً وسبباً مركزياً في اندفاع الحسن للإصلاح.

ثالثاً ـ حقن دماء المسلمين:

قال الحسن رضي الله عنه: . . . خشيت أن يجيء يوم القيامة سبعون ألفاً، أو أكثر أو أقلُّ، كلهم تنضح أوداجهم دماً، كلهم يستعدي الله فيما هُرِيقَ دمه![٣] وقال رضي الله عنه: ألا إن أمر الله واقع إذ ليس له دافع وإن كره الناس، إني ما أحببت أن ألي من أمة محمد مثقال حبة من خردل يهراق فيه محجمة من دم، قد علمت ما ينفعني ممّا يضرني ألحقوا بطيّتكم[٤][٥].

وقال في خطبته التي تنازل فيها لمعاوية عن الخلافة وتسليمه الأمر إليه: . . . إما كان حقاً لي تركته لمعاوية إرادة صلاح هذه الأمة وحقن دمائهم[٦].

تلحظ من كلام سيدنا الحسن رضي الله عنه شدة خوفه من الله تعالى ذلك الخوف الذي دفعه إلى الصلح، وقد مدح الله أنبياءه عليهم السلام وأولياءه بمخافتهم الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال

(١) سنن الترمذي، رقم ٢٥٠٩، وقال الترمذي: حديث صحيح.

(٢) البخاري، رقم ٧١٠٩.

(٣) البداية والنهاية (١١/ ٢٠٦).

(٤) بطيتكم: جهتكم ونواحيكم.

(٥) تاريخ دمشق (١٤/ ٨٩).

(٦) المعجم الكبير للطبراني (٣/ ٢٦)، إسناده حسن.

سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١] فالخوف المحمود من الله يحث على العلم، ويكدر جميع الشهوات، ويزعج القلب عن الركون إلى الدنيا، ويدعوه إلى التجافي عن دار الغرور، دون الحديث النفسي الذي لا يؤثر في الكف عن المعاصي، والحث على فعل الطاعات، ودون الوصول إلى اليأس الموجب للقنوط[(١)].

فالحسن بن علي رضي الله عنهما أراد أن يحقن دماء المسلمين قربة إلى الله عز وجل، وخشي على نفسه من حساب الله يوم القيامة في أمر الدماء، ولو أدى به الأمر إلى ترك الخلافة فكان ذلك دافعاً له نحو الصلح، فالحسن بن علي رضي الله عنهما يعلم خطورة سفك الدماء بين المسلمين، لأن ذلك من أخطر الأمور التي تهز كيان البشرية، ولذلك ورد تحريمه والوعيد عليه، وتحديد عقوبته في كثير من نصوص الكتاب والسنة، والقتل أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة، مما يدل على عظم شأن قتل النفس والاعتداء على حرمة الإنسان.

فقد روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس في الدماء»[(٢)]، فأمر الدماء عظيم يوم القيامة، والعمل على حفظها في الدنيا من مقاصد الشريعة، ولذلك حرص الحسن على الصلح حفظاً لدماء المسلمين.

لقد عنيت الشريعة الإسلامية التي فهمها واستوعبها الحسن رضي الله عنه، بالنفس عناية فائقة، فشرعت من الأحكام ما يجلب المصالح لها، ويدفع المفاسد عنها، وذلك مبالغة في حفظها وصيانتها، ودرء الاعتداء عليها لأنه بتعرض الأنفس للضياع والهلاك يُفقد المكلف الذي يتعبد الله سبحانه وتعالى، وذلك بدوره يؤدي إلى ضياع الدين، والمقصود من الأنفس التي عنيت الشريعة بحفظها: هي الأنفس المعصومة بالإسلام؛ الجزية أو الأمان[(٣)]، ولهذا لما قيل للحسن من بعض المعترضين على الصلح: يا عار المؤمنين، قال: للعار خير من النار[(٤)]. وفي رواية ابن سعد: . . . إني اخترت العار على النار[(٥)].

ونلحظ أن الحسن بن علي كان يناقش أتباعه ويبين لهم دوافعه ويرتقي بهم نحو قناعته، ولم يكن ممن تقوده الجماهير، وهمه ما يطلبه المستمعون، وإنما شق طريقه وفق تصوراته وفهمه لحقائق الأمور، ونأى بنفسه أن يتأثر بضغط عوام الناس ما دامت الخطوات التي يسير بها فيها رضا الله، ومصلحة المسلمين، وهذا درس كبير لكثير من القيادات الإسلامية، في كون القائد هو

(١) جامع العلوم والحكم، ص ٣٦٣؛ الإيمان أولاً، ص ١١٧.
(٢) البخاري، كتاب الديات، رقم ٦٨٦٤.
(٣) روضة الطالبين (٩/ ١٤٨)؛ مقاصد الشريعة لليوبي، ص ٢١١.
(٤) تاريخ دمشق (١٤/ ٨٨).
(٥) الطبقات، تحقيق السُّلمي (١/ ٣٢٩)، إسناده ضعيف جداً.

الذي يقود عامة الناس ويرتقي بهم نحو أهدافهم، وفي مثل ظروف الحسن عادة يكون الزعماء بين أمور:

أ ـ ما تطلبه الجماهير.

ب ـ من لا يهتم ولا يرد على أحد.

ج ـ عمل الصواب والحق والارتقاء بالجماهير.

ونرى الحسن بن علي اختار الطريق الثالث، وهو عمل الصواب والحق والارتقاء بالجماهير نحو الأهداف السامية التي رسمها، ولذلك قام بتقديم رؤية واضحة وخطوات تنفيذية عبر مراحل وتمهيدات ووضع شروط وتغلب على العوائق، واهتمّ بإقناع المخالفين لوجهة نظره، وهذا هو الصواب والله أعلم.

رابعاً ـ حرصه على وحدة الأمة:

قام الحسن بن علي خطيباً رضي الله عنهما في إحدى مراحل الصلح فقال: أيها الناس، إني قد أصبحت غير محتمل على مسلم ضغينة[١]، وإني ناظر لكم كنظري لنفسي، وأرى رأياً فلا تردوا علي رأيي، إن الذي تكرهون من الجماعة أفضل مما تحبون من الفُرقة[٢]، وقد تحقق بفضل الله ثم حرص الحسن على وحدة الأمة ذلك المقصد العظيم، فقد ارتأى رضي الله عنه أن يتنازل عن الخلافة حقناً لدماء المسلمين، وتجنباً للمفاسد العظيمة التي ستلحق الأمة كلها في المآل إذا بقي مصراً على موقفه، من استمرار الفتنة، وسفك الدماء، وقطع الأرحام، واضطراب السبل، وتعطيل الثغور وغيرها، وقد تحققت ـ بحمد الله ـ وحدة الأمة بتنازله عن عرض زائل من أعراض الدنيا، حتى سمّي ذلك العام عام الجماعة[٣]، وهذا يدل على فقه الحسن في معرفته لاعتبار المآلات ومراعاته نتائج التصرفات، ولهذا الفقه مظاهره في كتاب الله وشواهده، فقد رتب المولى عز وجل الحكم على مقتضى النتائج والشواهد، ومثال ذلك:

١ ـ النهي عن سب المشركين:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٨]. رغم أن سبَّ آلهة المشركين أمر جائز لما فيه من إهانة الباطل ونصرة الحق إلا أن الشارع الحكيم لم يقف نظره واعتباره عند هذه الغاية القريبة، بل نظر إلى نتيجة هذا العمل المشروع، وما سينجر عنه من آثار غير مشروعة، ثم قضى بعدم سبّ آلهة المشركين سدّاً لذريعة سبّهم لله

(١) الضغينة: الحقد.

(٢) الأخبار الطوال، ص ٢٠٠.

(٣) اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات، ص ١٦٧.

تعالى انتقاماً لآلهتهم، وانتصاراً لباطلهم، إذ إنّ المصلحة التي ستحصل من إهانة آلهتهم أهون بكثير من مفسدة سبهم لربِّ العالمين؛ والمفسدة إذا أربت على المصلحة قُدِّم درءُ المفسدة على جلب المصلحة[١].

٢ـ النهي عن الجهر والمخافته في القراءة:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ١١٠] حيث نهى المولى عز وجل سبحانه نبيه ﷺ عن الجهر بالقراءة في الصَّلاة؛ التفاتاً إلى مآل ذلك إذا سمع المشركون قِراءته؛ فيحملهم ذلك على سبِّ الله تعالى وشتم دينه وكلامه[٢]، يقول ابنُ عباس رضي الله عنهما في سبب نزول هذه الآية: إنّ الكفّار ـ يعني بمكّة، حين كان ﷺ متخفياً ـ كانوا إذا سمعوا القرآن سبّوه ومن أنزله، ومن جاء به؛ فقال الله تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ أي: بقراءتك فيسمع المشركون فيسبّوا القرآن، ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ عن أصحابك فلا يسمعون، ﴿ وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾[٣].

٣ ـ خرق الخضر للسفينة:

قال تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف: ٧٩]. الاعتداء على ملك الغير بغير حقٍّ من الأمور المحظورة على وجه القطع في الشّرع، لكنّنا رأينا الخضر عليه السلام يهوي على السفينة بالخرق الذي هو في ظاهر الحال تعييبٌ، وإلحاق للخسارة بأهلها؛ ولمّا أنكر عليه موسى عليه السلام فِعْله، وقرّره بالجميل الذي أسداه إليهما أهل السَّفينة حين أركبوهما بغير أجرة؛ بيّن له أن هذه المفسدة لم تُرتكب إلاّ لما فيها من دفع مفسدة أعظم وهي غصب السفينة وذهابها جملة؛ حيث إنّ وراءهم مَلِكاً يأخذ كل سفينة سالمة من العيوب غصباً، ولا شك أنّ ارتكاب ضرر يسير في الحال إذا كان فيه دفع لمفسدة أعظم في المآل؛ يعتبر أمراً محموداً؛ والشريعة جارية على ملاحظة النتائج ودفع المفاسد العظيمة المتوقعة في الآجل؛ حتى وإن كان ذلك بارتكاب مفاسد أقلّ منها في الحال، ثم إنّ مفسدة خرق السفينة وتعيبها يمكن تداركها بالإصلاح؛ بينما ذهاب ذات السفينة إذا تحقق؛ لم يتعلّق بعودتها أمل[٤].

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٢٤.

(٢) اعتبار المآلات، ص ١٢٥.

(٣) أسباب النزول للواحدي، ص ٢٢٣ ، ٢٢٤.

(٤) اعتبار المآلات، ص ١٢٦.

٤ ـ ومن مظاهر اعتبار المآل في السنة النبوية وشواهده، دفع أعظم المفسدتين بأدناهما، كالامتناع عن قتل المنافقين:

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا في غزاة، فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين؛ فَسَمِعَها رسول الله ﷺ، قال: «ما هذا؟» فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار؛ وقال المهاجري: يا للمهاجرين؛ فقال النبيُّ ﷺ: «دعوها فإنها منتنة»؛ قال جابر: وكانت الأنصار حين قدم النبي ﷺ أكثر، ثم كثر المهاجرون بعد؛ فقال عبد الله بن أبي: أو قد فعلوا؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله! أضرب عنق هذا المنافق؛ قال النبي ﷺ: «دعه؛ لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»[(١)]، إن قتل المنافقين واستئصالهم فيه مصلحة ظاهرة للمسلمين، وتطهير لصفهم من أن تندسّ إليه عناصر التخذيل والإفساد؛ لكن لمّا كان في ذلك هزُّ الثقة بالمسلمين وزرع لقالة السوء عنهم بحيث ينتشر في الناس: أن النبي ﷺ يعامل الذين يعتنقون دينه بالقتل والتّصفية الجسدية، فإن الأمر يتغّير، وأصبح التّغاضي عن قتلهم مصلحة أعلى وأولى من المصالح الأخرى التي تتأتى من استئصالهم، ورغم أن بقاء المنافقين فيه من المفاسد المحقّقةِ ما لا ينكره عاقل؛ إلا أنّ في القضاء عليهم مفسدة أعظم من مفسدة بقائهم؛ لذا اقتضت حكمة المصطفى ﷺ أن تُدفع المفسدة العظمى بالمفسدة الصغرى[(٢)].

ومن هدي النبي ﷺ في اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات، ترك تجديد الكعبة على قواعد إبراهيم، وهو ما ثبت من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «لولا حداثة عهد قومك بالكفر، لنقضت الكعبة ولجعلتها على أساس إبراهيم ـ فإن قريشاً حين بنت البيت استقصرت ـ ولجعلت لها خَلْفاً»[(٣)]، لمَا كانت الكعبة المشرفة تمثل مهوى أفئدة المؤمنين، ومجلى تاريخ النبوّات الأولى، كان الأصل أن تبقى على ما تركها عليه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ـ لكنّ قريشاً حين أرادت تجديد بنائها في الجاهلية؛ لم يكن معها من المال الحلال ما يكفي لإعادة البناء إلى ما كان عليه، فانتهت لها الاستطاعة إلى تشييدها على النّحو الذي كانت عليه في عهد المصطفى، وقد كانت نفسُ النبي ﷺ تستشرف إلى تدارك ما قصرت عنه نفقه قريش غير أنه ترك المصلحة المحققة في إعادة بناء البيت على قواعده الأصليّة التي أسَّسها إبراهيم عليه السلام، خشية اهتزاز حُرمة البيت من النفوس، وخوف نفور الناس من

(١) البخاري، كتاب التفسير، رقم ٤٩٠٥.
(٢) اعتبار المآلات، ص ١٣٨ ـ ١٣٩.
(٣) البخاري، كتاب الحج، رقم ١٥٨٥.

الإسلام لاعتقادهم أن ذلك جرأة على الكعبة واعتداء على حُرمتها(١).

إن الحسن بن علي رضي الله عنه في فهمه العميق لفقه اعتبار المآلات ومراعاة التصرفات، كان نتيجة طبيعية لتربيته على القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين، فقد كان مستوعباً لمقاصد الشريعة قادراً على التطبيق بين هدي الشريعة والواقع الفعلي الذي عاشه، فكانت اجتهاداته فريدة، في مجال السياسة الشرعية، فتحت للمسلمين آفاقاً رحبة في تحقيق وحدة الأمة وتلاحم صفها، وقوة شوكتها، وإعادة دورها الحضاري، وهذا الفقه الدقيق والفهم العميق نحن في أشد الحاجة لفهمه والعمل به في حياتنا المعاصرة.

فالحسن بن علي يعلمنا أصلاً عظيماً من أعظم أصول الإسلام؛ المحافظة على الجماعة؛ وهو الاعتصام بحبل الله جميعاً، وأن لا يتفرقوا ـ وهو من أعظم أصول الإسلام، ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه، ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم، ومما عظمت به وصية رسول الله ﷺ في مواطن عامة وخاصة(٢)؛ فقد قام الحسن ابن علي بمحاربة التفرق والاختلاف، وعمل بالتوجيهات القرآنية الهادفة لتوحيد الأمة قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٣ ـ ١٠٦].

خامساً ـ مقتل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

ومن الأسباب التي دعت أمير المؤمنين الحسن بن علي إلى الصلح ما روّع به من مقتل أبيه، فقد ترك ذلك فراغاً كبيراً في جبهة العراق، وأثّر اغتياله على نفسية الحسن رضي الله عنه، فترك فيها حزناً وأسى شديدين، فقد قتل هذا الإمام العظيم بدون وجه حق، ولم يرعى الخوارج سابقته في الإسلام ولا فضائله العظيمة، ولا خدماته الجليلة التي قدمها للإسلام، فقد كانت حياته حافلة بالقيم والمثل والعمل على تكريس أحكام الشريعة على مستوى الدولة والشعب، لقد كان عليٌّ رضي الله عنه معلماً من معالم الهُدى وفارقاً بين الحق والباطل، فكان من الطبيعي أن يتأثر المسلمون لفقده ويشعروا بالفراغ الكبير الذي تركهَ، فقد كان وقع مصيبة مقتله على المسلمين عظيماً، فجلّلهم الحزن، وفاضت مآقيهم بالدموع ولهجت ألسنتهم بالثّناء والترحم عليه رضي الله عنه، وكان مقتله سبباً في تزهيد الحسن في أهل العراق أولئك الذين غمرتهم مكارم أخلاق أمير المؤمنين وشرف صحبته، فأضلتهم الفتن والأطماع، وانحرفوا عن الصراط المستقيم، ونستثني من أولئك الصادقين المخلصين لدينهم وخليفتهم الرّاحل العظيم رضي الله عنه وأرضاه؛ فقد كان مقتله ضربة قوية وجهت لعهد الخلافة الراشدة، وكانت من أسباب زوالها فيما بعد.

---

(١) اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات، ص ١٤٨ ـ ١٤٩.

(٢) رسالة الألفة بين المسلمين، لابن تيمية، ص ٢٧.

سادساً ـ شخصية معاوية رضي الله عنه :

إن تسليم الحسن بن علي الخلافة إلى معاوية مع أن معه أكثر من أربعين ألفاً بايعوه على الموت، فلو لم يكن أهلاً لها لما سلمها السبط الطيب إليه، ولحاربه[١]، فمعاوية رضي الله عنه لم يتزعّم أهل الشام من فراغ، فقد ذكر المترجمون لهذا الصحابي الكريم فضائل جمّة، وإليك شيئاً منها :

١ ـ من القرآن الكريم :

اشترك معاوية رضي الله عنه في غزوة حنين، قال تعالى : ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [التوبة : ٢٦] .

ومعاوية رضي الله عنه من الذين شهدوا غزوة حنين، وكان من المؤمنين الذين أنزل الله سكينته عليهم مع النبي ﷺ[٢] .

٢ ـ من السُّنة :

دعاء الرّسول ﷺ لمعاوية رضي الله عنه، ومن ذلك قوله ﷺ : «اللّهم اجعله هادياً[٣] مهدياً[٤]، واهد به»[٥]. وقوله ﷺ : «اللهّم علّم معاوية الكتاب، والحساب، وقه العذاب»[٦]. وقال رسول الله ﷺ : «أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا»[٧]. قالت أمّ حرام : قلت : يا رسول الله! أنا فيهم؟ قال : «أنت فيهم». ثم قال النبيّ ﷺ : «أوّل جيش من أمَّتي يغزون مدينة قيصر[٨] مغفور لهم». فقلت ـ أي : أم حرام ـ: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: «لا»[٩]. قال المهلب[١٠] : في هذا الحديث منقبة لمعاوية ؛ لأنّه أوّل من غزا البحر[١١] .

---

(١) الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية، ص ٥٧ .

(٢) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري ، خالد الغيث، ص ٢٣ .

(٣) هادياً للناس ، أو دالاً على الخير .

(٤) مهدياً : أي مهتدياً في نفسه .

(٥) صحيح سنن الترمذي للألباني (٣/ ٢٣٦) .

(٦) موارد الظمآن (٧/ ٢٤٩)، إسناده حسن .

(٧) أوجبوا : أي : فعلوا فعلاً وجبت لهم به الجنة، فتح الباري (٦/ ١٢١) .

(٨) مدينة قيصر : يعني القسطنطينية .

(٩) البخاري، رقم ٢٩٢٤ .

(١٠) المهلب بن أحمد الأندلسي، مصنِّف شرح صحيح البخاري، توفي ٤٣٥ هـ .

(١١) فتح الباري (٦/ ١٢٠) .

٣ـ نظرات أهل العلم على معاوية رضي الله عنه .

أ ـ ثناء عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :

قيل لابن عباس رضي الله عنهما : هل لك في أمير المؤمنين معاوية ، فإنّه ما أوتر إلا بواحدة، قال : إنّه فقيه[١] .

ب ـ ثناء عبد الله بن المبارك على معاوية رضي الله عنه :

قال عبد الله بن المبارك : معاوية عندنا محنة ، فمن رأيناه ينظر إليه شزراً اتهمناه على القوم، يعني : الصحابة[٢] .

ج ـ ثناء أحمد بن حنبل :

سئل الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ : ما تقول رحمك الله فيمن قال : لا أقول : إن معاوية كاتب الوحي، ولا أقول : إنَّه خال المؤمنين، فإنَّه أخذها بالسَّيف غصباً؟[٣] قال أبو عبد الله : هذا قول سوءٍ رديءٍ، تجانبون هؤلاء القوم، ولا يجالسون، ونبيِّن أمرهم للناس[٤] .

د ـ ثناء القاضي ابن العربيِّ على معاوية رضي الله عنه :

تحدَّث ابن العربيِّ عن الخصال التي اجتمعت في معاوية رضي الله عنه، فذكر منها : . . . قيامه بحماية البيضة، وسدِّ الثغور، وإصلاح الجند، والظهور على العدو، وسياسة الخلق[٥]، وقد علق محب الدِّين الخطيب على هذا النصِّ بقوله : وقد بلغ من همَّته ـ يعني معاوية ـ وعظيم عنايته بذلك أنه أرسل يهدِّد ملك الرُّوم وهو في معمعة القتال مع عليٍّ في صفِّين، وقد بلغه : أنَّ ملك الرُّوم اقترب من الحدود في جنودٍ عظيمة[٦]، وفي ذلك يقول ابن كثير : وطمع في معاوية ملك الرُّوم بعد أن كان قد أخشاه، وأذله، وقهر جنده، ودحاهم، فلمَّا رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب عليٍّ تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة، وطمع فيه، فكتب معاوية إليه : والله لئن لم تنتهِ وترجع إلى بلادك يا لعين، لأصطلحنَّ أنا وابن عمِّي عليك، ولأخرجنَّك من جميع بلادك، ولأضيِّقنَّ عليك الأرض بما رحبت؛ فعند ذلك خاف ملك الرُّوم، وبعث يطلب الهدنة[٧] .

---

(١) فتح الباري (٧/ ١٣٠).
(٢) مرويات خلافة معاوية، ص ٢٨ .
(٣) المصدر السابق نفسه .
(٤) السُّنة للخلاَّل، تحقيق : عطيه الزهراني (٢/ ٤٣٤).
(٥) العواصم من القواصم، ص ٢١٠، ٢١١ .
(٦) مرويات خلافة معاوية، ص ٣١ .
(٧) البداية والنهاية (٨/ ١١٩).

هـ ـ ثناء ابن تيميّة على معاوية رضي الله عنه :

قال عنه ابن تيميّة : فإن معاوية ثبت عنه بالتواتر : أنَّه أمّره النبي ﷺ ، كما أمّر غيره، وجاهد معه، وكان أميناً له بالوحي، وما اتَّهمه النبي ﷺ في كتابة الوحي، وولاه عمر بن الخطاب الذي كان من أخبر الناس بالرجال، وقد ضرب الله الحقَّ على لسانه وقلبه، ولم يتَّهمه في ولايته(١) .

و ـ ثناء ابن كثير عليه :

قال عنه ابن كثير : وأجمعت الرّعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين . . . فلم يزل مستقلاً بالأمر في هذه المدّة إلى هذه السَّنة التي كانت فيها وفاته، والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية، والغنائم ترِد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحةٍ وعدلٍ، وصفح، وعفو، وقال أيضاً: كان حليماً(٢)، وقوراً، رئيساً، سيِّداً في الناس، كريماً، عادلاً، شهماً(٣) . وقال عنه أيضاً : كان جيِّد السيرة، حسن التَّجاوز، جميل العفو، كثير الستر رحمه الله تعالى(٤) .

٤ ـ روايته للحديث :

يعدُّ معاوية رضي الله عنه من الذين نالوا شرف الرِّواية عن رسول الله ﷺ ، ومرد ذلك إلى ملازمته لرسول الله ﷺ بعد فتح مكة، لكونه صهره، وكاتبه، رضي الله عنه هذا وقد روى معاوية رضي الله عنه مئة وثلاثاً وستين حديثاً عن رسول الله، اتفق له البخاري ومسلم على أربعة أحاديث، وانفرد البخاري بأربعة، ومسلم بخمسة(٥) .

وكانت سيرة معاوية رضي الله عنه مع الرّعية في ولايته من خير سير الولاة، ممّا جعل النّاس يحبونه، وقد ثبت في الصَّحيح عن النَّبيّ ﷺ قال: «خيار أئمتكم ـ حكامكم ـ الذين تحبُّونهم، ويحبونكم وتصلون عليهم ـ تدعون لهم ـ ويصلُّون عليكم، وشرار أئمَّتكم الذين تبغضونهم، ويبغضونكم، تلعنونهم ويلعنونكم»(٦) .

٥ ـ قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على إمارته :

عن سفيان بن الليل قال: قلت للحسن بن علي لما قدم الكوفة إلى المدينة : يا مذل المؤمنين، قال: لا تقل ذلك، فإني سمعت أبي يقول: لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك معاوية، فعلمت

(١) الفتاوى (٤/ ٤٧٢)؛ سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢٩) .
(٢) أفرد ابن أبي الدنيا، وأبو بكر بن أبي عاصم تصنيفاً في حلم معاوية .
(٣) البداية والنهاية (٨/ ١١٨) .
(٤) المصدر السابق نفسه (٨/ ١٢٦) .
(٥) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص ٢٣ .
(٦) مسلم ، كتاب الإمارة، رقم ٦٥ .

أنّ أمر الله واقع، فكرهت أن تهراق بيني وبينه دماء المسلمين[١]. وفي رواية: عن علي رضي الله عنه، قال: لا تكرهوا إمارة معاوية، فوالله لئن فقدتموه لترون رؤوساً تندر عن كواهلها كأنها الحنظل[٢]، فهذه آثار تشير إلى قدرة معاوية على الإمارة.

كما أن أسلوب معاوية في التفاوض والتعامل مع الحسن أوجد قواسم مشتركة للوصول إلى الإصلاح، وإن كان المهندس الفعلي لمشروع الإصلاح هو الحسن بن علي، إلا أن شخصية معاوية وسعة أفقه ورحابة صدره، وما أبداه من المرونة ساعد على نجاح الصلح، وقد كان رضي الله عنه يتأدّب إلى الحسن ويكرمه ويروي فضائل أهل البيت، فهذا يدل على إيثاره الحق مع المنازعة والمخاصمة التي سبقت بقدر الحق سبحانه[٣]، وقد أخرج أحمد في مسنده عن معاوية قال: كان رسول الله يمصّ لسان الحسن وشفتيه، وإنه لن يعذب الله لساناً أو شفة مصها رسول الله ﷺ[٤].

وكان رضي الله عنه صريحاً مع نفسه معترفاً بذنوبه، طالباً مغفرة ربه، وطامعاً في رحمته وحلمه، فعن ابن شهاب، عن عروة: أن المسور أخبره: أنه قدم على معاوية، فقال: يا مِسْوَر ما فعل طعنك على الأئمة؟ قال: دعنا من هذا، وأحسن فيما جئنا له. قال: لتكَلِّمني بذات نفسك مما تعيب عليّ؟ قال: فلم أترك شيئاً إلا بينته، فقال: لا أبرأ من الذنب، فهل تعدُّ لنا مما نلي من الإصلاح في أمر العامة، أم تعدُّ الذنوب، وتترك الإحسان؟ قلت: نعم. قال: فإنا نعترف لله بكل ذنب، فهل لك من ذنوب في خاصِّيَّتِك تخشاها؟ قال: نعم. فما يجعلك الله برجاء المغفرة أحقّ مني، فوالله ما ألي من الإصلاح أكثر مما تلي، ولا أُخَيَّر بين الله وبين غيره إلاَّ اخترت الله على سواه، وإني لعلى دين يقبل فيه العمل، ويُجزى فيه بالحسنات، قال: فعرفت أنه قد خصمني، قال عروة: فلم أسمع المسور ذكر معاوية إلا صلَّى عليه[٥] ـ أي: دعا له ـ.

والحديث عن معاوية بالتفصيل سوف يأتي بإذن الله تعالى، إن أعطانا الله القوة ويسر الأسباب بمنه وكرمه وجوده في حديثنا عن الدولة الأموية، ومع هذه النيّة المبيتة للحديث عن معاوية رضي الله عنه بالتفصيل، فلا يمنع من ذكر هذه القصة التي تبين خوفه وخشيته من الله تعالى، فعندما كان يروى في مجلسه حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، في أن أول من تسعر بهم النار يوم القيامة، من أمة محمد ﷺ: القارئ المرائي، والمنفق المرائي، والمجاهد المرائي،

---

(١) تاريخ دمشق (١٢/ ١٠٥).
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية، ص ٥٧.
(٤) المسند، رقم ١٦٨٤٨، إسناده صحيح.
(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩٢).

وبيَّن رسول الله ﷺ ذلك وقال لأبي هريرة: «يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة»[١]، فكان معاوية يقول عندما يسمع هذا الحديث: فقد فعل هؤلاء هذا؛ فكيف بمن بقي من الناس؟ فقال الراوي: ثم بكى معاوية بكاء شديداً، حتى ظننا أنه هالك، ثم أفاق ومسح عن وجهه، وقال: صدق الله، ورسوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٢] [هود: ١٥ ـ ١٦].

إن شخصية معاوية رضي الله عنه وتاريخه في خدمة الإسلام كان عاملاً مهماً في نجاح الصلح، ولا نزعم بأنه من طبقة الخلفاء الراشدين، المهديين ولكنه من الملوك العادلين، كما أن سيرته غنية بالفقه السياسي والإداري والعسكري، والاقتصادي والاجتماعي، وهذا يحتاج إلى دراسة متأنية لعصره ونسأل الله أن يوفقنا إلى ذلك.

سابعاً ـ اضطراب جيش العراق وأهل الكوفة:

كان لخروج الخوارج أثر في إضعاف جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، كما أن الحروب في الجمل وصفين والنهروان، تسببت في ملل أهل العراق للحرب ونفورهم منها، وخاصة أهل الشام في صفين، فإن حربهم ليس كحرب غيرهم، فمعركة صفين الطاحنة لم تفارق مخيلتهم، فكم يتّمت من الأطفال ورمّلت من النساء، بدون أن يتحقق مقصودهم، ولولا الصلح أو التحكيم الذي رحب به أمير المؤمنين علي وكثير من أصحابه لكانت مصيبة على العالم الإسلامي لا يتخيل أثارها السيئة، فكان هذا التخاذل عن المسير مع علي رضي الله عنه إلى الشام مرة أخرى أحب إلى فريق منهم، وتميل إليه نفوسهم وإن كانوا يعلمون أن علياً على حق[٣].

ومن المعضلات التي أوهنت جانب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، خروج فرقة تغالي في تعظيم أمير المؤمنين علي وترفعه إلى مقام الألوهية، حتى بدا للبعض أن هذا رد فعل للخوارج الذين يتبرؤون من علي ويكفرونه[٤]، ولكن هؤلاء كان مقصدهم سيئاً؛ وهو إدخال معتقدات فاسدة على المسلمين لهدم الدين وإضعاف المسلمين عامة وليس جيش علي فقط[٥]، ولقد تصدى لهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ـ كما بيّنا ـ بحزم وقوة، ولا شك أن مباينة الخوارج وقتلهم أضعف جانب علي كثيراً.

---

(١) رواه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة، وصححه الألباني، رقم ١٧١٣.

(٢) النهاية في الفتن والملاحم (٢/ ٥٢).

(٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي، ص ٣٤٥.

(٤) نظام الخلافة في الفكر الإسلامي، ص ١٥، ١٦، مصطفى حلمي.

(٥) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص ٣٥٠.

ثم تتابعت الفتوق على علي من بعد، فخرج الخريت بن راشد، وقيل اسمه الحارث بن راشد في قومه من بني ناجية، وكان من ولاة علي على الأهواز، فدعا إلى خلع علي، فأجابه خلق كثير واحتوى على البلاد وجبى الأموال، فبعث إليه علي جيشاً بقيادة معقل بن قيس الرياحي فهزمه وقتله(١).

وطمع أهل الخراج في ناحية علي في كسر الخراج، وانتفض أهل الأهواز، ولا بد أن علياً واجه من أجل ذلك بعض الصعوبات المالية والعسكرية، وقد روي عن الشعبي في هذا الخصوص قوله: لما قتل علي أهل النهروان، خالفه قوم كثير، وانتفضت عليه أطرافه، وخالفه بنو ناجية، وقدم ابن الحضرمي البصرة، وانتفض أهل الأهواز، وطمع أهل الخراج في كسره، وأخرجوا سهل بن حنيف عامل علي بن أبي طالب من فارس(٢) وقد استلم الحسن رضي الله عنه الخلافة، وجيش العراق مضطرب وأهل الكوفة مترددون في أمرهم.

وقد جاء في المجتبى لابن دريد: قام الحسن بعد موت أبيه فقال: والله ما ثنانا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما كنا نقاتلهم بالسلامة والصبر، فشِيبت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم في منتدبكم إلى صفين دينكم أمام دنياكم، فأصبحتم ودنياكم أمام دينكم، ألا وإنا لكم كما كنا، ولستم لنا كما كنتم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين؛ قتيل بصفين تبكون عليه، وقتيل بالنهروان تطلبون ثأره، فأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فثائر، ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نَصَفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه، وإن أردتم الحياة قبلناه اليوم من كل جانب: التقية التقية. فلما أفردوه أمضى الصلح(٣).

وإني وإن كنت أشك في صحة نسبة هذه الخطبة، ولكنها تصور نفسية سيدنا الحسن وأتباعه، مما عجل بالصلح بينه وبين معاوية(٤) رضي الله عنه.

وقد تحدث الحسن عن ما فعله به بعض أهل العراق وما قدموا إليه من الإساءات والإهانات، وأظهر القول وجهر به فقال: أرى والله معاوية خيراً لي من هؤلاء يزعمون أنهم لي شيعة، ابتغوا قتلي وأخذوا مالي، والله لأن أخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وآمن به في أهلي خير من أن يقتلوني فيضيع أهل بيتي وأهلي، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوا بي إليه سلماً، والله لئن أسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير، أو يمن عليَّ فيكون منة على بني هاشم آخر الدهر، ولمعاوية لا يزل يمن بها وعقبه على الحي منا والميت(٥).

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٢٧ ـ ٤٧).
(٢) تاريخ الطبري (٦/ ٥٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٩).
(٤) الدوحة النبوية الشريفة، ص ٩٣.
(٥) الشيعة وأهل البيت، ص ٣٧٩، نقلاً عن الاحتجاج للطبرسي، ص ١٤٨.

وقال أيضاً: عرفت أهل الكوفة وبلوتهم، ولا يصلح لي من كان منهم فاسداً، إنهم لا وفاء لهم ولا ذمة في قول ولا فعل إنهم مختلفون ويقولون لنا إن قلوبهم معنا، وإن سيوفهم لمشهورة علينا[١].

فالحسن لم يعد يثق بأهل الكوفة بعد ما فعلوه بأبيه، وبعد أن حاولوا قتله وأنهبوا متاعه، وقد عبر عن ذلك في خطبته عندما قال: يا أهل العراق، لو لم تذهل نفسي[٢] عنكم إلا لثلاث خصال لذهلت: مقتلكم أبي، ومطعنكم بغلتي، وانتهابكم ثقلي، أو قال: ردائي عن عاتقي[٣].

وقيل للحسن: ما حملك على ما فعلت؟ فقال: كرهتُ الدنيا، ورأيت أهل الكوفة قوماً لا يَثِقُ بهم أحد أبداً إلا غُلب، ليس أحد منهم يوافق آخر في رأي ولا هوى، مختلفين لا نيّة لهم، في خير ولا شر، لقد لقي أبي منهم أموراً عظاماً، فليت شعري لمن يصلحون بعدي[٤].

وهذا ليس على إطلاقه فجيش الحسن يمكن تقويته كما أنه هناك فصائل منه على استعداد للقتال؛ على رأسهم قيس بن سعد الخزرجي وغيره من القادة.

ثامناً ـ قوة جيش معاوية رضي الله عنه:

وفي الجانب الآخر كان معاوية رضي الله عنه يعمل بشتى الوسائل سراً وعلانية على إضعاف جانب أهل العراق منذ عهد علي رضي الله عنه فاستغل ما أصاب جيشه من تفكك وخلاف، فأرسل جيشاً إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ سيطر عليها وضمها إليه، وقد ساعده على ذلك عدة عوامل منها:

١ ـ انشغال أمير المؤمنين علي بالخوارج.

٢ ـ عامل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على مصر محمد بن أبي بكر لم يكن على قدر من الدهاء كسلفه قيس بن سعد بن عبادة الساعدي الأنصاري، فدخل في حرب مع المطالبين بدم عثمان، ولم يسايسهم كما كان يصنع الوالي السابق فهزموه.

٣ ـ اتفاق معاوية مع المطالبين بدم عثمان في مصر في الرأي فساعده في السيطرة عليها[٥].

٤ ـ بعد مصر عن مركز أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقربها من الشام.

٥ ـ طبيعتها الجغرافية؛ فهي متصلة بأرض الشام عن طريق سيناء وتمثل امتداداً طبيعياً، وقد

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٣٧٦.

(٢) تذهل نفسي: تسلو نفسي، لسان العرب (١١/ ٢٥٩).

(٣) الطبقات، تحقيق: السُّلمي (١/ ٣٢٤)، إسناده حسن.

(٤) الكامل في التاريخ (٢/ ٤٤٨).

(٥) الطبقات لابن سعد (٣/ ٨٣٩)؛ خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص ٣٥١، سنده صحيح.

أضافت مصر قوة كبيرة لمعاوية رضي الله عنه قوة بشرية واقتصادية كبيرة، وكذلك أرسل أمير المؤمنين علي من يصدها[١].

وعمل معاوية رضي الله عنه على استمالة كبار أعيان القبائل وعمال علي رضي الله عنه ـ فقد حاول سحب قيس بن سعد رضي الله عنه عامل علي على مصر إليه فلم يستطع، ولكنه استطاع أن يثير شك حاشية علي ومستشاريه فيه فعزله[٢]، وكان عزل سعد بن قيس مكسباً كبيراً لمعاوية، كما حاول سحب زياد بن أبيه عامل علي رضي الله عنه على فارس ففشل في ذلك[٣]، وقد استطاع معاوية رضي الله عنه أن يؤثر على بعض الأعيان والولاة بسبب ما يمنيهم ويعدهم، ولما يروه من علو أمره وتفرق أمر علي رضي الله عنه، حتى إنه قال في إحدى خطبة: ألا إن بسراً قد اطلع من قبل معاوية، ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون عليكم باجتماعهم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم، وبطاعتهم أميرهم ومعصيتكم أميركم، وبأدائهم الأمانة وبخيانتكم، استعملت فلاناً فقتل وغدر وحمل المال إلى معاوية، واستعملت فلاناً فخان وغدر وحمل المال إلى معاوية، حتى لو ائتمنت أحدهم على قدح خشيت على علاّقته، اللهم إني أبغضتهم وأبغضوني، فأرحهم مني وأرحني منهم[٤].

واستمر معاوية رضي الله عنه في الاتصال بالأعيان والزعماء في العراق حتى بعد مقتل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فقد اجتمعت لمعاوية رضي الله عنه عوامل ساعدت على قوة جبهته؛ منها: طاعة الجيش له، اتفاق الكلمة عليه من أهل الشام، خبرته الإدارية في ولاية الشام، وثبات مصادره المالية، وعدم تحرجه في دفع الأموال من أجل تحقيق أهدافه التي يراها مصلحة للأمة.

***ـ شروط الصلح:**

تحدثت الكتب التاريخية والمصادر الحديثية وأشارت إلى حصول الصلح وفق شروط وضعها الطرفان، وقد تناثرت تلك الشروط بين كتّاب التاريخ، وحاول بعض العلماء جمعها وترتيبها، واستئناساً إلى ما وصلوا إليه نحاول ترتيبها على وفق ما وصل إليه اجتهادي مع التعليق على كل مادة من مواد الصلح بما يناسبها:

أولًا ـ العمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء:

ورواية البخاري ذكرت: أن الحسن ما سأل الوفد (عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر) شيئاً إلا قالا له: نحن لك به، والتذكير بالعمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الراشدين

(١) تاريخ خليفة، ص ١٩٨ بدون سند.

(٢) الاستيعاب (٢/ ٥٢٥ ـ ٥٢٦).

(٣) ولاة مصر، ص ٤٥ ـ ٤٦.

(٤) التاريخ الصغير للبخاري (١/ ١٢٥)، سنده منقطع وله شواهد.

يتناسب مع الحالة التي تمّ فيها الصلح، وهو نوع من التذكير والإلزام لمعاوية بالسير على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الراشدين، ولا نوافق ما ذهب إليه بعض المؤرخين ومنهم أستاذي وشيخي الدكتور محمد بطاينة في كون إيراد ذلك ضمن شروط الصلح تعريض من الرواية بمعاوية واتهامه بمجافاة ذلك، مما ينفي أن يكون هذا الشرط من شروط الصلح بين الجانبين[١].

وقد ذكر هذا الشرط مجموعة من العلماء منهم ابن حجر الهيثمي حيث ذكر صورة الصلح بين الحسن ومعاوية وجاء فيها: . . صالحه على أن يُسلم إليه ولاية المسلمين، وأن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين[٢]، وحتى بعض كتب الشيعة ذكرت هذا الشرط، وهذا دليل على توقير الحسن بن علي لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي إلى حد جعل من أحد الشروط على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: أنه يعمل ويحكم في الناس بكتاب الله وسنة رسوله، وسيرة الخلفاء الراشدين[٣] ـ وفي النسخة الأخرى: الخلفاء الصالحين[٤] ـ ففي هذا الشرط ضبط لدولة معاوية في مرجعيتها ومنهجها في الحياة، ونفهم من هذا الشرط أموراً منها:

١ ـ مصادر التشريع في عهد الخلافة الراشدة:

أ ـ القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥].

فهو المصدر الأول الذي يشتمل على جميع الأحكام الشرعية التي تتعلق بشؤون الحياة، كما يتضمن مبادئ أساسية وأحكاماً قاطعة لإصلاح كل شعبة من شعب الحياة، كما بين القرآن الكريم للمسلمين كل ما يحتاجون إليه من أسس تقوم عليها.

ب ـ السنة المطهرة:

هي المصدر الثاني الذي يستمد منه الدستور الإسلامي أصوله، ومن خلالها يمكن معرفة الصيغ التنفيذية لأحكام القرآن[٥]، وقد أمر المولى عز وجل بطاعة الرسول ﷺ حيث قال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]. وقد بين المولى عز وجل خطورة من يخالف أمر الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

---

(١) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص ٦٨.

(٢) الصواعق المحرقة (٢/ ٣٩٩).

(٣) الشيعة وأهل البيت ص ٥٤.

(٤) منتهى الآمال (ج ٢/ ٢١٢)، نقلاً عن الشيعة وأهل البيت، ص ٥٤.

(٥) فقه التمكين في القرآن الكريم للصَّلاَّبي، ص ٤٣٢.

ونفي الخيار عن المؤمنين إذا صدر حكم عن رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقد أمر المولى عز وجل بالرد إلى الرسول عند النزاع، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]. وجعل الرد إلى الرسول ﷺ عند النزاع من موجبات الإيمان ولوازمه قال تعالى: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

فكان من الطبيعي أن تكون السنة المطهرة من مصادر التشريع في عهد الخلافة الراشدة.

إن دولة الخلافة الراشدة خضعت للشريعة، وكانت سيادة الشريعة الإسلامية فيها فوق كل تشريع وفوق كل قانون، وأعطت صورة مضيئة مشرقة على أن الدولة الإسلامية دولة شريعة، خاضعة بكل أجهزتها لأحكام هذه الشريعة، والحاكم فيها مقيد بأحكام لا يتقدم ولا يتأخر عنها(١). ففي عهد الخلافة الراشدة وفي مجتمع الصحابة، الشريعة فوق الجميع، يخضع لها الحاكم، والمحكوم، ولهذا قيد الصديق طاعته التي طلبها من الأمة بطاعة الله ورسوله، فقال: أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم(٢).

٢ ـ أهمية سنة الخلفاء الراشدين:

كان الحسن بن علي رضي الله عنه كما مرّ معنا ـ مستوعباً لعهد الخلافة الراشدة، وقد ذكرنا أهم الدروس والعبر والفوائد التي استفاد منها من عهد الصديق والفاروق وذي النورين، ووالده علي رضي الله عنهم أجمعين، فالعهد الراشدي تتجلَّى أهميته بصلته بالعهد النبوي وقربه منه، فكان العهد الراشدي امتداداً للعهد النبوي، مع المحافظة الكاملة والتامة على جميع ما ثبت في العهد النبوي، وتطبيقه بحذافيره وتنفيذه بنصه ومعناه، والسير في ركابه والاستمرار في الالتزام به، كما أن العهد الراشدي وضع التنظيمات الجديدة المتعلقة بمؤسسات الدولة لترسيخ دعائمها ومواجهة المستجدات المتنوعة، على أصول قواعد الشورى. وحدثت اجتهادات جديدة في مجالات متعددة استفادت الدولة والأمة الإسلامية منها، ويكفي للبرهان على أهمية عهد الخلافة الراشدة للحكام المسلمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قول رسول الله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»(٣)، وقول رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر»(٤).

---

(١) نظام الحكم في الإسلام، ص ٢٢٧.

(٢) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٦).

(٣) سنن أبي داود (٤/ ٢٠١)، الترمذي (٥/ ٤٤)، حسن صحيح.

(٤) صحيح سنن الترمذي للألباني (٣/ ٢٠٠).

٣ ـ من معالم الخلافة الراشدة:

أ ـ كان خلفاء الرسول عليه الصلاة والسلام ينطلقون من حكمهم وتصرفاتهم ورعايتهم لأمور الدولة ومعالجتها للأحداث من الإسلام، وباسم الإسلام، وشورى من المسلمين.

ب ـ لم يتولَّ أحد منهم أمر المسلمين بفرض نفسه عليهم، أو بفرضه من قبل من سبقه في رئاسة الدولة، بدءاً من أبي بكر وانتهاء بعلي، بل كان كل ذلك بشورى من المسلمين، ولكن هذه الشورى قد اتخذت صوراً متعددة، مما يدل على أن الإسلام لم يفرض كيفية معينة لاختيار الخليفة، بل إن ذلك متروك.

ج ـ بعد الاختيار المنبثق من الشورى تتم مبايعة الخليفة علناً، ولا يُلتفت لما قد يحصل من مخالفة البعض، فالعبرة بما تراه غالبية الأمة وسوادهم الأعظم، ثم إذا حصلت البيعة لا يجوز نقضها إلا حين يكون كفراً بواحاً.

د ـ الأمة مسؤولة عن محاسبة الخليفة في كل تصرفاته، بدءاً من الشؤون المالية، وانتهاء بشؤون السياسة والحكم والولاية، ولكن ذلك ضمن أطر حددها الإسلام، ويتم ذلك عن طريق أهل الحل والعقد، ولا يجوز للأمة أن تثور بشكل غوغائي لأن ذلك يؤدي إلى الفتنة وانتشار الإشاعات كما حدث في فتنة عثمان رضي الله عنه[١]، ومبدأ محاسبة الحاكم وحق الأمة في مراقبته قرّره الخلفاء الراشدون بأقوالهم وأفعالهم؛ فأبو بكر رضي الله عنه يقول: فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوِّموني[٢]، وعمر يقول: أحب الناس إلي من رفع إليَّ عيوبي[٣]، وقال: إني أخاف أن أخطئ فلا يردني أحد منكم تهيباً[٤]. وما قاله عثمان: إن وجدتم في كتاب الله أن تضعوا رجلي في القيد فضعوا رجلي في القيد[٥]، وقال علي رضي الله عنهم جميعاً: إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم، إلا أنه ليس لي أمر دونكم[٦].

وقد جرى العمل في عهد الخلفاء الراشدين على التسليم للأمة بحق الرقابة على الحكام، ولم ينكره أحد، فدل ذلك على الإجماع[٧]، كما أن إجماع الصحابة ـ حكاماً ومحكومين في عهد

---

(١) الخلفاء الراشدون أعمال وأحداث، د. أمين القضاة، ص ١٣.
(٢) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٥).
(٣) الشيخان أبو بكر وعمر من رواية البلاذري، ص ٢٣١.
(٤) المصدر السابق نفسه، ص ٢٣١؛ نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، ص ١٩٨.
(٥) مسند أحمد الموسوعة الحديثية، رقم ٥٢٤، ثبت إسناده إلى عثمان.
(٦) تاريخ الطبري (٥/ ٤٤٩، ٤٥٧).
(٧) الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي، فتحي عبد الكريم، ص ٣٧٨.

الخلافة الراشدة له معنى واحد وهو الفهم الصحيح للكتاب، والطريق السليم للعمل بالسنة[١].

هـ ـ للخليفة أن يقوم بما يراه من إجراءات تنظيمية فيما لا نص فيه تحت شعار: المصالح المرسلة، وفي ظلال الشورى حسب ما يراه مناسباً لتحقيق المصلحة العامة.

كما فعل أبو بكر في جمع القرآن، وكما فعل عمر في أرض السواد وقضاياه التنظيمية، كديوان الجند والخراج، وعثمان في نسخه للمصحف وتوزيعه على الأمصار.

و ـ اختلاف علماء الأمة وعظمائها أمر طبيعي، ولكن في ظلال الأخوة والتناصح والبحث عن مصلحة الأمة، فتفاوت العقول يؤدي إلى تفاوت الآراء واختلاف وجهات النظر، كما حصل في سقيفة بني ساعدة، وحروب الردة وجمع القرآن، ويجب أن لا يصل ذلك إلى تفرق الأمة وتنازعها، فذلك مؤدٍّ إلى الفشل، لا محالة، والحكم في ذلك كتاب الله وسنة نبيه ﷺ[٢].

ز ـ يمكن اختزال ملامح الخلافة الراشدة في النظام السياسي إلى المرجعية العليا للكتاب والسنة: حكم الشريعة، دولة القانون؛ ولكنه السماوي، والتطبيق الشامل له الحاكم منتخب، الحاكم أجير، بيت المال للأمة وليس للحاكم، نظام الشورى الشاملة، وله آلية تراضي بين أفراد المجتمع، الأمة فاعلة ومشاركة في الأحداث.

وأما في البناء الاجتماعي: تميز عهد الخلافة الراشدة في مجمله بالإعداد النفسي الإيماني، وقوة الوازع الداخلي، ومحاربة العنصرية؛ والإعداد الشامل للإنسان المسلم، وحماية حقوق الإنسان عموماً، وحماية الوحدة الداخلية، وحماية حدود الدولة، والمسؤولية الحضارية على الجميع حكاماً ومحكومين، فهذه هي المفاهيم الأساسية في الدولة الإسلامية والتي أصبحت نموذجاً ومقياساً لكل العصور، وعبَّر عنه المسلمون بلفظ الخلافة الراشدة تمييزاً له عن أي شكل آخر من أشكال الحكم الأخرى[٣]، ولذلك اشترط الحسن بن علي في صلحه مع معاوية رضي الله عنهم؛ العمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين.

ثانياً ـ الأموال:

ذكر البخاري في صحيحه: أن الحسن قال لوفد معاوية عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر بن كريز: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال.. فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به[٤]. فالحسن يتحدث عن أموال سبق أن أصابها هو وغيره من بني عبد المطلب، يريد الحسن: أن لا

---

(١) علي بن أبي طالب، للصَّلاَّبي (١/ ٣٤٥).
(٢) علي بن أبي طالب، للصَّلابي (١/ ٣٤٥).
(٣) الذاكرة التاريخية للأمة، د. قاسم محمد، ص ٧٠.
(٤) البخاري، كتاب الصلح، رقم ٢٧٠٤.

يطالبهم معاوية ، ولا ذكر لأموال يطلب من معاوية أن يدفعها إليه من قادم[١] .

وذكر ابن أعثم أن الحسن قال : أما المال فليس لمعاوية أن يشترط لي فيء المسلمين[٢] ، وذكر أبو جعفر الطبري برواية عوانة بن الحكم : أن أهل البصرة حالوا بين الحسن وبين خراج دارابجرد ، وقالوا : فيئنا[٣] ، والمعلوم أن جباية الخراج من مهام الدولة ، ولا علاقة مباشرة بين الحسن وأهل البصرة في هذا الجانب ، ولكن الرواية أشارت إلى أن خراج دارابجرد لم يكن في الأموال التي صيّرت إلى الحسن[٤] .

ورُوي أن الحسن قال لمعاوية : إن عليّ عِدَات ودُيوناً ، فأطلق له من بيت المال نحو أربعمئة ألف أو أكثر[٥] ، وذكر ابن عساكر : يُسلّم له بيت المال فيقضى منه ديونه ومواعيده التي عليه ، ويتحمل منه هو ومن معه عيال أهل أبيه وولده وأهل بيته[٦] ، وذهب بعض المؤرخين إلى أن إبقاءه ما في بيت المال معه (خمسة ملايين درهم) ، استبقاه لأولئك المحاربين الذين كانوا معه ، يوزِّعه بينهم ، ويبقى لمعيشته له ولأهل بيته ولأصحابه[٧] ، ولا شك أن توزيع الأموال على بعض الجنود يساعد في تخفيف شدة التوتر .

إن الذي جاء في رواية البخاري هو الذي أميل إليه ، فالأمر لا يكون تجاوز طلب العفو عن الأموال التي أصابها الحسن وآله في الأيام الخالية[٨] .

وأما الروايات التي تشير بأن يجري معاوية للحسن كل عام مليون درهم ، وأن يحمل إلى أخيه الحسين مليوني درهم في كل عام ويفضل بني هاشم في العطاء والصلات على بني عبد شمس[٩] ، وكأن الحسن باع الخلافة لمعاوية ، فهذه الروايات ، وما قيل حولها من تحليل وتفسير لا تقبل ، ولا يعتمد عليها ، لأنها تصور إحساس الحسن بمصالح الأمة يبدو ضعيفاً أمام مصالحه الخاصة[١٠] .

وأما حقه من العطاء فليس الحسن فيه بواحد من دون المسلمين ، ولا يمنع أن يكون حظه منه

(١) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين ، ص ٦٤ .
(٢) الفتوح (٣/ ٢٩٣) .
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ١٦٥) .
(٤) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين ، ص ٦٤ .
(٥) تاريخ الإسلام ، عهد معاوية ، ص ٧ .
(٦) تاريخ دمشق (١٤/ ٩٠) .
(٧) في التاريخ الإسلامي ، شوقي أبو خليل ، ص ٢٦٨ .
(٨) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين ، ص ٦٤ .
(٩) الأخبار الطوال ، ص ٢١٨ .
(١٠) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين ، ص ٦٣ .

أكثر من غيره، ولكنه لا يصل إلى عُشر معشار ما ذكرته الروايات[(١)].

ثالثاً ـ الدماء:

ويتضمَّن اتفاق الصلح بين الجانبين أن الناس كلهم آمنون لا يؤخذ أحد منهم بهفوة أو أحنة، ومما جاء في رواية البخاري أن الحسن قال لوفد معاوية: . . . وأن هذه الأمة عاثت في دمائها، فكفل الوفد للحسن العفو للجميع فيما أصابوا من الدماء[(٢)].

ولكن الرواية عن الزهري ذكرت أن عبيد الله بن عباس قائد جيش الحسن لما علم بما يريد الحسن من معاوية، بعث إلى معاوية يسأله الأمان، وشرط لنفسه على الأموال التي قد أصاب، ثم خرج إليهم ليلاً ولحق بهم، وأن قيس بن سعد الذي خلّفه على الجيش تعاهد والجيش على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة علي ولمن كان اتبعه على أموالهم ودمائهم[(٣)]، وقد حاول المستشرق فلهوزن أن يلصق هذه التهمة الباطلة بعبد الله بن عباس، وذكر أن قائد الجيش كان عبد الله بن عباس، واستند فلهوزن في ذلك إلى أن الاسم الذي ورد في بعض النسخ المخطوطة من تاريخ الطبري هو عبد الله بن عباس، وأن الاختلاف بين المخطوطات في عبد الله وعبيد الله ليس مرجعه إلى الناسخ وإنما إلى الرواة الذين لم يريدوا أن يلحق هذا العار بعبد الله بن عباس جد العباسيين، وأما أخوه عبيد الله فلم يروا بأساً من التخلي عن الدفاع عنه[(٤)].

والحقيقة التاريخية تقول: إن قائد الجيش كان الحسن بن علي، وإن قائد مقدمته كان دقيس بن سعد، ولا ذكر لعبد الله بن عباس أو أخيه عبيد الله في هذا الجانب[(٥)]، إلا في الروايات الضعيفة، والتي لا يقوم عليها دليل، كما أنه مما ورد عند أبي حنيفة الدينوري في الأخبار الطوال[(٦)]، وابن حجر في المطالب العالية[(٧)]، وابن أعثم في الفتوح[(٨)]: أن قطبي الرحى في الجيش كانا الحسن بن علي وقيس بن سعد، ولا ذكر لعبد الله بن عباس وعبيد الله بن عباس[(٩)].

وتأكيد فلهوزن على أن عبد الله بن عباس كان قائداً للجيش لا عبيد الله، واحتجاجه على ذلك

---

(١) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص ٦٣.
(٢) البخاري، كتاب الصلح (٢/ ٩٦٣).
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ١٦٣ـ ١٦٤).
(٤) تاريخ الدولة العربية، ص ١٠٣ـ١٠٦.
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ١٥٩ـ١٦٠).
(٦) الأخبار الطوال، ص ٢١٧.
(٧) المطالب العالية (٤/ ٣١٨، ٣١٩).
(٨) الفتوح (٣/ ٢٨٩).
(٩) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص ٦٦.

بما سبق الإشارة إليه؛ يخالفه ما نقله زياد بن عبد الله البكائي عن عوانة بن الحكم الذي لا يتهم بمحاباة العباسيين قال: إن عبيد الله بن عباس كان والياً لعلي على اليمن، ولما بلغه مسير بسر بن أرطأة إليه استخلف على اليمن عبيد الله بن عبد المدائن الحارثي وهرب إلى علي بالكوفة، وذلك عام أربعين للهجرة، وأرسل علي بن أبي طالب جيشاً إلى اليمن يتعقب جيش بسر، وقتل علي في نفس العام، ولم يرد ما يشير إلى أن عبيد الله بن عباس ترك الكوفة إلى اليمن[١].

وسواء كان قائد الجيش عبد الله بن عباس أو عبيد الله أو غيرهما فإن دواعي اتصال قائد جيش الحسن بمعاوية وطلب الأمان منه غير قائمة، فجيش الحسن قوي وممتنع كما جاء عند البخاري، والاتصالات بين الحسن وقيادته موجودة نقلاً وعقلاً، والحسن ولي الأمر ورأسه، وقد جرت المفاوضات بينه وبين وفد معاوية، وأخذ الأمان لأتباعه ومن كان في جانبه فضلاً عن بني العباس وغيرهم من بني عبد المطلب بشأن الدماء والأموال، وأعلم الحسن قيادته بالصلح وتنازله عن الخلافة لمعاوية، وأمرهما بالدخول في الجماعة ومبايعة معاوية، ولما رأى قيس ومن معه أنهم لم يعودوا مع إمام مفترض الطاعة، تركوا القتال وبايعوا معاوية، ودخلوا في الجماعة[٢] ولكن في رواية الزهري ثناء على قيس دون الحسن وولدي العباس من غير ما ضرورة[٣].

إن الحسن بن علي اشترط على معاوية: أن لا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء[٤]، والذي يلاحظه المؤرخ: أنه من ذلك الوقت ترك الطلب بدم عثمان[٥]، وقد تمّ الاتفاق على عدم مطالبة أحد بشيء كان في أيام علي، وهي قاعدة بالغة الأهمية تحول دون الالتفات إلى الماضي، وتركز على فتح صفحة جديدة تركز على الحاضر والمستقبل[٦]، وقد تمّ التوافق المبني على الالتزام والشرعية؛ حيث تمّ الصلح على أساس العفو المطلق عن كل ما كان بين الفريقين، قبل إبرام الصلح، وبالفعل لم يعاقب معاوية أحداً بذنب سابق؛ وتأسس بذلك صلح الحسن على الإحسان والعفو، تأليفاً لقلوب الجماعة، خاصة وأنه كان بالخيار، وهذا هو العمل العظيم الذي قام به الحسن؛ حيث أعاد للأمة وحدتها ولحمتها من جديد، وقد تمّ بسط الأمن وحفظ الدماء في عهد معاوية إلى حد كبير، وقد اجتهد في قضايا سيأتي بيانها وتفصيلها في محله بإذن الله تعالى.

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ١٣٩ـ١٤٠)، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص ٦٦.
(٢) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص ٦٧.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) التبيين في أنساب القُرشيين، ص ١٢٧.
(٥) الخلفاء الراشدون للنجار، ص ٤٨٢.
(٦) الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام، ص ٣٤١.

رابعاً ـ ولاية العهد، أم ترك الأمر شورى بين المسلمين:

قيل: ومما اتفق الجانبان عليه من الشروط: أن يكون الأمر من بعد معاوية للحسن[١]، وإن معاوية وعد إن حدث به حدث والحسن حي لِيُسَمِّيَنّه وليجعلن الأمر إليه[٢]، ولكن ابن أعثم روى في هذا الخصوص عن الحسن: أنه قال: أما ولاية الأمر من بعده، فما أنا بالراغب في ذلك، ولو أردت هذا الأمر لم أسلمه[٣].

وجاء في نص الصلح الذي ذكره ابن حجر الهيثمي: . . . بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين[٤] وعند التدقيق في روايات طلب الحسن الخلافة بعد معاوية، نجد أنها تتنافى مع أنفة وقوة وكرم الحسن، فكيف يتنازل عن الخلافة حقناً لدماء المسلمين وابتغاء مرضات الله، ثم يوافق على أن يكون تابعاً يتطلب أسباب الدنيا، وتشرئب عنقه للخلافة مرة أخرى، والدليل على أن هذا غير صحيح ما ذكر جبير بن نضير قال: قلت للحسن بن علي: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة، فقال: كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمت، ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء مرضات الله[٥].

ومن الملاحظ أن أحداً من أبناء الصحابة أو الصحابة لم يذكروا خلال بيعة يزيد شيئاً من ذلك، فلو كان الأمر كما تذكر الروايات عن ولاية عهد الحسن بعد معاوية، لاتخذها الحسين بن علي رضي الله عنه حجة، ولكن لم نسمع شيئاً من ذلك على الإطلاق مما يؤكد على أن مسألة خلافة الحسن لمعاوية لا أساس لها من الصحة، ولو كان الحسن رضي الله عنه أسند إليه منصب ولاية العهد في الشروط لكان قريباً بعد معاوية من إدارة الدولة أو تولى إحدى الأقاليم الكبرى، لا أن يذهب إلى المدينة وينعزل عن إدارة شؤون الحكم، كما أن روح ذلك العصر يشير إلى مبدأ اختيار الأمة للحاكم عن طريق الشورى هو الأصل.

ـ **سبُّ أمير المؤمنين علي بين معاوية والحسن**: تذكر كتب التاريخ أنه اشترط على معاوية ألا يُسبَّ عليٌّ وهو يسمع: وكأن الحسن عفا عن سب علي رضي الله عنه وهو لا يسمع، ولذلك قال أستاذي وشيخي الدكتور محمد بطاينة: فقد لا تكون هذه القضية بحثت بين الحسن ومعاوية[٦]، وقد اتهم الشيعة الإماميَّة معاوية رضي الله عنه بحمل الناس على سب علي ولعنه فوق منابر

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٧٠).
(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٤).
(٣) الفتوح (٣، ٤/ ٢٩٣).
(٤) الصواعق المرسلة (٢/ ٢٩٩).
(٥) البداية والنهاية (١١/ ٢٠٦).
(٦) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص ٦٨.

المساجد، فهذه الدعوة لا أساس لها من الصحة، والذي يقصم الظهر أن الباحثين قد التقطوا هذه الفرية على هوانها دون إخضاعها للنقد والتحليل، حتى صارت عند المتأخرين من المسلمات التي لا مجال لمناقشتها، ولم يثبت قط في رواية صحيحة، ولا يعوّل على ما جاء في كتب الدميري واليعقوبي وأبي الفرج الأصفهاني، علماً بأن التاريخ الصحيح يؤكد خلاف ما ذكره هؤلاء[١] من احترام وتقدير معاوية لأمير المؤمنين علي وأهل بيته الأطهار، فحكاية لعن علي على منابر بني أمية لا تتفق مع منطق الحوادث، ولا طبيعة المتخاصمين.

فإذا رجعنا إلى الكتب التاريخية المعاصرة لبني أمية، فإننا لا نجد فيها ذكراً لشيء من ذلك أبداً. وإنما نجده في كتب المتأخرين الذين كتبوا تاريخهم في عصر بني العباس، بقصد أن يسيئوا إلى سمعة بني أمية في نظر الجمهور الإسلامي، وقد كتب ذلك المسعودي الشيعي الرافضي في مروج الذهب وغيره من كتاب الشيعة الروافض، وقد تسربت تلك الأكذوبة إلى كتب تاريخ أهل السنة ولا يوجد فيها رواية صحيحة صريحة، فهذه دعوة مفتقرة إلى صحة النقل، وسلامة السند من الجرح، والمتن من الاعتراض، ومعلوم وزن مثل هذه الدعوى عند المحققين والباحثين، فكيف بها وقد صدرت من الروافض الحاقدين، ومعاوية رضي الله عنه منزه عن مثل هذه التهم، بما ثبت من فضله في الدين، وكان محمود السيرة في الأمة، أثنى عليه بعض الصحابة ومدحه خيار التابعين، وشهدوا له بالدين والعلم، والعدل والحلم، وسائر خصال الخير[٢].

١ ـ فعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال لما ولّاه الشام: لا تذكروا معاوية إلا بخير[٣].

٢ ـ وعن علي رضي الله عنه قال بعد رجوعه من صفين: أيها الناس لا تكرهوا إمارة معاوية، فإنكم لو فقدتموه رأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها كأنها الحنظل[٤].

٣ ـ وعن ابن عمر أنه قال: ما رأيت بعد رسول الله ﷺ أسود[٥] من معاوية، فقيل: ولا أبوك؟ قال: أبي عمر ـ رحمه الله ـ خير من معاوية، وكان معاوية أسود منه[٦].

٤ ـ وعن ابن عباس قال: ما رأيت رجلاً كان أخلق بالملك من معاوية[٧]. وفي صحيح البخاري: أنه قيل لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية؛ فإنه ما أوتر إلا بواحدة، قال:

---

(١) الحسن والحسين، محمد رضا، ص ١٨، كلام المحقق د. أحمد أبو الشباب.
(٢) الانتصار للصحب والآل، ص ٣٦٧، للرحيلي.
(٣) البداية والنهاية (٨/ ٢٥).
(٤) البداية والنهاية (٨/ ١٣٤).
(٥) من السيادة، وسمي سيداً لأنه يسود سواد الناس. لسان العرب (٣/ ٢٢٩).
(٦) السنة للخلال (١/ ٤٤٣)؛ سير أعلام النبلاء (٢/ ١٥٢).
(٧) البداية والنهاية (٨/ ١٣٧).

إنه فقيه[١]، وذكر عند ابن عباس معاوية، فقال: لله تلاد ابن هند ما أكرم حسبه، وأكرم مقدرته، والله ما شتمنا على منبر قط، ولا بالأرض ضنّاً منه بأحسابنا وحسبه[٢].

٥ ـ وعن عبد الله بن الزبير: أنه قال: لله در ابن هند، يعني: معاوية، إنا كنا لنفرقه[٣]، وما الليث على براثنه بأجرأ منه، فيتفارق لنا، وإن كنا لنخدعه وما ابن ليلة من أهل الأرض بأدهى منه فيتخادع لنا، والله لوددت أنا متعنا به ما دام في هذا الجبل حجر، وأشار إلى أبي قبيس.

٦ ـ وعن الزهري قال: عمل معاوية بسيرة عمر بن الخطاب سنين لا يخرم منها شيئاً، والآثار عن الصحابة والتابعين، واتباعهم كثيرة وإنما ذكرنا جزءاً منها.

كما أثنى على معاوية ـ رضي الله عنه ـ العلماء المحققون في السير والتاريخ، ونقاد الرجال:

١ ـ يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: واتفق العلماء على أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة، فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة، وهو أول الملوك، كان ملكه ملكاً ورحمة[٤]. وقال: فلم يكن أحد من ملوك المسلمين خيراً من معاوية، ولا كان الناس زمان ملك من الملوك خيراً منهم في زمان معاوية[٥].

٢ ـ وقال ابن كثير في ترجمة معاوية رضي الله عنه: وأجمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين.. فلم يزل مستقلاً بالأمر في هذه المدة إلى هذه السنة التي كانت فيها وفاته، والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية، والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل، وصفح وعفو[٦].

٣ ـ وقال ابن أبي العز الحنفي: وأول ملوك المسلمين معاوية، وهو خير ملوك المسلمين[٧].

٤ ـ وقال الذهبي في ترجمته: أمير المؤمنين ملك الإسلام[٨]. وقال: معاوية من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم[٩].

وإذا ثبت هذا في حق معاوية ـ رضي الله عنه ـ فإنه من أبعد المحال على من كانت هذه سيرته، أن يحمل الناس على لعن علي ـ رضي الله عنه ـ على المنابر، وهو من هو في الفضل، وهذا يعني: أن أولئك السلف وأهل العلم من بعدهم الذين أثنوا عليه ذلك الثناء البالغ، قد مالؤوه على الظلم

---

(١) البخاري، رقم ٣٧٦٥.
(٢) تارِيخ دمشق (٦٢/ ١٢٨، ١٢٩).
(٣) الفرَق: الخوف والفزع.
(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٧٨).
(٥) منهاج السنة (٦/ ٢٣٢).
(٦) البداية والنهاية (٨/ ١٢٢).
(٧) شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٢٢.
(٨) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢٠).
(٩) المصدر السابق نفسه ص ٣٧١.

والبغي، واتفقوا على الضلال[١]، وإن هذا من البهتان العظيم لأولئك العلماء من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم من العلماء الربانيين، ومن علم سيرة معاوية ـ رضي الله عنه ـ في الملك، وما اشتهر به من الحلم والصفح، وحسن السياسة للرعية ظهر له أن ذلك من أكبر الكذب عليه، فقد بلغ معاوية ـ رضي الله عنه ـ في الحلم مضرب الأمثال، وقدوة الأجيال[٢] وإليك بعض الأمثلة.

١ ـ قال عبد الملك بن مروان وقد ذكر عنده معاوية: ما رأيت مثله في حلمه واحتماله وكرمه[٣].

٢ ـ وقال قبيصة بن جابر: ما رأيت أحداً أعظم حلماً، ولا أكثر سؤدداً، ولا أبعد أناة، ولا ألين مخرجاً، ولا أرحب باعاً بالمعروف من معاوية[٤].

٣ ـ ونقل ابن كثير: أن رجلاً أسمع معاوية كلاماً سيئاً شديداً، فقيل له: لو سطوت عليه؟ فقال: إني لأستحيي من الله أن يضيق حلمي عن ذنب أحد من رعيتي[٥].

٤ ـ وقال رجل لمعاوية: ما رأيت أنذل منك، فقال معاوية: بلى من واجه الرجال بمثل هذا[٦]، فهل يعقل بعد هذا أن يسع حلم معاوية رضي الله عنه، سفهاء الناس وعامتهم المجاهرين له بالسب والشتائم، وهو أمير المؤمنين، ثم يأمر بعد ذلك بلعن الخليفة الراشد علي ابن أبي طالب رضي الله عنه على المنابر، ويأمر ولاته بذلك في سائر الأمصار والبلدان؟! ويبقى هذا السب إلى أن يأتي عمر بن عبد العزيز رحمه الله فيلغي ذلك؟! والحكم في هذا لكل صاحب عقل وفهم[٧].

وأما ما استدل به الإماميَّة على تلك الفرية من صحيح مسلم فليس فيه ما يدل على زعمهم، فعن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم[٨]. قال النووي: قول معاوية هذا ليس فيه تصريح بأنه أمر سعداً

(١) البداية والنهاية (٨/ ١٣٨).
(٢) المصدر السابق نفسه ص ٣٧١.
(٣) البداية والنهاية (٨/ ١٣٨).
(٤) البداية والنهاية (٨/ ١٣٨).
(٥) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٣٨).
(٦) المصدر السابق نفسه.
(٧) الانتصار للصحب والآل، ص ٣٧٢.
(٨) مسلم، كتاب فضائل الصحابة (٤/ ١٨٧١).

بسبه، وإنما سأله عن السبب المانع له من السب. كأنه يقول: هل امتنعت تورعاً أو خوفاً، أو غير ذلك، فإن كان تورعاً وإجلالاً له عن السب فأنت مصيب محسن، وإن كان غير ذلك فله جواب آخر، ولعل سعداً قد كان في طائفة يسبون فلم يسب معهم، وعجز عن الإنكار، أو أنكر عليهم، فسأله هذا السؤال.

قالوا: ويحتمل تأويلاً آخر: أن معناه: ما منعك أن تخطئه في رأيه واجتهاده وتظهر للناس حسن رأينا واجتهادنا وأنه أخطأ[١]؟!

وقال أبو العباس القرطبي صاحب المفهم معلقاً على وصف ضرار الصُّدائي لعلي ـ رضي الله عنه ـ وثنائه عليه بحضور معاوية، وبكاء معاوية من ذلك وتصديقه لضرار فيما قال: وهذا الحديث يدل على معرفة معاوية بفضل علي رضي الله عنه، ومنزلته، وعظيم حقه، ومكانته، وعند ذلك يبعد عن معاوية أن يصرح بلعنه وسبّه، لما كان معاوية موصوفاً به من العقل والدين، والحلم وكرم الأخلاق، وما يروى عنه من ذلك فأكثره كذب لا يصح، وأصح ما فيها قوله لسعد بن أبي وقاص: ما يمنعك أن تسب أبا تراب؟ وهذا ليس بتصريح بالسب، وإنما هو سؤال عن سبب امتناعه ليستخرج ما عنده من ذلك، أو من نقيضه، كما قد ظهر من جوابه، ولما سمع ذلك معاوية، سكن وأذعن، وعرف الحق لمستحقه[٢]، قال الدكتور إبراهيم الرحيلي صاحب الكتاب النفيس القيم (الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال): والذي يظهر لي في هذا والله أعلم: أن معاوية إنما قال ذلك على سبيل المداعبة لسعد، وأراد من ذلك استظهار بعض فضائل علي ـ رضي الله عنه ـ؛ فإن معاوية ـ رضي الله عنه ـ كان رجلاً فطناً ذكياً، يحب مطارحة الرجال واستخراج ما عندهم، فأراد أن يعرف ما عند سعد في علي ـ رضي الله عنه ـ فألقى سؤاله بهذا الأسلوب المثير. وهذا مثل قوله ـ رضي الله عنه ـ لابن عباس: أنت على ملة علي؟ فقال له ابن عباس ولا على ملة عثمان، أنا على ملة رسول الله ﷺ[٣]. فظاهر: أن قول معاوية هنا لابن عباس جاء على سبيل المداعبة، فكذلك قوله لسعد هو من هذا الباب، وأما ما ادعى الإماميَّة من الأمر بالسب؛ فحاشا معاوية رضي الله عنه أن يصدر منه مثل ذلك[٤]، والمانع من هذا عدة أمور:

١ ـ أن معاوية نفسه ما كان يسب علياً ـ رضي الله عنه ـ كما تقدم حتى يأمر غيره بسبه، بل كان معظماً له، معترفاً لـه بالفضل والسبق إلى الإسلام، كما دلت على ذلك أقواله الثابتة عنه.

أ ـ قال ابن كثير: وقد ورد من غير وجه: أن أبا مسلم الخولاني وجماعة معه دخلوا على

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٧٥).
(٢) المفهم للقرطبي (٦/ ٢٧٨).
(٣) الإبانة لابن بطة (١/ ٣٥٥) الكبرى، شرح أصول اعتقاد للالكائي (١/ ٩٤).
(٤) الانتصار للصحب والآل، ص ٣٧٤.

معاوية فقالوا له: هل تنازع علياً أم أنت مثله؟ فقال: والله إني لأعلم أنه خير مني وأفضل، وأحق بالأمر مني[١].

ب ـ ونقل ابن كثير أيضاً، عن جرير بن عبد الحميد عن المغيرة قال: لما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي، فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلته؟! فقال: ويحك إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم[٢]، فهل يسوغ في عقل ودين أن يسب معاوية علياً، بل ويحمل الناس على سبه وهو يعتقد فيه هذا[٣]!!.

٢ ـ أنه لا يعرف بنقل صحيح: أن معاوية رضي الله عنه تعرض لعلي رضي الله عنه بسب أو شتم أثناء حربه له في حياته، فهل من المعقول أن يسبه بعد انتهاء حربه معه ووفاته، فهذا من أبعد ما يكون عند أهل العقول، وأبعد منه أن يحمل الناس على سبه وشتمه.

٣ ـ أن معاوية رضي الله عنه كان رجلاً ذكياً مشهوراً بالعقل والدهاء، فلو أراد حمل الناس على سب علي ـ حاشاه ذلك ـ أفكان يطلب ذلك من مثل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وهو من هو في الشجاعة والفضل والورع، مع عدم دخوله في الفتنة أصلاً؛ فهذا لا يفعله أقل الناس عقلاً وتدبيراً، فكيف بمعاوية.

٤ ـ أن معاوية ـ رضي الله عنه ـ انفرد بالخلافة بعد تنازل الحسن بن علي رضي الله عنه ـ له، واجتمعت عليه الكلمة ودانت له الأمصار بالملك، فأي نفع له في سب علي؟ بل الحكمة وحسن السياسة تقتضي عدم ذلك، لما فيه من تهدئة النفوس، وتسكين الأمور، ومثل هذا لا يخفى على معاوية ـ رضي الله عنه ـ الذي شهدت له الأمة بحسن السياسة والتدبير.

٥ ـ أنه كان بين معاوية ـ رضي الله عنه ـ بعد استقلاله بالخلافة وأبناء علي من الألفة والتقارب، ما هو مشهور في كتب السير، والتاريخ[٤]، ومن ذلك: أن الحسن والحسين وفدا على معاوية فأجازهما بمئتي ألف. وقال لهما: ما أجاز بهما أحد قبلي، فقال له الحسين: ولم تعط أحداً أفضل منا[٥]، ودخل مرة الحسن على معاوية فقال له: مرحباً وأهلاً بابن بنت رسول الله ﷺ، وأمر له بثلاثمئة ألف[٦]. وهذا مما يقطع الكذب ما يدّعى في حق معاوية من حمله الناس على سب علي، إذ كيف يحصل هذا مع ما بينه وبين أولاده من هذه الألفة والمودة والاحتفاء

---

(١) المصدر السابق نفسه (٨/ ١٣٣).
(٢) الانتصار للصحب والآل، (٨/ ١٣٣).
(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٣٧٥.
(٤) الانتصار للصحب والآل، ص ٣٧٦.
(٥) البداية والنهاية (٨/ ١٣٩).
(٦) المصدر السابق نفسه (٨/ ١٤٠).

والتكريم، وبهذا يظهر الحق في هذه المسألة، وتتجلى الحقيقة[١].

كما أن ذلك المجتمع في عمومه مقيد بأحكام الشرع حريصاً على تنفيذها، ولذلك كانوا أبعد الناس عن الطعن واللّعان والقول الفاحش والبذيء، فعن ابن مسعود رضي الله عنه ـ مرفوعاً ـ: «ليس المؤمن بالطعان ولا باللعّان ولا بالفاحش ولا البذيء»[٢] وقد نهى رسول الله ﷺ عن سب الأموات المشركين؛ فكيف بمن يسب أولياء الله المصلحين، فعن عائشة رضي الله عنها ـ مرفوعاً: «لا تسبوا الأموات؛ فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا»[٣].

وبعد أن تمّ الصلح تنازل الحسن عن الخلافة ـ وتمّ بيان ذلك في حديثنا عن المراحل، وبذلك طويت صفحة من الخلاف والفرقة، واجتمعت الكلمة، وصار معاوية خليفة مجمعاً عليه، قيل: عام أربعين للهجرة[٤]، ولكن ابن إسحاق[٥] والواقدي[٦]، وخليفة بن خياط[٧]، يجعلون ذلك عام واحد وأربعين للهجرة، ويختلفون في الشهر الذي وقع فيه الصلح من ذلك العام أهو ربيع الأول أو ربيع الآخر، أو جمادى الأولى، أو جمادى الآخرة[٨]، ومضى معاوية يقود مسيرة الأمة من غير أن يجعل للفتنة وأحداثها سبيلاً[٩].

ـ موقف معاوية من قتلة عثمان:

وقد يسأل سائل عما فعل معاوية بقتلة عثمان بعد صيرورة الخلافة إليه ويجيب ابن قتيبة في عيون الأخبار قائلاً: إن معاوية بن أبي سفيان لما قدم بعد عام الجماعة، دخل دار عثمان بن عفان، فصاحت عائشة بنت عثمان بن عفان وبكت ونادت أباها، فقال معاوية: يا بنة أخي، إن الناس أعطونا طاعة، وأعطيناهم أماناً، وأظهرنا لهم حلماً تحته غضب، وأظهروا لنا ذلاً تحته حقد، ومع كل إنسان سيفه ويرى موضع أصحابه، فإن نكثناهم نكثوا بنا، ولا ندري أعلينا تكون أم لنا، لأن تكوني ابنة عم أمير المؤمنين خير من أن تكوني امرأة من عرض الناس[١٠].

والذي يعتد به من كلام ابن قتيبة ما جاء عن العهود والمواثيق التي أبرمت بين معاوية

---

(١) الانتصار للصحب والآل، ص ٣٧٧.
(٢) صحيح ابن حبان، رقم ٤٧، صححه الألباني في الصحيحة، رقم ٣٢٠.
(٣) البخاري، رقم ٦٥١٦.
(٤) المعجم الكبير للطبراني (٣/ ٢٦)؛ دراسة في الخلفاء الأمويين، ص ٦٩.
(٥) تهذيب التهذيب (٢/ ٢٩٩)، ترجمة الحسن بن علي.
(٦) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص ٦٩.
(٧) تاريخ خليفة، ص ٢٠٣.
(٨) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص ٦٩.
(٩) المصدر السابق نفسه.
(١٠) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص ٧٠.

والحسن، وقضت بالصلح بين الناس، ووضع الحرب، وحقن الدماء، وعدم تهييج النفوس، وإضافة إلى ذلك فإن السنوات الخمس التي احتضنت المعارك في الجمل وصفين والنهروان ومصر وغيرها ذهبت بأولئك الذين ترددت أسماؤهم بتهمة قتل عثمان، ومع ذلك فإن مسألة قتل عثمان ظلت حاضرة في ذهن الخلفاء من بني أمية ونوابهم في الأغلب.

وأما انتصار بني أمية لعثمان كان حقيقة لا شبهة فيها(١) كما أن الصحابة الذين بايعوا معاوية رضي الله عنهم جميعاً يستحال أن يرضوا بسب علي على منابر الدولة الأموية ولا يتكلم منهم أحد أو يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وإليك أسماؤهم، فقد روي عن الأوزاعي أنه قال: أكدت خلافة معاوية عدة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم: سعد، وأسامة، وجابر، وابن عمر، وزيد بن ثابت، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد الخدري، ورافع بن خديج، وأبو أمامة، وأنس بن مالك، ورجال أكثر مما سميت أضعافاً مضاعفة، كانوا مصابيح الهدى، وأوعية العلم، حضروا من الكتاب تنزيله، وأخذوا عن رسول الله تأويله، ومن التابعين لهم بإحسان إن شاء الله، منهم: عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعبد الله بن محيريز في أشباه له، لم ينزعوا يده عن مجامعة في أمة محمد ﷺ(٢).

***ـ من نتائج الصلح:**

أولًا ـ توحّد الأمة تحت قيادة واحدة:

سجل في ذاكرة الأمة عام الجماعة وأصبح هذا الحدث من مفاخرها التي تزهو به على مر العصور، وتوالي الدهور، فقد التقت الأمة على زعامة معاوية، ورضيت به أميراً عليها، وابتهج خيار المسلمين بهذه الوحدة الجامعة، بعد الفرقة المشتتة، وكان الفضل في ذلك لله ثم للسيد الكبير مهندس المشروع الإصلاحي العظيم الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ويعد عام الجماعة من علامة نبوة المصطفى ﷺ وفضيلة باهرة من فضائل الحسن.

ولا يلتفت إلى ما قاله العقاد في عام الجماعة في هجومه الخاطئ على المؤرخين الذين سمّوا سنة إحدى وأربعين هجرية بعام الجماعة، فقد قال: فليس أضل ضلالاً، ولا أجهل جهلاً من المؤرخين الذين سموا سنة إحدى وأربعين هجرية بعام الجماعة؛ لأنها السنة التي استأثر فيها معاوية بالخلافة فلم يشاركه أحد فيها، لأن صدر الإسلام لم يعرف سنة تفرقت فيها الأمة كما تفرقت في تلك السنة، ووقع فيها الشتات بين كل فئة من فئاتها كما وقع فيها(٣).

---

(١) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص ٧٠.

(٢) البداية والنهاية (٨/ ٣٣)، نقلاً عن أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية، عبد الله الخرعان، ص ٨٣.

(٣) معاوية بن أبي سفيان، للعقاد ص ١٢٥.

والعقاد رحمه الله لم يأتِ بجديد في حكمه الخاطئ بل سبقه إليه كثير من مؤرخي الشيعة الإماميَّة، ويكفي معاوية فخراً أن كل الصحابة الأحياء في عهده بايعوه، فقد بايع معاوية جمٌّ غفير من صحابة رسول الله ﷺ[١]، وفي ذلك يقول ابن حزم: فبويع الحسن ثمّ سلَّم الأمر إلى معاوية، وفي بقايا الصحابة من هو أفضل منهما بلا خلاف ممن أنفق قبل الفتح وقاتل، وكلهم أولهم عن آخرهم بايع معاوية، ورأى إمامته[٢].

ونتعلم من فقه الحسن وموقف الصحابة من بيعة معاوية فهمهم العميق لآيات النهي عن الاختلاف، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فالصِّراط المستقيم هو: القرآن، والإسلام، والفطرة التي فطر الله النَّاس عليها، والسُّبل هي: الأهواء، والفرق، والبدع، والمحدثات، قال مجاهد: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ يعني: البدع، والشُّبهات، والضلالات[٣].

ونهى الله سبحانه وتعالى هذه الأمة عمّا وقعت فيه الأمم السابقة من الاختلاف والتفرق من بعد ما جاءتهم البيِّنات، وأنزل الله إليهم الكتب، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]. ونهى الأمّة أن تكون من المشركين، الذين فرّقوا دينهم، وكانوا شيعاً، فقال عز من قائل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٠ ـ ٣٢].

وأخبر سبحانه وتعالى: أن الرسول ﷺ بريء من الذين يفرّقون دينهم ويكونون شيعاً وأحزاباً[٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقد أمر الله تعالى بالاعتصام بحبله قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾.

لقد تحقق بفضل الله تعالى ثم بنجاح الحسن بن علي في صلحه مع معاوية مقصد عظيم من مقاصد الشريعة من وحدة المسلمين واجتماعهم وهذا المقصد من أهم أسباب التمكين لدين الله تعالى، ونحن مأمورون بالتواصي بالحقِّ والتواصي بالصبر، فلا بدَّ من تضافر الجهود بين الدُّعاة، وقادة الحركات الإسلاميّة، وبين علماء المسلمين، وطلبة العلم لإصلاح ذات البين

---

(١) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص ١٦٧.

(٢) الفصل (٥/ ٦).

(٣) تفسير مجاهد، ص ٢٢٧.

(٤) دراسات في الأهواء والفرق والبدع، ناصر العقل، ص ٤٩.

إصلاحاً حقيقياً لا تلفيقياً، لأن أنصاف الحلول تفسد أكثر ممَّا تصلح وقد تحدث الشيخ عبد الرحمن السعدي عن الجهاد المتعلَّق بالمسلمين بقيام الألفة، واتفاق الكلمة وبعد أن ذكر الآيات، والأحاديث الدّالة على وجوب تعاون المسلمين ووحدتهم، قال: فإن من أعظم الجهاد السَّعي في تأليف قلوب المسلمين، واجتماعهم على دينهم، ومصالحهم الدِّينيَّة والدنيوية[١]، إن الأخذ بالأسباب نحو تأليف قلوب المسلمين، وتوحيد صفَّهم من أعظم الجهاد، لأن هذه الخطوة مهمة جداً في إعزاز المسلمين، وإقامة دولتهم، وتحكيم شرع ربهم، وهذا من فقه الخلفاء الراشدين، ويتجلَّى في أبهى صورة في تنازل الحسن بن علي رضي الله عنه لمعاوية رضي الله عنهما من أجل وحدة الأمة، وحفظ دمائها، والأجر والمثوبة عند الله.

ثانياً ـ عودة الفتوحات إلى ما كانت عليه:

إن دعوة الناس للدخول في دين الله تعالى من مقاصد الإسلام الكبرى ومن الوسائل التي استخدمت في عهد الراشدين حركة الفتوحات المباركة، وتعد الفتنة التي أدت إلى استشهاد عثمان رضي الله عنه أكبر معوق أصاب الدعوة الإسلامية بعد حركة الردة أيام أبي بكر رضي الله عنه، حيث أدى استشهاد عثمان إلى توقف الجهاد، واتجاه سيوف المسلمين إلى بعضهم في فتنة كادت تعصف بالأمة الإسلامية لو لا أن تداركتها رحمة الله ـ سبحانه وتعالى بصلح الحسن بن علي رضي الله عنهما مع معاوية رضي الله عنه، وقد امتلأت المصادر بالنصوص التي تبين أثر الفتنة في انحسار حركة الجهاد[٢]، وفيما يلي بعضها:

١ ـ عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال: قد رأيت أن أعمد على المدينة فأنزلها وأخلي بين معاوية وبين هذا الحديث، فقد طالت الفتنة، وسقطت فيها الدماء، وقطعت فيها الأرحام، وقطعت السبل، وعُطِّلت الفروج ـ يعني الثغور[٣].

٢ ـ ما أخرجه أبو زرعة الدمشقي بإسناده، قال: لما قبل عثمان، واختلف الناس، لم تكن للناس غازية، ولا صائفة، حتى اجتمعت الأمة على معاوية[٤].

٣ ـ قول أبي بكر المالكي: فوقعت الفتنة.. واستشهد عثمان رضي الله عنه، وولي بعده علي رضي الله عنه، وبقيت إفريقية على حالها إلى ولاية معاوية رضي الله عنه[٥].

---

(١) وجوب التعاون بين المسلمين، ص ٥.
(٢) مرويات خلافة معاوية، ص ٣٠٩.
(٣) الطبقات، تحقيق: السُّلمي (١/ ٣٣١).
(٤) مرويات خلافة معاوية، ص ٣١٠.
(٥) رياض النفوس (١/ ٢٧).

فمن نتائج الصلح: عودة حركة الفتوحات إلى ما كانت عليه، وأصبحت في عهد معاوية ثلاث جبهات رئيسية هي:

١ـ جبهة الروم:

وتعتبر هذه الجبهة من أهم الجبهات، وأخطرها، نظراً لقوة الروم، ومجاورتهم لبلاد المسلمين، هذا فضلاً عن امتلاكهم لجيوش برية وأساطيل بحرية على درجة كبيرة من التنظيم والخبرة، مما دفع المسلمين لحرب الروم في البر والبحر معاً.

٢ـ جبهة المغرب:

وهذه الجبهة ترتبط بجبهة الروم برباط وثيق، وذلك لوجود مستعمرات رومية على بلاد المغرب كان لها أثر كبير في عرقلة حركة الفتوحات الإسلامية في المنطقة.

٣ـ جبهة سجستان وخراسان وما وراء النهر(١):

تعتبر سجستان وخراسان من أوائل البلاد التي انتقضت على المسلمين بعد استشهاد عثمان(٢) رضي الله عنه. وقد ترك معاوية رضي الله عنه معالم واضحة في سياسته الجهادية أوردها خليفه بن خياط في تاريخه حيث قال: كان آخر ما أوصاهم به معاوية أن شُدّوا خِناق الروم، فإنكم تضبطون بذلك غيرهم من الأمم(٣)، وقد سلك معاوية خطوات لتحقيق هذه السياسة في أثناء خلافته:

أـ التركيز على عمليات الصوائف والشواتي، من أجل تحقيق عدة أهداف منها:

* استنزاف قوى الروم.

* انتزاع زمام المبادرة من الروم وجعلهم في حالة دفاع مستمر.

* إرغام الروم على توزيع قواتهم بحيث لا يستطيعون القيام بهجمات حاسمة وقوية ضد الدولة الإسلامية.

ب ـ مهاجمة الروم في عقر دارهم ومحاصرة عاصمتهم، وما يترتّب على ذلك من إضعاف معنوياتهم، وقذف الرعب في قلوبهم.

ج ـ تقليص النفوذ البحري للروم عن طريق فتح الجزر الواقعة في بحر الشام، وما يترتب على ذلك من حرمان سفن الروم من قواعدها البحرية، وأما سياسة معاوية رضي الله عنه في جبهة المغرب فكانت كالتالي.

---

(١) يقصد بمصطلح ما وراء النهر: تلك البلاد الواقعة وراء نهر جيحون.

(٢) مرويات خلافة معاوية، ص ٣١٤.

(٣) تاريخ خليفة، ص ٢٣٠.

١ ـ أولى معاوية رضي الله عنه جبهة المغرب اهتماماً خاصاً، تمثّل بارتباط هذه الجبهة به شخصياً، حيث كان معاوية رضي الله عنه المرجع المباشر لقادة هذه الجبهة إلى سنة ٤٧ هـ، وهي السنة التي ضُمت فيها جبهة المغرب إلى والي مصر.

٢ ـ عمل معاوية رضي الله عنه على إقامة قاعدة جهادية متقدمة في قلب بلاد المغرب تكون عزّاً للإسلام والمسلمين وذلك ببناء مدينة القيروان[١].

وأما سياسة معاوية رضي الله عنه في جبهة سجستان وخراسان وما وراء النهر فكانت:

١ ـ استعانة معاوية رضي الله عنه بفاتح سجستان وخراسان أيام عثمان رضي الله عنه، وهو عبد الله بن عامر رضي الله عنه، وتكليفه بإعادة فتحها مرة أخرى.

٢ ـ العمل على تثبيت الحكم الإسلامي، ونشر دعوة الإسلام في هذه المنطقة عن طريق إسكان خمسين ألفاً من العرب بعيالاتهم في خراسان[٢]. فلولا الله سبحانه وتعالى ثم تنازل الحسن بن علي لمعاوية ما عادت حركة الجهاد والفتوحات إلى ما كانت عليه، فمن نتائج الصلح تحقيق هذا المقصد الشرعي العظيم، فالوحدة بين المسلمين على كتاب الله وسنة رسوله لها ثمار طيبة في دنيا المسلمين، فلو استوعبت الأمة عموماً وقيادتها خصوصاً هذا المقصد العظيم وطبقتها في حياتها لكان حالها في صعود وارتقاء.

ثالثاً ـ تفرغ الدولة للخوارج:

من نتائج الصلح: تفرغ الدولة الإسلامية للخوارج، فقد استطاع معاوية أن يضعف من شوكتهم وقوتهم، وتصدّى لحركة فروة بن نوفل الأشجعي، وحركة المستورد بن عُلف التيمي، وحركة حيان بن ظبيان السلمي، وهذه الحركات ظهرت في الكوفة[٣]، وأما حركة يزيد الباهلي وسهم الهجيمي، وحركة قريب الأزدي وزحاف الطائي، وغيرهم فكانت بالبصرة[٤].

ولسنا في محل تفصيل هذا الصراع بين الدولة الإسلامية والخوارج، ولكننا في محل تقرير نتيجة طبيعية من نتائج الصلح، وهي التضييق والتصدي للخوارج، ولذلك اتسمت حركة الخوارج في عهد معاوية رضي الله عنه؛ بالعشوائية والارتجال وقلة التنظيم، وكانت أشبه ما يكون بعمليات انتحار جماعي، لأنهم يخرجون بفئات قليلة لا تلبث أن تستأصل، افتقارهم إلى قيادة واعية ومحنكة تستطيع استثمار شجاعتهم وفروسيتهم لتحقيق أهدافهم، تكرارهم لأخطاء

(١) مرويات خلافة معاوية، ص ٣٦٣.
(٢) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥.
(٣) المصدر السابق نفسه، ص ١٧٩ ـ ١٩٦.
(٤) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص ١٩٧ إلى ٢٠٨.

بعضهم وعدم استفادة كل حركة من تجربة سابقتها، استبعادهم لأسلوب الحوار والمناظرة في دعوتهم، ومحاولة فرض فكرهم على المجتمع المسلم بالقوة، اختلاط الدوافع الدينية التي دعتهم للخروج ـ بزعمهم ـ مع دوافع العصبية الجاهلية في حركاتهم، والمتمثِّلة بخروج بعضهم ثأراً لمن قتل من أصحابهم، شعورهم بالغربة داخل المجتمع المسلم، ونفورهم منه، واقتناعهم أن قتال أهل القبلة أولى من جهاد الكفار، عدم بحثهم عن أرض جديدة لنشر دعوتهم، واقتصارهم على بعض مدن العراق، وخاصة الكوفة والبصرة[١]، فمن نتائج الصلح الملموسة التضييق على حركة الخوارج.

ـ انتهاء عهد الخلافة الراشدة:

انتهى عهد الخلافة الراشدة على منهاج النبوة بتنازل الحسن بن علي لمعاوية رضي الله عنهم، فقد قال رسول الله ﷺ: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء، أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء أن تكون، يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضّاً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة» ثم سكت[٢]. وقد بيَّن رسول الله ﷺ فقال: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك، أو ملكه من يشاء»[٣]، وقوله ﷺ: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك»[٤]، وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ، فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة لسيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليماً[٥] وبذلك تكون مرحلة خلافة النبوة قد انتهت بتنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية في شهر ربيع الأول من سنة ٤١ هـ[٦]؛ فالحديث النبوي الكريم أشار إلى مراحل تاريخية وهي:

١ ـ عهد النبوة.

٢ ـ عهد الخلافة الراشدة.

---

(١) المصدر السابق نفسه ص ٢٠٩، ٢١٠.
(٢) مسند أحمد (٤/ ٣٧١ـ٢٧٢)، سلسلة الأحاديث الصحيحة.
(٣) سنن أبي داود شرح عون المعبود (١٢/ ٢٥٩)؛ صحيح سنن الألباني (٣/ ٨٧٩).
(٤) سنن الترمذي شرح تحفة الأحوذي (٦/ ٣٩٥ ـ ٣٩٧)، حديث حسن.
(٥) البداية والنهاية (٨/ ١٦).
(٦) مرويات خلافة معاوية ص ١٦٥.

٣ ـ عهد الملك العضوض[١].

٤ ـ عهد الملك الجبري.

٥ ـ ثم تكون خلافة على منهاج النبوة.

وقد بين رسول الله ﷺ بأنه ستكون خلافة نبوة ورحمة، ثم يكون ملك ورحمة[٢] ويجوز تسمية من أتوا بعد الخلفاء الراشدين خلفاء وإن كانوا ملوكاً، ولم يكونوا خلفاء الأنبياء، بدليل ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل يسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثر». قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «وفوا ببيعة الأول، فالأول، ثم أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم»[٣]، فقوله: فتكثر دليل على من سوى الراشدين فإنهم لم يكونوا كثيراً، وأيضاً قوله: «وفوا بيعة الأول فالأول» دل على أنهم يختلفون؛ والراشدون لم يختلفوا، وقوله: «فأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم» دليل على مذهب أهل السنة؛ في إعطاء الأمراء حقهم من المال والمغنم[٤]، فمعاوية رضي الله عنه أفضل ملوك هذه الأمة، والذين كانوا قبله خلفاء نبوة، وأما هو فكانت خلافته ملكاً، وكان ملكه ملكاً ورحمة، وكان في ملكه من الرحمة والحلم ونفع المسلمين، ما يعلم أنه كان خيراً من ملك غيره[٥]، ومعاوية رضي الله عنه وإن كان عالماً ورعاً عدلاً، دون الخلفاء الأربعة في العلم والورع والعدل، كما ترى من التفاوت بين الأولياء؛ بل الملائكة والأنبياء، فإمارته وإن كانت صحيحة بإجماع الصحابة وتسليم الحسن ـ رضي الله عنه ـ إلا أنها ليست على منهاج خلافة من قبله، فإنه توسع في المباحات، وتحرز عنها الخلفاء الأربعة، وأما رجحان الخلفاء الأربعة في العبادات والمعاملات فظاهر مما لا سترة فيه[٦].

وقد حدد ابن خلدون مدى التغير الذي حدث، فقرر أن الخلافة وإن كانت تحولت إلى ملك، فإن معاني الخلافة قد بقيت ـ بعضها ـ، وإنما كان التغير في الوازع، فبعد أن كان ديناً انقلب عصبية وسيفاً: يقصد بذلك أنه بعد أن كان الناس يتصرفون بوازع الدين، والخلافة شورى، صار الحكم مستنداً إلى العصبية والقوة، ولكن معاني الخلافة؛ أي: مقاصدها وأهدافها بقيت؛ أي:

---

(١) العضوض: الشديد فيه عسف وعنف وظلم.
(٢) سنن الدارمي (٢/ ١١٤) الأشربة، الفتاوى (٣٥/ ١٤).
(٣) البخاري، رقم ٣٤٥٥.
(٤) الفتاوى (٣٥/ ١٥).
(٥) الفتاوى (٤/ ٢٩٢).
(٦) الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية، ص ٧٨.

أن غايات هذا الملك كانت لا تزال تحقيق مقاصد الدين والحكم وفق الشريعة الإسلامية بالعدل وتنفيذ الواجبات التي يأمر بها الإسلام: أي أن الحكم أو الملك استمر إسلامياً وشرعياً[١].

ولخص الأدوار التي مرت بها الخلافة فقال: فقد تبين أن الخلافة قد وجدت بدون الملك أولاً، ثم التبست معانيها واختلطت بالملك، ثم انفرد الملك حيث افترقت عصبية الخلافة، والله مقدر الليل والنهار[٢]: فالدور الأول الذي يشير إليه هو عصر الخلفاء الراشدين، وهو عصر الخلافة الخالصة أو الكاملة، والدور الثاني هو عصر الخلفاء الأمويين والعباسيين ـ ولا يمنع كذلك العثمانيين ـ، وهذا عصر الخلافة المختلطة بالملك أو الملك المختلط بالخلافة: أي الذي يحقق في الوقت مقاصد الخلافة، أما الدور الثالث فهو عصر الملك المحض الذي صار يقصد لذات الملك والأغراض الدنيوية، وانفصل عن حقيقة الخلافة أو معانيها الدينية، فهذا وصف أو تفسير ابن خلدون المؤرخ الفقيه للتطور الذي حدث والأدوار التي مرت بها الخلافة[٣].

إن الخلافة الحقيقية أو الكاملة أو خلافة النبوة استمرت ثلاثين عاماً، وهو عصر الخلفاء الراشدين، ثم تحولت إلى ملك، ولكن لكي نعبر عن الحقيقة يجب أن يراعى هذا التحديد، وهو أن الخلافة لم تنته أو تذهب كلية، وإنما بقيت معانيها أو مقاصدها، وأن التغيير حصل في الأساس الذي قامت عليه، أما حقيقتها فقد بقيت، فالتغير إذن لم يكن كلياً ولكن جزئياً: أي أن الخلافة في العصر الأول كانت هي الخلافة الكاملة المثالية، ثم نقصت عن المثال من وجه أو بعض الوجوه، لكن معظم عناصره بقيت، فهي خلافة أقل في الرتبة أو خلافة مختلطة بالملك[٤]، والرأي العام في الإسلام يتمسك بالمثال، أو خلافة النبوة، أو الخلافة الكاملة، وهي تلك التي تقوم على الشورى والاختيار التام من الأمة، وأنه إذا كانت الظروف الواقعية والعوامل الاجتماعية قد حتمت أو أدت إلى هذا التطور، فإن تحمل ذلك أو قبوله لا يكون إلا مؤقتاً أو من باب الضرورة، ولكن يلزم أن يكون المثل الكامل حاضراً دائماً في فكر الرأي العام، وبمجرد أن تزول تلك العوامل والظروف تجب العودة إلى تحقيق المثل الكامل، ولذا فإن الكتابات الإسلامية الأصيلة ظلت ملتزمة ومتشبثة بالمثال الكامل، ولا تستخلص مبادئها إلا منه، وتفرق بين الخلافة وهي الخلافة الحقيقية الشرعية، والخلافة الواقعية التي بعدت قليلاً أو كثيراً عن الحقيقة[٥].

---

(١) النظريات السياسية للريس، ص ١٩٤، نقلاً عن المقدمة.
(٢) مقدمة ابن خلدون، النظريات السياسية، ص ١٩٥.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) المصدر السابق نفسه، ص ١٩٦.
(٥) المصدر السابق نفسه، ص ١٩٧.

وقد ذكر ابن تيمية: أن مصير الأمر ـ أي الخلافة ـ إلى الملوك ونوابهم من الولاة والقضاة والأمراء ليس لنقص فيهم فقط، بل لنقص في الراعي والرعية جميعاً، فإنه كما تكونوا يولّ عليكم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾[١] [الأنعام: ١٢٩]، لقد ذهبت دولة الخلفاء الراشدين، وصار ملكاً ظهر النقص في الأمراء، وكذلك في أهل العلم والدين وجمهور الصحابة انقرضوا بانقراض خلافة الخلفاء الأربعة، حتى إنه لم يبق من أهل بدر إلا نفر قليل، وجمهور التابعين بإحسان انقرضوا في أواخر عصر أصاغر الصحابة في إمارة الزبير وعبد الملك، وجمهور تابعي التابعين انقرضوا في أواخر الدولة الأموية، وأوائل الدولة العباسية[٢].

ـ هل معاوية رضي الله عنه يعتبر أحد الخلفاء الاثني عشر؟:

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه: دخلت مع أبي على النبي ﷺ، فسمعته يقول: «إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة»، قال: ثم تكلم بكلام خفي عليَّ، قال: فقلت لأبي: ما قال، قال: «كلهم من قريش»[٣]، وفي رواية أخرى عن جابر: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة. . كلهم من قريش»[٤] وفي رواية أخرى عنه: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة. . . كلهم من قريش»[٥]، زاد أبو داود في سننه، بإسناده عن جابر رضي الله عنه قال: فلما رجع إلى منزله، أتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: «ثم يكون الهرج»[٦][٧].

وقد شرح ابن كثير هذا الحديث فقال: ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحاً يقيم الحق ويعدل فيهم، ولا يلزم من هذا تواليهم وتتابع أيامهم، بل قد وجد منهم أربعة على نسق؛ وهم: الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا شك عند الأئمة، وبعض بني العباس، ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة، والظاهر أن منهم المهدي المبشَّر به في الأحاديث الواردة بذكره. . . ـ وليس هذا بالمنتظر الذي تتوهم الرافضة وجوده ثم ظهوره من سرداب سامراء[٨]؛ فإن ذلك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية، بل هو من هوس العقول السخيفة، وتوهم الخيالات الضعيفة ـ وليس المراد

---

(١) الفتاوى (٣٥/ ١٥).
(٢) الفتاوى (١٠/ ٢٠٧).
(٣) صحيح مسلم على شرح النووي (١٢/ ٥٠٢).
(٤) المصدر السابق نفسه.
(٥) صحيح مسلم على شرح النووي (١٢/ ٢٠٣).
(٦) هرج الناس: وقعوا في فتنة واختلاط وقتل، القاموس المحيط، ص ٢٦٨.
(٧) سنن أبي داود مع شرحها عون المعبود (١١/ ٢٤٩)؛ صحيح سنن الألباني (٣/ ٨٠٧).
(٨) سامراء: مدينة بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة.

بهؤلاء الخلفاء الاثني عشر الأئمة الاثني عشرة الذين يعتقد فيهم الاثنا عشرية من الروافض لجهلهم وقلة عقلهم[(١)].

وإضافة لمن ذكرهم ابن كثير نضيف خامس الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين الحسن رضي الله عنه، وقد ناقشت معتقد أهل السنة والشيعة الإمامية في المهدي المنتظر في كتابي (أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب شخصيته وعصره)، فمن أراد التفصيل فليرجع إليه مشكوراً، وبالنسبة لمرحلة الخلفاء الاثني عشر فإنه استناداً إلى الوجه الذي ذكره ابن كثير، فإن هذه المرحلة تمتاز بأن مداها الزمني يتخلل المراحل الأخرى كلها، وخلفاء هذه المرحلة يكون ظهورهم في الأمة متتابعاً ومتفرقاً ـ وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بهذه الأمة ـ ويبدأ ظهورهم من وفاة الرسول ﷺ ـ أي: بخلافة أبي بكر رضي الله عنه، وتكتمل هذه المرحلة بظهور آخرهم في آخر الزمان حيث يعقب خلافته الهَرْج[(٢)].

وقد ذكر ابن كثير أن من خلفاء هذه المرحلة عمر بن عبد العزيز رحمه الله، ولما كان معاوية رضي الله عنه أفضل من عمر بن عبد العزيز؛ فهذا يعني دخول معاوية رضي الله عنه في خلفاء هذه المرحلة، هذا والله تعالى أعلم. وقد تقدم بيان شيء من فضائل معاوية رضي الله عنه.

هل الحسن بن علي رضي الله عنهما تنازل لمعاوية من موقف قوة أو موقف ضعف؟:

تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما لمعاوية من موقف قوة، وهناك دلائل تُشير إلى ذلك؛ منها:

١ ـ الشرعية التي كان يملكها الحسن:

فقد كانت بيعته في شهر رمضان من سنة ٤٠ هـ، وذلك بعد استشهاد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقد اختير الحسن بعده اختياراً شورياً، وأصبح الخليفة الشرعي على الحجاز واليمن والعراق، وكل الأماكن التي كانت خاضعة لوالده، وقد استمر في خلافته ستة أشهر، وتلك المدة تدخل ضمن الخلافة الراشدة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ بأن مدتها ثلاثون سنة، ثم تصير ملكاً، فقد روى الترمذي بإسناده إلى رسول الله ﷺ؛ حيث قال: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك»[(٣)].

وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقال: إنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من

(١) التفسير (٢/ ٣٤).
(٢) مرويات خلافة معاوية، ص ١٦٥.
(٣) سنن الترمذي مع شرحها تحفة الأحوذي (٦/ ٣٩٥ ـ ٣٩٧)، حديث حسن.

موت رسول الله ﷺ ؛ فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة لسيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليماً[١] . وبذلك يكون الحسن بن علي خامس الخلفاء الراشدين[٢] .

وقد تحدث عن شرعية الحسن بالخلافة كثير من علماء أهل السنة، منهم: أبو بكر بن العربي[٣]، والقاضي عياض[٤]، وابن كثير[٥]، وشارح الطحاوية[٦]، والمناوي[٧]، وابن حجر الهيثمي[٨] .

ولو أراد الحسن أن يتعب معاوية بحكم أن الشرعية معه لأمكن ذلك، ولرتب حملة إعلامية منظمة في أوساط أهل الشام، لكسب ثقتهم، أو على الأقل زعزعة موقف معاوية بينهم، فقد كان يملك قوةً معنوية ونفوذاً روحياً لا يستهان به بحكم الشرعية التي يستند إليها، ولكونه حفيد الرسول ﷺ .

٢ ـ تقييم الحسن بن علي للموقف وقدراته القيادية :

فعندما قال له نفير بن الحضرمي: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة، فقال: كانت جماجم العرب بيدي ، يسالمون من سالمت ، ويحاربون من حاربت ، فتركتها ابتغاء وجه الله[٩] . فهذه شهادة من الحسن رضي الله عنه، بأنه كان في وضع قوي، وبأن أتباعه على استعداد لمحاربة من يريد أو مسالمتهم، كما كان رضي الله عنه يملك من الملكات الخطابية والفصاحة البيانة، وصدق العاطفة وقوة التأثير، والقرابة من رسول الله ﷺ ما يجعله أكثر قوة وتماسكاً، ودليلنا على ذلك، ما قام به من استنفار أهل الكوفة للخروج مع والده، وكان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قد ثبط الناس ونهاهم عن الخروج والقتال والفتنة، وأسمعهم ما سمعه من رسول الله ﷺ من التحذير من الاشتراك في الفتنة[١٠]، فقد أرسل علي رضي الله عنه قبل الحسن محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر، ولكنهما لم ينجحا في مهمتهما، وأرسل علي بعد ذلك هاشم بن

(١) البداية والنهاية (١١/ ١٣٤).
(٢) مآثر الإنافة (١/ ١٠٥)؛ مرويات خلافة معاوية، ص ١٥٥ .
(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٧٢).
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ٢٠١).
(٥) البداية والنهاية (١١/ ١٣٤).
(٦) شرح الطحاوي، ص ٥٤٥ .
(٧) فيض القدير (٢/ ٤٠٩٩).
(٨) الصواعق المحرقة (٢/ ٣٩٧).
(٩) البداية والنهاية (١١/ ٢٠٦).
(١٠) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٤)؛ مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ١٢)، إسناده حسن .

عتبة بن أبي وقاص، ففشل في مهمته لتأثير أبي موسى عليهم[١]، وأتبعه علي بعبد الله بن عباس، فأبطؤوا عليه، فأتبعه بعمار بن ياسر والحسن[٢]، وكان للحسن أثر واضح، فقد قام في الناس خطيباً وقال: أيها الناس، أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولو النهى[٣]، أمثل في العاجلة وخير في العاقبة، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به[٤] وابتليتم. ولبى كثير من أهل الكوفة وخرجوا مع عمار والحسن إلى علي ما بين الستة إلى سبعة آلاف رجل[٥]، ولا ننسى أن أبا موسى الأشعري كان والياً على الكوفة، ومن قيادات العراق المحبوبين من عهد عمر، وهو من هو في علمه وزهده ومكانته عند الناس، ومع ذلك فقد استطاع الحسن أن يكسب أهل الكوفة لصفه وخرجوا معه.

٣ ـ أن صف الحسن بن علي كان يملك من القيادات الكبيرة:

كأخيه الحسين، وابن عمه عبد الله بن جعفر، وقيس بن سعد بن عبادة ـ وهو من دهاة العرب ـ وعدي بن حاتم، وغيرهم؛ فلو أراد الخلافة لأعطى المجال لقياداته للتحرك نحو تعبئة الناس والدخول في الحرب مع معاوية، وعلى الأقل يكون خليفةً على دولته إلى حين.

٤ ـ كانت له قدرات خاصة في التعامل مع أهل العراق ومعرفة نفوسهم:

ولذلك زاد لهم في العطاء منذ بداية خلافته، كما أن مهمته التي قادها في نجاح مشروعه الإصلاحي كانت أصعب من حربه لمعاوية، ومع ذلك تغلب على الكثير من العوائق التي واجهته، فقد حاولوا قتله، ورفض بعض الناس الصلح وغير ذلك من العوائق، إلا أنه تغلب عليها كلها وحقق الأهداف التي رسمها من حقن الدماء، ووحدة الأمة، وأمن السبيل، وعودة حركة الفتوح... إلخ، مما يدل على قدراته القيادية الفذّة.

٥ ـ تقييم عمرو بن العاص، ومعاوية لقوات الحسن رضي الله عنه:

فقد جاء في البخاري: استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني أرى كتائب لا تُولي حتى تقتل أقرانها. فقال معاوية ـ وكان خير الرجلين ـ: أي عمرو، إن قتل هؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس؟ من لي بنسائهم؟ من لي بضيعتهم؟ فبعثت إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس ـ عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز ـ فقال:

---

(١) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد؛ ص ١٤٤، سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٨٦).
(٢) فتح الباري (١٣/ ٥٣)؛ علي بن أبي طالب للصَّلاَّبي (٢/ ٦٠).
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٦). أولو النهى: أصحاب العقول.
(٤) المصدر السابق نفسه.
(٥) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧) بسند صحيح إلى الزهري.

اذهبا إلى هذا الرجل، فاعرضا عليه، وقولا له، واطلبا إليه[١].

أ ـ فعمرو بن العاص رضي الله عنه القائد العسكري الشهير والسياسي المحنك والذي عركته الحروب، يقول: إني أرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها.

ب ـ وأما معاوية رضي الله عنه، فتقييمه للموقف العسكري: بأنه لا يستطيع أحد أن ينتصر ويحقق حسماً عسكرياً إلا بعد خسائر فادحة للطرفين، ولا يستطيع معاوية حتى لو كان هو المنتصر أن يتحمل تركة الحرب من أرامل وأيتام وقتل خير المسلمين، وما يترتب على ذلك من مفاسد كبرى اجتماعية وسياسية واقتصادية وأخلاقية للأمة الإسلامية وغيرها.

ج ـ ولذلك اختار معاوية رضي الله عنه شخصيتين كبيرتين من أصحاب رسول الله ﷺ ومن أصحاب النفوذ في المجتمع الإسلامي، ولهم حضور واحترام عند الحسن رضي الله عنه، وهما من قريش:

* **عبد الرحمن بن سمرة** بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو سعيد القرشي العبشمي الأمير: أسلم عبد الرحمن يوم الفتح وكان أحد الأشراف، نزل البصرة، وغزا سجستان[٢]، وهو الذي قال له رسول الله ﷺ: «يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها»[٣]. وله في مسند بقي بن مخلد أربعة عشر حديثاً، وحدث عنه: ابن عباس، وسعيد بن المسيب، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وحيّان بن عمير، وابن سيرين، والحسن، وأخوه سعيد بن أبي الحسن، وحميد بن هلال، وقيل: كان اسمه عبد كلال، فغيره رسول الله[٤] ﷺ إلى عبد الرحمن، مات بالبصرة سنة خمسين، وقيل: توفي سنة إحدى وخمسين[٥]، فعبد الرحمن بن سمرة صحابي جليل مجاهد له مكانته في ذلك العهد، وشارك في الفتوحات، وتولى إمارة جيوش الفتح في عهد عثمان، وفتح سجستان صلحاً ثم افتتح فيما بعد بُست وما يليها، ومضى إلى كابل وزابلستان فافتتحهما جميعاً، وبعث بالغنائم إلى ابن عامر[٦].

* **عبد الله بن عامر بن كريز** بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيِّ القرشي

---

(١) البخاري، كتاب الصلح، رقم ٢٧٠٤.
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧١).
(٣) مسلم، كتاب الإيمان، رقم ١٦٥٢.
(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧٢).
(٥) المصدر السابق نفسه.
(٦) تاريخ دمشق (٢٦/ ٢٨٩، ٢٩٠).

العبشمي[١]: ولد في عهد رسول الله ﷺ، وذلك في السنة الرابعة من الهجرة[٢]، وعندما اعتمر الرسول الكريم ﷺ في السَّنة السابعة للهجرة عمرة القضاء، ودخل مكة، حمل إليه عبد الله بن عامر، قال ابن حجر: ... فتلمَّظ وتثاءب، فتفل رسول الله ﷺ في فيه، وقال: «هذا ابن السُّلمية؟» قالوا: نعم، فقال: «هذا أشبهنا»، وجعل يتفل في فيه، ويعوِّذه، فجعل يبتلع ريق النبي ﷺ، فقال: «إنَّه لمسقيٌّ»، فكان لا يعالج أرضاً إلا ظهر له الماء[٣]. وقد ترجمت له في كتابي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عند حديثي عن مؤسسة الولاة في عهد ذي النورين[٤]، وهو الرجل الذي له من الحسنات والمحبة في قلوب الناس ما لا يُنكر كما يقول ابن تيمية[٥]، وقال فيه الذهبي: وكان من كبار أمراء العرب، وشجعانهم، وأجوادهم، وكان فيه رفق وحلم[٦]. وهو ممن اعتزل القتال في الجمل وصفين.

فالشخصيتان اللتان أرسلهما معاوية رضي الله عنه تدل على حرصه على نجاح الصلح مع الحسن بأي ثمن ممكن، وقد ظل زمام الموقف بيد الحسن بن علي رضي الله عنهما ويد أنصاره، وكانت جبهته العسكرية قوية كما مرّ معنا في رواية البخاري والروايات الأخرى، وأما ما تعرض له الحسن رضي الله عنه من محاولة القتل والاعتداء فإنه يعود إلى أسباب تتصل بظروف القتال والصلح مع معاوية، حقيقة أو إشاعة كما مر معنا، وقد هزم المرجفون وقتل الرجل الذي قام بالاعتداء عليه، وتقدم هو من بعد ذلك واجتمع بمعاوية، ولو لم يكن الحسن مرهوب الجانب لما احتاج معاوية إلى أن يفاوضه ويوافق على ما طلب من الشروط والضمانات، ولكان عرف ضعف جانب الحسن وانحلال قوته عن طريق عيونه، ولدخل الكوفة من غير أن يكلف نفسه مفاوضة أحد أو ينزل على شروطه ومطالبه[٧]، وقد كان بمقدور الحسن أن يقاتل معاوية، بمن كان معه من الأنصار والأعوان ولكن الحسن كان ذا خلق؛ يجنح للسلم ويكره الفتنة وينبذ الفرقة، وقد رأب الله به الصدع، وجمع الكلمة، وقد كان رسول الله ﷺ أشار[٨] إلى ذلك فقال: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[٩].

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ٩١).
(٢) تهذيب التهذيب (٥/ ٢٧٢).
(٣) الطبقات (٥/ ٣١)؛ تهذيب التهذيب (٥/ ٢٧٢).
(٤) عثمان بن عفان للصَّلاَّبي ص ٣٠٢.
(٥) منهاج السنة (٣/ ١٨٩، ١٩٠).
(٦) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢١).
(٧) دراسة في تاريخ خلفاء الدولة الأموية ص ٦١.
(٨) المصدر السابق نفسه ص ٦١.
(٩) البخاري رقم ٧١٠٩.

ـ الحسن والزهد في الملك:

فالحسن بن علي رضي الله عنهما قدوة للمسلمين في الترفع عن حطام الدنيا وطلب ما عند الله تعالى واحتساب الأجر والمثوبة، فالزهد في المناصب والكراسي من الأمور الثقيلة على النفس البشرية، فالإخوان والأصحاب والأقارب يتقاتلون على الكراسي والمناصب، فانظر إلى التاريخ القديم والحديث ترى العجب العجاب، فالزهد في الرئاسة أقل ما يكون في دنيا الناس، وكم من أناس زهدوا في المال والنساء وغيرها من الأمور، ولكنهم أمام الزعامة والرئاسة والمناصب ينهزمون، فالزهد في الرياسة أقل ما يكون في دنيا الناس، وقيل: بأنه آخر ما ينزع من صدور الصالحين وتأمل مقولة سفيان الثوري، فقد قال: ما رأيت الزهد في شيء أقل منه في الرياسة؛ ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب، فإن نوزع حامى عليها وعادى[(١)]. إياك وحب الرياسة، فإن الرجل تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة، وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة، فتفقد نفسك واعمل بنية، واعلم أنه قد دنى من الناس أمر يشتهي الرجل أن يموت[(٢)]، فالحسن بن علي يعلمنا كيف نترك المناصب والكراسي إذا كان تركها رضاء لله، ومصلحة للأمة، وحقناً لدمائها، وعملاً على توحيدها، ومن الأمور التي تساعدنا على الزهد في الدنيا: قصر الأمل، وذكر الموت، وزيارة القبور، وكان الحسن بن علي مكتوب على خاتمه:

قدّم لنفسك ما استطعت من التُّقى ... إن المنية نازل بك يا فتى
أصبحت ذا فرح كأنك لا ترى ... أحباب قلبك في المقابر والبلى[(٣)]

لقد كان الحسن بن علي من زهاد عصره، ونال في مقام الزهد القدح المعلى، فقد ترك الدنيا وحطامها واشتغل برضا الله تعالى، وكان له في ذلك شغل عن طلب المنزلة عند الخلق، ومع هذا فقد أعطاه الله المنزلة في قلوب الخلق والشرف عندهم، وإن كان لا يريد ذلك ولا يقف معه، بل يهرب منه أشد الهرب خشية أن يقطعه الخلق عن الحق جل جلاله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦]. أي: في قلوب عباده.

وفي الحديث: «إن الله إذا أحب عبداً نادى: يا جبريل إني أحب فلاناً، فيحبه جبريل، ثم يحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض[(٤)]»، وبكل حال فطلب شرف الآخرة يحصل معه شرف في الدنيا، وإن لم يرده صاحبه ولم يطلبه، وطلب شرف الدنيا لا يجامع شرف الآخرة، ولا

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٦٢).
(٢) حلية الأولياء (٦/ ٣٧٦)؛ فقه الفتن، عبد الله بن شعبان، ص ١٤٢.
(٣) تاريخ دمشق (١٤/ ٨٦).
(٤) مسلم، رقم ٢٦٣٧.

يجتمع معه، والسعيد من آثر الباقي على الفاني قال أبو الفتح البُستيُّ:

أمــران مفتــرقــان لســت تــراهمــا يتشــوقــان لخلطــة وتــلاقــي
طلــب المعــاد مــع الــريــاسـة والعُلــى فــدع الــذي يفنــى لمــا هــو بــاقــي[1]

إن الحسن بن علي رضي الله عنهما يعلمنا كيف نزهد في الجاه والسلطان والملك والشهرة ابتغاء مرضات الله تعالى؛ فالحسن رضي الله عنه ازداد رفعة وسيادة بتنازله في الدنيا، وأصبح رمزاً لنكران الذات ومعلماً للإيثار ومدرسة وفخراً للأمة عبر الأجيال في تقديمه مصلحة الأمة في وحدتها وحفظ دمائها على أي مصلحة أخرى، ولقد بلغت شهوة حب الجاه في قلوب الكثيرين مداها، وأصبحوا يتنافسون على بلوغها، ويبذلون من أجلها الأموال والطاقات، ويتحايلون على الوصول إليها بالحيل والخداع، ويقدمونها على شهوة حب المال؛ وذلك للأسباب التالية:

١ ـ لأن التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه، فالعالم أو العابد الذي تقرر له جاه في القلوب؛ لو أراد اكتساب المال لبذل له الناس من أموالهم وأعمالهم ما يحقق له ذلك.

٢ ـ أن المال معرض للتلف أو الزوال ويتطرق إليه الخطر، أما الجاه فإنه إذا دخل القلوب ملكها واستقر فيها، فلا تمتد إليه الأخطار إلا إذا حصل ما يغير نظرة الناس إلى صاحب الجاه.

٣ ـ أن ملك القلوب يسري ويتزايد من غير حاجة إلى تعب ومقاساة، فالناس إذا أعجبوا بشخص أكثروا مدحه والحديث عنه، وانتشر صيته بينهم[2].

وهناك تداخل كبير بين شهوتي حب النفس وحب الجاه، وينتج عن هذا التداخل المعقد أمراض نفسية؛ منها: الرياء، والكبر، والتعالي على الناس، والإعجاب بالنفس، وحب المدح بين الناس، والأنانية، والشح، والحسد، وكثرة الغضب، والذل، والمداهنة؛ وهي في الحقيقة محرمات قلبية تحتاج لمجاهدة وتربية سلوكية على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

كما أن من يحرص على بلوغ الجاه عند أهل الدنيا، ويجعل من ذلك شغله الشاغل، فإنه سيبذل لهم من دينه وكرامته لكي ينال ما يطمح إليه، ويذل لهم ليكسب رضاهم[3]، وفي ذلك يقول ابن تيمية رحمه الله: وكذلك طالب الرياسة والعلو في الأرض قلبه رقيق لمن يعينه عليها، ولو كان في الظاهر مقدمهم والمطاع فيهم، فهو في الحقيقة يرجوهم ويخافهم فهو في الظاهر رئيس مطاع، وفي الحقيقة عبد مطيع لهم[4].

---

(١) أمراض النفس، د. أنس كرزون، ص ٧٧.
(٢) أمراض النفس، د. أنس كرزون، ٧٧.
(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٧٨ إلى ٩٢.
(٤) العبودية لابن تيمية، ص ٤٨ ـ ٤٩.

وهذا كلام خطير على القيادات الإسلامية أن تستوعبه وتتحرر من رقة القلب ولينه أمام مطالب الجماهير، عندما تكون مطالبهم لا تخدم دين الله وشرعه، فالحسن بن علي يعلمنا الاستعلاء بالمبادئ والقيم على حظوظ النفس الخفية، فقد تعرّض لهجوم كاسح من بعض أتباعه الذين لا يريدون الصلح مع معاوية، ومع هذا رد عليهم رداً جميلاً وحاول الارتقاء بهم، وبيَّن لهم دوافعه التي دفعته للتنازل لمعاوية، من حفظ الدماء، ووحدة الأمة، وابتغاء ما عند الله تعالى، ونجح في قيادة الأمة بأسرها لتحقيق مشروعه العظيم، ولم يتأثر بضغوط القواعد الشعبية، ولا بغيرها، وهكذا القادة الربانيون يفعلون.

لقد كان الحسن رضي الله عنه في صلحه مع معاوية مصيباً باراً راشداً ممدوحاً، وليس يجد في نفسه حرجاً ولا تلوّماً ولا ندماً، بل هو راضٍ بذلك مستبشر به[١]، وكان رضي الله عنه يرد على منتقديه بأدب جم وحجة ظاهرة، فعندما قال له أبو عامر سفيان بن الليل: السلام عليك يا مُذل المؤمنين، فقال له الحسن: لا تقل هذا يا أبا عامر لست بمُذل المؤمنين، ولكني كرِهْت أن أقتُلهم على الملك[٢] وعندما قال لهم: العار خير من النار[٣]، فقول الحسن رضي الله عنه: العار خير من النار؛ يفتح لنا آفاقاً واسعة في فقه القدوم على الله تعالى، فقد كان رضي الله عنه عاملاً به في حياته، مستوعباً لأبعاده، يظهر ذلك في سكناته وحركاته واختياراته رضي الله عنه وأرضاه.

ـ من حياة الحسن في المدينة بعد الصلح:

ترك الحسن الكوفة بعد تنازله لمعاوية ورجع بمن معه من أصحابه وبني هاشم إلى المدينة واستقر بها، وكان الهاشميون محل الإجلال والتكريم والاحترام من معاوية رضي الله عنه، وكانت زعامتهم عند الحسن بن علي رضي الله عنه، وكانت المدينة في تلك الفترة يسكنها عدد كبير من علماء الصحابة، يضاف إليهم عدد من التابعين ممن تتلمذ على الصحابة العلماء، وساروا بسيرتهم ونهجوا نهجهم، وهؤلاء كانوا خليطاً من المهاجرين والأنصار، ومن غير المهاجرين والأنصار، وقد جعل هؤلاء القوم همهم العبادة وتعليم الناس، ورواية ما حفظوه من أحاديث رسول الله ﷺ، وكانوا يدخلون فيما دخلت فيه الأمة، ولا ينزعون يداً من جماعة؛ ومن هؤلاء: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن العباس، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله[٤]. كانت أجواء المدينة خيراً على الحياة العلمية، حيث تفرغ طلاب العلم فيها لرواية الحديث، وتفسير القرآن، واستنباط الأحكام الفقهية، فقصدها الناس من أجل العلم، فقد كان بها الهدوء والاطمئنان الذي يساعد على العلم والبحث[٥].

---

(١) البداية والنهاية (١٢/ ١٤١).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق نفسه (١٢/ ٢٠٤).

(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٨٠)؛ المدينة في العصر الأموي شرّاب، ص ٨٤.

(٥) المدينة في العصر الأموي، شرّاب، ص ٦٢.

١ ـ العلاقة بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما بعد الصلح:

كان الحسن بن علي يقدم على معاوية في خلافته، فقدم عليه ذات مرة، فقال له معاوية: لأجيزنك بجائزة ما أجزت بها أحداً قبلك، ولا أجيز بها أحداً بعدك، فأعطاه أربعمئة ألف، فقبلها[(١)].

وجاء في رواية: . . . أن الحسن بن علي كان يفد كل سنة إلى معاوية، فيصله بمئة ألف درهم، فقعد سنة عنه ولم يبعث إليه معاوية بشيء، فدعا بدواة ليكتب إليه فأغفى قبل أن يكتب، فرأى النبي ﷺ في منامه كأنه يقول: يا حسن أتكتب إلى مخلوق تسأله حاجتك وتدع أن تسأل ربك؟! قال: فما أصنع يا رسول الله وقد كثر ديني؟ قال: قل: اللهم إني أسألك من كل أمر ضعفت عنه قوتي وحيلتي، ولم تنته إليه رغبتي، ولم يخطر ببالي، ولم يبلغه أملي، ولم يجرِ على لساني من اليقين الذي أعطيته أحداً من المخلوقين الأولين والمهاجرين والآخرين إلاّ خصصتني، يا أرحم الراحمين. قال الحسن: فانتبهت، وقد حفظت الدعاء، فكنت أدعو به، فلم يلبث معاوية أن ذكرني، فقيل له: لم يقدم السنة، فأمر له بمئتي ألف درهم[(٢)].

وجاء في رواية: بأن الدعاء الذي علمه رسول الله للحسن في المنام هو: اللهّم اقذف في قلبي رجاءك، وأقطع رجائي عمّا سواك حتى لا أرجو أحداً غيرك. اللهّم! ما ضعفت عنه قوتي وقصر عنه عملي، ولم تنته إليه رغبتي، ولم تبلغه مسألتي ولم يجرِ على لساني مما أعطيت أحداً من الأولين والآخرين من اليقين فخصّني به يا رب العالمين. قال: فوالله ما ألححت به أُسبوعاً حتى بعث إليّ معاوية بألف ألف وخمسمئة ألف، فقلت: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، ولا يخيّب من دعاه، فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال: يا حسن كيف أنت؟ فقلت: بخير يا رسول الله، وحدثته حديثي فقال: يا بُني هكذا من رجا الخالق، ولم يرجُ المخلوق[(٣)].

٢ ـ صلات معاوية للحسن والحسين وابن الزبير رضي الله عنهم:

أمر معاوية للحسن بن علي بمئة ألف، فذهب بها إليه فقال لمن حوله: من أخذ شيئاً فهو له. وأمر للحسين بن علي بمئة ألف فذهب بها إليه وعنده عشرة فقسمها عليهم عشرة آلاف عشرة آلاف. وأمر لعبد الله بن جعفر بمئة ألف[(٤)].

وكان معاوية إذا تلقى الحسن بن علي قال له: مرحباً وأهلاً بابن بنت رسول الله ﷺ، وإذا تلقى عبد الله بن الزبير قال له: مرحباً بابن عمة رسول الله ﷺ، وأمر للحسن بن علي بثلاثمئة

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٩).
(٢) تاريخ دمشق (١٤/ ٨).
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) تاريخ دمشق (٦٢/ ١٣٣).

ألف، لعبد الله بن الزبير بمئة ألف[(١)]، وجاءت بعض الروايات بسند حسن بأن معاوية كان دائم الوصل للحسين، ويسارع في تلبية مطالبه وحاجاته، وكان يغدق عليه العطاء[(٢)]، ولقد اعترف الشيعة أنفسهم بعطايا معاوية للحسن والحسين وعبد الله بن جعفر[(٣)].

ويبدو أن صلات الحسين بمعاوية كانت طيبة، واستمرت العلاقات بين الطرفين تتسم بكل احترام وتقدير، ولم تنقطع علاقة أهل الكوفة بالحسن والحسين بعد خروجهما من الكوفة واستقرارهما في المدينة، بل استمرت العلاقة بين الجانبين عن طريق الرسائل التي يبعث بها الكوفيون باستمرار، ولقد كانت تلك الرسائل ـ كما يبدو ـ تحمل دعوة لمعارضة الحكم القائم، كما تحمل تأكيداً بأحقيتهما في الخلافة، واستنهاض هممهم إليها، وما كانت تلك الكتب لتؤثر على الحسن بل أعطته انطباعاً وتصوراً واضحاً عن أهل التشيع في الكوفة، وأنهم أهل شر وفتنة، ولا يريدون اجتماع الأمة ووحدة كلمتها[(٤)]، قال يزيد ابن الأصم: جاءت الحسن إضبارة[(٥)] من الكتب فقال: يا جارية هات المخضب، فصب فيه الماء، وألقى الكتب في الماء، فلم يفتح منها شيئاً ولم ينظر إليها، فقلت: يا أبا محمد: ممن هذه الكتب؟ قال: من أهل العراق من قوم لا يرجعون إلى حق ولا يقصرون عن باطل، أما إني لست أخشاهم على نفسي ولكني أخشاهم على ذلك وأشار إلى الحسين[(٦)].

ولما توفي الحسن بن علي اجتمعت الشيعة في دار سليمان بن صرد وكتبوا إلى الحسين كتاباً بالتعزية في وفاة الحسن، وقالوا في كتابهم: إن الله قد جعل فيك أعظم الخلق ممن مضى، ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك، المحزونة بحزنك، والمسرورة بسرورك، المنتظرة لأمرك[(٧)]، فرد الحسين على كتابهم: إني لأرجو أن يكون رأيي رأي أخي رحمه الله في الموادعة، ورأي أخي في جهاد الظلمة رشداً وسداداً، فالصقوا بالأرض، وأخفوا الشخص، واكتموا الهوى، واحترسوا في الأضناء ما دام ابن هند حياً، فإن يحدث به حدث وأنا حي يأتكم رأيي إن شاء الله[(٨)].

ولقد كانت مكانة الحسين رضي الله عنه من المسلمين بعد وفاة الحسن مكانة لا تنكر، وأصبح

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١١/ ٩٤) بسند حسن، مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ص ١٧٧.

(٣) انظر جلاء العيون للمجلسي، ص ٣٧٦، والكافي في الفروع، كتاب الحقيقة، باب الأسماء والكنى (٦/ ١٩)؛ الأمالي للطوسي (٢٢/ ٣٣٤)؛ شرح ابن أبي الحديد (٢/ ٨٢٣)، وقد فصل الدكتور محمد الشيباني في كتابه: مواقف المعارضة في خلافة يزيد حول الحسين، ص ١٧٧.

(٤) مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ص ١٧٨.

(٥) إضبارة: الإضبارة: الحُزمة من الصُّحُف، لسان العرب (٤/ ٤٧٩).

(٦) المعرفة والتاريخ (٢/ ٧٥٦) بإسناد حسن؛ معجم الطبراني، وقال في المجمع (٦/ ٢٤٣): ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن الحكم بن أبي زياد، وهو ثقة.

(٧) أنساب الأشراف (٣/ ١٥٢) بإسناد جمعي؛ الأخبار الطوال، ص ٢٢١، ٢٢٢.

(٨) المصدر السابق نفسه (٣/ ١٥٢)، مواقف المعارضة، ص ١٧٩.

هناك شعور قوي بأن المرشح الوحيد بعد وفاة معاوية للخلافة هو الحسين بن علي رضي الله عنهما، وقد كان يزوره كبار أهل الحجاز وزعماء الكوفة وهم لا يشكون في أنه سيكون الخليفة بعد معاوية[١]، ولم تقتصر محاولات الكوفيين على طلب الحسين فقط، بل إنهم طلبوا من محمد ابن الحنفية القدوم عليهم، فانتبه إلى خطورة أهل الكوفة عليه وعلى آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأخذ يحذر الحسين من الانجرار وراءهم وتصديق مزاعمهم، ومما قاله للحسين: إن القوم يريدون أن يأكلوا بنا ويشيطوا دماءنا[٢].

ولقد أثارت تلك الرسائل المتبادلة بين الحسين وأهل الكوفة، مخاوف بني أمية في المدينة، فكتبوا إلى معاوية يستشيرونه بشأن الحسين: فكتب إليهم بأن لا يتعرَّضوا له مطلقاً[٣]، ولا يمكن أن تخفى تلك الرسائل على معاوية، ولا العلاقات الوثيقة التي تربط بين الحسين وبين الكوفيين، ولهذا فقد طلب معاوية من الحسين: أن يتقي الله عز وجل، وأن لا يشق عصا المسلمين، ويذكره بالله في أمر المسلمين[٤]. ولقد كان الحسن والحسين رضي الله عنهما مخلصين لعهدهما، والتزما بيعتهما لمعاوية، وكان الحسين يرى أن الصلح له ملزم في ظل حياة الحسن ومعاوية، وكذلك بعد وفاة أخيه.

٣ ـ هل يصح اتهام معاوية بسمّ الحسن بن علي رضي الله عنهما؟:

ذكرت بعض الروايات: أن الحسن بن علي توفي متأثراً بالسم الذي وضع له، وقد اتجهت أصابع الاتهام نحو زوجة الحسن: جعدة بنت الأشعث بن قيس أمير كندة، فهذه أم موسى سرية علي تتهم جعدة بأنها دست السم للحسن، فاشتكى منه شكاة، فكان يوضع تحته طست[٥] وترفع أخرى نحواً من أربعين يوماً[٦]. وهذه رواية إسنادها لا يصح وهي ضعيفة[٧]، وحاول البعض من الأخباريين والرواة أن يوجد علاقة بين البيعة ليزيد ووفاة الحسن، وزعموا أن يزيد بن معاوية أرسل إلى جعدة بنت قيس: أن سمي حسناً؛ فإني سأتزوجك، ففعلت، فلما مات الحسن بعثت جعدة إلى يزيد تسأله الوفاء، فقال: إنا والله لم نرضك له أفنرضاك لأنفسنا[٨]؟! وفي سندها يزيد بن عياض، ابن جعدية؛ كذبه مالك وغيره[٩].

---

(١) المصدر السابق نفسه (٣/ ١٥٢) بإسناد جمعي، نقلاً عن مواقف المعارضة في خلافة يزيد، ص ١٧٩.

(٢) الطبقات لابن سعد (٥/ ٣٥٦). يشيطوا دماءنا: يسفكوا دماءنا.

(٣) أنساب الأشراف (٣/ ١٥٢)؛ مواقف المعارضة، ص ١٧٩.

(٤) المصدر السابق نفسه ص ١٨٠.

(٥) طست: إناء معلوم.

(٦) الطبقات، تحقيق: السُّلمي (١/ ٣٣٨)، إسناده ضعيف.

(٧) المصدر السابق نفسه.

(٨) تهذيب الكمال (٦/ ٤٥٣)، وفي السند يزيد بن عياض كذبه مالك وغيره.

(٩) تقريب التهذيب، ٦٠٤.

وقريباً من هذه الرواية جاءت في مقاتل الطالبيين، بإسناده عن أحمد بن عبد الله بن عمار، وهو من رؤوس الشيعة[١]، وفي أسانيده أيضاً عيسى بن مهران رافضي كذاب، قال عنه الخطيب: من شياطين الرافضة[٢]. وذكر البلاذري[٣] بسند عن الهيثم بن عدي: أن الذي بعث لها معاوية بمئة ألف هي هند بنت سهيل بن عمرو زوجة الحسن، والهيثم بن عدي كذاب[٤]، وقد شربت هذه الروايات في كتب السنة بدون تمحيص، مع العلم أن أسانيد تلك الروايات ضعيفة[٥]، وأما كتب الشيعة الإماميَّة في اتهام معاوية في قتل الحسن بالسّم فحدِّث ولا حرج، وليس لهم روايات صحيحة يعتمد عليها، والقوم متخصِّصون في الكذب والبهتان وإلصاق التهم الباطلة، والروايات الظالمة في الطعن في الصحابة وخصوصاً معاوية، وقد تحدث العلماء المحققون عن هذه التهمة الباطلة فقالوا:

أ ـ قال ابن العربي: فإن قيل: دس على الحسن من سمَّه، قلنا: هذا محال من وجهين: أحدهما: أنه ما كان ليتقي من الحسن بأساً وقد سلَّم الأمر، الثاني: أنه أمر مغيب لا يعلمه إلا الله، فكيف تحملونه بغير بيِّنة على أحد من خلقه، في زمن متباعد، ولم نثق فيه بنقل ناقل، بين أيدي قوم ذوي أهواء، وفي حال فتنةٍ وعصبية، ينسب كل واحد إلى صاحبه ما لا ينبغي، فلا يقبل منها إلا الصافي، ولا يسمع فيها إلا من العدل الصميم[٦].

ب ـ وقال ابن تيمية: وأما قوله: معاوية سمّ الحسين، فهذا مما ذكره بعض الناس، ولم يثبت ذلك ببينة شرعية، أو إقرار معتبر، ولا نَقْل يجزم به، وهذا مما لا يمكن العلم به، فالقول به قول بلا علم[٧]. وقد جاء عن ابن تيمية في رده عن اتهام معاوية بسمّ الحسن، وأنه أمر الأشعث بن قيس بتنفيذ هذه الجريمة، وكانت ابنته تحت الحسن؛ ما يدل على قدرة ابن تيمية للنقد العلمي القوي للروايات التاريخية؛ حيث قال: وإذا قيل: إن معاوية أمر أباها كان هذا ظناً محضاً، والنبي ﷺ قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث...» ثم إن الأشعث بن قيس مات سنة أربعين، وقيل: سنة إحدى وأربعين، ولهذا لم يذكر في الصلح الذي كان بين معاوية والحسن بن علي في العام الذي كان يسمى عام الجماعة وهو عام واحد وأربعين، وكان الأشعث حما

(١) ميزان الاعتدال (١/ ١١٨).
(٢) لسان الميزان (٤/ ٤٠٦).
(٣) أنساب الأشراف (٣/ ٥٩)، فيه الهيثم بن عدي بن كلاب.
(٤) مواقف المعارضة، ص ١٢٢.
(٥) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص ٣٩٣.
(٦) العواصم من القواصم، ص ٢٢٠ـ٢٢١.
(٧) منهاج السنة النبوية (٤/ ٤٦٩).

الحسن ابن علي، فلو كان شاهداً لكان يكون له ذكر في ذلك، وإذا كان قد مات قبل الحسن بنحو عشر سنين؛ فكيف يكون هو الذي أمر ابنته[(١)]؟!.

ج ـ **وقال الذهبي**: قلت: هذا لا يصلح فمن الذي اطلع عليه[(٢)]؟!.

د ـ **وقال ابن كثير**: روى بعضهم: أن يزيد بن معاوية بعث إلى جعدة بنت الأشعث: أن سُمِّي الحسن وأنا أتزوجك بعده، ففعلت، فلما مات الحسن بعثت إليه، فقال: إنا والله لم نرضك للحسن أفنرضاك لأنفسنا؟! وعندي: أن هذا ليس بصحيح، وعدم صحته عن أبيه معاوية بطريق الأولى والأحرى[(٣)].

هـ ـ **وقال ابن خلدون**: وما نقل من أن معاوية دس إليه السم مع زوجته جعدة بنت الأشعث، فهو من أحاديث الشيعة وحاشا لمعاوية من ذلك[(٤)].

و ـ **الدكتور جميل المصري**: وقد علق على هذه القضية بقوله: ... ثم حدث افتعال قضية سم الحسن من قبل معاوية أو يزيد.. ويبدو أن افتعال هذه القضية لم يكن شائعاً آنذاك، لأننا لا نلمس لها أثراً في قضية قيام الحسين، أو حتى عتاباً من الحسين لمعاوية[(٥)].

وقد ناقش الدكتور خالد الغيث في كتابه (مرويات معاوية في تاريخ الطبري) الجانب الطبي في المرويات التي تحدثت عن وفاة الحسن، وفيما يلي النصوص الخاصة بالجانب الطبي في هذه المسألة. فقد أخرج ابن سعد بإسناده: أن الحسن رضي الله عنه: دخل كنيفاً له، ثم خرج فقال: ... والله لقد لفظت الساعة طائفة من كبدي، قلبتها بعود كان معي، وإني سقيت السم مراراً فلم أسقَ مثل هذا[(٦)]، وأخرج ابن سعد بإسناده: أن الحسن رضي الله عنه قال: إني سقيت السم غير مرة وإني لم أُسق مثل هذه، إني لأضع كبدي[(٧)]، وأخرج ابن سعد بإسناده، قال: كان الحسن بن علي سقي السم مراراً، كل ذلك يفلت منه، حتى كان المرة الأخيرة التي مات فيها، فإنه كان يختلف[(٨)] كبده[(٩)].

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال، ص ٢٦٦.
(٢) تاريخ الإسلام، عهد معاوية، ص ٤٠.
(٣) البداية والنهاية (٨/ ٤٣).
(٤) تاريخ ابن خلدون (٢/ ٥٢٧).
(٥) أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية، ص ٤٨٢؛ مرويات خلافة معاوية، ص ٣٩٥.
(٦) الطبقات، تحقيق: السُّلمي (١/ ٣٣٥)، إسناده ضعيف.
(٧) المصدر السابق نفسه (١/ ٣٣٨)، إسناده ضعيف.
(٨) يختلف: المراد يتردد على الحمام مما به من الألم، حتى إن كبده تقطع وتنزل من المخرج.
(٩) الطبقات، تحقيق: السُّلمي (١/ ٣٣٩)، إسناده ضعيف.

وقد عرضت النصوص المتعلقة بالجانب الطبي في هذه المسألة على أ . د كمال الدين حسين الطاهر ، أجاب بقوله : لم يشتكِ المريض[(١)] من أي نزف دموي سائل ، مما يرجح عدم إعطائه أي مادة كيميائية (أو سمّ) ذات قدرة على إحداث تثبيط لعوامل تخثر الدم ، فمن المعروف أن بعض الكيميائيات ، والسموم ، تؤدي إلى النزيف الدموي ، وذلك لقدرتها على تثبيط التصنيع الكبدي لبعض العوامل المساعدة على تخثر الدم ، أو لمضادات تأثيراتها في عملية التخثر ؛ ولذلك فإن تعاطي هذه المواد سيؤدي إلى ظهور نزف دموي في مناطق متعددة من أعضاء الجسم مثل العين ، والأنف ، والفم والجهاز المعدي ـ المعوي ـ؛ يخرج الدم بشكل نزف دبري سائل ، منفرداً أو مخلوطاً مع البراز ، ولا يظهر في شكل جمادات أو قطع دموية ، صلبة كانت أو إسفنجية ، أو في شكل قطع من الكبد ، ولذلك يستبعد إعطاء ذلك المريض أحد المواد الكيميائية ، أو السموم ذات القدرة على إحداث نزيف دموي[(٢)] .

وعن طبيعة قطع الدم المتجمد التي أشارت الروايات إلى أنها قطع من الكبد ، يقول أ . د كمال الدين حسين الطاهر : هنالك بعض أنواع سرطانات ، أو أورام الجهاز المعدي المعوي ، الثابتة أو المتنقلة عبر الأمعاء ، أو بعض السرطانات المخاطية التي تؤدي إلى النزف الدموي المتجمِّد ، المخلوط مع الخلايا ، وبطانات الجهاز المعدي ـ المعوي ـ ، وقد تخرج بشكل جمادات ـ قطع من الكبد كما في الروايات ـ ، ولذلك فإني أرجح أن ذلك المريض قد يكون مصاباً بأحد سرطانات ، أو أورام الأمعاء[(٣)] .

وهذا التحليل الطبي اعتمد روايات ضعيفة ، وبالتالي يصعب التسليم بالنتيجة التي وصل إليها ، وبالنسبة لسمّ الحسن رضي الله عنه ، فنحن لا ننكر هذا ، فإذا ثبت أنه مات مسموماً فهذه شهادة له وكرامة في حقه[(٤)] .

وأما اتهام معاوية وابنه فهذا لا يثبت من حيث السند ، كما مر معنا ، ومن حيث المتن ، وهل جعدة بنت الأشعث بن قيس بحاجة إلى شرف أو مال ـ كما تذكر الروايات . حتى تسارع لتنفيذ هذه الرغبة من يزيد ، وبالتالي تكون زوجة له؟! أليست جعدة ابنة أمير قبيلة كندة كافة وهو الأشعث بن قيس؟! ثم أليس زوجها وهو الحسن بن علي أفضل الناس شرفاً ورفعة بلا منازعة؟! إن أمه فاطمة ، وجده الرسول ﷺ وكفى به فخراً ، وأبوه علي بن أبي طالب أحد العشرة المبشرين بالجنة ورابع الخلفاء الراشدين ، إذاً ما هو الشيء الذي تسعى إليه جعدة وتحصل عليه حتى تنفذ

---

(١) مرويات خلافة معاوية ، ص ٣٩٦ . المراد بالمريض : الحسن بن علي .

(٢) مرويات خلافة معاوية ، ص ٣٩٦ .

(٣) المصدر السابق نفسه ، ص ٣٩٧ .

(٤) منهاج السنة (٤/ ٤٢) .

هذا العمل الخطير[١]؟! إن هناك الكثير الذين هم أعداء للوحدة الإسلامية، وزادهم غيظاً وحنقاً ما قام به الحسن بن علي، كما أن قناعتهم قوية بأن وجوده حياً صمام أمان للأمة، فهو إمام ألفتها، وبالتالي حتى تضطرب الأحداث وتعود الفتن إلى ما كانت عليه فلا بد من تصفيته وإزالته، فالمتهم الأول في نظري هم السبئية أتباع عبد الله ابن سبأ؛ الذين وجه لهم الحسن صفعة قوية عندما تنازل لمعاوية وجعل حداً للصراع، ثم الخوارج الذين قتلوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وهم الذين طعنوه في فخذه، فربما أرادوا الانتقام من قتلاهم في النهروان وغيرها[٢].

٤ ـ رؤية الحسن بن علي في المنام واقتراب أجله:

عن عمران بن عبد الله بن طلحة، قال: رأى الحسن بن علي كأن بين عينيه مكتوب: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾، فاستبشر به وأهل بيته، فقصوها على سعيد بن المسيب فقال: إن صدقت رؤياه فَقَلَّ ما بقي من أجله، فما بقي إلا أياماً[٣].

٥ ـ الأيام الأخيرة من حياة الحسن:

وفي حياته بالمدينة سقي السم مراراً، ثم لما كانت المرة الأخيرة جاء الطبيب فقال: هذا رجل قد قطع السمُّ أمعاءه[٤]، وقال عمير بن إسحاق: دخلت أنا ورجل من قريش على الحسن بن علي، فقام فدخل المخرج، ثم خرج فقال: لقد لفظت طائفة من كبدي أقلبها بهذا العود، ولقد سقيت السم مراراً، وما سقيت السم مرة هي أشد من هذه، قال: وجعل يقول لذلك الرجل: سلني قبل أن لا تسألني، قال: ما أسألك شيئاً، يعافيك الله، قال: فخرجنا من عنده، ثم عدنا إليه من غد وقد أخذ في السَّوْق ـ أي: نزع الموت ـ فجاء حسين حتى قعد عند رأسه، فقال: أي أخي! من صاحبك؟ قال: تريد قتله؟ قال: نعم، قال: لئن كان صاحبي الذي أظن؛ لله أشد لي نقمة، وإن لمن يكنه، ما أحب أن تقتل بي بريئاً[٥].

أ ـ وصية الحسن للحسين رضي الله عنهما:

قال ابن عبد البر: وروينا من وجوه: أن الحسن بن علي لما حضرته الوفاة قال للحسين أخيه: يا أخي! إنَّ أبانا رحمه الله تعالى لما قبض رسول الله ﷺ استشرف لهذا الأمر، رجاء أن يكون صاحبه، فصرفه الله عنه، ووليها أبو بكر، فلما حضرت أبو بكر الوفاة تشوف لها أيضاً، فصرفت عنه، إلى عمر، فلما احتضر عمر جعلها شورى بين ستة هو أحدهم، فلم يشك أنها لا تعدوه،

---

(١) مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ص ١٢٣.

(٢) مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ص ١٢٤.

(٣) الطبقات، تحقيق: السُّلمي (١/ ٣٣٤)، إسناده منقطع، عمران لم يدرك الحسن.

(٤) الدوحة النبوية الشريفة، ص ٩٧، ٩٨.

(٥) الطبقات، تحقيق: السُّلمي (١/ ٣٣٥)، إسناده ضعيف.

فصرفت عنه إلى عثمان فلما هلك عثمان بويع، ثم نوزع حتى جرّد السيف وطلبها، فما صفي له شيء منها، وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت، النبوة والخلافة، فلا أعرفنك ما استخفك سفهاء الكوفة فأخرجوك[١]، ولم يذكر ابن عبد البر أسانيده في الرواية، وأما المتن ففيه نكارة، كما أنه ينافي ما ثبت عن علي رضي الله عنه في تقديمه لأبي بكر وعمر في الخلافة، وقد بينت ذلك في كتبي عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

ب ـ تفكره في ملكوت السماء واحتسابه نفسه عند الله:

لما حُضر الحسن بن علي قال: أخرجوني إلى الصَّحْنِ حتى أنظر في ملكوت السموات ـ يعني الآيات ـ، فأخرجوا فِراشه، فرفع رأسه، فنظر فقال: اللهّم إني أحتسب نفسي عندك، فإنها أعزُّ الأنفس عليَّ. قال: فكان مما صنع الله له أنه احتسب نفسه عنده[٢]. وجاء في رواية: اللهم إني أحتسب نفسي عندك، فإني لم أَصَبْ بمثلها، غير رسول الله ﷺ[٣]، ويظهر في هذا الموقف العظيم والمشهد الرهيب صدق توجه الحسن لله وحده المتفرد بالكبرياء والعظمة والجبروت، وفي هذه العبارات تتفجر معاني الخضوع والتذلل لله عز وجل، مع كمال الرجاء وتعلق قلبه بالله وحده، فلا ينبغي أن تتعلق قلوبنا بغير الله عز وجل.

كما أنه وهو يودع هذه الدنيا لا ينسى عبادة التفكر في ملكوت السموات وما فيها من المخلوقات المتنوعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

ثم نظر إلى نفسه التي هي أعز الأنفس عليه غير رسول الله ﷺ، فاحتسبها عند الله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]؛ فإن التأمل والتفكر في الكون والنفس وآيات الله المنظورة داعٍ قوي للإيمان، لما في هذه الموجودات من عظمة الله الخالق الدالة على قدرة خالقها وعظمته؛ وما فيها: من الحسن والانتظام، والإحكام الذي يحيِّر الألباب، الدال على سعة علم الله، وشمول حكمته؛ وما فيها من أصناف المنافع والنعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، الدالة على سعة رحمة الله، وجوده وبره، وذلك كله يدعو إلى تعظيم مبدعها، وبارئها، وشكره واللهج بذكره؛ وإخلاص الدين له، وهذا هو روح الإيمان وسره[٤].

وإذا تأمَّلنا في مخلوقات الله كلها، نجدها مضطرة ومحتاجة إلى ربها من كل الوجوه، وأنها لا تستغني عنه طرفة عين، خصوصاً ما تشاهده في نفسك من أدلة الافتقار وقوة الاضطرار، وذلك

---

(١) الاستيعاب (١/ ٣٩١).
(٢) البداية والنهاية (١١/ ٢٠٩).
(٣) صفة الصفوة (١/ ٧٦٢).
(٤) شجرة الإيمان للسعدي، ص ٤٩؛ والوسطية في القرآن الكريم للصَّلاَّبي، ص ٢٣٩.

يوجب للعبد كمال الخضوع وكثرة الدعاء والتضرع إلى الله: في جلب ما يحتاجه من منافع دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ويوجب له قوة التوكل على ربه، وكمال الثقة بوعده، وشدة الطمع في بره وإحسانه، وبهذا يتحقق الإيمان، ويقوى التعبد؛ فإن الدعاء مخ العبادة وأصلها[١].

فالحسن بن علي رضي الله عنهما أتقن عبادة التفكر وهو في لحظاته الأخيرة من هذه الحياة الدنيا، وعلمنا معنى عظيماً وكبيراً في المفهوم الشامل للعبادة، فقد احتسب نفسه عند ربه، وهكذا يفهم الصحابة معاني الاحتساب عند الله، وكان معاذ رضي الله عنه قد أجاب أبا موسى الأشعري عندما قال له: فكيف تقرأ يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي[٢]، فالأكل وجماع الرجل لأهله، إذا احتسبه المسلم عند الله فيه الأجر والمثوبة من الله تعالى، والحسن بن علي يحتسب نفسه عند الله، ويودع الدنيا بعبادة التفكر وعبادة الاحتساب في المصائب، فقد كان رضي الله عنه لسان حاله قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣].

ج ـ يا أخي إني أدخل في أمر من أمر الله لم أدخل في مثله قط، وأرى خلقاً من خلق الله لم أر مثله قط[٣]:

قال أبو نعيم[٤]: لما اشتد بالحسن بن علي الوجع جزع، فدخل عليه رجل فقال له: يا أبا محمد، ما هذا الجزع؟! ما هو إلا أن تفارق روحُك جسدك، فتقدم على أبويك عليٍّ وفاطمة، وعلى جَدَّيْك النبيِّ ﷺ وخديجة، وعلى أعمامك حمزة وجعفر، وعلى أخوالك القاسم والطيب وإبراهيم، وعلى خالاتك رقية وأمِّ كلثوم وزينب. قال: فُسرِّيَ عنه[٥].

وفي رواية: أن القائل له ذلك الحسين، وأن الحسن قال له: يا أخي، إني أدخُلُ في أمر من أمر الله لم أدخل في مثله قطّ، وأرى خلقاً من خلق الله لم أرَ مثله قط. قال: فبكى الحسين رضي الله عنه[٦]. وفي رواية: يا أخي إني أقدم على أمر عظيم وهول لم أقدم على مثله قط[٧].

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، ص ٥١؛ الوسطية للصَّلاَّبي، ص ٢٣٩.
(٢) البخاري، كتاب المغازي، رقم ٤٣٤٢.
(٣) البداية والنهاية (١١/ ٢١٠).
(٤) هو الفضل بن دكين.
(٥) البداية والنهاية (١١/ ٢١٠).
(٦) تاريخ دمشق (١٤/ ١٠٩).
(٧) تهذيب الكمال (٦/ ٢٥٤)؛ سكب العبرات (١/ ١٤٨).

إي والله، وقد بيَّن المولى عز وجل في كتابه وسنة رسوله تفصيل مسيرة الإنسان منذ خروج روحه إلى أن يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، ولذلك كان السلف يخافون من سوء الخاتمة، فلا يدري أحد بماذا يُختم له؟ فالأعمال بالخواتيم، والمؤمنون يخافون من سوء الخاتمة عند كل خطوة وعند كل حركة، وهم الذين وصفهم الله تعالى: ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، ويخافون من سكرات الموت، وقبض الروح، ومعرفة المصير، وكان رسول الله ﷺ يقول: «اللهمّ هوّن علي سكرات الموت(١)». ومع الخوف من سكرات الموت يكون أيضاً الخوف من صورة ملك الموت، ودخول الروع والخوف منه على القلب(٢)، يقول القرطبي: وأما مشاهدة ملك الموت ـ عليه السلام ـ وما يدخل على القلب منه من الروع والفزع، فهو أمر لا يُعَبر عنه لعظم هوله، وفظاعة رؤيته، ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الذي يتبدَّى له، ويطلع عليه(٣). ومع الخوف الذي ينبغي أن يلازمنا من سكرات الموت وصورة ملكه فإن الأمر الخطير الذي من شأنه أن يزيدنا خوفاً على خوفنا هو: ظهور نتيجة امتحان الدنيا في ذلك الوقت؛ فهل سنكون ممن تقول لهم الملائكة: ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]؟ أم سنكون: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠]؟

قال النبي ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه». فقالت عائشة: إنَّا لنكره الموت، فقال: «ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّر برضوان من الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله، وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضره الموت بُشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله، وكره الله لقاءه»(٤).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خرجت روح العبد المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها ـ فذكر من طيب ريحها ـ ويقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك، وعلى جسد كنت تعمرينه، فيُنطلق به إلى ربه ثم يقول: انطلقوا به إلى آخر الأجل، وإن الكافر إذا خرجت روحه ـ فذكر من نتنها ـ ويقول أهل السماء: روح خبيثة جاءت من قبل الأرض، فيقال: انطلقوا به إلى آخر الأجل(٥) وللقبر ضمة وضغطة لا ينجو منها

(١) الترمذي، كتاب الجنائز، رقم ٩٧٨.
(٢) الإيمان أولاً، ص ٩٤.
(٣) التذكرة (١/ ١١٣).
(٤) البخاري، رقم ٦٥٠٧.
(٥) صحيح مسلم، صحيح الجامع، رقم ٥٠٤.

أحد». كما قال رسول الله ﷺ: «إن للقبر ضغطة لو نجا أحد منها لنجا سعد بن معاذ»[١]، والقبر ـ كما قال ﷺ: «حفرة من حفر جهنم أو روضة من رياض الجنة»[٢].

وأمامنا الحشر ومجيء الساعة وقيام القيامة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، إنه يوم عصيب: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، فالجميع سيحشر بداية من أبي البشر حتى آخر إنسان تقوم عليه الساعة[٣]: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣]، وقد تحدث القرآن الكريم والرسول عليه الصلاة والسلام على أهوال يوم القيامة، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢١ ـ ٢٤]. وقال ﷺ: «يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»[٤] فيا لـه من مشهد مهيب تنفطر منه القلوب[٥]، ولذلك قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: العار خير من النار[٦]، ولذلك خشي على نفسه الزكية أن تحاسب بين يدي الله يوم القيامة، وقد قال ﷺ: «أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»[٧].

ومن مشاهد يوم القيامة المفزعة قول رسول الله ﷺ: «يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده، وأوداجه تشخبُ دماً، فيقول: يا رب سل هذا فيم قتلني؟ حتى يُدنيه من العرش»[٨] نعم إنها أهوال عليها قادمون، فإذا كان سيد شباب أهل الجنة يخشى على نفسه في دخوله على أمر من أمر الله لم يدخل في مثله قط، فكيف بأمثالي وأمثالك يا أيها القارئ الكريم، فيجب أن نعتبر ونعمل لمثل هذا الموقف العصيب، نسأل الله أن يرحمنا ويعفو عنا برحمته وعفوه، إنه كريم حليم وودود رحيم.

٦ ـ دفنه في البقيع:

لما احتضر الحسن بن علي قال للحسين: ادفنوني عند أبي ـ يعني: النبي ﷺ ـ إلا أن تخافوا الدماء، فإن خفتم الدماء فلا تهريقوا فيّ دماً، ادفنوني عند مقابر المسلمين، فلما قبض تسلح الحسين وجمع مواليه، فقال له أبو هريرة: أنشدك الله وصية أخيك؛ فإن القوم لن يدعوك حتى

(١) مسند أحمد (٦/ ٥٥)، رجاله رجال الصحيح.
(٢) سنن الترمذي، رقم ٢٥٧٨، حديث غريب.
(٣) الإيمان أولاً فكيف نبدأ به، ص ٩٦.
(٤) مسلم، كتاب صفة النار، صحيح الجامع، رقم ٨٠٠١.
(٥) رحلة إلى الدار الآخرة، ص ٣٩٠.
(٦) البداية والنهاية (١٢/ ٢٠٤).
(٧) أخرجه البخاري، ومسلم، وأحمد عن مسعود، صحيح الجامع، رقم ٢٥٧٧.
(٨) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم ٨٠٣١.

يكون بينكم دماء. وكان مروان بن الحكم قد عارض دفنه في جوار النبي ﷺ وقال: لا يدفن هناك أبداً، فلم يزل به أبو هريرة، وجابر بن عبد الله، وابن عمر، وعبد الله بن جعفر، والمسور بن مخرمة وغيرهم، حتى رجع، ثم دفنوه في بقيع الغرقد بجانب أمه الزهراء البتول(١).

وقد اختلطت الروايات الضعيفة في حادثة دفن الحسن بن علي رضي الله عنهما، ووجد أصحاب الأغراض مجالاً للدس والتشويه والتزوير، فقد زعم بعضهم بأن السيدة عائشة رفضت دفن الحسن بجانب رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وقالت: لا يكون لهم رابع أبداً، وإنه لبيتي أعطانيه رسول الله ﷺ في حياته. فإن هذا لا يثبت وإسناده مظلم(٢).

وقد أثبت ابن تيمية بأن السيدة عائشة أذنت للحسن بأن يدفن في حجرتها، ولكن كره ذلك ناس آخرون، ورأو أن عثمان ـ رضي الله عنه ـ لما لم يدفن فيها فلا يدفن فيه غيره، وكادت تقوم فتنة(٣)، وما تزعمه كتب التاريخ بأن أبان بن عثمان بن عفان قال: إن هذا لهو العجب العجاب، يدفن ابن قاتل عثمان مع رسول الله وأبي بكر وعمر، ويدفن أمير المؤمنين المظلوم الشهيد ببقيع الغرقد(٤)، فهذا إسناده ضعيف جداً، وفي متنه نكارة(٥).

وهناك روايات ذكَرت اعتراض مروان بن الحكم على دفن الحسن بجانب النبي ﷺ، إلا أن أسانيدها ضعيفة، وقد ذكرها الدكتور محمد صامل السُّلمي في تحقيقه لكتاب الطبقات(٦)، وإنما الرواية الصحيحة في هذا المقام هي ما رواه أبو حازم؛ حيث قال: لما احتضر الحسن، قال للحسين: ادفنوني عند أبي ـ يعني: النبي ﷺ ـ إلا أن تخافوا الدماء، فإن خفتم الدماء فلا تهريقوا فيَّ دماً، ادفنوني عند مقابر المسلمين، قال: فلما قبض؛ تسلح الحسين وجميع مواليه، فقال أبو هريرة: أنشدك الله ووصية أخيك، فإن القوم لن يدعوك حتى يكون بينكم دماً، قال: فلم يزل به حتى رجع. قال: ثم دفنوه في بقيع الغرقد(٧)، فقال أبو هريرة: أرأيتم لو جيء بابن موسى ليدفن مع أبيه فمُنِعَ أكانوا قد ظلموه؟(٨) قال: فقالوا: نعم، قال: فهذا ابن نبي الله قد جيء به ليدفن مع أبيه(٩).

---

(١) الدوحة النبوية الشريفة، ص ٩٨.
(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧٦).
(٣) الفتاوى (٢٧/ ٢٢٢).
(٤) الطبقات، تحقيق: السُّلمي (١/ ٣٥٥)، إسناده ضعيف جداً.
(٥) المصدر السابق نفسه.
(٦) الطبقات، تحقيق: السُّلمي (١/ ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦٤)، فقد بين ضعف أسانيد الروايات.
(٧) الغرقد: مقبرة أهل المدينة، والغرقد: كبار العوسج، وبه سميت المقبرة.
(٨) الطبقات، تحقيق: السُّلمي (١/ ٣٤٠)، إسناده صحيح.
(٩) المصدر السابق نفسه.

وقد صلى على الحسن بن علي سعيد بن العاص وكان يبكي، وكان مرضه الذي مات فيه أربعين يوماً[١]، وقد قدم الحسين بن علي سعيد بن العاص للصلاة على الحسن، لأنه كان والياً على المدينة لمعاوية، وقد اعتزل الفتنة ولم يقاتل مع معاوية، وقد ولي إمرة الكوفة لعثمان بن عفان، وفيه يقول الفرزدق:

ترى الغُرّ[٢] الجحاجح[٣] من قُريش   إذا ما الأمر ذو الحدثان[٤] عالا[٥]
قياماً ينظرون إلى سعيد   كأنَّهم يرون به هلالا[٦]

وقد كان سعيد بن العاص أحد من ندبه عثمان لكتابة المصحف لفصاحته، وشبه لهجته بلهجة رسول الله ﷺ[٧].

ووقف أبو هريرة على مسجد رسول الله يبكي وينادي بأعلى صوته: يا أيها الناس مات اليوم حب رسول الله ﷺ فابكوا[٨]، وقد اجتمع الناس لجنازته، حتى ما كان البقيع يسع أحداً من الزحام[٩]، ولو طرحت إبرة ما وقعت إلا على رأس إنسان[١٠].

وقد كان الحسن رضي الله عنه، حليماً ورعاً فاضلاً، دعاه ورعه إلى ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله، وقال عنه الذهبي: وكان هذا الإمام سيداً وسيماً، جميلاً عاقلاً، رزيناً، جواداً، ممدَّحاً، خيراً، ديناً، ورعاً، محتشماً، كبير الشأن[١١]، فرحمة الله ورضوانه على هذا السيد الجليل، وجمعنا الله به مع النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين. ففي سيرته عبرة لمن اعتبر، وتبصرة لمن ادّكر، ورحم الله العلامة محمد إقبال إذ قال:

في روض فاطمة نما غصنان لم   ينجبهما في النيِّرات سواها
فأمير قافلة الجهاد وقطب دائرة   الوئام والاتحاد ابناها
حسن الذي صان الجماعة بعدما   أمسى تفرقها يحلُّ عُراها

---

(١) المستدرك على الصحيحين (٣/ ١٩٠).
(٢) الغُرّ: جمع غِر: وهو الأبيض الغرة.
(٣) الجحاجح: جمع جحجاح: السيد السمح الكريم.
(٤) الحدثان: ما يحدث من نوائب الدهر.
(٥) عال: أثقل وقدح.
(٦) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤٥).
(٧) المصدر السابق نفسه (٣/ ٤٤٨، ٤٤٩).
(٨) البداية والنهاية (١٢/ ٢١١)؛ الدوحة النبوية الشريفة، ص ٩٨.
(٩) البداية والنهاية (١٢/ ٢١١).
(١٠) الطبقات، تحقيق: السُّلمي (١/ ٣٥١)، إسناده ضعيف.
(١١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٥٣).

تـرك الإمـامـة ثـم أصبـح فـي الـديـار إمـام ألفتهـا وحسـن عُـلاهـا[١]

٦ ـ التحقيق في سنة وفاته وعمره:

كانت وفاة الحسن بن علي على أكثر الآراء في سنة تسع وأربعين من الهجرة[٢]، وقيل: سنة الخمسين[٣]، وقيل: سنة إحدى وخمسين[٤] وقد رجح الدكتور خالد الغيث بأن وفاة الحسن بن علي في سنة ٥١ هـ[٥]، وهو قول البخاري[٦]، وإليه أميل، وقال جعفر بن الصادق: عاش الحسن سبعاً وأربعين سنة[٧]، وعلق الذهبي بقوله: وغلط من نقل عن جعفر أن عمره ثمان وخمسون سنة[٨]، وقال الدكتور خالد الغيث: توفي وعمره ثمان وأربعون[٩]، وأكد ما ذهب إليه بقول ابن عبد البر: إن ولادة الحسن بن علي: في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، هذا أصح ما قيل في ذلك[١٠]، وبذلك جزم ابن حجر[١١]، وبذلك يكون عمر الحسن عند وفاته ثماني وأربعين سنة، وأنه توفي سنة ٥١ هـ. والله تعالى أعلم[١٢].

وهكذا خرج الحسن بن علي من الدنيا شهيداً رضي الله عنه، بأيدي الغدر والخيانة، بعد أن قدم عملاً جليلاً ومشروعاً إصلاحياً فريداً ساهم في وحدة الأمة، وأعاد دورها الحضاري في نشر دين الله في الآفاق، وستظل الأمة الإسلامية مدينة لهذا السيد الجليل الذي حمل لواء الوحدة والألفة، وحفظ الدماء، وساهم في الإصلاح بين الناس، وقدم بجهاده الرائع، وبصبره الجميل، مثالاً يقتدى به على مر العصور، وكرّ الدهور وتوالي الأزمان، فمواقفه الشامخة واستعلاؤه الكبير على حطام الدنيا، حفظها لنا التاريخ ولم تهملها الليالي ولم تفصلها عنا حواجز الزمن ولا أسوار القرون.

* * *

(١) الدوحة النبوية الشريفة ص ٩٩.
(٢) تاريخ خليفة ص ٢٠٩، أنساب الأشراف (٣/ ٦٤)، تهذيب الكمال (٦/ ٢٥٦).
(٣) الإنباء بأبناء وتواريخ الخلفاء، فتح الباري (٧/ ١٢٠).
(٤) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري ص ٤٠٢.
(٥) المصدر السابق نفسه.
(٦) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧٧).
(٧) المصدر السابق نفسه.
(٨) المصدر السابق نفسه.
(٩) مرويات خلافة معاوية ص ٤٠٢.
(١٠) الاستيعاب (١/ ٣٨٤).
(١١) الإصابة (٢/ ٦٨).
(١٢) مرويات خلافة معاوية ص ٤٠٢.

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب في ٢١ صفر ١٤٢٥ هـ، الموافق ١١/ ٤/ ٢٠٠٤م الساعة العاشرة إلا ربع ليلاً.

والفضل لله من قبل ومن بعد وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل المتواضع، ويشرح صدور العباد للانتفاع به ويبارك فيه بمنه وكرمه وجوده، قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢].

ولا يسعني في نهاية هذا الكتاب إلا أن أبتهل إلى الله وأتضرع إليه بقلب خاشع منيب، معترفاً بإنعامه وفضله وكرمه وجوده وتوفيقه، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي لوجهه خالصاً ولعباده نافعاً، وأن يثيبني على كل حرف كتبته، ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكافة ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل مسلم يطّلع على هذا الكتاب أن لا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه، قال تعالى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا: أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه

علي محمد محمد الصَّلاَّبيّ

١٨ ذي الحجة ١٤٢٤ هـ

* * *

أهم المصادر والمراجع

١) **سير أعلام النبلاء**، شمس الدِّين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ١٤٠٢ هـ.
٢) **نسب قريش**: أبو عبد الله مصعب بن عبد الله الزبيري، دار المعارف ـ القاهرة.
٣) **الدوحة النبوية الشريفة**، د. فاروق حمادة، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
٤) **الذرية الطاهرة النبوية**: لمحمد بن أحمد بن حماد الدولابي. وأخرج أحاديثه سعد المبارك الحسن، نشر الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦م.
٥) **الطبقات الكبرى**، محمد سعد بن منيع الزهري، دار صادر ـ بيروت، بدون تاريخ.
٦) **مسند أحمد**، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
٧) **صحيح ابن حبان**، أبو حاتم بن حبان البستي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
٨) **المستدرك على الصحيحين**، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، دار الكتب العلميَّة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٩) **معجم الطبراني الكبير**، لأبي القاسم، سليمان بن أحمد الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.
١٠) **منهج التربية النبوية للطفل**، محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، مؤسسة الريان، بيروت ـ لبنان، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الخامسة ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م.
١١) **الحسن بن علي ودوره السياسي**، فتيخان كردي، رسالة ماجستير لم تطبع بعد.
١٢) **صحيح البخاري**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١م.
١٣) **تسمية المولود**، بكر عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.
١٤) **تحفة المودود بأحكام المولود**، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٥) **موسوعة تربية الأجيال**، نصر الصنقري، دار الإيمان، الطبعة الأولى.
١٦) **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربيِّ، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٢م.
١٧) **سنن الترمذي**، أبو عيسى، محمد بن عيسى الترمذي، دار الفكر، ١٣٩٨هـ.
١٨) **ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى**، لأبي العباس أحمد بن محمد الطبري المكيِّ، مكتبة الصحابة ـ الإمارات العربية.
١٩) **المعجم الصغير للطبراني**، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.
٢٠) **موسوعة عظماء حول الرسول**، خالد العك.
٢١) **سيرة آل بيت النبي الأطهار**، مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية.
٢٢) **الإصابة في تمييز الصحابة**، أحمد بن علي بن حجر، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٢٣) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ـ١٩٩٢م.
٢٤) **ميزان الاعتدال في نقد الرِّجال**، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى.
٢٥) **لسان الميزان**، أحمد بن علي بن حجر، حيدر آباد الدَّكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٣٣١هـ ـ ١٩٩٢م.
٢٦) **البداية والنهاية**، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدِّمشقي، دار الرَّيان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٢٧) **تقريب التهذيب** لابن حجر.
٢٨) **دائرة المعارف البريطانية**.
٢٩) **جمهرة أنساب العرب**، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، ١٣٨٢هـ.
٣٠) **فضائل الصحابة**، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
٣١) **تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي**، محمد عبد الرحمن المباركفوري، تصحيح عبد الرَّحمن محمّد عثمان، مطبعة الاعتماد، نشر محمد عبد المحسن الكتبي.
٣٢) **منهاج السنة لابن تيمية**، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة.
٣٣) **التبيين في أنساب القرشيين**، موفق الدِّين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، حققه: محمد نايف الدُّليمي، عالم الكتب، الطبعة الثانية.

٣٤) **الشيعة وأهل البيت**، إحسان إلٰهي ظهير، الناشر: إدارة ترجمان السُّنة، توزيع دار السلام الرياض، الطبعة العاشرة.
٣٥) **نساء أهل البيت** منصور عبد الحكيم، التوفيقية.
٣٦) **المرتضى أبو الحسن علي بن أبي طالب**، لأبي الحسن الندوي، دار القلم.
٣٧) **السيرة النبوية لابن هشام**، دار إحياء التراث، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٣٨) **تاريخ الإسلام للذهبي**، محمد بن أحمد بن عثمان الذّهبي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٣٩) **دلائل النبوة** للبيهقي.
٤٠) **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.
٤١) **سنن ابن ماجه**، الحافظ أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني، دار الفكر.
٤٢) **أسد الغابة في معرفة الصَّحابة**، لعز الدين بن الأثير، أبي الحسن بن عليِّ بن محمد الجزريِّ، دار إحياء التراث العربيِّ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
٤٣) **حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء**، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلميَّة، بيروت.
٤٤) **صحيح السيرة النبوية**، إبراهيم العلي، دار النَّفائس، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.
٤٥) **صفة الصفوة** الإمام أبي الفرج ابن الجوزي، دار المعرفة، بيروت.
٤٦) **التاريخ الإسلامي مواقف وعبر**، د. عبد العزيز عبد الله الحميدي، دار الدّعوة، الإسكندرية، دار الأندلس الخضراء، جدّة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٤٧) **من معين السيرة، صالح أحمد الشامي**، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٤٨) **السيرة النبوية**، لعلي محمد الصَّلاَّبي، دار الإيمان-الإسكندرية.
٤٩) **صحيح سنن أبي داود**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرّياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
٥٠) **أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب**، د. علي محمد الصَّلاَّبي، دار الفجر للتراث القاهرة.
٥١) **العقيدة في أهل البيت بين الإفراط و التفريط**، د. سليمان بن سالم بن رجاء السُّحيمي، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠هـ.
٥٢) **السنن الكبرى للبيهقي**، للحافظ أحمد بن الحسين البيهقيِّ، طبع دار المعارف، بيروت، لبنان، توزيع مكتبة المعارف-الرياض.

٥٣) **الانتصار للصحب والآل من افتراءات السّماوي الضال**، الدكتور إبراهيم الرحيلي، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٥٤) **ديوان محمد إقبال**، الأعمال الكاملة، سيد عبد الماجد غوري، دار ابن كثير، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
٥٥) **أحاديث بشأن السبطين**، عثمان الخميس، رسالة ماجستير لم تطبع حتى الآن.
٥٦) **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، لأبي الحسين الأمير علاء الدين علي بن بلبان، قدم له وضبط نصه: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.
٥٧) **الشريعة للآجري**، دراسة وتحقيق: د. عبد الله الدميجي، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٥٨) **النهاية في غريب الحديث**، لابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي.
٥٩) **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة-بيروت-لبنان.
٦٠) **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف** للمزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي، الدار القيمة.
٦١) **شرح النووي على صحيح مسلم** للإمام النووي أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المتوفى ٦٧٦هـ-١٣٤٩هـ.
٦٢) **شرح فتح القدير**، لكمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام، مطبعة دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ.
٦٣) **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد**، لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي، دار إحياء التراث العربي.
٦٤) **معالم السنن**، للخطابي لأبي سليمان بن محمد الخطابي، المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ، مصور عن الطبعة الأولى ١٣٥٢هـ.
٦٥) **الأم للشافعي**، لمحمد بن إدريس الشافعي، تصحيح: محمد زهري النجار، نشر دار المعرفة، بيروت.
٦٦) **المجموع شرح المهذب**، للنووي، الناشر دار الفكر.
٦٧) **حاشية رد المحتار على الدر المختار المعروف بحاشية ابن عابدين**، لمحمد أمين عمر الدمشقي الشهير بابن عابدين، الطبعة الثانية، مطبعة البابي الحلبي، مصر.
٦٨) **بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك**، أحمد بن محمد الصاوي المالكي، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٨هـ.
٦٩) **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير**، لمحمد أحمد بن عرفة الدسوقي، نشر دار الفكر.

٧٠) **شذرات الذهـب في أخبار من ذهـب**، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧١) **المنتقى شرح موطأ مالك** لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ، مصور عن الأولى ١٣٢٢هـ.

٧٢) **الاختيارات الفقهـية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**: لعلاء الدين أبي الحسن بن علي بن محمد البعلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة ـ بيروت.

٧٣) **إعلام الموقعين لابن القيم**، دار الجيل، بيروت ـ لبنان.

٧٤) **مختارات من أدب العرب للندوي**، دار ابن كثير، دمشق.

٧٥) **حقبة من التاريخ**، عثمان الخميس، دار الإيمان ـ الإسكندرية.

٧٦) **ثم أبصرت الحقيقة**، محمد سالم الحضر، دار الإيمان ـ الإسكندرية، طبعة ٢٠٠٣ م.

٧٧) **دراسات في الفرق**، د. أحمد جلي، شركة الطباعة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٧٨) **الإمامة والنص**، فيصل نور، كتاب لم يطبع حتى الآن.

٧٩) **وسطية أهـل السنة بين الفرق**، د. محمد باكريم محمد با عبد الله، دار الراية، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٨٠) **زاد المعاد في هـدي خير العباد**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ، دار الرسالة.

٨١) **السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة**، محمد أبو شهـبة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٨٢) **مقدمة ابن خلدون**.

٨٣) **الإمام الزهـري**، محمد شرّاب، دار القلم ـ دمشق.

٨٤) **استخلاف أبي بكر الصديق**، جمال عبد الهـادي د. محمد رفعت جمعه، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٨٥) **أبو بكر رجل الدولة**، مجدي حمدي، دار طيبة ـ الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٨٦) **عصر الخلافة الراشدة**، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٨٧) **الأنصار في العصر الراشدي**، حامد محمد الخليفة، دار الصحابة، ٢٠٠٣م.

٨٨) **الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق**، علي محمد الصَّلاَّبي، دار الإيمان ـ الإسكندرية.

٨٩) **الإسلام وأصول الحكم**، محمد عمارة.

٩٠) **عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام**، د. ناصر بن علي عائض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٩١) **أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ**، د. إبراهيم علي شعوط، المكتب الإسلامي، الطبعة السادسة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٩٢) **تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان.
٩٣) **الإبانة عن أصول الديانة**، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، الطبعة الثانية، الجامعة الإسلامية ١٤٠٥ هـ.
٩٤) **الإنصاف فيما يجوز اعتقاده - ولا يجوز الجهل به -**، لأبي بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، نشر عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.
٩٥) **الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية**، سالم بهنساوي، مكتب المنار الإسلامي، الكويت، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٩٦) **دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة**، د. عبد الرحمن الشجاع، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
٩٧) **صحيح سنن ابن ماجه**، لمحمد ناصر الدين الألباني، منشورات المكتب الإسلامي.
٩٨) **تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر الطبري**، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٩٩) **معجم الطبراني الأوسط** لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.
١٠٠) **أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية**، د. ناصر القفاري، دار الرضا بمصر، الطبعة الثالثة.
١٠١) **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، أبو المعالي الجويني، تحقيق: محمد يوسف موسى - علي عبد المنعم، بمكتبة الخانجي؛ مصر.
١٠٢) **خلافة علي بن أبي طالب وترتيب وتهذيب كتاب البداية والنهاية**، محمد صامل السّلمي، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
١٠٣) **تاريخ اليعقوبي**، دار بيروت للطباعة والنشر، طبعة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
١٠٤) **الكامل في التاريخ**، أبو الحسن علي بن أبي المكارم الشيباني المعروف بابن الأثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربيِّ، بيروت، الطبعة الأولى.
١٠٥) **الشورى بين الأصالة والمعاصرة**، عز الدين التميمي، دار البشير، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
١٠٦) **تاريخ خليفة بن خيَّاط**، أبو عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة اللّيثي، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، مؤسَّسة الرِّسالة، ودار القلم، طبعة ١٣٩٧هـ.

١٠٧) **قصة بعث أبي بكر جيش أسامة**، د. فضل إلٰهـي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٠٨) **تاريخ الدعوة إلى الإسلام في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين**، د. جميل عبد الله المصري، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٠٩) **عبقرية الصديق**، عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية، بيروت.

١١٠) **الصديق أبو بكر**، محمد حسين هيكل، دار المعارف بمصر، الطبعة ١٩٧١م.

١١١) **حركة الردة**، د. علي العتوم، مكتبة الرسالة الحديثة-عمّان، الطبعة الثانية ١٩٩٧م.

١١٢) **مشكاة المصابيح**، تحقيق: ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

١١٣) **فقه التمكين في القرآن الكريم**، د. علي محمد الصَّلاَّبي، دار الوفاء-المنصورة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

١١٤) **تفسير الطبري**، لأبي جعفر الطبري.

١١٥) **تاريخ دمشق الكبير**، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١١٦) **الخراج لأبي يوسف**، منشورات مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ الطبع.

١١٧) **مصنف في الأحاديث والآثار**، لأبي شيبة، دار التاج، بيروت، لبنان.

١١٨) **عقائد الثلاثة والسبعين فرقة**، لأبي محمد اليمني، تحقيق ودراسة: محمد عبد الله زربان الغامدي، مكتبة دار العلوم، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١١٩) **تهذيب التهذيب**، أحمد بن علي بن حجر، دار صادر، بيروت، لبنان.

١٢٠) **مختصر التحفة الاثني عشرية**، لمحمود شكري الآلوسي، تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٧٣هـ.

١٢١) **علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين**، د. محمد عمر الحاجي، دار الحافظ بدمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

١٢٢) **فقه السيرة**، محمد سعيد رمضان البوطي، الطبعة الحادية عشرة، ١٩٩١م، دار الفكر، دمشق.

١٢٣) **المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة**، للزمخشري، تحقيق: سيد إبراهيم صادق، دار الحديث، إمام جامعة الأزهر.

١٢٤) **النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب**، لمحمد عبد الواحد المقدسي، تحقيق: عبد الرحمن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

١٢٥) **الرياض النضرة في مناقب العشرة**، لأبي جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري، المكتبة القيمة-القاهرة.

١٢٦) **أضواء البيان في تاريخ القرآن**، صابر حسن محمد أبو سليمان، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٢٧) **تيسير الكريم المنّان في سيرة عثمان بن عفان**، د. علي محمد الصَّلاَّبي، دار ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٢٨) **الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب**، عبد الرحمن عبد الكريم العاني، د. حسن فاضل زعين، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد، طبعة ١٩٨٩م.

١٢٩) **أوليات الفاروق للقرشي**، د. غالب عبد الكافي القرشي، المكتب الإسلامي ـ بيروت، مكتبة الحرمين ـ الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٣٠) **الخلفاء الراشدون**، للخالدي، دار القلم ـ دمشق.

١٣١) **الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية**، سالم البهنساوي، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٣٢) **أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة**، رفيق العظم، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٣م.

١٣٣) **مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري**، يحيى إبراهيم اليحيى، دار العاصمة، الرِّياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٣٤) **المدينة النبوية، فجر الإسلام والعصر الراشدي**، محمد محمد حسن شرّاب، دار القلم ـ دمشق، الدّار الشامية ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

١٣٥) **نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي**، ظافر القاسمي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٣٦) **عثمان بن عفان**، لصادق عرجون، الدّار السعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١٣٧) **شهيد الدار، عثمان بن عفَّان**، أحمد الخروف، دار البيارق، دار عمَّار، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٣٨) **التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان**، محمّد بن يحيى بن أبي بكر المالقي الأندلسي، د. محمود يوسف زايد، دار الدوحة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٣٩) **مجلة البحوث الإسلامية**، العدد (١٠).

١٤٠) **أثر التشيع على الرِّوايات التاريخية**، د. عبد العزيز نور ولي، دار الخضري، المدينة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٤١) **عقيدة السَّلف وأصحاب الحديث**، ضمن الرّسائل المنبريّة، للبهيج إسماعيل الصَّابوني، نشر محمد أمين، رمح ١٩٧٠م.

١٤٢) **رياض النفوس للمالكي**، أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، طبعة عام ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
١٤٣) **الجهـاد والقتال في السياسة الشرعية**، محمد خير هـيكل، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
١٤٤) **ليبيا من الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية**، للدكتور صالح مصطفى مفتاح المزيني، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الثالثة ١٩٩٤م.
١٤٥) **الشرف والتسامي بحركة الفتح الإسلامي**، د. علي محمّد الصَّلاَّبي، مكتبة الصَّحابة، الشّارقة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.
١٤٦) **فتنة مقتل عثمان**، د. محمد عبد الله الغبَّان، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.
١٤٧) **تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الطبري**، والمحدِّثين، د. محمد أمحزون، دار طيبة، مكتبة الكوثر، الرياض الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
١٤٨) **عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر**، عبد الشيخ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.
١٤٩) **تاريخ المدينة**، أبو زيد عمر بن شبّة النميري البصري، تحقيق: محمود شلتوت، نشر السيد حبيب محمود أحمد، المدينة، ١٣٩٣هـ.
١٥٠) **منهـاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين**، مخطوط في مكتبة عارف حكمت بالمدينة، رقم ٢٥٣.
١٥١) **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، لأبي الحسن الأشعري، مكتبة النهـضة المصرية.
١٥٢) **لوامع الأنوار البهـية للإسفراييني**، المكتب الإسلامي.
١٥٣) **الوصية الكبرى**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبع دار المطبعة السلفية ومكتبتهـا، نشر قصي محب الدين الخطيب، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ.
١٥٤) **الثقات لابن حبان**، محمد بن حبان، مكتبة العلم، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ.
١٥٥) **استشهـاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري ـ دراسة نقدية**، د. خالد بن محمد الغيث، دار الأندلس الخضراء ـ جدّة.
١٥٦) **أحكام القرآن**، لابن العربي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.
١٥٧) **شرح الطحاوية**، للعلامة محمد بن علي بن محمد الأذرعي، المكتب الإسلامي، بيروت.
١٥٨) **التاريخ الصغير**، للبخاري.

١٥٩) **عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام**، سلمان بن حمد العودة، دار طيبة، الرِّياض، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ.

١٦٠) **العواصم من القواصم**، القاضي أبو بكر بن العربي، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار الثقافة ـ قطر ـ الدوحة، الطبعة الثانية ١٩٨٩م.

١٦١) تثبيت دلائل النبوة للهمداني.

١٦٢) **الفصل في الملل والنحل**، لأبي محمد بن حزم الظاهـري، مكتبة الخانجي، مصر.

١٦٣) **دول الإسلام**، للذهـبي.

١٦٤) **الوافي بالوفيات** للصفدي.

١٦٥) **مروج الذهـب ومعادن الجوهـر لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

١٦٦) **سنن سعيد بن منصور**، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

١٦٧) **كتاب أهـل البغي** من الحاوي الكبير للماوردي.

١٦٨) **المنتقى من منهـاج الاعتدال**، للحافظ أبي عبد الله محمد بن عثمان الذهـبي، دار البيان، وحققه وعلق على حواشيه: محب الدين الخطيب.

١٦٩) **الفتن**، نعيم بن حماد.

١٧٠) **أحداث وأحاديث فتنة الهـرج**، د. عبد العزيز دخان، مكتبة الصحابة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٧١) **تهـذيب ابن عساكر**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٧٢) **عقيدة الإمام ابن قتيبة**، علي العلياني، مكتبة الصديق ـ السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

١٧٣) **الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة**، مؤسسة الحلبي، القاهـرة.

١٧٤) **الصواعق المحرقة على أهـل الرفض والضلال والزندقة**، لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهـيثمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١٧٥) **تفسير القرطبي**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

١٧٦) **وقعة صفين**، لابن مزاحم، تحقيق: عبد السلام هـارون، الطبعة الثانية ـ القاهـرة ١٣٨٢هـ.

١٧٧) **تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان من الظلم والفسق في مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان**، لأبي يعلى محمد الفرّاء، تحقيق: دار النبلاء ـ عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٧٨) **دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين**، د. محمد ضيف الله بطاينة، دار الفرقان، الأردن ـ عّمان.
١٧٩) **الأخبار الطوال**، لأبي حنيفة أحمد بن داود، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: د. جمال الدين الشيال، مكتبة المتنبي ـ بغداد.
١٨٠) **نهـج البلاغة**، شرح محمد عبده، دار البلاغة ـ لبنان.
١٨١) **معاوية بن أبي سفيان**، صحابي كبير، وملك مجاهـد، منير محمد الغضبان، دار القلم ـ دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
١٨٢) **مجموع فتاوى ابن تيمية**، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.
١٨٣) **الأساس في السنة**، سعيد حوى، دار السلام، القاهـرة.
١٨٤) **الاعتقاد على مذهـب السلف أهـل السنة والجماعة**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهـقي الناشر، حديث أكاديمي، نشاط آباد ـ فيصل آباد.
١٨٥) **المحن**، لابن أبي العرب.
١٨٦) **بذل المجهـود في إثبات مشابهـة الرافضة لليهـود**، عبد الله الجميلي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
١٨٧) **الإمامة والرد على الرافضة**، تحقيق: علي ناصر فقيهـي.
١٨٨) **تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه**، أحمد الكاتب.
١٨٩) **الحكومة الإسلامية**، للخميني.
١٩٠) **مقاتل الطالبيين**، لأبي الفرج الأصفهـاني.
١٩١) **الأغاني**، لأبي الفرج الأصفهـاني.
١٩٢) **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٩٣) **كتب حذر منهـا العلماء**، لأبي عبيدة مشهـور بن حسن آل سلمان، دار الهـيعي ـ السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
١٩٤) **السيف اليماني في نحر الأصفهـاني**، وليد الأعظمي، دار الوفاء، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م، مصر.
١٩٥) **معجم الأدباء**، ياقوت الحموي، دار صادر.
١٩٦) **الأدب في الإسلام**، نايف معروف، دار النفائس، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
١٩٧) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، لابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد: تحقيق: إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت.

١٩٨) **منهج الرسول في غرس الروح الجهادية في نفوس أصحابه**، السيد محمد نوح، جامعة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

١٩٩) **التفسير المنير**، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر ـ بيروت، دار الفكر ـ دمشق ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م الطبعة الأولى.

٢٠٠) **الإيمان أولًا فكيف نبدأ به**، **مجدي الهلالي**، دار التوزيع والنشر الإسلامية ـ مصر.

٢٠١) **عيون الأخبار**، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٢٠٢) **تهذيب مدارج السالكين**، لابن القيم، هذبه: عبد المنعم صالح العلي العزي مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٢٠٣) **الرقائق**، لمحمد أحمد الراشد، دار البشير ـ مصر.

٢٠٤) **صحيح الجامع الصغير**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٠٥) **السلسلة الصحيحة**، للألباني، المكتب الإسلامي.

٢٠٦) **رهبان الليل**، د. سيد بن حسين العفاني، مكتبة معاذ بن جبل، مصر.

٢٠٧) **ما ذئبان جائعان**، لابن رجب، تحقيق: محمد صبحي حلَّاق، مؤسسة الريان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٠٨) **جواهر الأدب للهاشمي**، السيد أحمد الهاشمي، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان.

٢٠٩) **صحيح الترغيب والترهيب**، للمنذري.

٢١٠) **الأخلاق بين الطبع والتطبع**، لأبي عبد الله فيصل بن عبده الحاشدي، دار الإيمان ـ الإسكندرية.

٢١١) **صلاح الأمة في علو الهمّة**، د. سيد بن حسين العفاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٢١٢) **جهاد النفس**، علي بن محمد الدهامي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢١٣) **جامع العلوم والحكم**، لابن رجب.

٢١٤) **الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**، محمد رضا، المكتبة العصرية، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٢١٥) **علموا أولادكم حب آل بيت النبي**، محمد عبده يماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٢١٦) **منهج الإسلام في تزكية النفس**، د. محمد خير فاطمة، دار الخير، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٢١٧) **مدارج السالكين**، لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

٢١٨) **أمراض النفس**، دراسة تربوية لأمراض النفوس ومعوقات تزكيتها وعلاج ذلك، د. أنس أحمد كرزون، دار ابن حزم، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ.

٢١٩) **الجواب الكافي**، لابن القيم.

٢٢٠) **جامع بيان العلم وفضله**، لأبي عمر يوسف بن عبد البر، الطبعة الرابعة ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢٢١) **المحدث الفاصل** للرامهرمزي.

٢٢٢) **قواعد في التعامل مع العلماء**، عبد الرحمن بن معلاّ اللويحق، دار الورّاق، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٢٢٣) **الداء والدواء** لابن القيم.

٢٢٤) **التعريفات** للجرجاني.

٢٢٥) **سنن النسائي**، أحمد بن شعيب بن علي النسائي، دار الفكر-بيروت.

٢٢٦) **الزواجر** لابن حجر الهيثمي.

٢٢٧) **الشهب اللامعة في السياسة النافعة**، لعبد الله بن يوسف بن رضوان المالقي، دار المدار الإسلامي-لبنان، الطبعة الأولى.

٢٢٨) **أحكام القرآن**، أحمد بن علي الرازي المعروف بالجصاص، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٢٢٩) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية**، أبي محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالمغرب.

٢٢٠) **التحرير والتنوير**، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دار الكتب الشرقية-تونس.

٢٣١) **الفوائد**، لابن القيم، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الريان للتراث، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢٣٢) **تفسير ابن كثير**، دار الفكر، ودار القلم، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية.

٢٣٣) **تفسير السعدي المسمى تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، لعبد الرحمن ناصر السعدي، المؤسسة السعدية بالرياض.

٢٣٤) **معنى الزهد والمقالات وصفة الزاهدين للإمام أبي سعيد أحمد بن محمد**، دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٢٣٥) **محاسن التأويل** للقاسمي، محمد جمال الدين القاسمي، دار الفكر، بيروت.

٢٣٦) **نهاية الأرب في فنون الأدب**، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، مطبعة كوتسا توماسي بالقاهرة.

٢٣٧) **صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة**، د. محمد فوزي فيض الله، دار القلم ـ دمشق، الدار الشامية ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٣٨) **قيادة الرسول السياسية والعسكرية**، أحمد راتب عرموش، دار النفائس، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٢٣٩) **ولاة مصر، أبو يوسف محمد يوسف الكندي**، تحقيق د. حسين نصار، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

٢٤٠) **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، جمال الدِّين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، وزارة الثقافة والإرشاد القوميِّ، القاهرة، بدون تاريخ.

٢٤١) **المجروحين من المحدِّثين**، أبو حاتم محمد بن حبّان بن أحمد، تحقيق: إبراهيم محمود زايد، حلب، دار الوعي.

٢٤٢) **تذكرة الحفاظ**، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، بيروت، دار إحياء التراث.

٢٤٣) **الكامل في ضعفاء الرجال**، للإمام الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

٢٤٤) **المعرفة والتاريخ**، ليعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

٢٤٥) **فقه السيرة**، منير الغضبان، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث ـ مكة المكرمة.

٢٤٦) **الصراع مع اليهود**، لأبي فارس، دار الفرقان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٢٤٧) **مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري**، خالد محمد الغيث، دار الأندلس الخضراء ـ السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢٤٨) **مجموعة الفتاوى**، تقي الدِّين أحمد بن تيمية الحرّاني، دار الوفاء، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٤٩) **السنة**، لأبي بكر الخلال، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٢٥٠) **المطالب العلية بزوائد المسانيد الثمانية**، المطبعة العصرية، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

٢٥١) **أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة**، د. أحمد بن عبد العزيز قاسم الحداد، دار الغرب الإسلامي، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٩٩م.

٢٥٢) **جامع الأصول من أحاديث الرسول**، للإمام مبارك بن الجزري، تحقيق: حامد الفقي، إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض ١٣٧٠هـ.

٢٥٣) **مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية**، محمد سعد اليوبي، دار الهجرة.

٢٥٤) **اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات**، د. عبد الرحمن بن معمر السنوسي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى رجب ١٤٢٤هـ، السعودية.

٢٥٥) **أسباب النزول**، للواحدي، علي بن أحمد الواحدي، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٢٥٦) **رسالة الألفة بين المسلمين**، لابن تيمية.

٢٥٧) **الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية**، عبد العزيز بن أحمد بن حامد، غرّاس للتوزيع ـ الكويت، الطبعة الأولى.

٢٥٨) **نظام الخلافة في الفكر الإسلامي**، مصطفى حلمي، دار الدعوة ـ الإسكندرية.

٢٥٩) **الشيخان أبو بكر وعمر**، رواية البلاذري في أنساب الأشراف، تحقيق: د. إحسان صدقي العمد، المؤتمن للنشر، السعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٦٠) **الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي**، فتحي عبد الكريم، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٢٦١) **الذاكرة التاريخية للأمة**، د. قاسم محمد.

٢٦٢) **الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام**، السيد عمر، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٦٣) **أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية**، د. عبد الله عبد الرحمن الخرعان، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٢٦٤) **دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها**، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، مركز دار إشبيليا، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٦٥) **وجوب التعاون بين المسلمين**، لعبد الرحمن السَّعدي، دار المعارف، الرِّياض، طبعة ١٤٠٢هـ.

٢٦٦) **سنن الدارمي**، لأبي عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٢٦٧) **النظريات السياسية**، محمد ضياء الريس.

٢٦٨) **قضاء الحوائج لأبي بكر ابن أبي الدنيا**، دار ابن حزم، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف.

٢٦٩) **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ ـ ١٩٧٢م.

٢٧٠) **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، للقلقشندي، تحقيق: عبد الستار أحمد الفرج، عالم الكتب، بيروت.
٢٧١) **العبودية**: لابن تيمية.
٢٧٢) **المدينة في العصر الأموي**، محمّد حسن شرّاب، مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق.
٢٧٣) **مواقف المعارضة في خلافة يزيد**، محمد الشيباني، دار البيارق، عمّان، الأردن.
٢٧٤) **تهـذيب الكمال في أسماء الرجال**، للمزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
٢٧٥) **أثر أهـل الكتاب في الفتن والحروب الأهـلية في القرن الأوّل الهـجري**، الطبعة ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.
٢٧٦) **الوسطية في القرآن الكريم**، علي الصَّلاَّبي، دار الصحابة، الإمارات، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.
٢٧٧) **التوضيح والبيان** لشجرة الإيمان عبد الرحمن السعدي.
٢٧٨) **المرتضى سيرة أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب**، لأبي الحسن الندوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
٢٧٩) **تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي**، د. علي حسن الخربوطلي، دار المعارف بمصر.
٢٨٠) **المفهـم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، لأبي العباس أحمد عمر القرطبي، تحقيق: محيي الدين مستو، يوسف بديوي، دار ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

* * *

فهرس الموضوعات

السيرة الذاتية للمؤلف



د. علي محمد محمد الصَّلَّابي
مفكر ومؤرخ وفقيه

- ولد في مدينة بنغازي بليبيا عام 1383 هـ - 1963م.
- نال درجة الإجازة العالمية (الليسانس) من كلية الدعوة وأصول الدين من جامعة المدينة المنورة عام 1993م، وبالترتيب الأول.
- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين في جامعة أم درمان الإسلامية عام 1996م.
- نال درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية بأطروحته فقه التمكين في القرآن الكريم من جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان عام 1999م.
- اشتهر بمؤلفاته واهتماماته في علوم القرآن الكريم، والفقه، والتاريخ، والفكر الإسلامي.
- زادت مؤلفات الدكتور الصلابي على الثمانين مؤلفًا.

كتب صدرت للمؤلف

1. السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث.
2. سيرة الخليفة الأول أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: شخصيته وعصره.
3. سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: شخصيته وعصره.
4. سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: شخصيته وعصره.
5. سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: شخصيته وعصره.
6. سيرة أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب: شخصيته وعصره.
7. الدولة العثمانية: عوامل النهوض والسقوط.
8. فقه النصر والتمكين في القران الكريم.
9. تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا.
10. تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي.
11. عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين.
12. الوسطية في القران الكريم.
13. الدولة الأموية، عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار.

14. معاوية بن أبي سفيان، شخصيته وعصره.
15. عمر بن عبد العزيز، شخصيته وعصره.
16. خلافة عبد الله بن الزبير.
17. عصر الدولة الزنكية.
18. عماد الدين زنكي.
19. نور الدين زنكي.
20. دولة السلاجقة.
21. الإمام الغزالي وجهوده في الإصلاح والتجديد.
22. الشيخ عبد القادر الجيلاني.
23. الشيخ عمر المختار.
24. عبد الملك بن مروان وبنوه.
25. فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة.
26. حقيقة الخلاف بين الصحابة.
27. وسطية القران في العقائد.
28. فتنة مقتل عثمان.
29. السلطان عبد الحميد الثاني.
30. دولة المرابطين.
31. دولة الموحدين.
32. عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج.
33. الدولة الفاطمية.
34. حركة الفتح الإسلامي في الشمال الأفريقي.
35. صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير البيت المقدس.
36. استراتيجية شاملة لمناصرة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دروس مستفادة من الحروب الصليبية.
37. الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء.
38. الحملات الصليبية (الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة) والأيوبيون بعد صلاح الدين.
39. المشروع المغولي: عوامل الانتشار وتداعيات الانكسار.
40. سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت في عهد المماليك.
41. الشورى في الإسلام.
42. الإيمان بالله جل جلاله.
43. الإيمان باليوم الآخر.
44. الإيمان بالقدر.
45. الإيمان بالرسل والرسالات.
46. الإيمان بالملائكة.
47. الإيمان بالقران والكتب السماوية.
48. السلطان محمد الفاتح.

49. المعجزة الخالدة.
50. الدولة الحديثة المسلمة: دعائمها ووظائفها.
51. البرلمان في الدولة الحديثة المسلمة.
52. التداول على السلطة التنفيذية.
53. الشورى فريضة إسلامية.
54. الحريات من القرآن الكريم: حرية التفكير وحرية التعبير، والاعتقاد والحريات الشخصية.
55. العدالة والمصالحة الوطنية: ضرورة دينية وإنسانية.
56. المواطنة والوطن في الدولة الحديثة.
57. العدل في التصور الإسلامي.
58. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي.
59. الأمير عبد القادر الجزائري.
60. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، سيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، الجزء الثاني.
61. سُنة الله في الأخذ بالأسباب.
62. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، وسيرة الإمام محمد البشير الإبراهيمي.
63. أعلام التصوف السُني: «ثمانية أجزاء».
64. المشروع الوطني للسلام والمصالحة.
65. الجمهورية الطرابلسية (1918 – 1922) أول جمهورية في تاريخ المسلمين المعاصر.
66. الإباضية: مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج.
67. المسيح عيسى ابن مريم (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ): الحقيقة الكاملة.
68. قصة بدء الخلق وخلق آدم (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ(
69. نوح (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) والطوفان العظيم.. ميلاد الحضارة الإنسانية الثانية.
70. إبراهيمُ خليل الله (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ(: ''داعية التوحيد ودين الإسلام والأسوة الحسنة».
71. موسى (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) كليم الله.
72. موسى (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) والخضر.
73. موسى (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) في سورة طه.
74. موسى (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) في سورة القصص.
75. موسى (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) في سورة الشعراء.
76. مؤمن آل فرعون في سورة غافر.
77. لا إله إلا الله (أدلة وجود الله وأول المخلوقات)
78. سقوط الدولة العثمانية (الأسباب – التداعيات).
79. سقوط الدولة الأموية (الأسباب – التداعيات).
80. مختصر نشأة الحضارة الإنسانية وقادتها العِظام.
81. النبي الوزير يوسف الصديق (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) من الابتلاء إلى التمكين.
82. دكريات لا تنسى
83. الأنبياء الملوك

هذا الكتاب

يتحدث هذا الكتاب عن أمير المؤمنين الحسن من مولده حتى استشهاده، فيبدأ بالحديث عن اسمه ونسبه وكنيته وصفته ولقبه، وتسمية رسول الله ﷺ له، وتأذين رسول الله ﷺ في أذنيه، وحلق شعر رأسه، وعقيقته، ومرضعته أم الفضل رضي الله عنها، وعن زواجه وزوجاته والروايات التي حولهنَّ، وبيان حقيقة الروايات التي تزعم بأن الحسن رضي الله عنه كان مزواجًا مطلاقًا، كما يتحدث الكتاب عن أولاده، وإخوانه وأخواته، وأعمامه وعماته، وأخواله وخالاته.

وعن والدته السيدة فاطمة رضي الله عنها، عن مهرها وجهازها وزفافها، ووليمة عرسها، ومعيشتها وزهدها وصبرها، ومحبة رسول الله ﷺ لها وغيرته عليها، وصدق لهجتها وسيادتها في الدنيا والآخرة، وبين الكتاب العلاقة بين الصديق والسيدة فاطمة، وميراث النبي ﷺ. وحقيقة علاقة السيدة فاطمة مع أبي بكر رضي الله عنه، وعن وفاة السيدة فاطمة رضي الله عنها.

وفصَّل الكتاب مكانة السيد الحسن عند جده الحبيب المصطفى ﷺ، فأشار إلى محبة رسول الله ﷺ ورحمته بالحسن وملاعبته، والدروس المستفادة من هدي النبي في التعامل مع الأطفال، كتقبيلهم والرأفة والرحمة بالأطفال ومداعبتهم وممازحتهم، وأهمية الهدايا والعطايا التي تقدم لهم، وحسن استقبالهم وتفقد أحوالهم والسؤال عنهم واللعب معهم.



dr.sallabi
dr.ali_alsallabi
alsallabi
alsallabicom
alsallabi1
www.alsallabi.com

ISBN: 987-625-6752-14-6
9 786256 752146
asaletyayinlari.com.tr
asaletyayinlari
دار الأصالة